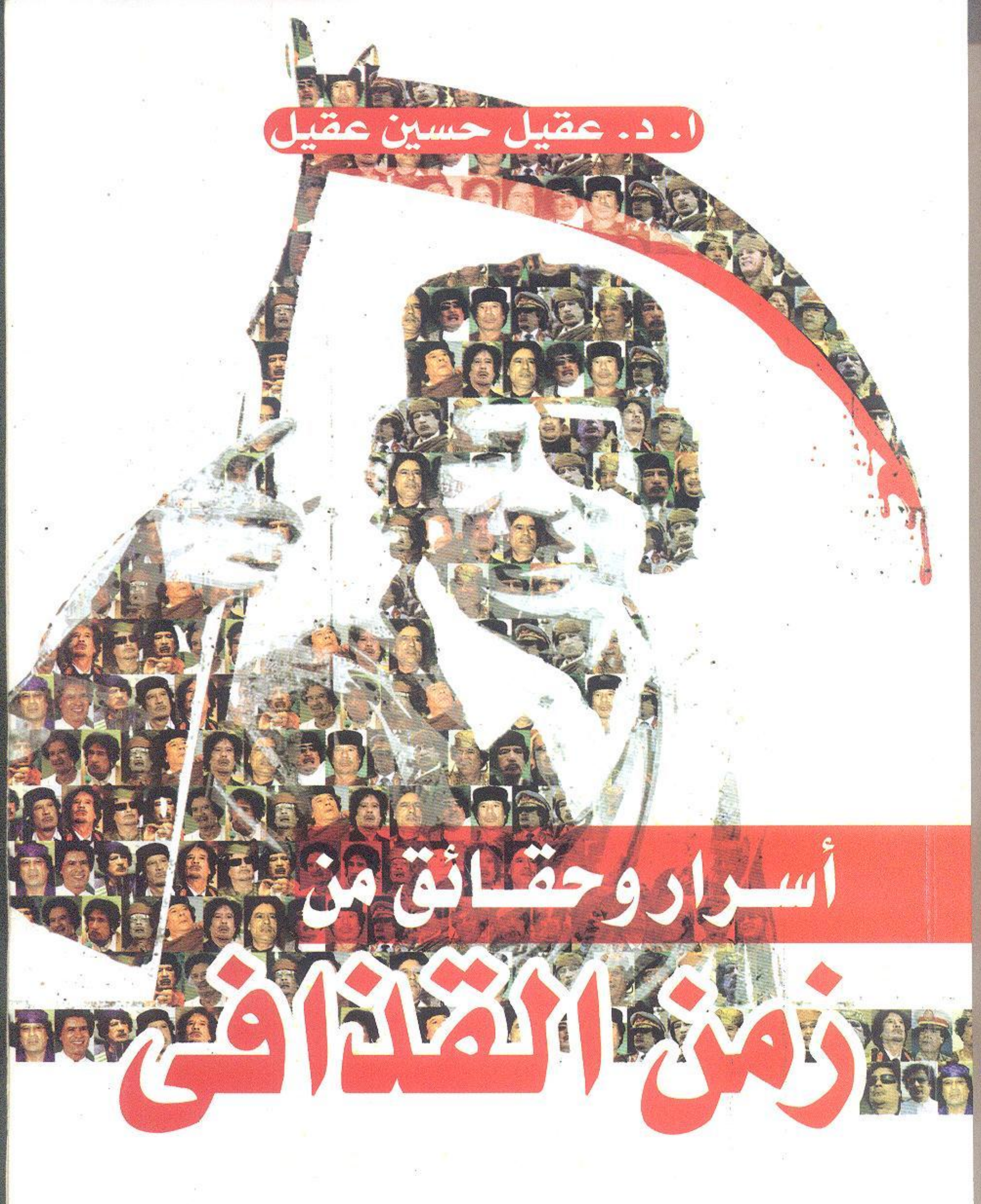


المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

أ.د عقيل حسين عقيل

اسرار وحقائق

من

زمن القذافي

المحتويات

اتصالات جسّ النبض

. إبراهيم أبو خزام.

. علي الدبيبه.

. شهادة من بشير صالح.

. صالح عبد السلام الفرجاني.

. الدكتور محمّد علي زيدان.

. الدكتور جمال اللموشي.

. نصر عبد الله العجيلي.

المحطّة الخامسة

. أمر القبض على عائلة عقيل.

المحطة السادسة

. إجراءات، وردود أفعال من القذافي.

. البعثات الدراسية وردّة فعل القذافي.

. مواجهة مع التعليم العالي وردّة فعل القذافي.

. الأساتذة من الإخوان المسلمين وردّة فعل القذافي.

. تقرير عميد الجامعة وردّة فعل القذافي.

. قرار المنابر وردّة فعل القذافي.

الثورة البرتقالية وردّة فعل القذافي.

المركّب الجامعي الزنتان وردّة فعل القذافي.

المحطّة السابعة

المفاوضات السريّة في مصر

الخوف وآفاق المستقبل.

الخوف يخلّص من الخوف.

الرّسالة الخامسة:

خريف السّلطان

(الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع).

ثورة ربيع النّاس.

القذافي لم يتّعظ والمنتفعون يتخلّون

الرّسالة السادسة:

الرّفض.

الرّفض استشعار حرية.

القذافي وابنه ينذراني بالترك فاخترت الرّفض.

الشعب الليبي نفذ صبره.

الثوّار يرفضون أمر الطّاغية.

القذافي يعتقد إنّه المفكّر للأجيال.

القذافي مكمّم الأفواه.

مبرّرات تكميم الأفواه.

الرّسالة السابعة:

القذافي مقوّض القيم

تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات).

القذافي قوّض قيمة الأخلاق.

قوّض قيمة الإرادة.

قوّض قيمة التقدير.

قوّض قيمة الاعتراف.

قوّض قيمة الاعتبار.

قوّض قيمة المشاركة.

قوّض قيمة المشاورة.

قوّض قيمة المساواة.

قوّض قيمة الحكم العدل.

قوّض قيمة الحقوق.

قوّض قيمة الواجبات.

قوّض قيمة الابداع والتطلّع.

الرّسالة الثامنة:

ربيع النّاس (من الاصلاح إلى الحلّ).

النّاس يستنشقون الحرية.

مناهج الربيع تقضي على مناهج الطاغية.

الرّفض يعيد الشّعب إلى ميادين المواجهة.

ربيع الحلّ لا تأزُّم من بعده.

المشاورة.

الأمن.

الأمن السياسي.

الأمن الاقتصادي.

الأمن الاجتماعي.

الأخلاق وطن.

ربيع الحلّ (دولة توافق).

صدر للمؤلّف.

إهداء

إلى صنّاع التّاريخ:

الذين سارعوا بدفع العجلة إلى الأمام.

والذين التحقوا بهم عندما شاهدوا العجلة تكاد أن تتوقّف.

وإلى الذين تدافعوا بأنفّسهم وأموالهم عندما شعروا أنَّ العجلة تكاد أنْ تدور إلى الخلف؛ فدفعوها سويّة حتى أخرجوها من الوحل.

إلى أصحاب الحسنيين من الشهداء والجرحى والمنتصرين الذين أوصلوها إلى بر الأمان.

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أقدّم هذا المؤلف إلى القراء المحترمين بما يحتويه من محطات تحتوي على أسرار وحقائق دارت جميعها في الزّمن الذي كان فيه معمّر القذافي يحكم ليبيا بقبضة من حديد، والذي ايدناه مرّات في بدايات عمرنا، وعارضناه مرّات في كهولتنا بعد أن تبيّن لنا الحقّ من الباطل، وانتفضنا مع ثوّار ١٧ فبراير (الثورة المجيدة) التي سيظل الأمل فيها لا يفارقنا إلى النهاية.

وأنا أكتب هذه المقدّمة أحاول أن استرجع صفحات من ذلك التاريخ، وما يحتويه من مذاق حلوٍ، ومذاقٍ مرٍّ، ومذاق أكثر مرارة، حتى وصلنا إلى ١٧ فبراير تلك الخلية الممتلئة عسلاً طبيعياً فيه شفاء للنّاس.

وبالعودة إلى تلك البداية التي استولى فيها معمر القذافي على السلطة في ١٩٦٩/٩/١م، نجد له في ذلك الوقت مؤيدين ومناصرين، وعندما بدأت توجّهاته تظهر عن ذلك البيان الذي أعلنه في ذات التاريخ، بدأ الانشقاق عنه أوّلاً بأوّل، ولكن الواعين هم دائماً السبّاقون.

وكان من أوّل أولئك السابقين، الذين انقلبوا معه، ثمّ الذين انقلبوا عليه؛ فكانت محاولة السيد المقدّم آدم الحواز، والمقدّم موسى أحمد المنقلبن معه هي المحاولة المتصدّرة لتلك الانقلابات الرئيسة على معمّر القذافي في العام نفسه الذي كان فيه انقلاب ١٩٦٩م. ثمّ ثورة أهل الجنوب في ١٩٧٠/٥/١٠م، ومن بعدها مجموعة من المحاولات التي توّجت بمحاولة الرائد عمر المحيشي ١٩٧٥م الذي هو أحد العناصر

المنقلبة مع معمّر القذافي. وهكذا توالت محاولات الانقلابات على القذافي من الأباعد والأقارب بما فيهم القذاذفة، الذين قتل القذافي من أبنائهم من قتل بغير حقّ، ومثّل بمن مثّل، وعلى رأسهم (حسن اشكال، والغناي، واخشيبة)، ومع ذلك لم تنته محاولات الانقلابات عليه، كما هو حال المقارحة الذين منهم الشهيد لطفي محمّد امقيق الذي قُتل عام ١٩٨٠م، وهو صاحب المقولة: (اللهم أفصل رأس من يريد أن يفصل الكتاب عن السنّة)، وكذلك سعد محمّد نصر الذي قاد محاولة الانقلاب على معمّر القذافي١٩٨١م هو كغيره ممّن وعوا مآرب القذافي في تلك المرحلة، وكذلك المحاولة التي قادها من قبله ادريس الشهيبي في عام ١٩٧٩م، وهكذا تعدّدت المحاولات الانقلابية على معمّر القذافي من جميع المدن والقرى الليبية، وأذكر محاولة أولئك الأبطال من الجبهة الوطنية لانقاد ليبيا ١٩٨٤م، كما أذكر تلك المحاولة الجّادة لأبناء قبيلة ورفلة الذين منهم من استشهد كما هو حال (مفتاح قرّوم، وخليل الجدك، وآخرون من قبيلة ورفلّة) وهناك من نجى منهم وهاجر دون يأس ولا قنوط؛ فسِجُّل الثائرين على معمر القذافي مليء بالأبطال من جميع قرى ومدن ليبيا (من درنة والقبّة وبنغازي وإجدابيا إلى مصراته وطرابلس والزاوية وازواره والجبلين (الأخضر ونفوسة)، ولكن رغم أنّه لم يحالف النجاح هذه المحاولات، ومعها محاولات الليبيين الذين اعتادوا الحديث عن القذافي نهاراً كلّما التقوا في مكاتبهم الرسمية التي لا تستوجب إلّا التحفّظ، في مقابل الشتائم والسباب ليلاً كلّما التقوا في مرابيعهم ومناسباتهم، إلّا أنّ الشعب الليبي عندما قرّر أن ينتفض انتفض على بكرة أبيه بثورة شعبية عارمة؛ فكسَر القيد، وتحدّى الموت إرادة، حتى كُتبت له الحياة ولادة.

ولذا علينا أن لا نغفل عن ذاكرة التاريخ التي سجّلت في حوصلتها كثيراً من الأبطال والشهداء من جميع ألوان الطيف الليبي، والتي لولاها ما وصلنا إلى نظرة جامعة بثورة عارمة.

ولنا في الدين الإسلامي القدوة الحسنة التي يجب أن يقتدى بها، ولذا فمن يؤمن بالله وحده لا شريك له، وأنّ سيدنا محمّداً عليه الصلاة والسلام هو النبي الخاتم، ليس له بدّ إلّا أنْ يسلم وجهه لله ربّ العالمين، ومع ذلك لم يدخل الإسلام كل النّاس؛ والذين دخلوه لم يدخلوه وحدة واحدة في وقتٍ واحد، ولذلك فالواعون دائماً همّ السابقون، وهكذا في مقابل ذلك أنّ من صحا أوّلاً من غفلته، أنشقّ عن نظام القذافي، ثمّ تلاه من صحا ثانياً، وثالثاً، ورابعاً إلى أنْ اجتمع الشمل بثورة ١٧ فبراير المجيدة (ثورة كلّ الليبيين)، فلا ينبغي أن يزايد أحد من الليبيين على أحدٍ آخر منهم.

تناولتُ في هذا المؤلف مجموعة من المحطات أسراراً وحقائق التي لامستها مباشرة في لقاءات مع القذافي أو ابنه سيف، وتلك الأخر التي كانت ذات علاقة بنظامه من خلال محطات أخرى مع مجموعة من قياداته المسؤولة.

ولقد ارتأيت أن تكون البداية الموضوعية بنشر ما كان مخفيّا عن الكثيرين وهو على علاقة مباشرة بثورة ١٧ فبراير؛ فكانت الرّسالة الأولى لسيف ابن القذافي بتاريخ ٤ فبراير ٢٠١١م، ثمّ من بعدها عرض ما تلاها من رسائل، وإظهار الأسرار والحقائق التي كنت أحد العناصر الرئيسة ذات العلاقة المباشرة بمعرفتها؛ فكانت مجموعة من الشخصيات، ولكلّ شخصية دور أو مجموعة أدوار أعرضها في هذا المؤلّف محطّة محطّة.

أمّا ما يتعلّق بتلك الممارسات (غير الأخلاقية)؛ فهي مثار فتن اجتماعية وسياسية؛ وكما تَلحق ردود أفعالها السلبية أسراً وعائلات في

الداخل، تلحق مراكز سياسية في الخارج، ولأنّها كذلك؛ فلا أستطيع تناولها حتى لا تبتل صفحات مؤلفنا بما يتصبّب عليها من عرقٍ من كلّ جبينٍ يتندّى.

وكانت المحطّة الأخيرة من هذا المؤلّف تقديم عرضٍ مختصرٍ لبعض ممّا نشرْته من كتب عن أساليب الطغاة في ترهيب الشعوب، وعن الثورات الشعبية في ربيعها العربي، وكان ذلك في مجموعة من المؤلّفات، طُبعت ونُشرت على فترات ثلاث:

الفترة الأولى: قبل ولادة الثورات الشعبية، وهي: مجموعة من الكتب منها:

* منطق الحوار بين الأنا والاخر.

* ألستم من آل البيت.

* التطرّف من التهيّؤ إلى الحلّ.

* الخوف وآفاق المستقبل.

الفترة الثانية: فترة حمل وولادة الثورتين الشعبيتين العربيتين: (التونسية والمصرية). والمؤلّف هو:

* خريف السّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع).

والفترة الثالثة: عند حمل الثورة الليبية واليمنية والسورية وتخلّقها في ميادين الشهداء وساحات الحرّية، وفي كلّ شارع، وزنقة، ودار؛ فكانت ثلاثة كتب، هي:

* الرّفضُ استشعارُ حرّية.

* تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات).

* ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) وهو آخر المؤلّفات المنشورة في الزّمن الصّعب؛ فكان نشره في القاهرة بتاريخ ٢٠١١/٨/٢٤م، أي بعد سقوط معسكر باب العزيزية بيومٍ واحدٍ.

ولذا فجميع هذه الكتب (الرّسائل) نُشرت قبل أن يتمّ تحرير مدينة طرابلس بالتّمام، وجميعها ترفض الطّغاة، كما ترفض نظم التوريث للأبناء، وفيها ذُكر الطغاة اسم اسم، ومفاسدهم مفسدة بعد مفسدة. وهي تقول لأولئك الطغاة: (ارحلوا خير من أن تُرحّلوا).

نأمل من الذين يشعرون أنّ هذا المؤلّف يمسّهم من قريب أو بعيد، أن لا يحمّلوني مسؤوليّة ما يأملونه أن يُكتب عن البعض، سواء أكان تحيّزاً عاطفياً تجاههم، أم أنّه رغبة في رمي البعض بغير دليل، فأنا أسرد حقائق وأكشف أسراراً جرت بيني وبين الآخرين، أو جرت بين بعض من الآخرين وآخرين، ولذا فمن الموضوعية أنْ تُسرد الأحداث كما جرت.

ملاحظة: من نعم الله عليّ أنّ معظم الأشخاص الذين ذكرتهم هم على قيد الحياة يُرزقون؛ وهؤلاء بدون شكّ سيكونون شهوداً على ما كتبت؛ فإنْ غفلت أو نسيت، أو يتهمني البعض بالتناسي، أو الانحياز بغير حقّ أقول: ذكروني أيّها السّادة الكرام وصحّحوا، أو انفوا، أو ردّوا، ليكون التواصل بيننا من أجل إظهار الحقائق أمام الليبيين العازمين على إعادة كتابة التّاريخ.

وأقول استغفر الله، عمّ كتبنا ممّا كتبناه في سنوات الغفلة، وانعدام الرؤية، أو انعدام الوعي والنضج الفكري والمعرفي، الذي من تمكّن من بلوغه تمكّن من التمييز الممكّن من اتخاذ القرار المناسب للموقف المناسب، ولهذا عندما بلغنا الوعي والنضج المعرفي لسياسات الطغاة، نعتقد أنّنا استطعنا اتخاذ الموقف المناسب بالقرار المناسب، ومع ذلك (فالكمال لله وحده).

قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[١].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[٢].

وعليه: فالكثير من الليبيين أقدموا مطّرين على كثيرٍ من الأقوال والأعمال ذات الأفعال السلبية في زمن القذافي، ولهذا عليهم جميعاً أن يستغفروا الله من كلّ ذنب، وكلّ خطيئة.

فهناك من تقرّب زلفى للقذافي، أو أحد أبنائه، أو لبعض المقرّبين لهم من أجل أن يتحصّل على قرضٍ من أحد المصارف، أو على رحلة سفر لأداء فريضة الحجّ أو العمرة، أو أن يتحصّل على وثيقة جواز سفر، أو أن يمتلك سيارة له ولأسرته، أو من أجل الحصول على كُتيّب جمعية استهلاكية، أو قطعة أرض للبناء، أو من أجل الحصول على فرصة عمل، وغيرها من أساليب التقرّب كثيرة سواء أكانت بمبررات الحاجة، أو بمبررات غيرها؛ فاستغفر الله عمّا سلف ممّا سلف من تقرّبٍ.

وهناك من أُدخل طفلاً إلى ما كان يسمى بمعسكرات البراعم؛ فنمى برعماً في تلك الشّجرة الملعونة إلى أن نضج وحرّر نفسه؛ وانتمى لثورة ١٧ فبراير؛ فاستغفر الله عمّا سلف عن جميع هؤلاء الكثر الذين وجّهوا إلى ما لا يجب أن يوجّهوا إليه.

---

[١] النساء، ١١٠ . ١١٢.

[٢] آل عمران، ١٣٥ . ١٣٧.

وهناك من أُدخل شبلاً إلى ما كان يسمى بمعسكرات الأشبال؛ فكان شبلاً في تلك الغابة الظالم أهلها، إلى أن نضج متى ما نضج، وتحرّر أو حتى حُرّر؛ فاستغفر الله عمّ سلف من هؤلاء جميعاً.

وهناك من أُدخل إلى معسكرات السواعد؛ فكان ساعداً للقذافي ونظامه، إلى أن تحرّر ذلك الساعد أو أنّه حُرّر، وفي جميع الأحوال استغفر الله عمّا سلف من مظاهرٍ وأعمال.

وهناك من وُلدوا تزامناً من الله تعالى بما يوافق ١٩٦٩/٩/١م، فَشوّهَ القذافي تاريخ ميلادهم؛ حيث انّه حاول عن غير إرادة لهؤلاء المواليد الأبرياء أن يجعلهم جنوداً من جنده وهم من ذلك براء؛ فاستغفر الله عمّا سلف عن غير إرادة.

وهناك من حفظ الكتاب الأخضر إلى أن عرف بعد وعيٍ من غفلة طالت أو قصرت أنّه الكتاب المهزلة من خلال تفحّصه لمقولاته المخجلة، التي تنصّ على أنّ المرأة تلد، والرّجل لا يلد، وأنَّ المرأة تحيض، والرّجل لا يحيض، وأنَّ الدّجاجة تبيض، والدّيك لا يبيض، وأنَّ الطّفل تربيه أمّه كما أنّ الجحش تربيه أمّه؛ فسخر من ذلك، واستغفر لذنبه، وثار مع الثائرين الليبيين في ١٧ فبراير.

وهناك من تقرّب للقذافي عن طريق تقديم الهدايا المتنوّعة لأفراد أسرته في سبيل حصوله على تعاقد مع شركة من الشركات، أو أن يَسلم بما تحصّل عليه من وكالات للماركات العالمية، أو لكي يفوز بعطاء من العطاءات التي تضاعفت قيم تعاقداتها على حساب حاجات وإمكانات الليبيين المحدودة (من تعاقدات النفط والغاز، إلى تعاقدات الكتب والمستلزمات المدرسية، إلى استيراد القمح والشعير والملابس، واستيراد السيارات والمعدات المتعدّدة والمتنوّعة وغيرها كثير من المستوردات المنتهية صلاحياتها)؛ ومع ذلك انقلب من انقلب منهم،

وانشق من انشق؛ فاستغفر الله عمّا سلف من تقرّبٍ على حساب مصالح الليبيين.

وهناك من دخل الجيش أو زُجّ به في دخوله، أو زُجّ به في الشرطة أو الحرس البلدي، أو الحرس الشعبي، وأقسم بالله في ميادين التدريب، وأمام شاشات الإذاعات المسموعة والمرئية، لن يخون القذافي وما كان يسمى بثورته، ثمّ انقلب بحقّ على كلّ ذلك؛ فاستغفر الله عمّا سلف.

وهناك التلاميذ في جميع المدارس التي كنّا ندرس فيها أو درس أبناؤنا فيها، في كلّ صباح يُقسمون مع مدرسيهم بالله تعالى أنّهم لن يخونوا القذافي، ولكنّ بعد أن نضج منهم من نضج، وتمكّن من التمييز متى ما تمكّن أعلن عدم التزامه بذلك؛ فاستغفر الله عمّا سلف من قسمٍ بالله عن غير وعي وعدم نضج.

وهناك من كتب للقذافي بأسباب الضرورة تعهداً على نفسه أو عن من هو وليٌّ لأمره (سواء أكان في السجن أو خارجه) بأن يكون موظّفاً أو طالباً دارساً أو مواطناً مخلصاً تحت رعايته، ولكنّه داخل نفسه عازم على اغتنام الفرصة كلّما سنحت؛ فاستغفر الله عمّا سلف من كتابة تعهدات تحت الضغط والضرورة والحاجة.

وهناك من كتب المواثيق والمبايعات طوعاً أو كرهاً للقذافي وأبنائه من بعده؛ فتلك المواثيق والمبايعات قد كُتبت من غالبية أعيان المدن، وأعيان القرى، ومن كلّ القبائل الليبية دون استثناء (شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً)، كما أنّها كُتبت من قِبل الذين كانوا يخشون على شرفهم وأعراضهم، وهم لا يستطيعون الهجرة من البلاد بأسباب الحاجة وحبّ البقاء في الوطن، ولذا هم قالوها أو كتبوها تجنّباً للمظالم؛ فاستغفر الله عمّا سلف من قولٍ، وكتابة بيانات، ومبايعات ومواثيق بغير حقٍّ.

وهناك من أجبر على تغيير نسبه الذي هو عليه، إلى سلالة الأشراف التي نسب القذافي نفسه إليها؛ فمن قَبِلَ بذلك من الليبيين أصبح قذافياً شريفاً بين ليلة وضحاها، مع أنّه يعلم سلامة نسبه الأوّل؛ فاستغفر الله عمّا سلف من تغيير نسب وأنساب.

وهناك الكثير ممن ساروا في تلك المسيرات الشعبية طوعاً أو كرها ليؤيّدوا القذافي خوفاً وطمعاً، ابتداءً من ١٩٦٩/٩/١م إلى تاريخ تحرير العاصمة طرابلس ٢٠١١/٨/٢٠م، ولذا فعلى الجميع مراجعة تلك المسيرات لعلّهم يتذكّروا ما جرى فيها، أو لعلّهم يرون صورهم وهم سائرون مع السائرين فيها؛ فاستغفر الله عمّا سلف من السير في المسيرات في ذلك الزّمن.

وهناك من أنكر وتبرأ مكرهاً من ابنه، أو أبيه، أو أخيه وأخته، أو قريبه، أو مجموعة من عشيرته، أو مجموعة من قبيلته، أو جماعة من قريته، أو جماعة من مدينته، وذلك بأسباب إقدامهم على ما يجب أن يقدموا عليه ضدّ القذافي، ولكن كما يقولون التمس لأخيك عذراً، وللضرورة أحكام؛ فالقذافي لا يعتبر من قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[٣]، فاستغفر الله عمّا سلف من إنكارات للأخوة والأخوات والآباء والأمّهات والأقارب والجيران الكرام.

وهناك من تقرّب لمن تقرّب إليه من أجل أن لا يُهدم مسجد قريته، أو مسجد مدينته، أو منزله أو منزل قريب من أقربائه؛ فبايع وهتف بحياة من لا يحب، في سبيل أن تَسلم المساجد ويسلم المصلّون فيها، ويسلم أصحاب المنازل من ظلم الطغاة؛ فاستغفر الله عمّا سلف من هتافات وتقرّبات.

---

[٣] الأنعام ١٦٤.

وهناك من جُنّد في أجهزة الأمن المختلفة؛ فكتب في من كتب ظلماً؛ وشهر سلاحه في وجه من شهر، واستغلّ بطاقاته الأمنية كما يشاء أسوء استغلالٍ؛ فكان سبباً في حرمان آخرين من ممارسة حقوقهم، أو أداء واجباتهم، أو حمْل مسؤولياتهم، ولكنّه إن تاب؛ فاستغفر الله عمّا سلف.

وهناك من قرض الشّعر؛ فمدح وشكر القذافي، وذمّ من ذمّ من الآخرين من أجل حاجة، أو ظرفٍ يريد من ورائه تخفيف غضب القذافي على قبيلته، أو أسرته، أو أحدٍ من أخوته، أو أحدٍ من قريته أو مدينته، ثمّ اغتنم الفرصة عندما سنحت أمام الجميع متى ما سنحت له؛ فاتخذ موقفاً موجباً؛ فاستغفر الله عمّا سلف في تلك القصائد.

وحتّى الرياضيين في أنديتهم لم يسلموا من الإجبار والإكراه؛ فكان البعض منهم مضطرّاً لمبايعة القذافي أو أحد أبنائه، كي لا تقفل أنديتهم، أو تهدُّ على رؤوس منتسبيها؛ فاستغفر الله عمّا سلف من مبايعات بأسباب الضرورة.

ومع أنّ المواجهة دارت رحاها بين ثوّار ١٧ فبراير، وكتائب القذافي، وقياداتهم من الأبناء والمقرّبين، إلّا أنّ النّهاية سجّلت حقيقة تاريخية مفادها: أنَّ الذين كان يعتقد القذافي أنّهم سيحقّقون له النّصر أو يموتون معه؛ فعندما التفت لم يجد في المواجهة إلّا نفسه وابنه معتصم، وأبوبكر يونس جابر وابنه، وأحمد إبراهيم، ومنصور ضوء، وعزالدين النهشيري، وأفراد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة؛ فأين الباقون الذين تركوه؟ لن يعد الفرق بينهم وبين الذين انشقوا عنه إلّا فارق الزّمن والحسابات الخاطئة!! لقد ادركوا أنّهم لن يغني عنهم شيئاً فتوقّف عندهم الزّمن.

وأخيراً فمن وجد فيما كتبنا صواباً نأمل أن ينال منه خيراً، ومن وقف على غفلة لنا أو سهوٍ في جانب؛ فليلتمس لنا عذراً ، وجلّ من لا تأخذه غفلة.

أختم هذا المؤلّف بما أنهيت به علاقتي بحكم القذافي رسميّاً في ما كان يسمى بمؤتمر الشّعب العام في مارس ٢٠٠٩م حيث قلت:

(بسم الباقي بسم الله الرّحمن الرّحيم: أيّها الأخوة إنّ المسؤول إذا أراد أن يكون صادقاً، ليس له بدٌّ إلّا أن يختار أحد أمرين، إمّا أن يكون صادقاً معكم، وإمّا أن يكون صادقاً مع نفسه، ولأنّي منكم، ومن بينكم، اخترت أن أكون صادقاً مع نفسي لكي أكون صادقاً معكم؛ فإن وفّقت فما توفقي إلّا بالله، وإن أخطأت استغفره كثيراً، والحمد لله الباقي ربِّ العالمين).

بطبيعة الحال كنت أقصد من قولي (بسم الباقي بسم الله الرّحمن الرّحيم، وقولي: الحمد لله الباقي ربِّ العالمين) رسالة مفتوحة للقذافي بأنّه لا باقٍ إلّا الله، أي لا بدّ وأن تأتيك النهاية، وسأكون بأذنه تعالى من الباقين الشاهدين، ويصدق فيك قوله جلّ جلاله: {لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً}[٤]؛ فها هي كُتبت والحمد لله الباقي ربِّ العالمين.

وأخيراً: لمن الملك اليوم؟

لله الواحد القهار.

٢٠١٢/٥/١٢م

أ.د عقيل حسين عقيل

[٤] يونس، ٩٢.

المحطّةُ الأولى

رسائل

رسالة أولى

إلى

سيف القذّافي

في اليوم الأوّل من شهر فبراير ٢٠١١م اتصل بي الدكتور علي الصلّابي من قطر، وقال أنّه سيأتي إلى طرابلس للتشاور في أمر مهمّ وضروري جدّاً؛ فكنت في انتظاره واستقباله بمنزلي يوم ٤ فبراير ومعه الأخ المهندس عبد الرزّاق العرادي (رفيق الدرب كما يسميه الدكتور علي)؛ فكان الدكتور علي مبتسماً كعادته عند كلّ لقاء، ولكنّه لم يكن هانئ النفس، وكأن على ظهره حمل ثقيل يريد أن يضعه، وقبل أن نتناول غذاءنا بدأ الحديث بقوله: نجحت الثورتين الشعبيّتين التونسية والمصرية فما رأيك يا أخ عقيل بالثورة الليبية المؤرّخ لها ١٧ فبراير آلا تكون آتية؟

قلت: لا شكّ أنّها آتية؛ فقال: إذن ينبغي أن يتمّ اللقاء بسيف معمّر القذافي؛ فقلت دعك منه واتركها إنّها مأمورة.

قال: يا أخ عقيل النصح خير، وكفّ دماء الليبيين ضرورة، فإن لم يستجب ليس لنا بدٌّ إلّا أن نتخذ موقفاً يرضي الله تعالى ويرضي أنفسنا كما يرضي الشعب الليبي.

ونحن ثلاثتنا جالسون في تلك الزّاوية بمنزلي وكما هو مألوف عند كلِّ مناقشة من مناقشاتنا في تناول القضايا السّاخنة، مثلما هو الحال عندما كنّا قبل أربعة سنوات من ثورة ١٧ فبراير، نبحث ونتناقش كيف يمكن لنا إطلاق سراح السجناء الليبيين، ومهما تنوّعت ألوان أطيافهم

السياسية والفكرية، ونحن في تلك الزاوية الهادئة المحفّزة على تناول القضايا العلمية في مجالات وميادين البحث العلمي والفكري والسياسي كوّنا رأياً مشتركاً وقرّرنا إبلاغ سيف القذافي به، هذا الرأي كان من خمسة نقاط كنّا مقتنعين بها في ذلك الوقت والآلام تملؤ أنفسنا، وهذه النقاط هي:

١ . إنَّ مشروع الدستور الذي كانت اللجان تشكّل لإعداده ولم ير النور بعد، لم يعد مناسباً ولا مرضياً؛ فالبلد في حاجة لدستور ينظم أحوال الناس سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ويحدّد سنوات التداول على السلطة وكيفية تداولها بكلّ إرادة حرّة.

٢ . إلغاء اللجان الثورية وفتح الأبواب أمام الليبيين لتشكيل منظمات المجتمع المدني والعمل السياسي.

٣ . إلغاء سلطة الشّعب الألعوبة التي لا تعدّ ذات علاقة بالحقيقة الديمقراطيّة.

٤ . تقبُّل المعارضة بمختلف ألوان طيفها دون إقصاء لأحدٍ من مكوّناتها والاستماع لأرائها في عملية الإصلاح السياسي.

٥ . أنَّ سيف القذافي في ذلك الوقت كان مقبولاً لحدٍّ ما من بعض المعارضة ومن بعض الليبيين وكذلك من الغرب، لذلك يجب القول له: عليه أن ينقلب على أبية ويتولى الأمر، وإلّا ثورة ١٧ فبراير ستتخلّق في الميادين والساحات ولا أحد يستطيع إيقاف ولادتها، وستكون الدماء بلا حدود إن لم يتدارك الأمر، وسيدفع الجميع الثمن الثمين.

طلب الدكتور علي المقابلة مع سيف القذافي فكان موعدها الساعة السادسة مساءً من ذلك اليوم ٤ فبراير ٢٠١١م.

قمت مع الأخ عبد الرزّاق العرادي بتوصيل الدكتور علي الصلابي لمقر إقامة سيف القذافي الذي كان في ذلك اليوم بـ(قرية الاتحاد العربي بحي

الأندلس) وصلنا القرية فاستقبلتنا سيارة لأخذ الدكتور علي دون أن يعرف سيف أنّني والمهندس عبد الرزاق العرادي من أوصل الدكتور علي ومن شاركه في تلك النقاط السابقة الذكر.

تمّت المقابلة بنجاح وسلامة في ذلك اليوم دون أن نلتقي مع الدكتور علي الصلّابي الذي ابلغني هاتفياً بذلك، وحسب رأي الدكتور كان سيف القذافي يظهر الرضا على معظم النقاط.

في اليوم الخامس من فبراير (اليوم الثاني من المقابلة) استدعى سيف القذافي الدكتور علي، وأحضر له تسعة أشخاص ممّن اختارهم من رجالاته ورجالات والده لهذا اللقاء، ومن هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الدكتور علي الصلابي هم:

الدكتور يوسف صوان.

عبد الرحمن الكرفاخ.

محمّد إسماعيل.

مصطفى زرتي.

وليد الجهمي.

وحسب قول الدكتور علي طلب منه سيف أن يعيد ما قاله بالأمس كاملاً أمام هؤلاء التسعة؛ فأعاد الدكتور علي دون تردّد ما قاله بالأمس للحاضرين؛ فكان هؤلاء شاهدين على ما قاله الدكتور علي الصلابي، وعلى تلك النقاط التي اتفقنا عليها نحن الثلاثة (الصلابي والعرادي وعقيل)، والتي سبق ذكرها، ولذا حسب قول الدكتور علي: كان الجميع معارضين لما طُرح باستثناء شخص واحد، فمنهم من اعترض مطلقاً، ومنهم من أظهر حرصه وحبّه للقائد وسلطة الشعب، مع بعض الإشارات السلبية للدكتور وآرائه، ومنهم من قال هذا الكلام فوق السقف، ومنهم من قال هذه مؤامرة ضدّ القذافي وابنه سيف،

وأحدهم قال بغير لغتنا هذا يعني: (get out). وفي المقابل كانوا يؤكّدون مقدرتهم على حسم المعركة إن كتبتها عليهم ثورة ١٧ فبراير. ولكن بحمد الله كُتبت الثورة؛ فكتبت تاريخاً كان الفضل فيه لدماء الشهداء والجرحى، وكان النصر ثمرة الفداء.

وللتاريخ أقول: إنَّ الشخص الذي استثناه الدكتور علي الصلابي من أولئك الأشخاص التسعة هو: (مصطفى زرتي) الذي قال عنه كان الوحيد مؤيّداً لِما قلته أمام سيف القذافي.

في اليوم الثالث من المقابلة الموافق (٦ فبراير) بعث سيف القذافي شخصين لمقابلة الدكتور علي ومساءلته على ما قاله له، وما كرّره بالأمس أمام الأشخاص التسعة، وكان أحد هاذين الشخصين حسب ما ذكره الدكتور علي هو: عبد الرّحمن الكرفاخ.

اتصل بي الدكتور علي في ذات اليوم ٦ فبراير ٢٠١١م الذي تعرّض فيه إلى المساءلة الثنائية ليتأكد من وجودي في المنزل، ثمَّ حضر ومعه المهندس عبد الرزاق العرادي؛ فجلسنا في تلك الزاوية المفضّلة لنا جميعاً، وبدأ الدكتور يسرد ما جرى معه خلال هذه المقابلات الثلاثة المتتالية، ثمّ سألني ما رأيك يا أخ عقيل فيما جرى.

قلت: في اعتقادي أن سيف كان راغباً في السلطة وتولى الأمر، ولكن بعد أن عرض الأمر على أبيه الذي استأثر بالسلطة منذ ١/٩/ ١٩٦٩م، لن يتخلى عنها إلّا بالقوّة.

وكذلك أعتقد أنّ القذافي هو الذي طلب من ابنه سيف إعادة المقابلة أمام من تمّ اختيارهم من قِبله، وهو من كان وراء من أرسل إليك الشخصين لمسائلتك عن تلك الآراء وتلك الجرأة، أو في مفهومه تلك الجسارة أو حتى ما يلصقون بها من صفات أخرى سلبية، لتكون

الخطوة الرابعة إلقاء القبض عليك وسجنُك أو تغييبك بشكلٍ من الأشكال.

وفي أثناء الحديث مع الدكتور علي رنَّ جرس هاتفه؛ فقال إنّه عبد الله، قلت: لا ترد عليه، وعليك يا عبد الرزاق بالدكتور علي إلى المطار، حتى الحقيبة لا داعي لها، أسرعا إلى المطار؛ فكان السّفر استجابة.

وخلال الدقائق المتبقيّة لتلك الجلسة طرح الدكتور علي الصلّابي فكرة الحياة المدنية؛ فقال: (بعد نجاح ثورة ١٧ فبراير إن شاء الله تعالى، سيكون لمنظمات المجتمع المدني مكانة، وللتنظيمات الحزبية مكانة؛ فما رأيكما أن نفكّر في تكوين حزب من الآن)؟

قلت هذه ضرورة، وتناولنا الحديث مع وافر التركيز لكسب الوقت قبل مغادرة الدكتور علي إلى المطار، واتفقنا أن يكون اسم الحزب (التجمّع الوطني) ويكون حزباً مفتوحاً لجميع ألوان الطيف الليبي دون إقصاء لأحدٍ، إلّا من أقصى نفسه مشاركاً في سفك دماء الليبيين، أو هتك أعراضهم، أو اختلس من أموالهم أو اعتدى على ممتلكاتهم.

ومع أنّنا في ذلك الوقت كنّا دون شكّ نرى في القذافي طاغية، ومع معرفتنا التّامة بأنّه لا أحد يستطيع أن يلغي أثر الجينات الوراثية بين الآباء والأبناء، ومع أنّنا غير قابلين بتوريث الحكم في ليبيا لأبناء القذافي، كما أنَّنا لا نقبل أن يورّث لغيرهم، إلّا أنّنا كنّا نرى صعوبة كبيرة في تغيير القذافي، ولهذا كان التعامل مع الابن لسبب واحد وهو:

أنَ القوّة المجمّعة طغياناً والتي يمكن أن تستخدم ضدّ من يحاول القيام بعملية التغيير، يجب تشتيتها عن طريق دفع أكبر حلقاتها في اتجاه الحلقات الأصغر منها؛ فتحدث عملية التكسير التي يكون مجموع خسائرها من تلك القوّة المجمّعة طغياناً ضدّ إرادة الليبيين، وعندما يتمّ ذلك، يصبح الباب مفتوحاً أمام الليبيين لفرض وجودهم سادة.

ولكن في علم السياسة لكلّ حساباته في دائرتي المتوقّع وغير المتوقّع، والخاسر دائماً هو من تقتصر رؤيته وتفكيره وخططه على دائرة المتوقّع فقط، ولهذا خسر في ليبيا الطغاة كبيرهم وصغيرهم بضربة واحدة تحت نداء (الله أكبر)؛ فكان الأكبر هو النصير، وهو الولي، وهو الوكيل لثورة ١٧ فبراير؛ إنّه الله الذي يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

وعليه: فإنّ الطّغاة كبار أو صغار هم طغاة، وهم دائماً لا يثقون فيما يقال لهم من قِبل العلماء والحكماء والمحلّلين السياسيين، بقدر ما يثقون فيما يقال لهم من قبل منجّميهم، وفي مثل هذا الأمر تحضرني قصّة: (كذب المنجّمون ولو صدقوا):

اتخذ طاغية القرن العشرين منجّماً له، اتصف بالصدق والثبات وعدم التبدّل في رؤاه التي ادخلت الطمأنينة في نفس من يثق فيه وخصّه بالرعاية والعناية، حتّى اصطبغ القرن العشرون برؤاه تخطيطاً ورسم استراتيجيات، إلّا أنّ الحسرة بدأت تملأ نفسه، وذلك عندما بدأت إرهاصات القرن الواحد والعشرين في الظهور، الذي سيكون على درجات من الرقي والتفضيل بما لم يترك للقرن العشرين مكاناً للمقارنة معه، خاصة بعد أن أكّد له ذلك منجّمه الخاص الذي استدعاه لاستقراء هذا الشأن، وذلك لثقته فيه وفيما يقول؛ فجعله المستشار الأوّل في رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية، وفي حالة السلم وحالة الحرب، هكذا كان القرن العشرون هو عصر التقنية وعصر الثقة في المنجمين.

وذات مرّة غضب طاغية القرن العشرون من منجّمه حينما دعاه للاستشارة من أجل دخول الحرب وخوضها ضد أحد البلدان المعادية له ولسياساته، وبعد الاستشارة المنبثقة من عبقرية المنجّم الذي أشار بدخول الحرب دون تردّد والنصر المؤزّر حليف لذلك الطاغي مولود

القرن العشرين، بعدها قرّر دخول الحرب، وبعد أيّام من خوضها انهزمت كتائبه، فدعا منجّمه على الفور ليقتله نتيجة كذبه؛ فقال المنجّم بخوف شديد وهو يرد على سؤاله: لماذا كذبت أيّها المنجّم؟

فأجاب: لم يخلُّ بي التنجيم إلّا مرّة واحدة في العمر، وما ظننت سيّدي أن تكون هذه المرّة.

فسأل المنجّم قبل أن يقتله: ما هو المتوقّع بعد موتك؟

فبكى المنجّم قليلاً وقال: إنّك ستموت يا سيدي بعد موتي بيومٍ واحدٍ فقط.

اندهش طاغية العصر من هذا الخبر المؤلم الذي لا يطيقه، وقد يصدق في حينها.

فعلى الفور طلب طاغية العصر من حرّاسه والمجندين والمرتزقة وأجهزة أمنه الابتعاد عن المنجّم، وفكّ القيد من يديه، وإبعاد المشنقة التي أعدت لهذا الغرض، وأمر أجهزته الأمنية رعاية المنجّم والعناية التّامّة به، والحفاظ عليه من كلّ شرّ، وأن يعيش في أفضل الأماكن، وتحت أحسن الظروف، ولكن القرن الواحد والعشرين دخل طوعاً وكرهاً دون أن يقف منتظراً ليأذن له القرن العشرين؛ الذي كان مختبأ في أنبوب (تحت الأرض) هروباً من المواجهة، ولذا فعندما تشرق الشّمس لا تغطى بعين الغربال، ولهذا كذب المنجمون ولو صدقوا.

رسالة ثانية

إلى

سيف القذافي

١٥ فبراير جاء ظهراً إلى منزلي المهندس عبد الرزاق العرادي الذي تربطني به علاقات أسريّة قويّة مع وافر المودّة، والمعروف عن عبد الرزاق طيب النفس، وإذا قرّر اتخاذ موقفٍ يتخذه دون تردّد، وإذا أصرَّ على شيء موجب تمسّك به، جاءني وهو على غير عادته؛ فعادته كلّما يأتي إلى منزلي يحب أن يشرب (طاستين شاي أخضر خفيف في وقتٍ واحد) ولكن ذلك اليوم شرب طاسة واحدة وقال يا دكتور عقيل: أرجوك أن تتصل بسيف القذافي وتتحدّث معه على كفّ الدماء التي ستكون في ليبيا إن لم يتمّ تدارك الأمر بالإصلاح، وإن لم يتمّ كفّها أقسم لك أنّ ليبيا ستدمّر، ومن ينجو من سكانها من القتل المباشر سيموت غرقاً في هذه الدماء.

قلت له: لقد قطعت منهم حبائل الآمال، ولا رغبة لي بالاتصال، ولكن إصرار عبد الرزاق وهو يقول: يا دكتور لا يوجد عندنا غيرك ليتكلّم معه، وليبيا وطن وأنت وطني، أرجوك الاتصال، بعد إلحاح وإصرار منه، اتصلت بسيف القذافي فلم يجب، ونحن سويّاً واقفان في ممرّ منزلي دقّ جرس الهاتف؛ فوجدته سيف، سألني من أنت؟ (ويبدوا أنّ هذا السؤال مألوف لدى الأسرة الطّاغية، من أنت؟ + من أنت + من أنت = من أنتم؟) فأجبته باسمي كوني المتحدّث، وقلت له:

لديّ كلام مهم وضروري جدّاً أريدك أن تسمعه اليوم وليس غداً، فردّ اليوم لم يعد للكلام مكاناً، اليوم وقت عمل.

قلت: لأنّه وقت عمل؛ فأنا مع العمل، ولكن من أجل حدّ الدّم؛ فقفل الهاتف في وجهي.

سألني المهندس عبد الرزاق:

كيف فهم قولك له (ولكن من أجل حدّ الدّم)؟

قلت: فهمها كما قصدّتها، بدليل أنّه قفل الهاتف في وجهي.

وهكذا بقيت الإجابة معلّقة على السؤال من أنت مع تلك الأسئلة من أنتم إلى أن ثار الشعب الليبي على بكرة أبيه؛ فكانت الإجابة الشافية على سؤال الطاغية من أنتم؟ بنحن ثوار ١٧ فبراير (الشّعب الليبي أصحاب الحقّ صنّاع التّاريخ).

وبتحليل مضمون قولهم للمتحدّث المعروف لديهم من أنت؟

وقولهم للرّافضين لهم والمعروفين لديهم من أنتم؟

فإنَّ دلالات ومضامين هذه الأسئلة تتأكّد لمن يلمّ بالمنهج التحليلي وتحليل المضمون، أنّ حقيقة كامنة تظهر على الألسن الناطقة بهذه الأسئلة، لتكشف أمرها بأنّ حقيقتها لا تعترف بالآخرين. وهذا الأمر يعدّ دليل إثبات أنّ الطغاة لا يرون حقّاً إلّا لهم، ولهذا ينكرون حقوق الآخرين، بل ولا يعترفون حتى بوجودهم أيضاً، ممّا يجعل أفعال الإقصاء هي الظاهرة في أقوالهم وأعمالهم وسلوكياتهم.

وبناء على ذلك؛ فالطّغاة يقصون كلّ من يتوقّع منه أن يقول أنا قبل أن يقولها، وذلك كي لا يتمسّك بها ليأتي من بعدها مطالباً بحقوق، أو رافضاً لأمرٍ، ولذا فمن وجهة نظرهم لا ينبغي أن يمكّن أحد من قول (أنا أو نحن) وذلك كي لا يصبح عَلماً يمكن أن يشار إليه بالمكانة والاعتبار والتقدير؛ فهم دائماً لا يرون عَلماً من النّاس غيرهم؛ فالآخرون بالنسبة إليهم لا يعدّون إلّا نكرات (أرقام غير معرّفة). ولهذا فهم يوجّهون سؤالهم للآخرين بمن أنتم تتفيهاً وتحقيراً وتسفيهاً؟

وعليه: فإنَّ الطغاة إن تمكّنوا من حكم الآخرين يحكمونهم بالحديد والنّار، وذلك بهدف إقصائهم لا بغاية تحريرهم. ولهذا فالسؤال من أنتم؟ عندما يوجّه من معلوم لمعلوم، تكمن ورائه غايات منها:

. تحقير المخاطب.

. تقليل شأنه.

. تغييبه عن المشاركة.

. إنكار حقوقه.

. إقصائه من حمْل المسؤولية وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

. عدم الاعتراف به وكأنَّه غير موجودٍ على قيد الحياة.

وبتحليل مضمون المعكوس لذلك السؤال: من أنتم؟ فإنّه يدل إثباتاً على أنّ قائله قاصر المعرفة؛ فهذا السؤال لا يمكن أن يطرح على نكرة، ومع أنَّ السائل يعرف أنّه يسأل (من يسأل)، لكنّه لا يعرف أن سؤاله في غير محلّه، وهذا يلبس العيب بقائله، ويلبس الحقّ بمن جُعل نكرة.

فسؤال القذافي: بمن أنتم؟ هو سؤال استغرابي به يُنكِر وجود الآخر، ولكن هذا الآخر لو لم يكن موجوداً ما نُكِر. ولذا يعدّ نكران الآخر هو الدليل على إثبات وجوده.

وهنا، فسؤال القذافي يحمل في مضمونه رسالة، أي أنا الذي انقلبت في ليبيا على السّلطة بالقوّة في العام ١٩٦٩م، ولهذا فالسلطة سلطتي، ومن أنتم؟

كما أنّ مضمون سؤاله يحمل معنى: (أنا حكمتكم قهراً ٤٢ عاماً؛ فما الذي استجدّ عليكم اليوم)؛ أي وكأنّه يودّ أن يقول: أنا طوال ٤٢ عاماً لم أرَ منكم إلّا الطائعين، والمبايعين، والسائرين في المسيرات، وكثير من الذين يزيِّنون لي الأمور (اللقاقة)؛ فأنتم من أين جئتم؟ هل نزلتم

من السماء؟ وذلك لقناعته التّامّة بأنّه المسيطر على الأرض؛ فاستغفر الله العظيم.

فالقذافي الذي سكن في خيمة المتوقّع، كان لا يرى الليبيين فيها إلّا خانعين ومائعين، وطائعين لا يعرفون الرّفض، ولا كلمة (لا)، ولكنّه لم ينظر إلى قبّة القصر (غير المتوقّع) المملوءة بالزُّخرفة الشرقية رفّضاً وتمرّداً، وثورة أصوات أبنائها تنشد أغنية الرّبيع (إرحل....إرحل....إرحل)

ولذلك فالقذافي الذي حكم الشّعب الليبي ٤٢ عاماً قهراً، كان يعتقد أنّ الشّعب الليبي بلغ به الوهن لدرجة لن ينهض من بعده، وبذلك كان لا يرى إلّا رماداً، ولكنّه نسي أنّ تحت الرّماد جمراً، وبه احترق.

ولذا فيوم أن ألقي القبض عليه في أنبوب دُفن في الأرض، طرح سؤالاً آخر، ولكنّه هذه المرّة بالعاميّة، وهذا دليل المفاجئة التي لم يتوقّعها حتى يتمكّن من تحضير سؤاله، كما سبق أن حضّر ذلك السؤال؛ فقال للثوّار الذين القوا القبض عليه: (خيركم .... أيش فيه؟ أنا في عمر آبائكم).

بدون شكّ لا توجد علاقة بين السؤالين: من أنتم؟، و(خيركم .... أيش فيه) إلّا لارتباطهما بسائل واحدٍ (مفرد)، ومجيب واحدٍ (جمع). أمّا غير ذلك فلا علاقة؛ فالسؤال الأول موجّه للتنكير (غير معترف بمن وجّه إليهم)، أمّا السؤال الثاني فموجّه بصيغة الاعتراف، (أصحابه معلومون) وهم الذين أصبح السائل بين أيديهم صاغراً، وأصواتهم لأذنيه تعلو وتُرفع: نحن الذين خاطبتهم بسؤالك: من أنتم؟ فهل عرفت أنت الآن نحن من نحن؟

وهذا المعني يدلّ على أنّ مشيئة الله تعالى شاءت أن تكون الإجابة مباشرة في أذني السائل، الذي أصبح آية لمن خلفه، مصداقاً لقوله تعالى: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[٥]. فذلك السائل الذي كان محاطاً بالمجنّدين والمرتزقة، وجد نفسه وحيداً لا حارس له يحميه من قبضة الذين كان يظن أنّهم لا يزيدون عن كونهم نكرات. وبهذا يعدّ سؤاله: (خيركم .... أيش فيه؟ والمذيّل بقوله: أنا في عمر آبائكم) لدليل اعتراف بالإجابة على ذلك السؤال الذي طُرح منه ليكون لمن خلفه آية.

ومنذ تلك المكالمة الهاتفية التي دارت بيني وبين سيف القذافي والمؤرّخة في يوم ٢٠١١/٢/١٥م بدأت الانتفاضات الثورية تظهر على السطح، وبدأت معها الأجهزة الأمنية تتفكّك، ثمّ بدأ التخوين، كما بدأت سلبية الأجهزة الأمنية تجاه النظام تتجلّى، وبدأ صوت الرّفض يرتفع يوماً بعد يوم، ورجال الأمن منقسمون بين سلبيين حتى يحسم الصراع، وبين من أنقطع عن العمل، وبين من التحق بالثوّار، ومن هنا أخذ الانشقاق في صفّ الموالين للقذافي يتّسع، ثمّ بدأت العمليات النوعية تأخذ مداها في مدينة طرابلس؛ فكان سوق الجمعة، وشارع الشط في الصدارة؛ فبادروا إلى تفجير العديد من السيارات المعروفة (بسيارات التندرة)، وكذلك تفجير السيارات التابعة للحرس الشعبي برئاسة منصور ضو. وسرعان ما امتد ذلك إلى زاوية الدهماني وفشلوم، وتاجوراء، والسرّاج وجنزور، ممّا ضيّق الخناق على من تبقى من أجهزة القذافي.

وفي ٢٠١١/٧/١٤م أصبحت العاصمة من الساعة التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً في قبضة كتائب القذافي، ومن الساعة السادسة مساءً إلى الساعة التاسعة صباحاً تحت سيطرة الثوّار بالتمام، وهذا الأمر هو الذي مهّد إلى تحرير العاصمة طرابلس يوم ٢٠١١/٨/٢٠م.

وعليه: دائماً العلاقة بين الأعداء طبيعياً لابد وأن تستمرّ عدائية، ولو أظهر من أظهر منهم غير ذلك؛ فعلى سبيل المثال: العلاقة بين القطّ

---

[٥] يونس ٩١، ٩٢.

والفأر ستظل علاقة عدائية حتّى وإن تم ترويض القط بما يمكّنه من قبول الفأر قاعداً جنبه، ولي في ذلك قصّة بعنوان (حجّ القطّ مع أنّه لم يقف بعرفة) تنصّ على الآتي:

في الأشهر الحرم لا قتال ولا اقتتال إلّا إذا كتب على المسلمين وهو كره لهم، ولهذا تظاهر القطّ بحسن النيّة خلال هذه الفترة مع الفأر، خاصة وأنّه

ينوى أداء فريضة الحجّ، ذهب القطّ إلى الحجّ ليكفِّر عن سيئاته التي وضعت عليه أوزاراً من الذنوب، وقضى مناسكه طوافاً وسعياً وتبركاً بالمقامات والآيات العظام، وبعد عودته إلى بلاده، فرح الأهل والجيران بعودته، وعندما سمعت الفئران بعودته تنادت لتناقش الأمر، واتفق الجمع على الذهاب إلى القطّ وتحيته لأداء الفريضة، باستثناء فأر واحد اعترض على ذهاب الفئران إلى القطّ، معلّلاً ذلك بأنّه عدو لهم، ولأجدادهم الأبرار؛ فلا ينبغي الذهاب إليه، ومع ذلك ذهب الجمع إلى الحاج لمباركة الحجّة إلّا ذلك الفأر. وعندما وصل جمع الفئران، عانقها الحاج بحرارة وعانقته الفئران بخوف، وجلس الجميع لتناول أطراف الحديث بينهم. خلال هذه الفترة قام الحاج ببعض الحركات الاستعراضية، وعندما يتذكر أنّه حاجّ، يحاول أن يهدئ نفسه ويبدأ في توزيع الابتسامات على كل فأر، وكأن بينه وبينهم مودّة تاريخية، ومع أنّها فترة قصيرة جدّاً إلّا أنَّ الفئران شعرت بها فترة طويلة، وذلك نتيجة الخوف الذي يملا الصدور. وعندما رجع جمع الفئران إلى بيوتهم حمد لهم ذلك الفأر المعارض الله على سلامتهم من العدو، وسألهم كيف حال الحاج بعد عودته؟

فأجاب الجمع بقولهم: (نشهد بالله إنّه حاج، وبسمات الحجاج عليه، وشنباته رفرافات والقفزة (النطة) لا زالت فيه).

وعليه: هذا حال أبناء الطغاة فهم يرثون الطغيان إرثاً، ولذا لا تغرنَّكم تلك الابتسامات المصطنعة كما غرّت بنا وبغيرنا، ولهذا تكون حجّة القط مع أنّه لم يقف بعرفة، كإعلان سيف القذافي نفسه مصلحاً من أجل ليبيا الغد؛ فكان على رأس دمارها وخرابها وفتنته أبنائها[٦].

رسالة ثالثة

[٦] الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، عقيل حسين عقيل، مالطا منشورات دار الجأ، ٢٠٠١م، ص ٨٧.

إلى

سيف القذافي

بحث سيف عنّي يوم ٢٣ /٣/ ٢٠١١م، كنت في ذلك اليوم في الجنوب في عزاء لأحد أقاربي قتلته كتائب القذافي في أحد البوابات بطرابلس وجرح معه ابن أخي عبد العاطي حسن عقيل، في ذلك اليوم كان هاتفي مقفل، فاتصل أحد أقلام سيف بأخي حسن أثناء عودتنا من الجنوب، وكنّا حين الاتصال عصراً في مدينة غريان، وهو على خط الاتصال الهاتفي قال لي: سيف يريدك ضروري.

قلت: قل لهم أنّني بقيت هناك في الشاطئ؛ فأنا لا رغبة لديّ أن أجلس مع القتلة؛ فبعد ذلك الخطاب الذي اتضحت فيه صفات الطاغية الكبير على ملامح وصفات الطاغية الصغير؛ لن أكون قابلاً حتى بتلك النقاط الخمسة التي سبق لنا عرضها عليه من أجل أن ينقلب على أبيه ويحلّ محلّه؛ فنحن لا يليق بناء أن نبدّل طاغية بالطّاغية.

هكذا كانت الإجابة، فاتصلوا بابني صلاح الدين في طرابلس الذي اتصل بي وقلت له أبلغهم بأنّني في الجنوب حيث لا اتصال في ذلك الوقت بأسباب انقطاع التيار الكهربائي.

عند المغرب وصلت إلى طرابلس؛ فهم لم ييئسوا واستمرّوا بالاتصال بمنزلي (بأبنائي صلاح الدين وحسين)؛ فقلت في نفسي سأردّ عليهم متأخراً، ولكن لإكثارهم الاتصال بابنيّ صلاح الدين وحسين بحثاً عنّي اتصلت بهم الساعة الحادية عشرة والربع ليلاً، فقال لي سيف القذافي بعد أن أحيلت المكالمة إليه، (من فضلك أنا في حاجة لأن تمرّ عليّ في هذا الوقت مع إنّني أعرف أنّك تاعب من السفر).

هذا الأسلوب أخذني إلى اختيار الإجابة بنعم بدلاً من ذلك القرار الرّافض للذهاب إليه في ذلك الوقت؛ فقلت سآتي إليك شريطة أن تبعث لي سيارة؛ فأحالني على أحد المقرّبين منه؛ فاتفقنا على أن تأتي السيارة حيث إقامتي، قفلت الهاتف ثمّ عُدّت مسرعاً لطلبه ثانية فردّ عليّ ذلك المقرّب منه، قلت له عليك ببعث سيارة وسائق أكون أنا أعرفه، وإلّا قل لسيف أنا لا استطيع الإتيان إليكم؛ فبعث لي سائقاً أعرفه.

ولمتسائل أن يتساءل: عن السبب الذي كنت مصرّاً فيه على السيارة والسائق الذي يجب أن يكون معروفاً لديّ.

أقول: لأنّ هذا التاريخ هو الموافق ٢٠١١/٣/٢٣م، الذي سبقه يوم ٢٠١١/٣/٢١م الذي استدعي فيه المهندس سعيد راشد من قِبل الطّاغية، ثُمّ تمَّ إطلاق الرّصاص عليه، وأبنه حمزة وآخرون أمام باب العزيزية الذي استدعي إليه من قِبل القذافي في ظروفٍ غامضة.

ولي شهادة من ابن خاله محمّد عويدات الذي كان حاضراً معه في تلك الجريمة التي احتفل بها الطاغية، سألت محمّد عويدات ابن خال المهندس سعيد راشد وكان معي أخي الحاج محمّد حسين عقيل الذي عفّنت في انفه رائحة الطاغية معمّر القذافي، وكذلك كان معنا حاضراً لتقديم العزاء أحمد أمحمّد السنوسي، ونحن نقدم العزاء لأسرة المهندس سعيد راشد، فقلت لمحمّد عويدات هل كنت مع سعيد؟

قال نعم؛ فأخذته على جنب، ثمّ قلت له أخبرنا بالحقّ كما هو؛ فقال كنا نستلم سلاحاً من منصور ضوء؛ فطلب منّا نحن الحضور الذي من بيننا المهندس سعيد راشد مأمورية؛ فكان ردّ سعيد على منصور ضوء أنّني مطلوب من قبل القائد، وسأذهب إليه في الحال بباب العزيزية، أمّا بقية المجموعة فهي حرّة.

يقول محمّد اعويدات قرّرنا الذهاب مع سعيد لإيصاله إلى باب العزيزية، وعند مقربتنا من باب العزيزية انهال رمي الرّصاص علينا بكثافة، نجى من نجى بأعجوبة ومات من مات بدون ثمن.

ولأنَّ محمّد اعويدات من الناجين، تم القبض عليه وهو يستمع إلى تقديم الإهانات مع تكرارها له (سعيد راشد خائن وأنتم المقارحة خائنين).

من بعدها استمعت للأخ صالح راشد شقيق المهندس سعيد وهو يقول: عندما سمعت بأنّ رمي الرصاص كان على أخي سعيد وابنه حمزة، جئت مسرعاً إلى باب العزيزية حيث الحادثة المؤلمة؛ فتم القبض عليّ وعلى أخويّ حسن والكيلاني اللذان كُبّلا بالقيود ووضعا في الصندوق الخلفي للسيارة التي تمّ رميهم فيها بغير احترام، أمّا هو (الحاج صالح راشد) كما يقول بعد أن امتلأ الصندوق الخلفي للسيارة بأخويه أقفل عليهما بوجه السرعة، وتم دحره في المقعد الخلفي للسيارة التي أقفل صندوقها على أخويه.

وكما يروي الحاج صالح راشد أنَّ الذين قبضوا عليه منهم من يعرفه جيداً وهو يعرفهم أيضاً، ومعهم مرتزقة يقولون لهم (يا مقارحة يا خونة، هذا سعيد راشد خائن)، ومحتوى هذه الشهادة متوفّر في الانترنت، وكذلك سائقه وبعض من كان معه لازالوا على قيد الحياة.

ومن حُسن الحظ جاء إلى منزلي الأخ علي عبد السّلام المشاي زائراً يوم ٢٠١٢/٤/٣٠م، ومعه العميد فتحي عياد بن عثمان الذي لم يسبق لي معرفته من قبل، وهو أحد العمداء في الأمن الخارجي سابقاً، والمنتمي إلى ثوّار سوق الجمعة؛ ولمّا علم أنّني أكتب مؤلّفاً بعنوان (أسرار وحقائق من زمن القذافي) قال لي: أريد أن أقول لك حقيقة، وأشهد بها أمام الله تعالى، وهي: (أنّ القذافي هو من أمر بتصفية سعيد راشد).

بعد صمت وحيرة ألمت بي قلت: وما السبب الذي دعاه إلى فعل ذلك؟

قال: إنّ سعيد قد علم (بخبرية) رحيل القذافي إلى فنزويلا؛ فقال سعيد ممّا قاله والغضب يملأ نفسه أمام مجموعة يبلغ عددها (٢٨) شخصاً بما فيهم المهندس سعيد نفسه الذي قال: (كيف يخلّطها معمّر ويهرب، هذا أكبر عيب، ولا يمكن أن يقبله عاقل) وكما قال العميد فتحي عياد بن عثمان كان كلام سعيد بصوتٍ مرتفع. وكذلك قال: إنّ من بين (٢٨) اثنان قذاذفة، هما والأخرون كانوا محتجّين على (خبرية) رحيل القذافي إلى فنزويلا.

علم القذافي بذلك؛ فأمر على الفور بتصفية المهندس سعيد راشد، وذلك بعد أن استدرجه بدعوة منه لمعسكر باب العزيزية، لا لشيء إلّا لتنفيذ الأمر؛ فسعيد كان يعتقد أنّه مدعو لمشورة أو طلب ما، وكان استدعاء القذافي لسعيد من أجل قتله.

بعد أن استمعت لهذه الشهادة، قلت: لقد كنت صادقاً يا محمّد عويدات فيما سبق وأن قلته لي وفقاً لما توفّر لديك من معلومات، ولكن معلومات أخرى كانت عنك غائبة، وها هي الآن تامّة بين يديك. وإن كنت تريد المزيد فعليك بالبحث.

وبعد يومين من تلك المعلومة التي أفادني بها الرّاوي العميد فتحي عياد بن عثمان عن هذا اللغز المحيّر، سعيد راشد المناصر لمعمّر القذافي يُطلب من قبل معمّر القذافي ليقتل أمام معسكر باب العزيزية، مع تقديم الإهانات لجثمانه ولأخوته والقبيلة التي ينتمي إليها!! فقد علمت أنّ القذافي قد استدعى شخصين آخرين من القذاذفة، في ذات اليوم الذي تمّ فيه تصفية المهندس سعيد راشد، وفي ذات المكان أمام معسكر باب العزيزية يوم ٢٠١١/٣/٢١م، عند الساعة الثانية ليلاً (الساعتان الأوّليتان من ذلك اليوم) وهما:

ـ الدكتور عبد الحفيظ سالم الهميل.

ـ أحميده على الهميل.

اللذان تمّ تصفيتهما أمام معسكر باب العزيزية في ذات التاريخ والوقت مع فارق لا يزيد عن عشرة دقائق.

ولذلك تُعدّ رواية العميد فتحي عياد بن عثمان الذي انتمى لثورة ١٧ فبراير وهو عميد بجهاز الأمن الخارجي سابقاً رواية صادقة، فهو ممّا قاله: لقد احتجّ وغضب ثمانية وعشرون شخصاً عندما علموا (بخبرية) أنّ القذافي قد ركب طائرته الخاصة إلى فنزويلا، ومن ضمنهم أثنان من القذاذفة، دون أن يذكر اسمائهما، وهما: (الدكتور عبد الحفيظ سالم الهميل، وأحميده على الهميل). اللذان علمت بأسمائهما من قبل ما شهد به الرائد المصري عبد الله أحمد المصري، وهو قذافي من قبيلة (الخطره) وقريب عبد السلام اخشيبة الذي قُتل في باب العزيزية ومثل بجثمانه.

وعليه فالطاغية عندما يقرّر (أن يعمل ما يشاء كرها لمن لم يشأ؛ فهو بالتأكيد لا يستحي) ولهذا كانت ثورة ١٧ فبرار المنقذ لكلِّ الليبيين من الطاغية الكبير والطغاة الصغار، وإلّا هل يمكن أن يلد الفائر غير الفأر والذئب غير الذئب؛ فهكذا الطاغية لا يلد إلّا طاغية، ولأن الأمر كذلك قرّر الشعب الليبي قبول دفع الثّمن والقضاء على الطاغية؛ فكان ثوّار مصراته من الثوّار الذين حالفهم الحظ بالقبض على الطاغية معمّر القذافي وابنه معتصم وبعض من سافكي دماء الليبيين، كما حالف الزنتان القبض على ابنه سيف أيضاً بعد أن قُطعت أطراف أصابعه التي كان يشير بها استخفافاً واستحقار بالشعب الليبي، وهو يظهر على شاشات التلفزة ملتحفاً عباءة أبيه الطاغية، حتى صعب الأمر على الليبيين وغير الليبيين أن يفرِّقوا (يميّزوا) بين العباءتين الطاغيتين.

وعودٍ على بدء نقول: لقد حضر السائق المعروف لديّ إلى منزلي؛ فركبت معه وتوجّه بي إلى حيث مكان إجراء اللقاء الذي كان بقرية الاتحاد العربي بحي الأندلس على مقربة من جنزور، هناك وجدت سيف القذافي في الخارج ينتظرني ومن كان معه من حراسه، لقد أظهر لي حُسن الاستقبال فأخذني وهو يقول: (يا أخو الجد)، هذه الكلمات استوقفتني، لأنّني في حقيقة الأمر لم أكن كما يدّعي أخو جدّ له؛ فهو من آل البيت كما كان أبيه يدّعي، وأنا من بني سليم، ومع ذلك أعطيته مبرراً كونهم في حالة انهزام، ولذا فهم يحاولون التقرّب ممن يمكن أن يستجيب إليهم، أو هكذا هم يظنّون.

دخلنا سويّاً إلى ذلك الصالون، ولم يكن بجانبنا أحد من رجالاته الذين يتحرّكون من حولنا مع الذين يقدّمون الخدمات، وعلى الفور وقبل أن أجلس سألني بقوله:

ما رأيك فيما يجري؟

صمتُ قليلا للتفكير مع أنّني مسبقاً مقرّر التأني قبل أيّ ردّ من الرّدود التي يمكن أن تطلب منّي، أو تفاجئني في دائرة غير المتوقّع.

كنت داخل نفسي غير متقبّلاً له، بل كنت أنظر إليه قليل شأن، ولم يعرف من دواليب السياسة وحسن التدبّر شيئاً، ولذلك لم يفارقني ذلك اليوم ٢٠١١/٢/١٥م الذي قفل فيه الهاتف في وجهي، ولم تفارقني كلماته التي كان بها يهدّد ويتوعّد الليبيين بلاءات إنذارية ثلاثة وهو يقول:

لا تحلموا أيّها الليبيون بالنفط والغاز.

لا تحلموا بالتعليم والصحة.

لا تحلموا بالوحدة الوطنية.

وأنا أفكر في كلّ ذلك استدعت ذاكرتي على الفور ما قاله لي ذات مرّة الدكتور محمّد عبد المطلب الهوني عن تربية أبناء القذافي، بأنّها تربية

معسكرات لا علاقة لها بالتربية الأسرية الحميدة، التي تحترم علاقة الأبوة والأمومة والأخوة والجيرة وأهل الوطن؛ فهؤلاء الأبناء كما يقول الدكتور الهوني: هم من فقد قواعد التربية الاسرية الطبيعية، فأبناء الليبيين تربوا على المحبّة والمودّة؛ وخير مثال: أنَّ الليبي في عيد ميلاد أحد أبنائه يشتري له ألعاب بها يتمكّن من مشاركة أخوته والتطلّع بها محبّة للآخرين، أمّا أبناء القذافي فالتربية بالنسبة لهم من صغرهم هي لعبهم على الدبابات والصواريخ والجنود يحوطون بهم حراسة وحماية، ولهذا الفرق كبير بين من يربى وهو يلعب مودّة ومحبّة مع الآخرين، وبين الذي يربى ليلعب بهم وبمصائرهم جميعاً.

ولأنّ الكمال لله وحده؛ فقد كانت قراءات الكثير من الليبيين قاصرة عن معرفة حقيقة لعب الأدوار التي وزّعها القذافي بين أبنائه من أجل أن يسودوا على حساب الليبيين ويسوسونهم؛ فقد رسم لأبنه محمّد صورة (حمامة السّلام)، حتى نال الشكر من بعض الذين ارتفعت أصواتهم بتفضيله على بقية إخوته؛ فبارك البعض تمكين محمّد القذافي من تولي مهمّة الاتصالات الهاتفية في ليبيا، وهم يظنون أنّه سيكون خير من ينهض بها تقنية؛ فكان محمّد هو المحتكر الوحيد لها، وكانت لا مهمّة له إلّا المراقبة التجسّسية على كلّ الاتصالات بين الليبيين في الداخل والخارج، وتسليمها لأجهزة الأمن للمتابعة والمراقبة واتخاذ ما يلزم من إجراءات القبض والزج بأبناء الشعب الليبي في السجون، ولكن مشيئة الله جعلته خارج الحدود، لاجئاً في الجزائر.

ورسم لأبنه سيف صورة السوبر مان القادم من الفضاء من أجل ليبيا الغد؛ فكان البعض له مؤيّداً وخاصة من الشباب والذين كانوا يحلمون بالإصلاح من أجل ليبيا؛ فكان سيف المهندس الأوّل لإجراء الصفقات والتعاقدات الكبرى، وتسخير كلّ إمكانات الدولة من أجل عرضه على العالم، بأنّه القادم من الفضاء وفقاً للسيناريو الذي رسمه له

أبوه، حتى ظنّ البعض أنّه المخلّص لليبيين من تلك الرؤى والتنظيرات والقبضة الحديدية التي يقبضها أبيه على رقابهم؛ فكان ذلك البعض مسانداً ومؤيّداً إلى أن عرف من عرف أنَّه لا مهمّة لسيف القذافي إلّا تزيين نفسه، ليكون الوريث الوحيد للحكم في ليبيا؛ فانسحب من انسحب، وعارض من عارض، وقبل من قبل، إلى أن جاء بلاءاته الثلاثة على أطراف أصابعه الثلاثة التي يريد بها أن يقصي الليبيين جميعاً، ويعاقبهم جميعاً إن لم يكونوا له طائعين؛ فثار الجميع مع الجميع، إلى أن قُطعت ثلاثته وأصبح بين القضبان سجيناً، ليقدّم للمحاكمة التي بالتأكيد ستكون العين الناظرة من الليبيين جميعاً، والمتفحّصة لكلّ ما جرى منه، من علاقات مشبوهة مع المشبوهين وخاصة تلك التي كونها مع الإسرائيليين الذين لم يعترف الشعب الليبي بربط أيّ علاقات معهم، وفي هذا الشأن أُذكِّر القراء الكرام بموقفٍ عظيم مع الفارق العظيم اتخذته ملكة جمال لبنان، عندما كانت تستعرض مع ملكات جمال العالم في الهند، تلك الآنسة عندما طلب منها أحد الإسرائيليين التقاط صورة شخصية معها، قالت له: لا يليق بي أن اتخذ صورة مع من لا تعترف دولتي لبنان بتكوين علاقات مع دولته؛ فأنت إسرائيلي وأنا عربية لبنانية؛ فلا تقترب.

أمّا أبنه السّاعدي الذي من أجله غيّر القذافي نظم كلية الهندسة العسكرية التي طوال تاريخ إنشائها لا تخرّج إلّا رتبة ملازم أوّل، غيّرها لتخرّج في زمن ابنه نقيباً ومهندساً، وبعد أن تخرّج أبنه أعاد نظم كلية الهندسة العسكرية إلى سابق نظمها لا تخرّج إلّا ملازماً أوّلاً، ومع ذلك أختار لابنه السّاعدي صورة اللعيب الذي تتوحّد فيه ملابس الرياضيين مع لحية المتدينين، ليكون القدوة لمن يريد أن يتقمّص شخصه؛ فكان البعض معه لاعباً، والبعض من ورائه مصلياً؛ فقتل من قتل، وسلخ وجه

من سلخ من الرياضيين، وطرد من طرد، وأقصى من أقصى، إلى أن فرّ هارباً ولاجئاً في دولة النيجر.

وقد اختار لأبنه المعتصم صورة المتعصّب لمكتب اللجان الثورية، والمتعصّب لقبيلة أبيه؛ فكان الرّاعي لأولئك المتعصّبين من هذا وذاك، فكانوا له دعماً وسنداً؛ فأقصى من أقصى، وغصب المال من مؤسّسات الدولة بإجراءات قهرية، وهكذا قتل من قتل إلى أن قُتل بما اقترفه من عيوب وذنوب.

ورسم لأبنه خميس صورة العسكري القابلة أكتافه إلى وضع كلّ الترقيات والرّتب العسكرية عليها؛ فكان المؤيدون له في مواجهة الممتعضين والمتألمين من أولئك القادة، والضباط وضباط الصف من بقايا الجيش الليبي المحترمين؛ فكان لا متعاقد لصفقات الأسلحة إلّا هو، أو من يكون من طرفه، وهكذا هم يفعلون.

وهكذا رسم لأبنته عائشة صورة السخيّة؛ فرأت نفسها هي سيدة السيدات؛ فكانت كلّ المقربات منها مقرّبات.

وهكذا كانت لبقية أبنائه بقية الصوّر المتعدّدة بكلّ الألوان المختلفة في كلّ واحدٍ منهم.

ومع أنّ الدكتور الهوني لا يرى تربية لأبناء القذافي سوى تربية المعسكرات؛ فالوصوليون يروهم غير ذلك؛ فسعى منهم من سعى إلى ترقية بعض أبناء القذافي ترقيات عسكرية استثنائية، كما هو حال الرئيس السابق حسني مبارك الذي اتصلت به أقلام القذافي ليمنح معتصم ترقية بها يتفوّق على جميع نظرائه ورتبهم العسكرية، تجاوزاً لكلّ القوانين والنظم في ليبيا؛ وكان الأمر كذلك: بترقيته ترقية استثنائية أصبح بها معتصم عميداً، والساعدي عميداً، وهكذا أصبح كلّاً من هانيبال وخميس على رتب استثنائية دون نظرائهم من الجيش الليببي، مع وافر الشكر والألم منّا يرافقه للرؤساء الذين قاموا بهده المهام التاريخية

من الرئيس السابق حسني مبارك، إلى الرئيس السابق على عبد الله صالح، إلى الرئيس إدريس دبي الذي كما يقول الأخ اقرين صالح اقرين أنّه من بذل ذلك الجهد الذي توّج بتلك الترقية.

ولسائل أن يسأل:

ما هي الأغراض القذافية من وراء ذلك؟

أقول:

لأنّ القذافي بينه وبين نفسه يعرف جيداً أنّ الليبيين غير مجمعين عليه؛ فكراً ولا حتّى منظراً ولا ملبساً ولا خُلقاً؛ فرؤاهم الحضارية غير رؤاه، واتجاهاتهم الفكرية والأخلاقية غير اتجاهاته، وكذلك صورة الوطن الذي يأملونه لا تقبل به قمّة لسلّم سلطانهم، ولهذا اتخذ القذافي من نظرية لعب الأدوار نظرية يلعب بها؛ فلعب بها دون أن يضع يده على تأمينتها؛ فانفجرت بين يديه بركاناً؛ فكانت هي القاضية التي لم تمنحه الفرصة ليعرف نتيجة حقيقة لعبه.

ولأنّ تربية الأبناء رسالة أمرها ليس هيناً، وأمانة على أعناق الوالدين والأسرة والأهل والمجتمع بأسره؛ فالذين يربّون في المعسكرات ولا يربّون على النواميس القيمية للأسرة الحميدة، لابدّ وأن يدفعوا الثّمن غالياً، شجاراً وخصاماً وصداماً وفتنة، ولهذا كانت هذه بذور التنشئة بين الأخوة (أبناء القذفي) ممّا جعل سيف القذافي يرى في أخوته لصوصاً ومارقين، وجعلت من معتصم يرى في سيف هو اللصّ الذي يريد أن ينفرد بالملك؛ فترتّب على ذلك تكوين ولاءات بين الأخوة الأعداء، وولاءات من خارجهم متفرّقة عليهم؛ فكان خميس على مقربة من سيف، وكان الآخرون بين عُصبة لمعتصم، وبين عُصبة ضدّ سيف وضدّ معتصم معاً، وهذا الأمر هو الذي جعل من عائشة الأميرة المدللة، تأمر من تريد، وتفعل ما تشتهي.

وعليه:

وإن اختلف أبناء القذافي في التلوّن، ولعب الأدوار التي بها تمّ إطالة زمن حكم أبيهم ٤٢ عاماً؛ إلّا أنّهم جميعاً في دائرة المتوقّع قد لعبوا، ولكن في دائرة غير المتوقّع فقد لُعِبَ بهم؛ ولذا فهم لعبوا من زاوية إطالة حكم أبيهم ٤٢ عاماً، ولُعب بهم من زاوية لا يرث الحكم في ليبيا إلّا الشعب الليبي الذي ثار عليهم وحدة واحدة في ١٧ فبراير ٢٠١١م.

وعليه:

بعد أن عُدّت في تلك المقابلة من استقراء شخصية سيف صاحب اللاءات الثلاثة، قلت:

شخص يريد أن يحكم البلاد بهذه العقلية، ألا يكون طاغية يستوجب المقاومة دون تردّد؟

وبعد صمت، قلت: وما هو الذي يجري يا سيف؟!

قال:

ما يجري في شرق ليبيا.

قلت وكذلك غربها مصراته، وجبل نفوسة واسع الأركان، والزاوية، وازوارة، وطرابلس (تاجوراء وفشلوم وسوق الجمعة وغوط الشعّال وشارع بن عاشور).

قال: (هذا كلام فاضي، هؤلاء لا يستطيعون عمل أيّ شيء).

ما رأيك؟

قلت الأمر صعب جدّاً، ولا يمكن لليبيا أن تعود لِما كانت عليه.

قال: أنت خائف.

قلت نعم: إنّني خائف جدّاً، ليبيا انقسمت بين نصفين ولا تريدني أن أخاف يا سيف، ومع ذلك كان مصرّاً على معرفة رأيي، وما يجب أن يُعمل.

قلت: أنا اعتقد بعد يومين سيكون الثوّار في رأس الأنوف بعد هذا اليوم الذي هم فيه في مدينة اجدابيا؛ فكرّر قوله أنت خائف، ثمّ قال:

نحن الليلة سندخل بنغازي، وعلى الفور أجرى اتصالاً هاتفياً لا أدري مع من، أمره بأن تخرج الآن مفرزة إلى بنغازي، وكان الوقت عند إجراء ذلك الاتصال هو الساعة الواحدة إلّا ربع في تلك الليلة الملعونة التي قابلته فيها.

بعد أن أقفل الهاتف الذي أصدر أوامره من خلاله بأن تخرج مفرزة حالاً لمدينة بنغازي، قلت له بالتأكيد إنَّك أصوب رأياً مني؛ فأنت تتخذ قراراتك وفقاً للمعلومات المتوفّرة لديك من الميدان، أمَّا أنا مجرّد محلّلٍ للمعلومات واستخلص النتائج منها، ومن بعد أقوم بتفسيرها، وفي ذات الوقت أقول في نفسي: لقد تأكد لي بأنّه يا سيف لا علاقة لك بعالم السياسة.

ثمَّ قال: ومع ذلك ماذا ترى أن نعمل؟

قلت: إذا كان لكم رغبة في فكّ الفتيل بينكم وبين الثوّار، عليكم بتقبّلهم هم كما هم، والبدء معهم من حيث هم؛ فقال ماذا تقصد؟

قلت:

إذا اردتم مفاوضات، وإجراء مصالحة وطنية؛ فعليكم بها اليوم قبل غدٍ وأنتم في مدينة اجدابيا ومدينة بنغازي أمامكم، أفضل من أن يكون الثوّار بعد يومين في رأس الأنوف؛ فتصبح مدينة سرت أمامهم، ولا يفاوضونكم إلّا على باب العزيزية، ثم قلت له: هذا الرأي مفيد خلال اليومين فقط؛ فإذا الأمر تجاوز اليومين اللذين سيكون الثوّار من خلالهما في مدينة رأس الأنوف؛ فعليكم برأي آخر لا أدري ماذا سيكون. وبالفعل كان الأمر كذلك بعد يومين أصبح الثوّار في رأس الأنوف.

لاحظت أنّ كلامي لم يعجبه؛ فقلب الصفحة وقال: (ريت كيف ضحكوا علينا أصحابنا وخانونا).

قلت: ومن هم؟

قال:

١ – مصطفي عبد الجليل مع لقبٍ أنا لا أقبل أن أكتبه في هذا المؤلّف على محترم ارتضاه الليبيون في ظروفٍ صعبة قاسماً مشتركاً بإجماع وطني.

٢ – على الصلّابي مع لقبٍ هو الآخر أنا لا اكتبه؛ فهوى لا يليق لأن يقال على عالم من علماء المسلمين المتميّزين، وثائرٍ يتّقي الله في كل خطوة يخطوها.

٣- عبد الرحمن شلقم، مع لقبٍ لا يليق بأديب وسياسي بحنكته قاد معركة ليبيا في الأمم المتحدة.

٤ – محمود جبريل، مع لقبٍ لا يليق بأستاذ في علم التخطيط الاستراتيجي.

٥ – محمّد عبد المطّلب، مع لقبٍ لا يليق أن يلصق بأستاذ في علم القانون والنضال السياسي منذ نعومة أظافره.

قلت:

هل تسمح لي بأن أكون صريحاً وتعذرني فيما أقول؟

قال: لك ذلك.

قلت: بلا حدود.

قال: نعم بلا حدود.

قلت حتّى إذا لم يعجبك كلامي، ثمّ قلت بالعاميّة (موش ما يعجبك كلامي تتعفلق منّي). وغضب الطغاة معلوم العواقب.

قال: لا تخاف، الأمان بلا حدود هو عندك.

ومع ذلك التجيت إلى تكرار ما قاله لي بلا حدود؛ فكرّرت الكلمة ثلاثة مرات، وأنا رافع يدي مفتوحة الكفّ مع الحركة بها أعلى وأسفل، بلا حدود....، بلا حدود......، بلا حدود.....؛ فكرّر لي قوله: بلا حدود، وكان الأمر كذلك؛ فكانت لي ردود عن كلّ واحد منهم، وهي كما سيأتي لا حقاً.

المحطّة الثانية

شخصيّات
على خطّ المواجهة

المستشار

مصطفى عبد الجليل

في ردٍّ على ما قاله سيف القذافي كما أوضحت سابقاً بعد أن أعطاني آماناً لنجيب بحرية تامّة على ما قاله عن المستشار مصطفى عبد الجليل الذي هو من مواليد مدينة البيضاء من العام ١٩٥٢م، قلت:

اقسم بالله أنَّ المستشار مصطفى عبد الجليل رجل وعلى حقّ وأنا أشير بيدي مفتوحة وهي في حالة حركة مستقيمة من أسفل إلى أعلى، وأنت تعرفه يا سيف بأنَّه صادق ونظيف ولا يخاف إلّا الله، ولهذا أنت اخترته أميناً للعدل.

المستشار مصطفى عبد الجليل يا سيف حتى عندما كان معكم أميناً للعدل، هو لا رغبة له أن يكون معكم، ولذا فاستقالته دائماً مكتوبة، وموضوعة في جيبه مع بروز نصفها العلوي من الجيب حتى لا تكون مخفيّة عن أحدٍ منكم، أو حتّى لا تكون مخفية عن غيركم؛ فلم يكن يوماً من الأيام متمسّكا بالعمل معكم؛ فكيف لا تقبل أن يصبح منشقّاً عنكم وعن نظامكم خاصة وأنَّ مدن الشرق بأكملها لا تخضع لسلطان الدولة!

ثمّ قلت:

لعلمك يا سيف أنّي قلت لأخوتي هناك شخصان سينشقان قبل أن يعلنا انشقاقهما؛ فقال لي من هم؟

قلت:

مصطفى عبد الجليل، و عبد الرحمن شلقم.

قال: لماذا؟

قلت:

مصطفى عبد الجليل للأسباب التي ذكرتها سابقاً، وعبد الرّحمن شلقم للأسباب التي سأذكرها لا حقاً.

فهزّ رأسه بالموافقة وهو يقول: معك الحقّ.

ثمّ قلت: أضف لمعلوماتك أنّ آخرين سيخرجون من ليبيا وينشقوا علناً أمام شاشات التلفزة العالمية.

فسألني:

مثل من؟

هم كُثر، وهذه قراءاتي، ويوم أن خرج أحد على شاشة التلفاز وكأنّه يتهجّى حروف ما كان يقرأه، هذه تعني بوضوح لكلّ من يعرف لغة تحليل المضمون، أنّه مُجبر على قراءة ما كان يتهجاه، أي وكأنّه يقول للمشاهدين: أنا غير مقتنع، ولذلك فما أقرأه عليكم أيّها السادة ليس مني في شيء، فلو كان مني لكنت أحسن قارئ له، ولذا فاعذروني، ولكن لو تأتي الفرصة سأكون لها مقتنصاً ومغتنماً؛ فهذا ما يعنيه ذلك الخطاب.

قال: تقصد موسى كوسا، موسى لن ينشق.

قلت: أنا أتكلّم بالعموم.

ولكن بحمد الله صدقت قراءتي لتحليل المضمون الذي ألفت بشأنه كتابين من كتبي السبعة في طرق البحث العلمي، وكان موسى كوسا من المنشقين.

ولسائل أن يسأل: عن علاقتي ومعرفتي بالمستشار مصطفى عبد الجليل.
علاقتي بالمستشار مصطفى عبد الجليل كانت يوم أن التقينا وكلانا مختار لوزارة من وزارات الدولة، هو وزيراً للعدل، وأنا وزيراً للتعليم العالي، وكان هذا الاختيار في العام ٢٠٠٧م.

والذي كان وراء تعرّفي على المستشار مصطفى عبد الجليل هو أبو زيد عمر دورده الذي أتصل بي وأنا في طريقي من مدينة طرابلس إلى مدينة سرت وهو يقول: أريدك أن تتعرّف على وزير العدل المستشار مصطفى عبد الجليل، إنّه أفضل الذين تم اختيارهم وزراء، بل لا يوجد في جميع المصعدين رجل ذو شخصية وطنية مثله، وعليك بمعرفته، وعدم التخلّي عنه، إنّه رجل شجاع، وأفضل من تمّ اختياره وزيراً للعدل في تاريخ ليبيا.
بعد وصول المستشار مصطفى عبد الجليل المكان الذي دُعينا إليه، سلّم على الجميع وحيّاهم ثمّ جلس، وبعد أن تأكّدت أنّه وزير العدل، انتقلت من المقعد الذي كنت جالساً عليه، واتجهت إليه معرّفاً بشخصي، كان شخصية هادئة، كلماته لا تكاد تُسمع ممّا تلتحف به من حُسن أدب مع ثبات واتزان في الحديث.
قلت له: هناك شخص كريم يقرؤك السلام، وشكرك لي كثيراً، ويحييك أكثر؛ فقال: ومن هو هذا الشخص؟
قلت: أبو زيد عمر دورده؛ فقال هذا رجل محترم، وعزّ من تعرف.
جلسنا بجنب بعضنا والحديث التعارفي كان ميسّراً قبل أن ننتقل إلى أداء القسم القانوني، طُلب من جميع المعنيين بأداء القسم أن ينتقلوا إلى مكانٍ آخر لأدائه هناك؛ فخرجنا مجموعة واحدة، ونحن الاثنين مع أنّني لم أتذكر ما كان يدور من حديث بيننا، وجدنا نفسينا بعد أن التفتُ في اتجاه غير الاتجاه الذي اتجهنا إليه، وجدت الآخرين على غير قصدنا فهم متجهون إلى اتجاهٍ آخر قصد أداء اليمين القانوني؛ فاستوقفت

المستشار مصطفى عبد الجليل وأنا ممسك بيده وقلت له: (من اليوم خليك خلفي آخر واحد)؛ فقال على الفور (لماذا آخر واحد)؟

قلت: سيأتي اليوم الذي يقال فيه إلى (الوراء دُر) فتكون إنشاء الله أنت أوّل واحد، ويصبح الجميع من خلفك سائرون، ولذا يبدو أنّ الأمر كان كذلك، فهو بعد تفجّر ثورة ١٧ فبراير أصبح أوّل واحد بعد أنّ جاء الأمر الإلهي (إلى الوراء دُر) مصداقاً لقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧] فكان معمّر القذافي في زبالة التاريخ، وأصبح مصطفى عبد الجليل من صنّاع التاريخ ثائراً مع أولئك الثائرين في ١٧ فبراير، ورئيساً للمجلس الوطني الانتقالي الذي ارتضاه كلّ الليبيين خير ممثّل لهم في الداخل والخارج.

اتصلتُ هاتفياً بالمستشار مصطفى عبد الجليل في بنغازي من مدينة طرابلس المحاصرة، مهنئناً ومؤيداً من أوّل إعلانه الانشقاق؛ فقلت له: (مبارك لقد رفعت رؤوسنا بما أقدمت عليه، وأنت لو لم تقدم على هذا العمل لا يمكن أن تكون أنت الذي عرفته، لا تتأخّر عن أداء الواجب العظيم والله معك) فكان ممتنّاً من اتصالي وهو يحدثني عمّا قام به مع النّاس في الجبل الأخضر مهد الفرسان من يوم ١٥ فبراير، أعدت إعجابي ومناصرة موقفه وأنا أشعره أنّ الأمر بالنسبة لي صعب جدّاً باعتبار هاتفي تحت المراقبة، وأنهيت المكالمة بقولي مع السلامة يحفظك الله.

كنت أتوقع أن أُسأل من النظام الطاغي، ولكن لم أُسأل.

وعودٌ إلى تلك البدايات العلائقية مع المستشار مصطفى عبد الجليل الذي عندما جاء ليستقر في مدينة طرابلس وزيراً متميّزاً بخصال عربية أصيلة يفقه في تخصصه بمهنية عالية وشخصية متواضعة، كانت علاقاته

[٧] آل عمران ٢٦.

محدودة في طرابلس والمنطقة الغربية، ثمّ أصبحت في زمن قصير واسعة جدّاً، دون أن تؤثّر علاقاته الواسعة على طبيعة عمله وحُسن أدائه.

أنّه لا يحب القذافي، ولا حتى يحترمه كلّما تحدثنا معاً دون ثالث معنا؛ فذات مرّة بمنزلي كنت فيها والمستشار مصطفى عبد الجليل لوحدينا، فتحت لنا الفرصة صدرها لنتحدّث بحرّية عن تلك المفاسد التي ارتكبها القذافي؛ فعدّدنا منها ما استطعنا، وعجزنا عن حصر ما هو أكثر، ومع أنّ الألم كان يلفّنا من كلّ جانب ونحن نعدّد تلك المفاسد، إلّا أنّ الحديث بيننا كان شيقاً؛ ممّا دعاني أن أقول له:

إذا تريدني أن اتحدث معك بكلّ صراحة في القضايا الساخنة؛ فلا تأتي بأحدٍ معك عندما تأتي هنا؛ فنحن في حاجة يا أستاذ مصطفى لأن نواصل، وفي المقابل إذا لا تريد تناول الأحاديث الساخنة فأت بمن تشاء؛ فالمنزل منزلك.

ومن بين ما تناولناه في ذلك اليوم بألم شديد هو: سلوكيات معمّر القذافي غير الأخلاقية، وتدميره للاقتصاد الوطني، وتصميمه على توريث النظام لأبنائه، وحرصه على تخلّف الليبيين وتأخّرهم، وقلبه للحقائق، وما كان يرتديه من ملابس لا علاقة لها بالزّي الوطني الليبي ولا حتى العربي، ملابس لا نعرف هل هي ملابس نسائية، أم أنّها ملابس رجالية، ونتألم عندما نشاهده بها في المحافل الدولية ممثّلاً للشعب الليبي الذي لم ينتخبه لهذه المهمّة، أو أنّه بتلك الملابس يتنقّل في شوارع أيّ مدينة من مدن العالم، وكنّا نغضب من معمّر القذافي على ما يسلكه تجاه المرأة الليبية، ونتأسّف على أدوار أولئك الساقطين من رجالاته (من بعض الوزراء سابقين ومتربصين، ومن بعض رؤساء الأجهزة، وغيرهم من المتطوّعين والمتسابقين على تقديم كلّ ما يرضي معمّر القذافي على حساب ما يرضي الله وأخلاقيات الشعب الليبي المسلم).

وبحكم كونه قاضٍ يرى قناعة في أنَّ العدل هو القيمة الحميدة التي يجب أن يساس الليبيون بها دون مظالم، لكنّه وقف على الكثير من الإجراءات والتدخلات الظالمة من معمّر القذافي وأبنائه في أجهزة العدل، وعلى رأسها جهاز القضاء، وهذا ما رفضه علناً المستشار مصطفى عبد الجليل الذي يقول لي كلّ مرّة نتحدّث فيها عن حرية القضاء الليبي: بأنّ ضغوطاً وتدخّلاً سافراً يجري مع بعض القضاة؛ فمنهم من يقبل بتلك الضغوط، ومنهم من يرفضها جملة وتفصيلاً، ومع ذلك الكلّ يتألم ممّا يجري.

وقبل أن يتولى المستشار مصطفى عبد الجليل مهامّه وزيراً لوزارة العدل، كان باب الاستباحة للعدل مفتوحاً للداخلين والخارجين منه، ولأنّه حاول أن يكون حاسماً من بدايات توليه مهمّة وزارة العدل، أسرع البعض من أولئك المقرّبين من الذين يتدخّلون في إجراءات وزارة العدل أو يدّعون أحقيّة توجيهها بغير حقّ بتقديم الانتقادات إليه؛ فمنهم من قال لي:

أنَّ (صاحبك عبد الجليل معقّد؛ فعليك بنصحه).

قلت: رجل بسيط متواضع يحب العدل مهنة وأخلاقاً، وكذلك لعلمكم أنّ الليبيين يتألّمون من اختراقات القضاء؛ فهم وإن تظاهروا لكم بقبول كثيرٍ من التجاوزات، لكنّهم بحقٍّ لا يقبلون المساس بالقضاء؛ فأرجوكم هذا الشخص محترم؛ وأعطوه فرصة لتقوية العدل.

فرد من ردّ منهم بقوله: ومن قال لك إنّنا نريد عدلاً قويّاً!

قلت: لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

والبعض قال عنه: (أنّه إخواني، وهؤلاء من الذين يعتبرون الانتماء إلى الإخوان في ذلك الزّمن وكأنّه المعيبة).

قلت: أنتم كلّما ترون إنسان على أخلاق حميدة تقولون عنه إخواني، أو وللأسف تصفونه بما لا يليق بمكارم الأخلاق.

والبعض قال لي: أنّ (صاحبك مصطفى عبد الجليل عنده أجندة).
قلت: (والله ما عنده واحد إلّا إذا كنتم تقصدونني بذلك).
والبعض الآخر قال: أنّه سنوسي (نسبة إلى الحركة السنوسية التي تزعمها محمّد بن علي السنوسي رحمه الله).
قلت لصاحبها: ليس كلّ ما يقال صحيحاً. مع أنّني واثق تمام الثّقة بأنّه يحب السنوسية، وفقاً لما كنّا نتناوله من مناقشات كوننا أخوة وآلامنا واحدة.
ومنهم من قال لي باللهجة العامية: (يحساب الدنيا سبهلل)، أي عليك يا عقيل كونك صاحبه بنصحهه وتفطينه لِما يجب، حتّى لا يصدّق نفسه بأنّه وزيراً للعدل، وحرّاً يعمل ما يشاء كيفما يشاء.
ومنهم من قال: إنّ القذافي قال أمامه: إنّ (مصطفى عبد الجليل لابدّ أن يسقط في أوّل جلسة انعقاد لمؤتمر الشعب العام).
قلت: ألا تعلم أنّه لا يحب البقاء معكم وزيراً؛ فبالنسبة له يأمل إقالته اليوم قبل غدٍ.
قال: إذا كانت هذه رغبته بحق؛ فلن نعطيها له إلّا بعد أن ينفّذ ما يجب أن ينفّذه من توجيهات.
ومع كلّ هذه الهموم التي وضعت على ظهر المستشار مصطفى عبد الجليل كان هو الآخر يضع على ظهره هموماً أخرى؛ فقد كان رافضاً ومواجهاً للجميع في سبيل إطلاق سراح أولئك المساجين الذين قضوا مدّة أحكامهم، ولم يتمّ إطلاق سراحهم. وكذلك آخرون تمّت محاكمتهم وأثبتت المحاكم براءتهم ولم يتمّ إطلاق سراحهم أيضاً، ممّا جعله يقول يا حكومة القذافي أمامك أحد أمرين:
إطلاق سراحهم. أو قبول استقالتي، ومن هنا بدأ علناً يُحرج النظام وحكومته، وفي مقابل ذلك بدأت السّمعة الحسنة للأستاذ مصطفى عبد الجليل تتّسع بين الليبيين بشكلٍ عامٍ، وبين القضاة بشكلٍ خاصٍ،

ولذا فقبوله رئيساً للمجلس الانتقالي المؤقت لليبيا ١٧ فبراير اكتسب قاعدته العريضة من تلك البدايات النضالية الحسنة، إلى جانب أنّه شارك في انتفاضة وثورة الشعب الليبي التي بدأت أوّل ما بدأت من مدينته البيضاء ١٥ فبراير ٢٠١١م؛ فكان ثائراً مع الثائرين، وكان أوّل وزير يعلن انشقاقه رسميّاً عن القذافي ونظامه يوم ٢١ فبراير ٢٠١١م.

وكذلك كان له رصيدٌ به نال التقدير والاعتبار بتلك المداخلة التي واجه فيها القذافي في شهر يناير ٢٠١٠م في جلسة من جلسات مؤتمر الشعب العام، بشأن إطلاق سراح السجناء الذين صدرت بشأنهم أحكام ورفض القذافي إطلاق سراحهم، ولهذا قال القذافي في تلك الجلسة وتلك المواجهة: (إذا كان هناك من يضمنهم، سواء أكان أمين اللجنة الشعبية العامة للعدل، أو أيّ شخص آخر؛ فعليه أن يوقّع على ذلك حتّى يتمّ إطلاق سراحهم) وهو يقصد من وراء ذلك أنّه لا يمكن لك يا أمين العدل أن تطلق سراح أحداً أنا لا أريد إطلاق سراحه؛ فهل فهمت؟

وقبل هذا وذاك كان له موقف صريح في العام ٢٠٠٩م ضدّ جهاز الأمن الداخلي، الذي وصفه آن ذاك الأخ مصطفى بأنّه الجهاز المتغوّل على الليبيين بشكلٍ عام، وعلى القضاء بشكلٍ خاص.

ومع أنّه كان وزيراً للعدل في ليبيا، إلّا أنّه كان لا يقبل رأس النظام، كما أنّه لا يقبل بإملاءاته، حتى أنّه ذات مرّة واللجنة الشعبية العامّة منعقدة الاجتماعات مع القذافي ولمدّة يومين متتاليين، لم يقبل أن يأتي تجاه القذافي نهاية الاجتماع ليصافحه مع المصافحين، فوقف هناك يتفرّج على الجميع، ويلاحظهم وكأنّه لم يكن وزيراً من بينهم، فالتفتُّ تجاهه، ثمّ توجّهت إليه في محاولة مني للتغطية، لنظهر للقذافي إن انتبه، وكأن عبد الجليل قد انتهى من مصافحته (وهذا ما كان يدور في ذهني). وقفت بجانبه ونظراتنا تتحدث بكلّ وضوح، دون أن ينطق لساننا

بكلمة، وكأنّني أقول له: لقد عرفت موقفك، وهنيئاً لك، وكأنّه يقول لي: شكراً لك على تقديرك هذا الموقف، فقلت له: ثلاث كلمات (هيّا إلى الخروج) وفي نفسي أقول: يا له من رجل.

في ذلك الاجتماع كانت أبواب النقاش مفتوحة أمام جميع الوزراء، ولم تقفل عمداً إلّا في وجهي (أنا) فبعد أن رفعت يدي طالباً مداخلة، رفع القذافي صوته قائلاً أمام الحضور: أنت لن تعطى لك الكلمة؛ فأنت ممنوع من الكلام.

قلت في نفسي: الحمد لله (وكفى الله المؤمنين القتال). ساعتئذٍ أدركت أن القذافي حانق عليّ من الموقف الذي اتخذته في ذلك الاجتماع بالتعليم العالي، الذي لم أقبل فيه أن تلغى مجانية التعليم ممّا سبّب له إحراجاً كان لا يتوقّعه.

وعليه: فمن مجموع هذه المواقف الشخصية والمهنية والوطنية اكتسب السيّد المستشار مصطفى عبد الجليل ابن مدينة البيضاء بالجبل الأخضر من قبيلة ابنا (أحمد) مكانة بين الليبيين، بها تبوأ رئاسة المجلس الوطني الانتقالي؛ فكان الشخصية التي أجمع الليبيون عليها.

ومع ذلك فالكمال لله وحده، ولن يرضي الخلق إلّا الخالق، ومن يدخل ميادين السياسة، ليس له بدّ إلّا أن يقبل بما يترتّب عليها من مسؤوليات وأعباء جسام.

ولأنّ المرحلة صعبة جدّاً، والسّلاح بيد الليبيين جميعاً، وتجمّعات الثوّار أوامرها بأيدٍ ثائرة ولا تخضع لأوامر ونواهي مركزية؛ فلا شكّ سيكون الحمل ثقيلاً، والنهايات في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع قد تكون متطابقة مع المأمول، وقد تكون مخالفة له، وفي كلّ الأحوال لكلٍّ ثمنه، وكما نرجو السلامة للوطن نرجوها لشخصه.

عبد الجليل

والممرّضات البلغاريّات

عندما كنّا وزراء دُعينا لاجتماع طارئ من قبل الدكتور البغدادي المحمودي أمين ما كان يسمى باللجنة الشعبية العامّة ٢٠٠٩م، ومع أنّني لا اتذكر تاريخ ذلك اليوم إلّا أنّني أعرف أنّه انعقد على تمام الساعة السادسة مساءً؛ فدعينا لذلك الاجتماع دون أن نعلم بالموضوع الذي دعينا إليه، وفوجئنا بموضوعه لحظة افتتاح الدكتور البغدادي للجلسة الطارئة أثناء التقديم الذي أسهب فيه قليلاً كي لا تكون هناك وجهات نظر من بعض السادة الوزراء، فهمنا المغزى بوجه السرعة أنا وأخي مصطفى عبد الجليل الجالسين جنباً إلى جنب، وفقاً للتنظيم المراسمي الذي تراعى فيه الأقدمية؛ فالجلوس رسمياً وليس اختيارياً، وباعتبار اختيارنا لوزارتي التعليم العالي والعدل كنّا فيه معاً في تاريخ واحد من العام ٢٠٠٧م، كان جلوسنا رسمياً جنباً إلى جنبٍ وثالثنا دائماً الدكتور على العيساوي، وزير الاقتصاد الذي نبادله بعض الوريقات والتعليقات أحيانا على كلّ من يبالغ في تحياته ومديحه لمعمّر القذافي، أو أنّه يستعرض بمعلومات غير موضوعيّة، أو في بعض الأحيان نشاهد أحد الوزراء سارحاً يتحدّث لنفسه بيديه.

ونحن نستمع لمقدّمة الجلسة من الدكتور البغدادي المحمودي كتب لي المستشار مصطفى عبد الجليل في قصاصة صغيرة من الورق: (هذا فراق بيني وبينكم) قرأتها وأنا متوقّع ردّة فعل هذه القضية على السيد أمين العدل مصطفى عبد الجليل، نظرت إليه والكلمات تملأ صدري كيف يمكن لي أن أكون مع موقفه دون أن يتعرّض أحدنا إلى ما لا يحمد عقباه؛ ففاجئني المستشار مصطفى بحركته وهو يهمُ إلى الوقوف ليخرج

من الجلسة؛ فأمسكته بقوّة ليجلس دون أن يلاحظ أحداً ما يجري بيني وبين السيد مصطفى عبد الجليل، قلت له ولأوّل مرّة أقول له: (أنت مجنون هل تعتقد أنّ معمّر وأبنه اللذان هما وراء هذا الموضوع عندهم أخلاق؟ ثمّ قلت: بما أنّ هذا موقفك لماذا تقبل أن تكون وزيراً عندهم، حتى في العالم الحر إذا قبل معارضاً الدخول في تشكيلة الحكومة يصبح غير معارض، فأنت بما أنّك قبلت عليك بأخذ ٥٠٪ لنفسك وسمعتك، و٥٠٪ كونك قبلت أن تكون وزير عدل في نظام أنت غير متوافق معه؛ فقال لا يمكن لي أن أوافق؛ فهذا حكم محكمة ليس لعب، ثمّ قال لي: وما الحلّ؟

قلت الحلّ (نحن مسلمون وبالتّالي اشترط عليهم تنازل أولياء الدّم، وإن خالفوك في ذلك لا توافق) سبحان الله أنا أنهيت رأيّ مع المستشار مصطفى عبد الجليل والدكتور البغدادي المحمودي يطلب من أمين العدل أن يقول رأيه في هذه القضية)؛ فقال لا يمكن لي أن أوافق ما لم يتمّ التنازل رسمياً من قبل أولياء الدّم، هذه قضية حَكم فيها القضاء وبالتالي لا يحقّ لأحدٍ أن يلغي حكماً قضائياً.

أسرعت برفع يدي لطلب الكلمة، وقلت: أنا مع اقتراح أمين العدل، نحن مسلمون، وحكم الشَّرع نافذ إلّا إذا تنازل أولياء الدّم وفق ما أجازته الشريعة الاسلامية، وبدون ذلك لا يمكن أن نوافق على الإفراج عن الممرضات البلغاريات المحكومات جنائياً؛ فأمين العدل معه الحقّ، وأنا أوافقه بالتّمام في كلّ ما قاله، ونحن في ليبيا دائماً نحتكم فيما يجري بيننا من حوادث إلى موافقة ولي الدّم، وكذلك قبول الديّة بين الأطراف التي تحدث العثرات بينهم، وهكذا تنتهي كثير من التأزّمات الاجتماعية إرادة حيث لا إكراه؛ فما بالكم مع الأجانب، ولهذا إنسانياً وبما تجيزه الشريعة الإسلامية نقبل بما يجري بين الليبيين على من ارتكب جريمة من خارجهم.

لا أدري من قال من الوزراء أنّ معمّر القذافي وحده الذي له الحقّ في هذا الأمر؛ فردّ عليه المستشار مصطفى بقوله الذي أتذكر منه إن لم تخني الذاكرة (موش قلتوا أنّ معمّر القذافي سلّم السلطة ولم يعد يحكم، ولذا قانوناً لا يحقُّ له أن يلغي حكم محكمة، وأنا بصفتي أمين عدل لا أقبل ذلك تحت أيّ ظرف من الظروف).

ولذا كان قرار اللجنة الشعبية العامّة بالإجماع موافقاً بالتّمام على رأي المستشار مصطفى عبد الجليل في قضية الممرضات البلغاريات والطبيب الفلسطيني.

وعليه: المستشار مصطفى عبد الجليل بمواقفه هذه استجلب الحظّ له؛ فكانت صفحات التاريخ مفتّحة بين يديه، ممّا جعل الليبيين يجمعون عليه رئيساً لمجلسهم الوطني الانتقالي، في الوقت الذي كان فيه الشعب الليبي في وضع صعب أن يتّفق على شخصية لقيادة البلاد وإدارة أزمتها، وبالرغم من عظمة الصّعاب التي تواجهه، إلّا أنّها لن تلغي من صفحات التاريخ الذي سيُكتب سواء داخل ليبيا أو خارجها بأنّ رئاسة مصطفى عبد الجليل هي التي أسقطت النظام الطاغي، وأعادت ليبيا حرّة مستقلة تحت راية الاستقلال ونشيده الوطني، ولذا فمن سيكتب عن تاريخ ليبيا لن يقفز عن تلك الأحقاب الاستعمارية المظلمة، كما أنّه لن يستطيع أن يقفز عن ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م الذي أصبحت فيه ليبيا مملكة مستقلة ذات سيادة، بقيادة الملك إدريس السنوسي، ثمّ لن يستطيع أن يقفز عن ١٩٦٩/٩/١م تاريخ استيلاء معمّر القذافي على السلطة في ليبيا بغير حقّ، وهكذا لن يستطيع أحدٌ أن يقفز عن تاريخ الإنعتاق ١٧ فبراير ٢٠١١م برئاسة السيد المستشار مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الوطني الانتقالي لليبيا.

الدكتور

علي الصلّابي

الدكتور علي محمّد الصلّابي من مواليد بنغازي ١٩٦٣م، مناضل وطني؛ فهو ضدّ الطغيان والاستبداد والتكميم والإقصاء والتغييب سواء أكان من رأس الهرم أم من قاعدته، من أسرة متضلّعة في السياسة والدراسات الدينية والفقهية والشرعيّة، زُجَّ به في سجن أبي سليم الذي قضى فيه سبعة سنوات من شبابه، بعدها أطلق سراحه (في أصبح الصبح)، هاجر من ضيم الظلم إلى أوطان تسمح له بأن يتنفّس الحريّة، أتمّ دراساته العليا ماجستير ودكتوراه، ألفَّ العديد من الكتب في ميادين البحث العلمي والدراسات الإسلامية، تُرجمت جلّ مؤلّفاته باللغة التركية وبعض اللغات الأخرى.

اشتهر بمؤلّفاته وأرائه الفكرية والفقية في العالم الإسلام حتى انتخب عضواً في المجلس الأعلى لاتحاد علماء المسلمين، كبار الفقهاء والعلماء يعدّونه من أبرز المرجعيات الإسلامية؛ فلا ينعقد مجمع لعلماء المسلمين إلّا والصلّابي ركيزة من ركائزه الرئيسة.

هذه المقدّمة المختصرة عرفتها بعد أن تعرّفت على الدكتور علي محمّد الصلابي عن طريق أحد الأصدقاء الأعزاء المهندس عبد الرزاق العرادي، الذي هو الآخر كان مهاجراً من ضيم القذافي إلى خارج الوطن، وهو من أسرة عريقة كريمة ضاربة جذورها ومكانتها في الوطن.

اتصلت به ذات مرّة وأنا في دبي ومعي من أخوته الدكتور مصدق العرادي الذي لم يكن راضياً على هجرة أخيه عبد الرزاق، وكذلك أخويه سليم ومحمّد اللذان يحاولان مع عبد الرزاق أن يعود إلى ليبيا وهما يقولان أنّ ليبيا للجميع وبالتالي لا ينبغي أن نهاجر منها، كان الأخ عبد الرزاق في ذلك الوقت رافضاً العودة إلى ليبيا، وقال لي: (لن نعود يا دكتور عقيل إلّا إذا أصدر الطاغية معمّر القذافي عفواً عاماً على

جميع المعارضين السياسيين في ليبيا)؛ فقلت له في نفسي: ومن يستطيع أن يقول لمعمّر القذافي هذا الرأي وهو على مقربة منه؛ فأنت في كندا تقولها بصوت عالٍ، أمّا نحن إن قلناها حتّى في صدورنا؛ فسيكون الأمر بالنسبة لنا أمراً آخر.

بعد ثلاثة سنوات وظهور سيف القذافي بما كان يدّعيه من محاولات لاستيعاب الآخرين، سمع المهندس عبد الرزاق العرادي بذلك، وقرّر العودة إذا وجد من يستقبله بلا ضرر ولا ملاحقة، رتّبت هذا الأمر وتحقّق له ذلك، رجع عبد الرزاق إلى أرض الوطن، وكانت الفرحة عارمة في بيت الأسرة الكريمة والأقارب والأصدقاء، ومن بعد ثلاثة أشهر من تلك السنوات الثلاثة التي طُويت، جاءني المهندس عبد الرزاق زائراً في منزلي وقال لي: يا دكتور عقيل لا زالت لدي نقطة ضعف؟

قلت: ما هي؟

قال:

عندي صديق عزيز وهو من الأساتذة والعلماء المسلمين المتميّزين، ولازال مهاجراً في الخارج، ويودّ بوافر الرّغبة أن يعود هو الأخر آمناً إلى أرض الوطن؛ فقلت له من هو؟

قال: الدكتور علي الصلابي؟

قلت: ولماذا هو مهاجر؟

قال: لأنّه كتب عن السنوسية، مع أنّه قد سُجن من قبلها.

قلت: عن ماذا؟ وقلبت الكتاب الذي كنت أقرأه على ظهره بوجه السرعة ساعة دخول عبد الرزاق العرادي، وقلت له: اقرأ يا مهندس عبد الرزاق عنوان هذا الكتاب، سبحان الله ما هذه الصدفة أنْ تأتي ساعياً لفكّ قيد الظلم عن صاحب هذا المؤلف، وأنا أقرأ كتابه الذي من أجله تضاعفت عليه المظالم، ثمّ أصبح مهاجراً، وقلت له: أنا قرأت هذا الكتاب وهو لم يكتب شيئاً خطأً؛ فهذا الكتاب لا يدينه لا من

قريب ولا من بعيد، وأقسمت بالله أن أبذل كلّ ما استطيع من أجل أن يعود هذا العالم عالماً إلى تراب الوطن.

قمت باتصالاتي من أجل تمهيد الطريق لعودة الدكتور علي الصلّابي لوطنه ليبيا؛ فتمت الموافقات بكلّ يسر، وطلب مني إحضار جواز سفره؛ فاتصلت بالمهندس عبد الرزاق العرادي ليحضره لي، فضحك وقال: ليس له جواز سفر ليبي، ولذلك فهو في حاجة لأن يصدر له جواز سفر.

قلت: إذن ابعث لي المستندات اللازمة لذلك؛ فبعث لي كتيب والدته، ومجموعة من الصور للدكتور علي الصلّابي وزوجته الكريمة وأبنائه؛ فأرسلتها بيد شخص من طرفي إلى إدارة الجوازات؛ فاتصل بي شخص من تلك الإدارة وهو يقول: لا يمكن لنا القيام باستصدار جوازات سفر للدكتور علي الصلّابي وأفراد أسرته، وهو لازال مسجّلاً في كتيب والدته الكريمة، أي وفقاً للقوانين الليبية عندما يتزوّج أحد أفراد الأسرة يستقل بكتيب عائلة خاص به، وهذا ما لم يتمّ من قبل الدكتور على الصلّابي الذي تعرّض إلى ما هو أمرّ وأشدّ قسوة بين سجن وهجرة؛ فتزوّج في الخارج، وأصبح له أبناء، وجميعهم غير مسجّلين في سجلات العائلات الليبية. ولذلك أجريت اتصالاً مع عبد الله السنوسي، وشرحت له الظروف التي مرّ بها الدكتور علي الصلّابي، وقلت له: أنا أضمن هذه الشخصية، وأتحمّل كلّ شيء يقع منه، وطلبت منه إمكانية المساعدة؛ فتدخّل على الفور، وتمّ استصدار وثائق جوازات سفر للدكتور علي وأفراد أسرته الكريمة بدون تقديم مستندات سوى الصور الشخصية.

عاد الدكتور علي الصلّابي والفرحة تملأ صدره كما ملأت صدر أمّه المباركة وأخوته الذين قدّموا الرخيص والغالي من أجل انتصار ثورة ١٧ فبراير وهزيمة معمّر الطاغية.

عند عودته استقبلته مع أسرة العرادي في منزلهم بمدينة طرابلس الكائن (بسوق الجمعة عرادة) ورأيت بأمّ عيني الفرحة في عيونهم، وعلى ألسنتهم، ومن المحيطين بهم فرحة بفرحتهم به. في ذلك اللقاء أخذت الدكتور علي الصلّابي بالأحضان كما هو أخذني بها وكأنّه أحد أخوتي أبناء أمي وأبي.

سمع سيف القذافي بعودة الدكتور علي الصلّابي، دون أن يعرف أنّني كنت وراء عودته؛ فطلب من غيري الالتقاء به، وكان الأمر كذلك، ويبدو أنّه يبحث في ذلك الوقت عن شخصية فاعلة مؤثّرة، وذات علاقات طيبة بكل ألوان طيف الجماعات الإسلامية؛ فوجدها، خاصة وأن الدكتور علي جرئ، وملم بعلوم الدين، ولا يحتوي قاموسه الأخلاقي على كلمتي (حاضر سيدي)؛ فهوى يبدئ الرأي دون تعصّب شريطة أن لا تكون المخالفات له مخالفة لشرع الله.

في حديث ثنائي مع الدكتور علي الصلابي في تلك الزاوية المباركة بمنزلي كان الحديث بيننا على إمكانية إطلاق سراح السجناء خاصة وأنّ الدكتور علي قد ذاق ويلات ومرارة السجون وحلكة لياليه حيث لا نهار.

بدأ الحديث عن الإخوان المسلمين الذين في حقيقة أمرهم لم يحملوا السّلاح، بل لهم رأي سياسي سلمي، الذي من خلاله برزت شخصياتهم جنباً إلى جنب مع أفكارهم، ونحن (ثلاثتنا) نقول: في هذا العصر أصبحت ممارسة السياسة حقّ من حقوق المواطنة؛ فلِمَ لا يتمّ العمل على إخراج الإخوان المسلمين من ظلمات السجون ليعودوا فاعلين في مجتمعهم، خاصّة وأنّهم طاقات معطّلة، والوطن في حاجة لجهود أبنائه.

سعينا بكلّ علاقاتنا من أجل إطلاق سراحهم؛ فكانت النتيجة ما كنّا نأمله (أحرار خارج جدران السجون).

هؤلاء الأخوان الذين أصبحوا أحراراً، ساهموا بشكلٍ مباشرٍ في تحرير ليبيا من أيدي الطاغية، أي أنّهم كانوا ثائرين مع ثوار ١٧ فبراير، بل كانوا من قياداتهم الفاعلة.

اطمأن الدكتور علي بما جرى من تحرير للأخوان من السجن؛ فقال لي: أريد أن أستقر في ليبيا؛ فما رأيك يا أخ عقيل؟

قلت: في هذا الوقت لا أنصحك بذلك، فأرجو أن لا تغرّك المظاهر، وعليك بالبقاء هناك إلى أن تحين الفرصة المناسبة لاستقرارك في ليبيا.

وهكذا كان مرّة بعد مرّة يقول لي: أريد العودة والاستقرار، وأنا أقول له أرجوك لا تستعجل، ثمّ نقول: لا تغرّك المظاهر والشعارات المزيّفة؛ فهؤلاء انقلابيّون، انتظر إلى أن تُفرج؛ فبقي هناك إلى أنْ فرجت بثورة ١٧ فبراير ٢٠١١م.

ومن ميزات الدكتور علي الصلّابي صاحب رأي وحكمة؛ فهو يحب استشارة من لهم دراية، واستشارة من يتعلّق أمر الاستشارة بهم، وهو دائماً يأخذ بما يستشيرنا فيه أنا والأخ المهندس عبد الرزاق العرادي، إلّا مرّة واحدة خالفنا فيها وسافر إلى مدينة بنغازي؛ فعرض ذلك الموضوع الذي خالفنا فيه على والدته الكريمة؛ فقالت له لا يمكن لك الأخذ بما قلته لي، وكان ذلك الأمر هو ما عارضته فيه أنا والأخ عبد الرزاق؛ فاتصل بي وهو يقول: لن أخذ بما لم أوافقكم فيه، فأمّي عارضتني مثلكم وأكثر.

ثمّ بدأ الدكتور علي الصلّابي بإثارة قضية أخرى، هي قضية سجناء أبي سليم؛ فكان يثير فيها من خلال أنّ أمر هذه القضية له علاقة بتعطيل حكم الله؛ فهو يقول بصوت عالٍ: ما ذنب الزوجة التي لم تعلم بوفاة زوجها، وينبغي إعطاء شهادات وفاة لأسر أولئك الذين قتلوا في أبي سليم؛ فإنَّ عدم إعطائها يعد تعطيل لأحكام قرآنية، وفي هذا التعطيل إثم كبير؛ فبإعطاء شهادة الوفاة للمتوفى زوجها تستطيع أن تبدأ عدّتها،

ويُمكّن الورثة من تقسيم ما لديهم من ميراث، تمّ الاقتناع بهذه الفكرة المقدّمة من الدكتور علي الصلابي، ولذا بعد الاقتناع أُخذ بها؛ فتحرّرت نسوة، وتحرّر ميراث، وفي المقابل ثبت الجرم على القاتل.

من بعد النجاح في هذه القضية، أصبح الدكتور علي الصلابي عنواناً لفكّ قيد السجّانين عن رقاب السُجناء؛ فبعد أن رأى بأم عينيه الإخوان المسلمين أحراراً خارج السجون، قال: ولِمَ لا تكون من بعدهم الجماعة الإسلامية المقاتلة. أُذِنَ له بذلك من قِبل سيف القذافي، ولكنّ الدكتور علي الصلّابي اشترط موافقة أبيه تجنّباً لأيّ انتكاسة؛ فكنت مؤيداً له كثيراً في هذه النقطة بقولي: هذه نقطة رئيسة بدونها لن يستمر الأمر بنجاح؛ فجاءت الموافقة والاعتراضات الأمنية تلاحقها من جهاز الأمن الداخلي، ومع ذلك حُسم الأمر بعد تعثّر قابلناه باتصالات كلّ منّا حسب علاقاته المؤثّرة، وكان دوري من خلال عبد الله السنوي مؤثراً إيجابياً في التوهامي خالد، الذي كان على رأس المعارضين وبكلّ شدّة، وكذلك كان عبد الله داعماً لرأي الدكتور علي في مناصرة هذه القضية.

أصبح الدكتور علي يدير الحوار للسجناء في سجنهم بعد موافقة قياداتهم الذين هم جميعاً داخل ذلك السجن اللعين (أبي سليم)، بعد أن اشترط على سيف القذافي ومؤسساته الأمنية أن تكون المعاملة مع السجناء ليّنة، مع توفير المكتبة اللائقة لهم ولعملية الحوار المأمول، وفتح أبواب الزيارات لأسر السجناء، وفتح الأبواب للقاءات بين قيادات الجماعة الاسلامية المقاتلة وقواعدهم الفاعلة، ثمّ بدأ الحوار الصّعب بين قبول ورفض من هذا الطرف أو ذاك، إلى أن بلغ قمّته بإجراء الجماعات الإسلامية المقاتلة دراسة تصحيحية لتلك الرؤى التي كانت بالنسبة لهم حجّة، ولها ما يكفي من المبررات في ذلك الوقت.

صدر كتاب فكريّ متين وموسّع من قبل الجماعة الإسلامية المقاتلة بعنوان (دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على النّاس) تحت إعداد وإشراف الأخوة:

١ . عبد الحكيم الخويلدي بالحاج.

٢ . عبد الوهاب محمّد قايد.

٣ . خالد محمّد الشريف.

٤ . سامي مصطفى الساعدي.

٥ . مفتاح المبروك الذوادي.

٦ . مصطفى الصيد قنيفيد.

كُنت أحد المراجعين لهذا المجهود القيّم من بين مجموعة من العلماء من ليبيا ومن خارجها وهم:

١ . د. الصادق الغرياني (ليبيا)

٢ . د. حمزة أبو فارس (ليبيا)

٣ . د. سليمان البيرة (ليبيا)

٤ . د. عقيل حسين عقيل (ليبيا)

٥ . د. محمّد أحمد الشيخ (ليبيا)

٦ . د. سلمان بن فهد العودة (السعودية)

٧ . د. أحمد الرسيوني (المغرب)

٨ . الشيخ محمّد الشنقيطي (موريتانيا)

كان الدكتور علي الصلابي مصرّاً على أن أكون من بين المراجعين لهذا المجهود البحثي الكبير، كان مستوى البحث الفكري في ذلك المجهود عميقاً جدّاً، قمت بالمراجعة الموضوعية لذلك الكتاب المتكون من ٤١٧ صفحة خلال يومين من تسلّمي الكتاب من الدكتور علي الصلّابي إلى تسليم النتيجة إليه، الذي قام بدوره بتسليمها للجماعة الليبية المقاتلة في السجن، وبعد ثلاثة أيّام جاءني الدكتور علي قائلاً:

لقد قَبِلت الجماعة تقييمك وكانوا راضين عنه؛ فهم كانوا يظنّون إنّك ستكون منحازاً للنظام ورؤاه، ولكنّك بالنسبة لهم كنت موضوعيّاً جدّاً، ولذلك أعرض على القراء المحترمين مختصراً للتقييم الذي قدّمته بهذا الشأن إلى الدكتور علي الصلابي وهو:

مختصر المراجعة الذي قدّمته إلى السيد الدكتور علي الصلاّبي للدراسات التصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على النّاس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٨]

تتضمن هذه الدراسات التصحيحية، رسائل فكرية لمن يريد أن يتبيّن أو يهتدي للحقّ، كُتبت بإرادة قويّة من قِبل جماعة قرّرت أن تترك ما يخالف الشريعة والعقل والمنطق؛ فكان لها أمر التخلّي عن كل ما من شأنه أن يُفرِّق بين أبناء المجتمع الواحد، أو الأمّة الواحدة، مع شجاعة وجرأة ظاهرة في النص.

ولأنّ الدراسات كانت عميقة المباحث، فالأمر بين أصحاب الفكر لا يؤسّس إلّا على الحوار والجدل بالتي هي أحسن، حيث لا إكراه في الدين، وهكذا تتلاقح الأفكار وتنمو الفكرة وتتطوّر بما يُسهم في إيجاد الحلول.

. ما كُتب في (٤١٧) صفحة يُعدّ جهداً بحثياً علمياً اعتمد المعلومة من مصادرها وفق منهج تحليلي مع الاستئناس بأقوال العلماء والأدلة

[٨] آل عمران ، الآية ٢٩ . ٣١.

الصحيحة، وأخذ العبر من التاريخ التي بها تمكَّنَ الباحثون من الوصول إلى نتائج موضوعية.

. ما كُتِب لا يُعدُّ جديداً وفقاً لقواعد الدين الإسلامي العظيم، ولكنَّه جديدُ ولأوّل مرّة أن يُكتب بهذا العمق من قبل من كان على ما يخالف هذه القواعد.

. وفي المحتوى العام مضمون اعترافي من الجماعة المقاتلة، بأنّها بعد أن بلغت من العمر والنضج العقلي، خبرت بعد تجربة الأخطاء التي وقعت فيها، ولذا فهي تُصحح بإرادة، وتقرّر التخلي عمّا يسبب الفتنة بين أبناء الأمّة. وغايتها أن تنهى النفس عن الهوى، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[٩].

لقد أقرّ الباحثون بكل وضوح خطورة التبعية الفكرية من حيث استيراد فتاوى تجهل المكان والزمان؛ فتجعل البعض يتَّبعون أراء من لم يعش الظروف ذاتها، وليس له دراية تامّة بالحال.

لقد أكّد الباحثون في ما عرضوه من فصول بكل وضوح أهمية العلم، وبيَّنوا دور العلماء الربّانيين العارفين بالمكان والزمان والحال، الذين يؤمنون بمنهج الاعتدال ووجوب احترامه.

كما أكّدوا على قيمة استيعاب الآخر الذي يعمل أو يدرس أو يعيش في بلدٍ من بلدان المسلمين، اهتداءً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[١٠].

ولعل الباب الأوّل تناول أهم المواضيع في هذه الدراسات التصحيحية، وهو تعريف المسلم، وكيف يقع عقد الإسلام، وكيفية ثبوته لأهل الإيمان، وبالتالي جاءت الأبواب التالية له تحليلاً وتعليلاً وتبياناً واستنتاجاً وتفسيراً؛ فاستعرضت بالنقض والتصحيح الأفكار الخاطئة التي تبنَّتها الجماعة في السابق، وتراجعت عنها بهذا التصحيح إلى

[٩] النازعات، الآية ٤٠ ،٤١.

[١٠] المائدة، الآية ١.

الجادّة، بعد أن جانبها الصواب فيما مضى من أعمار أعضائها، وهذه فضيلة تنال التقدير مع فائق الاحترام.

عُرضت هذه الدراسات المتعمقة بمرونة وموضوعية، وعن قصد تَركتْ هامشاً عريضاً لوجهات النظر في كلّ ما لم يرد بشأنه نصّاً صريحاً أو سُنَّ من قبل الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسلام؛ فكان لهم حوار بين أسبقية الإسلام والإيمان مما جعلنا نقول: (الإيمان اعتراف بالحقّ والإسلام إتباع للحقّ).

وفي قولهم (نحن دعاة لا قضاة) حُل الإشكال الفكري بصورة جليّة، أمَّا السياسي: فنعتقد أنّه يتطلَّب شيئاً من التوضيح حتى لا يكون للبس والغموض مكاناً يحلّ فيه، في زمنٍ تسود فيه الشفافية بين النّاس الذين يرغبون التواصل والاندماج بالفضائل التي يرتضيها الخالق والقيم الحميدة التي تُرتضى للمخلوق.

وعليه، لقد سجّلت هنا رأيي في المحتوى والمضمون بصورة إجمالية، واللذان جاءا مرضيان مع اتصافهما بالجرأة، ووضوح المنهجية بداية ونهاية، وارتأيت تسليم الآراء العلمية والسياسية التي تستلزم مزيداً من البحث والحوار إلى المتحاورين، لعلهم يأخذون بها أو يتمّ توضيحها بشكل يُبعد أيّ لبس أو غموض،أو حتى الظنون أو الشكوك.

وفي اعتقادنا: سيكون لهذه الدراسات شأنها على المستوى المحلي، والإسلامي، والدولي في إسقاط الحجر من الأيدي التي كانت تتربص، لكي ترمي به بريئا؛ فتكسر به عظماً لا يُجبر؛ فتقتل نفساً بغير نفسٍ؛ فمن كان سبباً في إسقاط الحجر من تلك الأيدي ومن حاور؛ فأثّر ايجابيا، ومن استجاب إرادة حرة فكلهم كمن أحيا النّاس جميعاً، قال تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[١١]، وقال تعالى: {وَلَا

---

[١١] المائدة، الآية ٣٢.

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[١٢].

أمَّا تعيين هذا الكتاب على ليبيا، وما جرى، وما ينبغي أن يجري؛ فهذا استحقاق مهم محله في غير تقييمنا لهذه الدراسات.

وختاماً أحيي الذي تبنّى الحوار بشكل خاص، ثم أحيي المشاركين فيه، وأحيي الذين استجابوا له، وقدَّروا مصلحة البلاد والعباد، ولأنَّ كل شيء في مشيئته جلَّ جلاله؛ فهو إن شاء لشيء كان، قال تعالى: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[١٣]، وقوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٤].

نأمل لثمرة الحوار هذه، أن تُسهم في إسقاط الحجارة من أيدي المتربصين بمجتمعاتهم وأمّتهم، حتى تُصبح أيدٍ تبني ولا تهدم، تُصلح ولا تُفسد؛ فلا تسفك الدماء بغير حقّ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ}[١٥].

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنّك أنت الوهّاب وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عقيل حسين عقيل

[١٢] الأنعام، الآية ١٥١.

[١٣] البقرة، الآية ١١٧.

[١٤] ياسين ، الآية ٨٢، ٨٣.

[١٥] الشورى ٣٩ – ٤٣.

وعليه: فإنَّ الدكتور علي الصلابي هو من تبنّى فكرة هذا الحوار، استكمالاً لِما تمّ انجازه تجاه قضية أبي سليم وخروج الإخوان المسلمين من ذلك السجن اللعين؛ حتى وُفِّق فيه مع تلاحم ما قمنا معه من جهد مع مختلف الأطراف التي حفّزها على الدفع به إلى ما يمكّن من استيعاب الآخرين دون حرج.

كان الدكتور على مقيماً في قطر، ويأتي من هناك مفاوضاً ومحاوراً ومناقشاً على حسابه الخاص دون أن تدفع له الدّولة مصاريف أو تذاكر ولا حتّى إقامة؛ فمصاريف تنقّله كاملة كانت من جيبه الخاص، حتّى ذات مرّة قلت له: يجب أن تقول لهم: أبعثوا لي تذاكر عندما تريدون حضوري للعمل على قفل تلك الملفات الساخنة، لكنّه لم يقبل أن تدفع الدولة شيئاً عليه، وهو يقول يا أخ عقيل: أنا لا أُريد منهم شيء، فما أريد إلّا رضا الله.

ومع العلم وفضلاً من الله تعالى كان جميع الذين تمّ إطلاق سراحهم من الجماعة الإسلامية المقاتلة، مقاتلين بواسل شجعان، وقيادات شابّة من قيادات ثورة ١٧ فبراير، قيادات منضبطة وعلى قمّة من الأخلاق؛ فقرّروا الموت من أجل تحرير ليبيا من الطاغية حتى كتبت لهم الحياة؛ فلهم التحية والتقدير.

كلّ هذه المعطيات الجميلة جعلتني أقول لسيف القذافي في تلك المقابلة الملعونة أنَّ الدكتور علي الصلّابي عالم محترم فلا يليق أن يوصف بما لم يكن عليه من صفات حسنة، ولذلك قاطعني بقوله: لقد خانني الصلّابي.

قلت: كيف خانك وهو الذي جاءك خصّيصاً من قطر ليقول لك أنّ ثورة ١٧ فبراير آتية لا محالة، وعليك بالحلّ، ثمّ قلت له (لسيف): قبل مجيئه إليك لقد جاءني الدكتور علي الصلّابي مع عبد الرزاق العرادي إلى منزلي، وقال لي سأقابل سيف فما رأيك يا دكتور عقيل أن نقول له

كلّ شيء؛ فإن أخذ بما ننصحه به فهو خير، وإن امتنع عن الأخذ بالنصيحة فطريقنا معالمه معلومة.

بعد نقاش توصّلنا نحن الثلاثة (الصلابي والعرادي وعقيل) إلى إقرار النقاط التي سبق ذكرها، وجاءك بها يا مهندس سيف الدكتور علي الصلّابي هنا في هذه القرية (قرية الاتحاد المغاربي) وأنت الذي ناقشته فيها باتساع على ثلاثة أيام، ولو بقي الدكتور يوماً رابعاً من بعدها لكان سجيناً مع المساجين، ثمّ بدأت أعدّد له تلك النقاط التي هي نتاج وجهة نظرنا نحن الثلاثة، وهي التي أتى بها الدكتور الصلابي إليه لحلّ الأزمة في ذلك الوقت، وهي بالتمام كما سبق ذكرها في الصفحات السابقة:

١ . إنَّ مشروع الدستور الذي كانت اللجان تشكّل لإعداده ولم ير النور بعد؛ فهو لم يعد مناسباً ولا مرضياً؛ فالبلد في حاجة لدستور ينظم أحوال الناس سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ويحدّد سنوات التداول على السلطة وكيفية تداولها بكلّ إرادة حرّة.

٢ . إلغاء اللجان الثورية وفتح الأبواب أمام الليبيين لتشكيل منظمات المجتمع المدني والعمل السياسي.

٣ . إلغاء سلطة الشعب الألعوبة التي لا تعدّ ذات علاقة بالحقيقة الديمقراطيّة.

٤ . تقبُّل المعارضة بمختلف ألوان طيفها دون إقصاء لأحدٍ من مكوّناتها والاستماع لأرائها في عملية الإصلاح السياسي.

٥ . إنّك يا سيف في ذلك الوقت كنت مقبولاً لحدٍّ ما من بعض المعارضة ومن بعض الليبيين وكذلك من الغرب، لذلك كان عليك بتولي الأمر، ولو توليت الإصلاح الذي يأمله الليبيون ما حدث ما يحدث الآن من دماء .

ثمّ قلت له: لقد قال لك الدكتور الصلابي في تلك المقابلة أيضاً:

أ . أنّ الدولة قد شاخت، وعوامل الفناء فيها ظاهرة لكلِّ دارسٍ للتاريخ.

ب . إنّ خطابك الإصلاحي الجزئي قد انتهى وقته؛ فالناس تريد حلّاً، والفرصة أمامك قد ضاقت.

ج . أنّه ذكّرك بما قاله لك الشيخ سلمان العودة: وهو (إمّا أن تقوم بإصلاحات جذرية خلال ٢٠ يوماً، أو إنّ الثورة آتية لا محالة.

صَمتَ قليلاً والأوجاع التي تملئ نفسه تكاد أن تنطق، ثمّ امتدّ على طوله على الصالون ثلاثي المقاعد.

صَمتْ .... ثمّ صَمتْ ....ثمّ صمت من كلينا، ثمّ قلت يا مهندس سيف الدكتور الصلّابي عنده تجربة سياسية، ومن تكون لديه تجربة سياسية في مثل هذه الظروف، إمّا أن يكون معك بوضوح، أو يكون ضدّك بوضوح؛ فقال (هذا حقّ).

قلت يا سيف: هذه حقائق وعليك بمعرفتها، ومعرفة أنّ ما يخالفها مجرّد سراب؛ فقال كيف سراب والمسيرات المليونية في كلّ ليبيا.

قلت له: هي السراب بعينه.

وهذه فكّرتني وأنا أكتب هذا المؤلف بقصّة ذلك الجبل، وهي:

ذات يوم نام أحد العاملين بمجمّع القمامة في مقرّ عمله، ومن شدّة التّعب استغرق في نومه إلى درجة أنّه حلم بأنّه رأى جبلاً أشماً شديد الارتفاع، وعلى رأسه علم، وعلى العلم مجموعة من النجوم المتلألئة وهي تنادي في وسط الحشود بصوتها الجميل ورائحتها العطرة: أنا الحرّية، أنا المساواة، وأنا العدالة الاجتماعية، وأنا ....، وأنَّ معظم الحاضرين يهتفون إليها، ويطالبونها أن تعمّ مناطقهم بما تتلألأ به من

نور، وعندما أشرقت الشمس، صحا العامل في الصباح ونظر إلى العلم فوجده باهتاً ونجومه باهتة، ووجد ذلك الجبل جبلاً من القمامة، ووجد رائحة عفنة تنتشر من حوله وحتى المدينة؛ فغضب من ليله الذي طال، وجمع كلّ قواه وقوى الآخرين الذين حرموا من رؤية الحقيقة؛ فداهم جبل القمامة، ورمى به في البحر، وحمد ربّه على بزوغ الشمس التي كشفت الحقيقة في ١٧ فبراير، والتي لولاها لم يصح بعد من نومه، ولولاها لانتشرت الأمراض من تلك العفونة النتنة، وتلوثت البيئة دون أن تجد من يتأسف عليها.

اتفاق

مع الدكتور علي الصلّابي

في لقاءاتنا التفاوضية في مصر، اتفقت والدكتور علي الصلّابي بأن نلعب دوراً مهماً من وسط البلاد، من خلال الآتي:

أولاً: مدّ الثوّار من خلال الدكتور علي الصلّابي بحقائق الموقف في الداخل، ولذلك كان حضوري مشاركاً في المفاوضات في القاهرة على فكرة واضحة ومحدّدة وهي رحيل القذافي.

أمّا الهدف من حضوري فهو: تبادل المعلومات والتباحث في كيفية تأمين العاصمة (طرابلس) بعد سقوط القذافي ونظامه، ومناقشة الكيفية التي تفتح بها الأبواب أمام المزيد من المؤيدين. وفي اللقاءين الذين تمّا في القاهرة كنت أقول للدكتور علي الصلّابي والمهندس عبد الرزاق العرادي: لا تتردّدوا فإنَّ نسبة ما يزيد عن ٩٠% من النّاس في العاصمة هم مؤيدون ومناصرون ومقاتلون مع الثورة؛ فلا تغرنّكم تلك المسيرات المزوّرة، التي يطلق عليها الطاغية بالمليونية؛ فلو كانت الملايين معه ما تحرّر شرق ليبيا بكامله في أربعة أيّام فقط، وما تحرّرت مدينة مصراته على بكرة أبيها في يومٍ واحد، وتحرّرت مدينة الزنتان على بكرة أبيها في يومٍ واحد، وتحرّر جبل نفوسة هو الآخر من قبضته بعد قبول أهله دفع الثمن شهيد وراء شهيد، وهكذا الزاوية تثور وتنتفض وتدفع الثمن دماً غالياً، ومن بعدها ازوارة تثور وتنتفض وتقبل بذات الثمن الذي قبله جميع ثوار ليبيا، وها هي تاجوراء على بكرة أبيها، وسوق الجمعة رجاله ونسائه، وغوط الشعال والظهرة وفشلوم بمدينة طرابلس، خناجر تُرمى كلّ يوم ليلاً ونهاراً في حلق الطاغية معمّر القذافي.

ثانياً: تأمين سلاح قبيلة المقارحة في الديار، ولا يُشهر في وجه الثوّار، مع العمل على دفع القبيلة مؤيدة للثورة، وهذا ما تحقّق بالتّمام كما كان متّفق عليه التزاماً؛ فقاتل من قاتل من قبيلة المقارحة المنتشرة في ربوع ليبيا وهم ثائرون مع الثوّار، وأيّد من أيّد منهم، وناصر من ناصر، وحفظ سلاحه في منزله من حفظ، والنتيجة أنّ هذه القبيلة التي كان يظن القذافي ومن ورائه من يظن إنّها ستكون مع الطاغية، رفضته جملة وتفصيلاً.

ثالثاً: أن نحمل وكلّ من معي السّلاح ونهبُّ مع ثوّار طرابلس يوم تحرير العاصمة؛ جاء ذلك اليوم الذي كنت أظنّه بعيداً، قمنا بقفل الشوارع،

وإنزال الأعلام التي كانت تملأ شارعنا، وتمّ رفع راية النصر (علم الاستقلال الليبي).

رابعاً: أنْ أعلن موقفي يوم أن تثور العاصمة من خلال تلفاز الجزيرة على الهواء مباشرة، وهذا ما كان بحمد الله تعالى، ولذا كان الأمر كذلك حتى أنّ زمن المقابلة الهاتفية استمرّ معي ٢١ دقيقة، أوضحت فيه أنّ الطاغية وكتائبه ومرتزقته قد هُزموا في مدينة طرابلس، ودعوت النّاس للخروج في مسيرات تأييد لثورة ١٧ فبراير، وأنا أقول: اليوم التاريخ يصنع فلا داعي للتأخير عن صناعته، لقد أصبحت الفرصة بين أيديكم أيّها الليبيون فلا تضيّعوها؛ فاليوم التاريخ فاتح ذراعيه لصنّاعه؛ فلا تتأخّروا، وصناعة التاريخ فرص تُقتنص في الوقت المناسب فعليكم بها، وهاهو الوقت المناسب بين أيديكم يعلن عن نفسه عنواناً للأبطال، وهكذا التاريخ يُصنع.

أمّا الكتابة عن التاريخ فلا صعوبة فيها، وستكون فُرَصَهُ متاحة بين أيدي كتابه والباحاثين في ميادينه ميسّراً، ولذلك فلا مقارنة بين من يسهم في صناعة التاريخ، وبين من يسهم في الكتابة عنه، فمن يكتب التاريخ يسجل بطلاً، ومن يكتب عن التاريخ يسجل كاتباً أو باحثاً، ومن هنا فالفرق كبير.

ثُمّ وجهت رسالة صوتية من خلال قناة الجزيرة لأهلي في الجنوب أقول فيها: يا أهل الجنوب عليكم بالثورة؛ فالثورة قد انتصرت والعاصمة طرابلس تحرّرت، أخرجوا على بكرة أبيكم في مسيرات التأييد لثورة ١٧ فبراير، لقد انهزم القذافي، وانهزمت كتائبه ومن معهم من المرتزقة المأجورين. اخرجوا يا أهل الجنوب مع أبواب التاريخ لتدخلوا صفحاته، وليس لكم بدّ إلّا أن تكتبوا التاريخ في هذه الليلة، وإلّا سيُكتب التاريخ عليكم، واعلموا أنّ الناس سيقبرون والتاريخ لا يُقبر.

كنت عبر تلك المقابلة الهاتفية متصلاً من مسكني بطرابلس الذي هو بالقرب من مقرّ هيئة الأمن الخارجي سابقاً، وأحد الشوارع المجاورة لنا لا زال بأيدي حرّاسها؛ كلفت أخي الدكتور أبو القاسم حسين عقيل بأن يتّصل بثوّار تاجوراء الأبطال، وثوار سوق الجمعة الفرسان، ليذهبوا إلى أولئك ويبلغوهم بتسليم اسلحتهم، وترك الموقع، وإلّا سنتواجه معهم بالسّلاح، ذهب إليهم رسول من ثوار سوق الجمعة فاستجابوا على الفور وانسحبوا بكاملهم من ذلك الموقع الذي أصبح بيد ثوار سوق الجمعة (منطقة تلبيغة).

كنت على الهواء مباشرة وأنا في مدينة طرابلس أبعث تلك الرّسائل من خلال قناة الجزيرة، مع العلم أنّ باب العزيزية لم يسقط بعد؛ فاتصل بي الكثيرون من الحريصين والثائرين بأن لا نأمن القذافي وأعوانه، وأن نأخذ الحذر جيداً، وكان على رأس هؤلاء الأخ علي أبي العيد الزنتاني الذي اتصل من مدينة الزنتان وهو يقول: ردّ بالك أنت أصبحت في خطر، وأرجوك أن تخرج، ونحن مستعدّون لإخراجك إلى الزنتان إلى أن تأمن العاصمة؛ فلا تستهين بالأمر؛ فالقذافي وكتائبه لازالوا في طرابلس وضواحيها.

قلت: اترك الأمر بيد الله؛ فهو الحافظ الذي أوليت أمري وأسرتي وما أملك إليه، ولك وللزنتان منّي التحية والتقدير والاعتبار، وإذا شعرت أنّ الأمر يتطلّب ذلك سنكون على اتصال، وهكذا دائماً يُعرف الرّجال في الظروف الصعبة.

وكان خوف أسرتي أكثر يوم ٢٢/٨/ ٢٠١١م حينما ظهر سيف القذافي يستعرض في باب العزيزية وهو يقول: (طرابلس آمنة وأنّه سيتجوّل في شوارعها وأزقتها شارع شارع، زنقة زنقة، حيث لا مخيف)، قلت لأسرتي لا تخافوا إنها رقصت المذبوح، فالثوّار غداً سيدخلون معسكر باب العزيزية كرهاً وقهراً للطاغية الصغير والطاغية الكبير.

وبحمد الله كان كذلك؛ فدمغ الحقّ الباطل فإذا هو زاهق في باب العزيزية وفي كلّ مكان، وهكذا سيظل الباطل مدموغاً زاهقاً، مصداقاً لقوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[١٦].

عبد الرّحمن شلقم

عبد الرّحمن شلقم من الجنوب من قرية الغريفة، أديب وفنان مثقّف ومؤلّف، ومن أسرة ذات جذور عربية أصيلة، شغل والده في العهد الملكي عضو أوّل مجلس نواب ليبي، ثمّ شغل وظيفة متصرفٍ بسبها والجفرة والشاطئ، ولذا فقد تربىّ شلقم في أسرة سياسية، وبعد حصوله على مؤهله الصحفي الجامعي مارس المهنة في ميادينها المتنوّعة؛ فكان متميّزاً عن أقرانه.

ومع أنّه شغل مناصب سياسية وإدارية في ليبيا عهد معمّر القذافي، إلّا انّه لم يكن طائعاً لا رأى له فيما هو مكلّف به من مهام أو مسؤوليات، كان يقبل عند ما يجب القبول، وكان يرفض عندما يجب

[١٦] الأنبياء ١٨.

الرّفض، وهذه هي حقيقة عبد الرّحمن شلقم صاحب المواقف في الظروف الصعبة.

عبد الرّحمن مؤدّب ومحترم، ولكن إذا حاولت (من تكون) المساس به ينقلب إلى شخصية قادرة على أن تُسمعك غير المتوقّع، يمثل حكومته في المحافل الدولية أحسن تمثيل، ولكن إذا شعر بأنّ تمثيله لها يكون على حساب المصلحة الوطنية يرفض ويثور، ويتّخذ موقفه غير المتوقّع لمن يعتقد أنّه خير ممثّل له.

هكذا كان الأخ عبد الرّحمن شلقم في الأمم المتحدة هو شلقم، يرفض كلّ شيء من أجل الوطن، فرفع صوته عالياً (لن نكون مع معمّر القذافي الذي إيماءاته تقول إمّا أن نحكمكم أو أن نقتّلكم) ويردّ شلقم على إيماءات الطّاغية بقول شيخ الشهداء البطل عمر المختار يا معمّر (ننتصر أو نمت)، ثمّ قال: (أيّها الأمم المتحدة أنقذوا ليبيا، أنقذوا ليبيا)؛ فكان القرار إنقاذ ليبيا ودموع الفوز على خدّي شلقم تسيل فرحة.

كانت الزغاريد في ليبيا من أمهات ثوار ١٧ فبراير متزامنة مع كلمة شلقم تحيّة له، وهكذا كانت زغاريد الرصاص فرحة في جبهات وميادين المواجهة، وكذلك هي كانت فرحة في شوارع وساحات المدن المحرّرة.

شخصية وطنية هي على هذا المستوي القيمي، والمستوى النضالي، كيف لي أن أقبل بأن تلقّب بما لا يليق بما هي عليه من قيم حميدة، ومواقف وطنية تستحقّ التقدير مع وافر الاعتبار لصاحبها!

ولذلك عند ردّي على ما قاله سيف القذافي على عبد الرّحمن شلقم من صفات غير لائقة بقولي (الأستاذ عبد الرّحمن شلقم) كنت أعني ما أقول بأنّه (أستاذ)، ولذا قلت يا سيف الأستاذ عبد الرّحمن شلقم أنت تعرفه جيداً صريحاً واضحاً ودائماً له رأي؛ فأنا لا استغرب ما أقدم عليه

عبد الرّحمن شلقم؛ فهو نوعية (احترمه تكسبه، وإن لم تحترمه تفقده) وإلّا نسيت ذات مرّة عندما شعر بعدم تقديركم له عندما كان وزيراً للخارجية، ترك لكم كلّ شيء (السيارة الحكومية، والتلفون الحكومي، والسائق الحكومي) وعاد إلى قريته الجميلة الغريفة، وصرّح ما صرّح به من هناك إلى وكالة فرنسية، وعندما علمتم بذلك بدأت الوساطات والاتصالات تجري معه، من فضلك يا أستاذ عبد الرّحمن ارجع؛ فالبلد في حاجة إليك.

عبد الرّحمن شلقم من طبيعته أنّه شخصية ثائرة؛ فبعد أن أثمرت اتصالات الوسطاء معه بشان عودته إلى ممارسة عمله أميناً لوزارة الخارجية، جاء إلى منزلي زائراً ومعه الدكتور محمّد عبد المطلب الهوني، كان يتكلّم بمرارة المأساة التي تمر بها ليبيا حيث قال: لا مستقبل يا أخ عقيل لليبيا في ظل هذه المنظومة الفاسدة.

ونحن جالسين نتناول أطراف الحديث تقديراً لما أقدم عليه عبد الرّحمن شلقم من تمرّد على معمّر وأبنائه، اتصل به سليمان الشحومي؛ فكان الردّ من قبل الأخ عبد الرّحمن مليئ بالسخرية من أمانة مؤتمر الشعب العام الذي يترأسه الشيخ الزناتي.

وعليه:

الحمد لله الذي رجع عبد الرّحمن شلقم ليكون صوته مجلجلاً في الأمم المتحدة، وذلك من أجل مناصرة ثورة ١٧ فبراير التي شارك فيها كلّ الليبيين، ثورة لا زعيم من ورائها، ولا مرجعية، ولا إمام، ولا قائد، ولا حزب، ولا قبيلة، ولا طائفة، كانت ثورة شعب بما تعني الكلمة ودلائلها العلمية.

ولذلك قلت يا سيف شخصية هذا حالها ألا تتوقّع منها اتخاذ موقفاً صعباً في ظرف أكثر صعوبة؟

قال والله معك حقّ.

وعليه: لم يكن عبد الرّحمن شلقم مثل ذلك الوزير الذي يصفِّق لرئيسه خطأ أو صواباً، بل شخصية تقول للأحول أحول في عينيه دون خشية من أحد، وإليكم قصّة ذلك الوزير الذي حضر مشجّعاً لرئيسه وهو يمارس الرياضة في ميدان لعبة الجولف.

حضر جمع من ممارسي وهواة لعبة الجولف إلى الميدان الذي يمارس فيه الرئيس هذه اللعبة مع أحد المرؤوسين، وعندما أصاب المرؤوس الهدف بتفوّق صفّق له المتفرّجون بحرارة، وصفّقوا بحرارة أكثر عندما لعب الرئيس ولم يصب الهدف، ففرح الرّئيس برضا المتفرجين عليه مع أنّه غاضب على سوء أدائه، وعندما اقترب الرّئيس من المتفرّجين أثناء خروجه قال لهم: أشكركم على التشجيع، ولكن لماذا المبالغة في التشجيع وأنا لم أصب الهدف بنجاح؟؛ فقالوا له: إنّنا أقسمنا لو حقّقت الهدف لن نلعب هذه اللعبة ثانيةً، وتعدّ محرّمة علينا من تاريخه، ولهذا فرحنا بعدم إصابتك الهدف؛ فغضب الرئيس منهم، والتفت إلى وزير إعلامه وسأله: وأنت لماذا تصفق يا هذا؟

قال: لقد رأيتك يا سيدي وقد أصبت الهدف بإحدى الكرتين.

أيّة كرتين تعني!

منذ البداية وأنا أشاهدك يا سيدي تلعب بكرتين؛ فصاح الجمهور انظر إلى عينيه، إنَّه أحول العينين.

قال الرئيس والاستغراب يملأ كلماته: أحول العينين! ثمّ صمت والغضب يملأ نفسه من الجمهور، ثمّ قال: لا وربّي لم يكن أحول العينين، ولكن بعد أن عُيِّن وزيراً للإعلام غضبت عينه اليسرى من عينه اليمنى؛ فحدث بينهما أبغض الحلال عند الله.

وفي صباح الغد الباكر كتبت الصحف الحكوميّة تصريحاً لوزير الإعلام يقول فيه: فاز الرئيس في مباراة لعبة الجولف بإجمالي عدد نقاط لم يسبق للاعبٍ أن حقّقها، وعندما قرأ الرئيس تلك الصّحف فرح وقال: هكذا ينبغي ديمقراطياً وبكل شفافية أن يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب[١٧].

وعليه: عبد الرحمن شلقم كان القذافي أمامه يلعب عارياً في الهواء والناس تنظر، ولهذا لم تغضب عينه اليمنى من عينه اليسرى ليحدث بينهما ما هو أبغض للحلال عند الله.

الدكتور

محمود جبريل

عرفته عن بُعد من خلال شاشات التلفزة العالمية مفكّراً في التخطيط الاستراتيجي، يظهر أنّه شخصية لبقة، يجيد الحديث مع إلمامه بأساليب توصيل المعلومة نظيفة للمستمع.

ثمّ التقيت معه وهو على رأس مجلس التخطيط الأعلى بليبيا، كان هناك من يدّعي عليه بأنّه ناصري، والبعض الآخر يقول عنه بأنّه إخواني، وأنا كلّما استمع إلى تلك الشهادات المزوّرة بتناقضها أسخر من القائلين.

[١٧] عقيل حسين عقيل، البستان الحلم، منشورات دار الجأ، ٢٠٠١م، ص ٩٧ . ٩٨.

التقينا وكأنّنا من اللقاء الأوّل نعرف بعضنا، يدير جلساته بمجلس التخطيط بديمقراطية متميّزة، ويصوغ القرارات المتوصّل إليها جماعيّاً بكلّ شفافية، ولهذا أحترمه كثيراً.

بادلنا الزيارات المنزلية المحدودة، والحديث بيننا دائماً أخوي دون أيّ كُلفة، وكلّما التقي معه يقول عني (أنت أخطر واحد) هذه يقولها عني لي وللآخرين، وأنا بدوري نعيد بضاعته إليه، أمامه وأمام الآخرين.

وعليه كان هذا الاحترام حاضراً معي في غيابه أمام سيف القذافي في تلك المقابلة الملعونة؛ فقلت أمام سيف ردّاً على ذلك اللقب الذي يحاول أن يلصقه بالدكتور محمود جبريل ولا يليق بي كما قلت سابقاً أن اكتبه في هذا المؤلف، قلت يا سيف الدكتور محمود جبريل عمل معك مباشرة، وقدّم إليك الكثير من التصوّرات التي كنت تأخذ بها لولا معارضة أبيك لكل ما يقدّم إليه من أجل مستقبلٍ زاهرٍ لليبيا.

وأنا أتحدث عن محمود جبريل يقاطعني بين الحين والحين بسؤاله:

هل تتكلّم مع محمود جبريل؟

ونجيب صادقاً لا لم أكلّمه.

وهكذا كان مرات ومرات أثناء حوارنا على الجميع يعيد السؤال (هل تتكلّم مع محمود جبريل؟) والإجابة بالنسبة لي واحدة بالتمام، ثمّ بعد ذلك غيّر صيغة السؤال بقوله: كلّم محمود جبريل، ولكني لا أجيب على هذا الطلب بقرارٍ مسبق مني لعدم رغبتي لعب هذا الدور، ومع ذلك أكثر من تكرار هذا الطلب؛ فنظرت هناك فشاهدت عبد الرحمن الكرفاخ فقلت له: هل عندك رقم الدكتور محمود جبريل؟ فأجاب بأنّه قد غيّر رقم هاتفه وأصبح غير معروف لديه؛ فقلت أسمعت يا مهندس. إذا وكفى الله المؤمنين القتال.

كان مركّز كثيراً على أهميّة الاتصال بمحمود جبريل دون الآخرين، ثمّ قال سنجده وأشار إلى الكرفاخ بمتابعة الاتصال بمحمود جبريل، وذكر له أسم شخص لم اتذكر أسمه الآن بقوله لعبد الرحمن الكرفاخ: ذلك الشخص يمكن الاستفادة منه في الاتصال بالدكتور محمود جبريل.

لم أرى محمود جبريل إلّا كما يراه بقية الليبيين هنا وهناك من خلال شاشات التلفزة العالمية، يناضل من أجل قضية وطنية حتى تحقّق النصر بتحرير ليبيا على أيدي ثوار ١٧ فبراير، أسود الصحراء وأبطال المدن العريقة. بعدها التقينا عند المقرّ الذي يتواجد فيه المستشار مصطفى عبد الجليل، وهو مقرّ جمعية الدعوة الإسلامية بعد أن عدنا أنا والدكتور محمّد راشد مع المستشار مصطفى عبد الجليل من حضور احتفال أبطال مدينة الزاوية بانتصارهم المؤزّر على القذافي، الذي أصبح نسياً منسيا لا هويّة له حتى هوية القبر.

ولأنّ الدكتور محمود جبريل شخصية أحترمها، لذا فعندما كنت في القاهرة مفاوضاً كنت أكثر من مرّة أسأل الدكتور علي الصلّابي: هل الشيخ مصطفى عبد الجليل والدكتور محمود جبريل على علمٍ وبينة برأيي وموافقين على المفاوضات أم لا؟

والدكتور علي الصلّابي أكّد لي ذلك بأنَّ الكثير من القيادات الثورية في ميادين القتال على علمٍ بموقفك وعلى رأسهم المستشار مصطفى عبد الجليل.

ولأنَّ الدكتور محمود جبريل شخصية على مقدرة علمية متميّزة استطاع أن يستنتج كونه من المتخصّصين في استراتيجيات علم التخطيط أنّ ليبيا في زمن الطاغية كان كلّ شيء مخططاً له كي لا يكون فيها تخطيطاً؛ ولذا أختار أن لا يكون مع ما يخالف ما قضى طوال عمره فيه باحثاً ومتخصّصاً في ميادينه؛ فرفض أن يقبل من سيف القذافي وأبيه استيراد جبل الجليد بالملايين التي تبدّرت في غير مرضاة الله.

وإليكم قصّة ذلك الجبل الذي لم يوافق على شرائه الدكتور محمود جبريل:

اشترى ابن الطاغية جبلاً من الجليد، وأجّر شركة الناقلات الليزرية العملاقة لتنقله عن طريق الإشعاع الليزري من القطب الجنوبي إلى خط الاستواء، بغرض معادلة المناخ وتلطيف درجات الحرارة، وكذلك للتزحلق الرّياضي فوق هضابه، وما يمكن أن يمهّد منه من مساحات، وصل الجبل المرفأ ليلاً، أُبلغ ابن الطاغية الذي جاء لاستلامه، أُنيرت الأضواء، برد قارس، فرحة كبرى بعد استلام الباعة والمؤجرين الدفعة الأخيرة من ثمنه، عاد الأمير (ابن الطاغية) إلى المعسكر ليبلّغ أباه، فرِح هو الآخر، وطلب من مستشاريه إعداد خطبة بالمناسبة ليهنئ الجماهير (التي يقول: إنّها بالملايين) أي بهذا الإنجاز الكبير، ومع أنّ ابن الطّاغية كان يعتقد أنَّ الملايين هم النّاس، إلّا أنّ أباه كان يقصد من وراء ذلك القول، تلك الملايين التي اشترى بها جبل الجليد.

نام ابن الطاغية في فرحته؛ فرأى نفسه أميراً على جبل الجليد، ومقاليد الأمور أصبحت بين يديه التي يلوّح بها في وجوه النّاس مهدّداً ومتوعّداً، ونسى أنّ تلك الملايين من الدولارات التي دُفعت بغير حقّ في شِراء جبل الجليد، قد فاق أصحابها من غفلتهم؛ فثاروا على أبيه الطّاغي، وحرارة شمسهم المشرقة لن تترك من بعده أحداً من أبنائه يتزحلق على ذلك الجليد، الذي دُفعت الملايين فيه على حساب الملايين.

استيقظ الابن مفجوعاً؛ فركب سيارته التي يقودها ذلك السائق الأسمر، وهو يقول: أسرع ... أسرع، اصطدمت السيارة بالجبل؛ فأغمى على الأمير الطّاغي، أنين من شدّة الألم، إنعاش مركّز في غرفة العناية، إصابات بالغة، بُترت اليد اليمنى للأمير، كما بترت اليد اليمنى للسائق، رُكّبت اليد بكلّ سرعة والعملية ناجحة، كما رُكّبت يد السائق هي الأخرى من بعده؛ صحا الأمير من حالة التخدير ولم يصح السائق

بعد؛ فوجد الأمير يده اليمنى سوداء من كتفه إلى أصابعه، وفي الوقت ذاته وجد السائق الأسمر يده اليمنى بيضاء من كتفه إلى أصابعه، الأمير يصرخ كما السائق يصرخ، خطأ فني، يدّ السائق بذراعها رُكِّبت في كتف الأمير، ويد الأمير بذراعها ركِّبت في كتف السائق، آهات وصراخ من شدّة الألم، وكذلك ممّا عمل الأطباء من خطأ بأسبابه ستقطع رؤوسهم.

صحا الأمير من نومه.

جلس وهو يتفقّد أطرافه، اليدان متماثلتان، أين السائق...؟ أين السائق ...؟ ...أين السائق؟

ها أنا نعم سيدي.

كيف حال يدك اليمنى.

بخير.

هل بُترت يدك اليمنى في الحادث كما بُترت يدي اليمنى؟

أيّ حادث؟

أعطني كوب ماء إنّ كبدي قد جفّت.

تفضّل.

هل تمّ القضاء على الجردان التي كانت السبب في إذابة الجبل؟

قال السائق: انهض، جبل الجليد قد اختفى ساعة شروق الشمس.

يا إلهي، وأين خطبة أبي؟

في جيبه، أنهض الماء سيغمر اليابسة.

هذا ما فعله جبل الجليد فينا، هيّا لنرحل.

إلى أين؟

إلى حيث لا أدري.

أسرع .... أسرع.

قصف من الجو، فرار على الأقدام، الدماء تسيل، أصابع التلويح أطرافها تتناثر.

الأمير لم يعدّ أميراً، بل أسيراً في مدينة الزّنتان.

الدكتور

محمّد عبد المطّلب الهوني

الدكتور محمّد عبد المطّلب الهوني هو الآخر أحد العناصر الذين أطلق عليهم أمامي سيف القذافي ألقاب لا يليق أن تقال على دكتور متخصّص في العلوم القانونية، ومناضل دفع الثّمن غالياً أثناء هجرته إلى أوطان الغربة، إنّه لين الشخصية، متسامح وشفاف لدرجة لا تُصدّق لمن لم يعرفه. صريح مع الكلّ (مع المعارض للقذافي ومع المؤيد له، وكذلك مع الصديق والخصم) كريم (لا اعتقد يوماً يمكنه أن يتناول وجبة غذاء بمفرده) منزله في طرابلس دائماً ملتقى للمثقفين والمناضلين

من عموم ليبيا، مع أنّه من الجنوب فهو لا يقبل أن تكون الجهويّة عنواناً له.

محاور ومجادل بمنهج تحليلي رائع جدّاً، يتمكّن من استخلاص النتائج من المقدمات المنطقية دون عناء، يحفظ كثيراً من القرآن حتى وإن لم يكن ملتزماً بسُننه.

عَلِمَ بمقدرته هذه سيف القذافي؛ فسعى إلى الاتصال به ودعوته ليكون مشاركاً في صياغة برنامجه من أجل ليبيا الغد، الذي اتضح فيما بعد (خاصّة عندما يومي بأصابعه الثلاثة في وجوه الليبيين ليحرمهم من كلّ شيء) اتضح أنّه مجرّد أضحوكة لا مصادق لها، ولذلك حلّت الدماء محلّه؛ فأثمرت استقلالاً جديداً لليبيا بعد معانات ٤٢ عاماً تحت قيود الطاغية وأغلاله وأبنائه وكتائبه والمرتزقة.

كان الدكتور محمّد عبد المطلب ناصحاً ومرِّوضاً في بعض الأحيان لهياج أبناء القذافي ظلماً وطغياناً ضدّ العباد والبلاد، (ضد المسؤولين وغير المسؤولين) وكلّ ذلك كان يقابله تطوّعاً وبلا مقابل مادّي، مجرّد أنّه كان عاقداً لقليل من الأمل على بعض ما يقال له من أجل ليبيا.

كانت اللقاءات بيننا وفي معظمها تتم في منزله خاصّة حينما يشعر أحدنا بخطورة ما يُنسج من جرائم ضدّ الليبيين، بعد ما يؤكّد لي بأنّ المناخ في منزله مناسباً لتبادل المعلومات، ومناسباً لتحليلها، واستخلاص النتائج منها، وما يجب أن يؤخذ تجاهها.

ولكن ذات مرّة بعد ما وصلت إلى منزله قال لي الدكتور محمّد عبد المطلب اليوم سنتقابل مع الدكتور عبد الله عثمان في مقهى على البحر؛ فقلت له أنا لا يمكن أن أذهب معك إليه كوني غير معني؛ فأصرَّ الدكتور عبد المطّلب بعد عناد، ولكن ذهبنا إلى ذلك المقهى وجلسنا سويّاً هناك، فكان اللقاء من حيث الظاهر لا موضوع له،

ولكن من حيث الباطن كان له موضوع يدور محتواه على شكوكٍ فينا سويّا (أنا والدكتور عبد المطلب) حينها همسنا معاً في وقتٍ واحد ووجهينا في تقابل تكاد جبهتينا تتماسا؛ فقال لي عبد المطلب بصوت هادئ وبالعامية (اتبلم له أم انبلم له) أي أرأيت كيف ينظر السيد عبد الله عثمان إلينا؛ فماذا يعتقد أن نردّ عليه، ألا يكفي ردّاً عدم الردّ عليه، ضحكت وقلت للدكتور محمّد عبد المطلب حان موعدي الذي التزمت به مسبقاً، ووقفنا ثمّ خرجنا وعدنا إلى منزل الدكتور عبد المطّلب ونحن نحلل في ذلك الموضوع وتلك (التبليمات).

استمرّت العلاقات الودية مع الدكتور محمّد عبد المطلب ونعتقد أنّها ستظل وديّة جدّاً. ومع أنَّ سعة صدر عبد المطلب كبيرة لكنّها في بعض الأحيان تضيق كونه إنسان يصعب عليه قبول المظالم أو تزوير الحقائق؛ فعندما يحسّ بإحباط مما يقوله سيف وما يقدم عليه أبيه، يقول لي هؤلاء لا أمل فيهم، وبالتالي سننفصل عنهم؛ فنقول له من فضلك، لا يوجد أحد سواك يستطيع أن يقول لهم ما تستطيع أن تقوله أنت لهم؛ فإن تركت سيف للآخرين فسيكون قبلي قذافي وإلى النخاع مثل أخيه معتصم، وجودك أنت بجانبه ومواجهتك له بكلّ صراحة لعلّها تشدّه قليلاً تجاه ليبيا؛ فيقول نؤكّد لك أنّ هؤلاء لا أمل فيهم، هؤلاء مجموعة مقالب لا ثقة فيهم ولا آمان، وأولاد القذافي هم تربية معسكرات لا تربية أسرة عريقة.

قلت معك الحقّ، ولكن هل وصل الحال إلى هذه الدرجة؟

يقول بل أكثر ممّا أنت تتوقّع.

وفي مقابل ذلك نُصِرّ عليه قائلاً (أرجوك لا تيئس من أجل ليبيا) ومع ذلك اتفقنا قبل ستّة أشهر من ثورة ١٧ فبراير إن لم ينقلب سيف على أبيه ويستولي على السّلطة ويجمع شمل الليبيين معارضة ومؤيدين، ويلغي

اللجان الثورية، ويلغي الكتاب الأخضر وسلطة الشعب سيثور الليبيون، ولن يحكم القذافي ولا أحد من أبنائه ليبيا.

عندما قمت للخروج قال لي عبد المطّلب إذا تفجّرت ثورة الشّعب فعليك بأخذ الحيطة من التموين لمدّة ستّة أشهر على الأقل، وإلّا سيموتون أبناؤك أمام عينيك، وهذه كرّرها لي مرّة ثانية في منزلي وأمام أخوتي بعد تفجّر الثورة التونسية.

التقيت في منزلي مع الدكتور محمّد عبد المطلب والدكتور علي الصلابي لتناول أطراف الحديث عمّا يدور في تونس، وما سيدور في الوطن العربي وليبيا بالتحديد؛ فكانت وجهات النظر متطابقة بالتّمام على أنّ الثورة آتية لا محالة، وكنّا في ذلك الوقت نعتقد أنّ الإصلاح سيؤدّي مفعوله؛ فإن تمّ سيجنّب الليبيين إزهاق أرواح كثيرة، وكان بعضنا يعتقد أن تقوم الثورة في ليبيا قبل مصر، وكنت أقول: نجاح الثورة في ليبيا بتأمين أطرافها أوّلاً (تونس ومصر) ثمّ قيامها ثانياً، وهذا الذي تحقّق بمشيئة الله تعالى.

ولذا لا يليق أن توصف شخصية الدكتور محمّد عبد المطلب بما لا يليق أن يوصف به الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض! وهذا الأمر هو الذي دعاني أن أقول يا سيف لم يقل الدكتور محمّد عبد المطلب في شخصك شيء من العيب، بل قال كلّ الإيجابيات التي ارتضاها أن تكون معك، ولكنّه فقط قال (أنت اليوم ارتضيت أن تكون مثل أبيك، فأصبح بيني وبينكم وادٍ فأنتم هناك وأنا هنا).

سافر الدّكتور محمّد عبد المطلب، ولم يجرِ اتصالاً بي إلّا يوم ٢٠١١/٣/٢٢م على تمام السّاعة العاشرة صباحاً، وحينها لازلت على فراش نومي، ولم أصحا بعد؛ فدقّ جرس الهاتف موقظاً لي، أخذته وأنا أُحيي صاحبه مع أنّني لم أتعرّف عليه بعد؛ فقال: يبدو إنّك لم تعرفني.

قلت: نعم لم أعرفك؛ فضحك بحريّته التي عرفته بها؛ فكانت الفرحة سيّدة الحديث بيننا، سألني عن أخوتي وأسرتي كما أنا سألته عن أفراد أسرته الكرام، ثمّ قال: (ما رأيك فيما يجري، ألم يكن بالتّمام كما قلناه قبل ستة أشهر).

قلت: الله يهديك يا دكتور محمّد أنت هناك حرّ، ولكن أنا هنا والهاتف كما تعلم.

ضحك كثيراً، ثمّ قال: رد بالك، وسلّم على الأخوة؛ فقلت له: سلّم على الجماعة وقل لهم نحن أخوة، وأنا واحد منكم، وتحت أمركم.

مع السّلامة.

مع السّلامة.

ولأنّ تاريخ المقابلة المطلوب إليها مع سيف القذافي هو يوم ٢٣ مارس ٢٠١١م فأوّل ما قيل لي أن سيف القذافي يريدني بوجه السّرعة في ذلك اليوم؛ فأوّل ما تبادر لذهني أنّ المقابلة بأسباب مكالمة الدكتور محمّد عبد المطلب الذي اتصل بي هاتفياً من إيطاليا صباح يوم ٢٢ مارس ٢٠١١م؛ أي قبل يوم واحدٍ من هذا اليوم الذي تمّت فيه تلك المقابلة الملعونة. ذلك لأنّ ما قاله لي الدكتور محمّد عبد المطّلب هاتفياً يستدعي التحقيق معي أو مسائلتي؛ فهو قال مما قال بالعاميّة الليبية: (شوف يا دكتور عقيل: أيش كنّا نقول قبل ستة أشهور، موش كلّ اللي قلناه صار منه).

ولذا كنت أظن أنّ المقابلة لا موضوع لها إلّا هذا الموضوع، ولكن بعد ذلك تبيّن لي موضوعاً آخر إن لم يكونا الموضوعين معاً.

ولهذا بادرت إلى الاعتراف دون أن نُسأل عن الاتصال الذي جرى معي من قِبل الدكتور محمّد عبد المطلب؛ فقلت لسيف: وللعلم لقد اتّصل بي الدكتور محمّد عبد المطلب صباح أمس وهو يقول: (ما رأيك

يا دكتور عقيل في الذي يحدث الآن في ليبيا، موش قلناه بالتمام قبل ستة أشهر)؛ فقال على الفور: وماذا قلتم قبل ستّة أشهر؟

قلت: (قلنا إذا لم يحلّ سيف محلّ أبوه في هذا الوقت، ويقوم بإصلاحات شاملة والله لن يكون لأحدٍ منهم مستقبلاً في حكم ليبيا، وسيثور الليبيون على بكرة أبيهم، وسيكون الثّمن غالياً لا محالة).

لم يعلّق!

في ٢٠١٢/٥/٥م اتصلت بالدكتور محمّد عبد المطلب بعد أن علمت أنّه قد أعدّ مجموعة من النقاط لسيف يوم ٢٠١١/٢/١٩م ليلقيها في خطابه الذي ألقاه يوم ٢٠١١/٢/٢٠م؛ فسألته عنها؛ فقال: نعم لقد أعددت له مجموعة نقاط، ولكنّه لم يأخذ بواحدة منها.

وهل تتذكرها؟

نعم.

وماهي؟

١ . أنْ يعتذر سيف القذافي لليبيين عمّا جرى في البيضاء وبقية المدن التي انتفضت وقمعت.

٢ . يُعتبر جميع من قتلوا هم شهداء الوطن.

٣ . ينكّس العلم حداداً لمدّة سبعة أيّام.

٤ . يعيّن مستشاراً نزيهاً بالمحكمة العليا للتحقيق فيما جرى، ومحاكمة المسببين لتلك المظالم.

٥ . يعقد مؤتمر الشعب العام خلال ثلاثة أيّام يعلن فيه دستور يمكّن به الليبيون من تداول السلطة، وأن يتمّ تقسيم البلاد إلى أقاليم تخلّصاً من المركزية المقيتة.

٦ . تشكّل لجنة للتحقيق في كلّ عمليات الفساد، ومعاقبة مرتكبيها، واسترجاع الأموال المنهوبة للخزينة العامّة.

٧ . ترفع الدولة يدها عن الاقتصاد ليكون اقتصاداً حرّاً يخضع للقانون التجاري لعام ١٩٥٤م.

٨ . الإعلان عن قطع العلاقة مع الكتاب الأخضر (ضع كتاب أبوك في سلة المهملات).

٩ . الإعلان عن خطة تنموية مستدامة، وتعطى للدكتور محمود جبريل.

هل كان معكما حضور؟

نعم كان حاضراً كلٌّ من:

. مصطفى زرتي.

. فتحي لاغه.

. وليد الجهمي.

ـ ولكنّه ألقى خطابه ولم يأخذ من نصائحك ولا من نقاطك هذه شيء.

ـ أنت تعرف كيف كانت تدار ليبيا. دخل سيف على أبيه بهذه النقاط، وخرج منه بغيرها.

ومع ذلك بعد أن ألقى خطابه السيء يوم ٢٠١١/٢/٢٠م استدعاني إلى باب العزيزية في ذات التاريخ، وسألني عن خطابه، فقلت له: لقد أنهيت نفسك، وأنهيت البلاد؛ وستعم الثورة ليبيا في الوقت غير المتوقّع؛ فلم يعجبه كلامي، ممّا دعا أحد أقاربه بالردّ عليّ، وهو عبد السلام حسن، وكان ذلك بحضور البراني اشكال الذي قال لي: أرجوك أن تقدّر الظروف، ولا تؤاخذ عبد السلام حسن.

ثمّ قال عبد المطلب: عندما توجّهت إلى باب الخروج لحقني سيف وهو يقول: أريد أن أسألك يا دكتور محمّد.

قلت: تفضل.

قال: هل البريقة ورأس الأنوف هما يتبعان (برقة)؟

قلت: إذا كنت تعني بذلك برقة القديمة، نعم أنّ البريقة ورأس الأنوف هما تابعتان.

استوقفني هذا السؤال، ودعاني لأن أسأل الدكتور محمّد: ماذا يقصد بسؤاله هذا؟ ألا تكون سياسة تقسيم ليبيا على رأس ما يفكرون فيه؟

قال الدكتور محمّد: ألم أقل لك يا دكتور عقيل قبل ثلاثة أعوام أنّ المعسكرات لا تربي الأبناء، وأنّ الثورة على هذا النظام آتية لا محالة؟

وعليه:

دائماً كان تقييمي والدكتور محمّد عبد المطلب الهوني للقذافي وأبنه سيف إنّ أمرهما لا يزيد عن رقصة كتكوت على مزمار ثعلب، وإليكم القصّة:

فتحت مدرسة الكتاكيت للتعليم الأساسي أبوابها لجميع البالغين الشهر السادس من العمر، وعيّن بها الثعلب مدرّساً أوّلاً، نظراً لقدراته الفائقة في التحايل والمخادعة، وذلك بهدف تنوير المتعلمين وتطوير مستوياتهم الفكرية، وعيّن الكلب مفتشاً ومتابعاً للعملية التعليمية، وذلك من أجل تحقيق التوازن بين حقوق وواجبات المدرس والتلاميذ، وقبل بداية الدرس التقى المفتش مع المدرس ليبلغه بالمهمّة العلميّة؛ فقال له: ينبغي أنْ تهتم بتحصيل التلاميذ، وأنْ لا تخون الأمانة خاصة أثناء الامتحانات، وعليك أن تعرف بأنَّ للامتحانات ضحايا؛ فتبسّم الثعلب وقال: كن مطمئناً هذه أمانة، وعليك محاسبتي إن قصرّت في تأديتها، وكانت المقرّرات هي تعليم الكتاكيت كيفية المراوغة، والتحايل

والخداع، حتّى تتمكن من القضاء على الجهل الذي يلحق بها، وذات يوم سأل الثعلب كتكوتاً وهو يمتحنه في مادة المراوغة:

لو أتتك الرياح من الجهة اليمنى؛ فكيف تقي نفسك من خطرها؟

فقال الكتكوت: أضع جناحي الأيمن على وجهي، وقال له: ولو أتتك الرياح من جهة الشمال فماذا تفعل؟

قال: أضع جناحي الأيسر على وجهي، ثمّ سأله: وإذا جاءتك الرياح من كلِّ جانب (من الجهات الأربع)؛ فماذا تفعل دون أن تجيب على هذا السؤال شفوياً؟

فبدأ الكتكوت يدور حول نفسه وهو يرقص، ووضع جناحيه على رأسه إلى درجة أنّه لا يستطيع الرؤية، حينها ابتسم الثعلب وقفز على الكتكوت فأكله؛ وفجأة دخل المفتش ليراقب كيفية سير الامتحانات؛ فوجد أثر ضحية؛ فسأل الثعلب: ما هذا يا أستاذ؟ فأجابه هذه نتيجة الامتحانات وهرب؛ فانطلق المفتش (الكلب) مسرعاً لملاحقته، إلى أن أنقض عليه بمخالبه وسأله: لماذا هذه النتيجة السيئة؟ فقال له: لأن الجدّ الرّابع للكتاكيت قد مات وهو غير راضٍ عنها؛ فقال الكلب: هكذا كان جدّك الرّبع هو الآخر غير راضٍ على أحفاده من بعده، حينها صرخ الثّعلب (المدرس)، وطلب من الكلب (المفتش) أن يمهله لإصلاح حاله، ويكون خادماً مطيعاً

لأوامره، ثمّ عرض رأيا على المفتش وهو: أن تكون نتائج الامتحانات وفق عوائدها مناصفة بين المدرس والمفتش، وأن لا تكون المقررات هادفة لمصلحة الكتاكيت، بل تكون لمصلحة الثعالب والكلاب، ومع ذلك لم تنتبه الكتاكيت وكذلك أولياء أمورها إلى أنَّ ما يجري هو تخريب مستقبلها، بل كان الكثيرون منهم فرحين بميوعة المناهج، التي لا تفيد إلّا لرقص كتكوت على مزمار ثعلب.

هكذا كان العقد بينهما وهو عقد غير مكتوب مثله مثل عقد جان جاك روسّو، عقد ساري المفعول وهو غير مختوم وغير موقّع عليه من قِبل طرفي التعاقد، ممّا جعل الاتفاق والاختلاف مستمرين حسب الموضوع والمصلحة المتبادلة بين المدرس والمفتش، ولهذا أصبحت نتيجة الامتحانات مهما أختلف الطرفان المتعاقدان، أنّ الكتاكيت (الابرياء) هم الضحية المتفق عليها في البلاد كاملة.

المهندس

عبد الرزّاق العرادي

عبد الرزاق عبد السّلام العرادي من مواليد طرابلس (عرادة سوق الجمعة) ١٩٥٨م، من أسرة محترمة ومقدّرة كثيراً في وسطها الاجتماعي؛ فحياة والده كان مركز التقاء أهل اعرادة المتكوّنة من أربعة أخوة، وهم: أولاد خليفة، وأولاد بالحاج، وأولاد عبد الله، وأولاد علي الذين منهم تفرّعت أسرة المهندس عبد الرزاق العرادي.

ومع أنّ المهندس عبد الرزاق العرادي لم يكن من ضمن الشخصيّات المكوّنة لهذه المحطّة، إلّا أنّه هو الضلع الذي به يكتمل المثلث (الصلّابي وعقيل والعرادي)، ولذا فكان من الواجب دعوة شخصيته للحضور معنا في هذا المؤلف، ليكون شاهداً على ما يتمّ عرضه ممّا شهد عليه من محطات.

فكان الاتصال بيننا يكاد لا ينقطع خلال الفترة التي ولِدت فيها الثورة التونسية، والثورة المصرية، ولهذا كنّا نلتقي لنتدارس ما سيجري في ليبيا من خلال دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، حتّى أنّ المهندس عبد الرزاق نشر مقالاً عبر شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠١١/١/٢٦م يؤكّد فيه

على قولنا أنّه لن يكون بعد اليوم غير المتوقّع غير متوقّعٍ، ويقول: مهما قدّمت الشعوب من دروس للطغاة ستظل قائمة غير المتوقّع خالية.

ولذا فهو يرى أنّ كلّ الإجراءات التي اتخذها الحكّام والأجهزة الأمنية القامعة للشعوب، وما سيتخذونه من إجراءات لن يخرج عن دائرة المتوقّع، ممّا يجعل دائرة غير المتوقّع لهم بالمرصاد، ولذلك فإنّ الطغاة لم يتّعظوا، بالرّغم ممّا فعلته عربة خضار محمّد البوعزيزي الذي قَبِل التحدّي والمواجهة لأساليب وأعمال القمع والقهر، التي من بعدها في تونس أصبح المخيف خائفاً، ومن وُصف بالجبنِ شجاعاً ثائراً.

وعليه: فالمهندس عبد الرزاق كان قلقاً طوال تلك الفترة، وكان متربّصاً للفرص التي يريد من ورائها أن يكشف عن هويّته الرافضة والمتمرّدة، وأنا أقول له: لا تستعجل حتى لا تقع في مصيدة النّظام، كن حذراً؛ فنحن لم يكن السجن غاية لنا، بل غايتنا تحقيق الانتصار، ومع ذلك كتب مقالاً ونشره من خلال شبكة الإنترنت، ولم يبلغني بحيثية ما كتبه، خوفاً من تأخيره عن نشره، ولكنّه على الفور جاءني يبتسم وهو يقول: كتبت مقالاً ونشرته دون أن أعلمك والدكتور علي الصلّابي تجنّباً لعدم موافقتكما على نشره.

وماذا كتبت فيما نشرته؟

قال: إحدى عشرة نقطة، وهي:

١ . إعادة بناء سلطة الشّعب بالشّعب، وليس بنائها بالحكومة المحكومة.

٢ . إعداد دستور للدّولة الليبية يتضمّن الحرّيات العامّة، ويفصل بين السلطات الثلاث، ويحمي سلطة الشّعب في ثوبها الجديد.

٣ . إعادة النظر في قانون تجريم الحزبية، في إطار الدستور الجديد، وحرّية الحراك السياسي، والإصرار على حماية الوطن والمواطن.

٤ . حلّ اللجان الثورية، وكذلك حلّ الجمعيات والمؤسّسات التي أنشئت بالكيفية ذاتها، واسترجاع ممتلكات الشّعب إلى الخزينة العامّة للدولة الليبية.

٥ . التركيز في الدّولة الليبية الحديثة على الكفاءات، بدلاً من الولاءات القبلية، والمحاباة على حساب الوطن وحقوق المواطنة.

٦ . إعادة تكوين النقابات والاتحادات والروابط، ورفع كافّة القيود التي تكبّل سواعد البناء وحرّية النقد البناء.

٧ . حرّية الإعلام، وضمان حرّية التعبير، لتنطلق تلك الطاقات الملجمة حرّة في طيفٍ واحدٍ.

٨ . الجيش لحماية الشّعب، والأجهزة الأمنية كلّها في حمايته، وكلّ نظرية تخالف ذلك تعدّ انحرافاً.

٩ . العفو العام بدون قيد أو شرط.

١٠ . إعادة ثقة المواطن في وطنه، وزرع حبّ الوطن والذود عنه، والمحافظة على ثرواته، واحترام دستوره.

١١ . محاربة الفساد والمفسدين، وإعادة ثروة الشّعب المنهوبة.

بعد أن استمعت لهذه النقاط، قلت له: أصبحت الأحداث تتسارع في خطاها، فما تظن أن لا نوافقك عليه بالأمس، أصبح اليوم مقبولاً، وسيكون غداً ضرورة، ولذا فما كتبته هو عين الصواب؛ فبعد أن استمع لهذا الردّ اطمأن كثيراً، وذلك لأنّه من باب الأخوّة لا يريد أن يقدم على شيء يكون سبّباً في إحراجنا.

فعبد الرزاق العرادي له تاريخ نضالي لا يقبل بقبره، ولذا يريده تاريخاً حيّاً ويمشي بين النّاس؛ فقد عانى من ضيم السلطان سنيناً مهاجراً في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا؛ وذلك بعد أن تمّ اكتشاف تنظيم

الإخوان المسلمين في عام ١٩٨٠م، وتمّ القبض على صديقه المهندس خالد الزّروق.

كان في مهجره عنصراً معارضاً نشطاً، وفي المقابل كان أخوته في ليبيا يدفعون الثّمن غالياً بين استدعاءات من أجهزة الأمن الداخلي، واستدعاءات أخرى من أجهزة الأمن الخارجي، وأنا بين هذه وتلك، كنت بين مدافعٍ ومعتذر، من أجل أن لا يلحق أمّه الكريمة وأخوته الأعزاء ألماً.

وذات مرّة اتصلت به من دبي وأنا أقول له: لقد اشتقنا لك يا أخ عبد الرزاق، ألا يكفيك هجرة!

قال: (والله يا أخ عقيل مع فائق تقديري لك، إلّا أنّني لا استطيع، إلّا إذا أصدر القذافي إعفاءً عاماً على جميع المعارضين السياسيين).

فقلت له ممّا قلت: متى ما تقرّر العودة إلى الوطن، أتصل بي كي نعمل ما في وسعي من أجل عودتك سالماً.

نعم متى ما أقرر سأتصل بك.

جاء ذلك الاتصال في العام ٢٠٠٤م، وعاد عبد الرّزاق والفرحة في صدور أخوته وأقاربه لا توصف، وفي صدر أمّه قمّة الفرحة، وهكذا امتلأ صدري بعودته بما امتلأت به صدور أخوته.

استأنف نشاطه في ممارسة الأعمال الحرّة، بعد أن أزداد تأهُّلاً يجمع بين مهنة الهندسة والتجارة والإدارة والسياسة؛ فكان العقل المدبّر كما وصفه الأخ أبو زيد عمر دورده في مفاوضات القاهرة.

وبعد أن استقر بعد عودته من مهجره، استأنس نسبيّا في منامه وصحوته، حتّى أنّه قال لي ذات مرّه ونحن في حديثٍ حُرّ: لن يستطيع أحد أن يقضي على تنظيم الأخوان المسلمين؛ فقلت: أرجوك إن كان هذا الحديث يحقّق لك التنفيس الوجداني تحدّثه، ولكن لا تتحدث فيه

مع غيري. وإلّا هل تعتقد أنّ الأمر متروك لنا هكذا حريّة دون قيدٍ ولا شرط؛ فنحن جميعاً مثل السّمكة المربوطة بحبلٍ طويل، فهي تعوم وكأنّها حرّة، ولكن في حقيقة الأمر هي الممسك بها حبلاً، فمتى ما أراد الممسك برأس الحبل أن يجذبها إليه، كانت بين يديه كرهاً. ولذلك فلا تغفل.

وعندما حان وقت الالتحاق بثوّار ١٧ فبراير، قرّر الخروج من ليبيا، ولكنّه كان متوقّعاً أن يُمنع من الخروج، أو أن يتمّ القبض عليه؛ فجاءني في منزلي ليبلغني بذلك، قلت له: توكّل على الله، وبلّغ سلامي للأخوة هناك، وإن مُنعت، أو تمّ إلقاء القبض عليك؛ فاتصل بي على الفور.

وكما كان متوقّعاً أوّل ما وصل رأس أجدير نقطة الحدود الليبية التونسية، وقدّم جواز سفره ليؤذن له بالخروج، أوقف هناك؛ فاتصل بي على الفور كما هو متّفق عليه، قلت له: أبقى هناك، خمسة دقائق وسأتصل بك.

اتصلت به قائلاً هناك شخص على مقربة منك، توجّه إليه، سيقوم بكلّ شيء.

بعد قليلاً من الوقت، اتصل بي قائلاً (دخلت الحدود التونسية)؛ فحمدّت الله كثيراً.

ونظراً للعلاقات المتينة التي تربط عائلتي بعائلة العرادي؛ فلم ينقطع الاتصال بيني وبين إخوته، كما أنّنا نلتقي بين الحين والآخر لتبادل المعلومات ورفع المعنويّات مع قبول التحدّي، ولأنّه لا حديث في العاصمة المحاصرة إلّا حديث الثورة، فإنّ الضرورة تستوجب الحذر من الكتائب والمرتزقة وأجهزة الأمن وما تمتلكه من أدوات التنصّت، ومع ذلك عندما نلتقي، ومعنا صديقنا المشترك وأخينا العزيز الدكتور خالد

اصداع، ننسى كلّ شيء، ونرفع أصواتنا سويّاً، وكأنّ النّصر قد تحقّق بين أيدينا.

فالدكتور خالد اصداع من جبل نفوسه، ولذا في معظم الأحيان من أجل أن يؤدّي مهمّته الثورية بنجاح يجد نفسه ذهاباً وإيّاباً بين أهل الجبل وأهل طرابلس، ونحن عندما نسأله: كيف أحوال أهلنا في الجبل.

يجيب:

كلّما أذهب إلى الجبل أتنفس الحرّية، ولكن عندما أعود إلى هنا تضيق أنفاسي، ولو لم أكن معكم ومؤدّياً لرسالة انتم تعلمونها بين هنا والجبل، لبقيت هناك أعيش الحرّية.

وهكذا كانت المعلومات تتبادل بيننا همساً كما هو الحال مع الدكتور مصدّق العرادي، والدكتور وديع الترهوني في كندا، والمهندس محمّد العرادي وسليم العرادي في دبي، وجهاراً نهاراً في مدينة طرابلس كلما التقيت وإخوتي بالإخوة عبد الرؤوف العرادي، وعبد المجيد العرادي، وابن عمهم عبد الرّحمن العرادي، وكذلك أخونا الدكتور خالد اصداع والأخ الهاشمي الغزيوي.

انتقل المهندس عبد الرزاق إلى مدينة بنغازي حامية الثورة، وحاضنة الثوّار؛ فاختير عضواً بالمجلس الوطني الانتقالي، مما دعاه إلى التنقّل المسؤول هنا وهناك، من أجل فتح قنوات لدعم ثورة ١٧ فبراير سياسياً ومالياً وعتاداً وعدّة.

اتصل بي ذات مرّة وهو يقول: يا أخ عقيل النِّظام هناك، وهو بطبيعة الحال (يشير إلى نظام القذافي)، يطلب من الأخوة المصريين أن يكونوا وسطاء بين نظامه وثوار ١٧ فبراير، والثوّار من أجل كفّ دماء الليبيين قد وافقوا على ذلك، ولكنّنا اشترطنا على الوسطاء المصريين أن نحدّد

نحن الأسماء التي نعتقد أنّها وطنية لتأتي للمفاوضات؛ فوافق النظام على ذلك، ونحن اخترناك من بين الأخوة الأربعة الذين حدّدناهم.

قلت كما سبق ذكره، أنا لا أقبل أن أمثل هذا النظام، ولكن بعد إصرار الأخ عبد الرزاق والدكتور علي الصلّابي، وموافقة السيد المستشار مصطفى عبد الجليل كنت أحد المفاوضين.

وذات مرّة ظهر عبد الرزاق العرادي عبر شاشات التلفزة العالمية في جبهة من جبهات القتال، وبالتحديد على مقربة من أحد حقول الألغام المبعثرة من قِبل كتائب القذافي، وذلك بهدف إعاقة حركة الثوّار.

كان ظهوره على شاشات التلفزة العالمية مفاجئاً لي ولأخوته، كونه لم يعلمهم بذلك ليحتاطوا ممّا هو مترتّب على ظهوره بالنسبة إليهم، ولكنّه فعلها دون أيّة حسابات لمن خلفه، ممّا دعاني للاتصال بأخيه عبد المجيد العرادي ودعوته للحضور إلى منزلي؛ وطلبت منه أن يبقي في منزلي ولا يخرج منه، كي لا تطوله أيدي الكتائب، ومع أنّه خرج منّي ليعود، ولكنّه لم يعدّ، فقلقت عليه كثيراً، إلى أن أبلغني أخي الدكتور أبو القاسم بأنّه خرج إلى تونس؛ فحمدت الله تعالى. وفي المقابل أبلغني أخي أبو القاسم بأنّ عبد الرؤوف العرادي يريد أن يعود إلى ليبيا؛ فقلت له: أبلغه بأن لا يفكّر في العودة إطلاقاً، وكان الأمر كذلك.

وعليه: لقد سَلِمَ عبد المجيد العرادي مرّتين:

الأولى: قبل خروجه إلى تونس بأيّام قليلة عندما كان واقفاً مع من كان معه أمام منزله؛ فإذا بسيارة من سيارات الكتائب ترميهم بالرّصاص؛ فسلم وأصيب من كان واقفاً بجانبه.

الثانية: لو تأخّر عن الخروج إلى تونس لكان في قبضة الكتائب.

أمّا عبد الرزاق فهو في الأراضي المحرّرة، يتنقّل كما يشاء ويتّصل بمن يشاء، مع العلم أنّ اتصالاته كما ابلغني أبو زيد دوردة هي تحت

التنصّت، ممّا دعاني إلى إبلاغ أخوته ليتمّ علمه بذلك، ويغيّر أرقام هواتفه، وينتبه جيداً لمثل هذه الأمور، وكما علمت قد تمّ إبلاغه من قِبل أخيه عبد الرؤوف العرادي.

وبعد أن أبلغني الأخ أبو زيد دوردة بأنّ كلّ ما يقوله عبد الرزاق العرادي في هاتفه هو بين أيدي الأجهزة الأمنية، عرفت أنّ المكالمات التي جرت بيني وبين عبد الرزاق لم تكن خارجة عمّا قاله أبو زيد.

فقلت، إذن يا أخ أبو زيد كلّ شيء بين أيديكم.

قال: هل يلحقك شكّ في ذلك؟

ولذا؛ فأسرة عبد الرزاق العرادي جميعها ثائرة، وكذلك حتى من ناسبهم كان ثائراً؛ فالدكتور وديع الترهوني نسيب الدكتور مصدّق العرادي، كان من المتميّزين مع الدكتور مصدق في دعم ومناصرة ثورة ١٧ فبراير، وعلى المستويين الداخلي والخارجي.

وعود إلى تلك المناقشات التي كانت تدور بين ثلاثتنا (الصلّابي والعرادي وعقيل) حول أثر الجينات الوراثية على شخصيّات الوارثين لها من خلال امتدادها من الآباء إلى الأبناء؛ فلا شكّ عندما يكون من هو على رأس الدولة محتكراً للسلطة وطاغية فيها، ستكون صفات طغيانه ظاهرة في أبنائه من بعده إن ورّثهم إيّاها، ولذا فعندما يورّث الطاغية سلطته لأبنائه تصبح صفاته من بعده هي الصّفات الظّاهرة عليهم جميعاً، ويصبح أمر الوطن بدل إن كان بيد طاغية واحدٍ، بين أيدي عددٍ من الطاغين.

وعليه: اتفقنا لا توريث للسّلطة في ليبيا، وأنّ كلّ من استولى على السلطة بالقوّة لا يزيد عن كونه لصّاً، ولذا لا ينبغي أن يورّث المسروق لسارق، بل يجب أن يعاد المسروق لأهله الشّرعيين. ولهذا سيظل السّارق سارقاً سواء أكان سارق سلطة أم أنّه سارق ليمونة. ومن هنا

اعتبرنا استعداد سيف وأخوته بدون استثناء لخلافة أبيهم، لا يختلف عن استعداد سرَّاق الليمونة، ولكم قصّة سرقتها:

قرّر مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشّجرة، كلّ وفق الفرصة التي تُمكِّنه من النجاة بها.

فالأول قرَّرَ السّرقة وقُبِضَ عليه لصّاً بعد أن حاول الفرار.

والثاني قرَّر السرقة عند منتصف النّهار، وفي قراره أنّه سيسرق الليمونة عندما يأتي الليل، وعندما جاء المساء علم بأن الأوّل قد قُبض عليه أثناء قيامه بسرقة الليمونة المستهدفة، وبالتّالي الليمونة التي يودّ سرقتها قد سُرِقت، ممّا جعل قراره معلّق التنفيذ. أنَّه في هذه الحالة ووفق المدركات العقلية مثله مثل السّارق الذي قُبض عليه قبل أن يغادر الحدود. ولا فرق في هذه الحالة بين السّارق الأوّل والثاني، إلّا أنّ الأوّل قد نفَّذ قراره ولم ينجُ، والثاني لم تُتَحْ له فرصة التنفيذ، وقد يعتقد البعض أنّه خالٍ من عيوب السّرقة. ولكن لو لم ينفِّذ الأوّل قراره في ذلك اليوم، يجوز أن يكون الثاني هو السّارق الذي قُبض عليه.

أمّا الثالث فهو الذي قرَّر سرقة الليمونة، بعد أن يقتل الحارس.

والرابع قرَّر سرقة الليمونة، إلّا أنّ الخوف قد غلب عليه، ولذا فهو لا يختلف عن سابقيه. أنّه سارق، ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكابه فعل السّرقة. لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم ولا الأعراف، ولا الدين، بل شيء أخر أنتج عنده الخوف.

وعليه تعدّ الليمونة في كلّ الحالات مسروقة، وتعتبر سُرِقت من الجميع منذ أن اتخذ كلّ منهم قرار سرقتها، ولكن عندما أذّن المؤذن (الله أكبر. .. الله أكبر... الله أكبر) استيقظ المصلّين الذين هم عن صلاتهم غير ساهين؛ فحق الحق ودمغ الباطل فإذا هو زاهق، ولذا بقيت شجرة الليمون ضاربة جذورها في الأرض، ومنها الجميع يقطفون ما يشتهون.

المحطّةُ الثالثة

صراع المناورات

الدكتور

البغدادي المحمودي

بعد يومٍ من تلك المقابلة الملعونة وهو يوم ٢٠١١/٣/٢٤م أتصل بي الدكتور البغدادي المحمودي، وقال نريدك أنْ تمر عليّ الآن في مكتبي، فقلت له: سآتي إليك، مسافة الطريق.

مسافة الطريق اتصل بي الدكتور البغدادي أنت أين؟

أجبته: على مقربة من مكتبك.

دخلت على مكتب الدكتور البغداي، وجدّت معه الدكتور عبد الحفيظ الزليطني وهما جالسان في المكتب الجانبي، أخذني من يدي إلى مكتبه الرئيسي ولحظة دخولنا إليه جاءه اتصال شغله باتصالات أخرى، يبدوا أنها كانت مترتّبة على ذلك الاتصال؛ فعدت إلى المكتب الجانبي انتظره؛ فدخل فجأة عبد القادر البغدادي ومصطفى الزايدي ومعهم الطيب الصافي الذي لم يكن بعد في ذلك التاريخ ٢٤ مارس نائباً لرئيس الوزراء الدكتور البغدادي المحمودي؛ وقفنا سويّا وهم يقدّمون اللوم لي بقولهم:

أنت أين؟

لماذا غائب؟

هل أنت من المنشقين؟

قلت: ينشق الذي لا زال في الحكومة أو في مكتب اللجان الثورية، أمّا أنّا فالحكومة لم أكن عضواً فيها منذ ٢٠٠٩م، ثمّ خرج ثلاثتهم وهم يقدّمون لي الدعوة بقولهم نحن في الطابق الرّابع فهيّا معنا؛ فمسكت الطيب من يده واستوقفته قليلاً حتى خرج الدكتور عبد القادر البغدادي والدكتور مصطفى الزايدي، جلسنا في أحد زاويا المكتب وأنا أقول للطيب كيف الأخبار هناك، ما موقفك؟ أوعى أن تعمل قطيعة مع أهلك في طبرق وبنغازي؟ وبدأت أنصحه بكل وضوح أنَّ التاريخ لا يرحم، ولا يليق بك يا طيب أن تقدم على عمل يمكن أن تدان به يوماً

من الأيام، وهو يؤكّد لي بقوله: (كن متهني لن نعمل ما يسيء لأهلي وبلدي). وكثيراً من النصائح قلتها له دون أن انتظر منه إجابة لأني غير متوقّع أن يكون بكامل وعيه مع الطاغية وأهله في الأرض المحرّرة، وبإمكانه الالتحاق بهم.

جاء الدكتور البغدادي وأخذني إلى مكتبه الرئيس وهو يسأل: أين كنت بالأمس؟ طول اليوم والجماعة يبحثون عنك؛ فقلت له كنت في الجنوب، ولكني قابلت سيف؛ فقال: متى قابلته؟

قلت: الليلة البارحة.

قال هل قال لك كلّ شيئاً؟

قلت: قال، ولكن ما أدراني أنّه كلَّ شيء.

قال: (هم يبوك تمشي إلى جماعتك لتحاورهم في الأمر).

فسألته: ومن هم جماعتي؟

قال: جماعة المجلس الانتقالي في بنغازي.

قلت له: لم يقل لي سيف هذا الموضوع؛ فقال: إذن ماذا قال لك؟ فأعدت له ما قاله سيف لي؛ فقال: لا. (هم يببوك تمشي تشبح الجماعة وتفاوضهم).

ثمّ وضّح لي بأنّه التقى مع معمّر القذافي وابنه سيف بهذا الخصوص؛ فقال لي هم يعرفون أنّك على علاقة ممتازة مع مصطفى عبد الجليل والصلّابي ومحمود جبريل، ولهذا فهم (يبّوك تمشيلهم).

فقلت له باعتباره أخ أكثر من كونه صديق، وما هي الأوراق التي سأحملها معي لأفاوضهم بها؟

قال: (يا ريتك تمشي لهم وتستمع إلى وجهات نظرهم أوّلاً).

قلت: الأمر تجاوز وجهات النظر؛ فلو كانوا يتناقشون على فكرة ما، يمكن لي الذهاب إليهم ومناقشتهم فيها، ولكن هم اليوم يا دكتور البغدادي قد حرّروا نصف ليبيا؛ فكيف أذهب إليهم لأتعرّف على وجهات نظرهم! ولكن إذا عندكم حلّ ببدائل فإن قبلته سأذهب إليهم.

قال: هناك حلّ بثلاثة بدائل.

ثلاثة بدائل

من

القذافي للتفاوض

عرض عليّ الدكتور البغدادي المحمودي ثلاثة بدائل مقرّة من القذافي للتفاوض مع رئيس المجلس الانتقالي الأخ مصطفى عبد الجليل، والدكتور علي الصلابي، والدكتور محمود جبريل، ومن نعرف من قيادات الثوّار سواء أكانوا في بنغازي أم أنّهم في الخارج، وتلك البدائل هي:

البديل الأوّل:

قال الدكتور البغدادي المحمودي أن يوضع دستور يحدّ من صلاحيّات معمّر القذافي، ويجعله إمبراطوراً مثل إمبراطور اليابان؛ وهذا الأمر يا أخ عقيل يحفظ ماء الوجه لمعمّر، ويخرجه من السلطة؛ فما رأيك؟

ضحكت باستهزاء دون أن أفكّر في أنّ الدكتور البغدادي سيلعب بي أو يبيعني، وذلك لحسن العلاقة معه ومع حياة أخيه المرحوم الحاج أحمد المحمودي، الذي يعدّه الدكتور البغدادي في مرتبة أبيه، وكذلك لأنّ بيني وبينه أسراراً سأذكرها لاحقاً.

قال: لماذا تضحك والأمر جدّ!

قلت: هل هذا الوقت يا دكتور البغدادي وقت إمبراطوريات، وليبيا مقسومة على نصفين؟

قال: (ايش فيه، ألم تكن اليابان دولة متقدّمة؟ وها هي ذات إمبراطور وفقاً للدستور الذي ارتضاه الشعب الياباني)، وهنا وكأنّه يودّ أن يقول لي: نحن لم نكن أفضل من اليابان.

قلت: حتى ولو ارتضى الثوّار هناك في بنغازي بهذا الأمر؛ فأنا لا يمكن لي أن أرضى به؛ فزمن الإمبراطوريات يا دكتور بعد الثورات العربية قد ولّى، وسيظل الحديث عنه معيباً.

قال: الظروف صعبة وعلينا بتيسير الأمور، ومن يستطع أن يعمل شيء من أجل ليبيا يجب أن يقوم به؛ فلا داعٍ للتأخير يا دكتور عقيل، ولا داعٍ لأن تقفل الأبواب.

قلت: أنا لا استطيع، وإذا كان هذا رأيك فعليك يا دكتور البغدادي بغيري؛ فأنا لا أفيدكم في هذه المهمّة.

البديل الثاني

قال الدكتور البغدادي: (باهي ما رأيك في الصندوق)؟

قلت: تقصد أنّ الذي يخرجه الصندوق الانتخابي يخرج من الميدان؟

قال: نعم.

قلت: موافق، ولكن لي سؤال قبل أن أذهب إلى الأخوة هناك.

تفضّل.

وتحت إشراف من سيكون هذا الصندوق.

احتبست الكلمات قليلاً بين شفته ثمّ قال: بوجود معمّر القذافي؛ فقلت: هذه (أشكارة الفئران) وليس بالصندوق الانتخابي.

قال: يمكن أن تكون منظمات دولية حاضرة، وتتولى مهمّة الإشراف والمراقبة بكلّ شفافية.

قلت: وإن حضرت هذه المنظمات الدولية؛ فلن تكون إلّا في حضرة معمّر القذافي، وهذه أكبر لعبة؛ فلا يليق بي يا دكتور دخول ميادينها. لقد انتهى زمن التحايل بعقول النّاس، كما انتهى زمن التلاعب بمصائرهم، وعليك يا دكتور أن لا تكون غافلاً.

البديل الثالث

قال الدكتور البغدادي المحمودي: ما رأيك في سيف؟

قلت: لا تحدّد لي أحداً من الأولاد بعينه، ولكن أعطني الأولاد وحدة واحدة، ولعلّهم يقبلون التفاوض على أحدٍ منهم.

قال: لا يوجد من بين الأبناء من هو أفضل من سيف، وأنت تعرفه أفضل إخوته، ولديه مشروع قابل لأن يُفعّل.

قلت: سيف حتى أنا لم أعد أقبله؛ فهو ممثل ليس إلّا، وكشف عن وجهه الدموي مثله مثل أبيه.

قال: من الذي ستعتقد أنهم يقبلون التفاوض عليه.

في ذلك الوقت قلت له: لعلّ الأخوة هناك في بنغازي يقبلون بالتفاوض على محمّد.

قال: محمّد نحن لا نريده (فهمت منه بقوله نحن لا نريده أنَّ الضمير يعود على القذافي وابنه سيف).

قلت: إذا أردتم كفّ الدماء يا دكتور بين الليبيين؛ فعليكم بمعرفة الحقيقة إنّكم أصبحتم تلعبون على أرضٍ ليست بأرضكم، فأنتم وللأسف الشديد تشترطون في الزّمن الذي فيه أنتم لا بديل لكم إلّا قبول الاشتراطات عليكم، وإن لم تقبلوا بذلك فأنا لا أستطيع الذهاب إلى الأخوة هناك، وعليكم بغيري إن وجدتم من يَقبل بذلك ويُقبل هناك.

أخذت الدكتور البغدادي من يده إلى ركنٍ من أركان مكتبه وأنا أقول له وجهاً إلى وجه: (موش زمان كنت أكثر من مرّة تحاول أن تهرب، وأنا أقول لك: لم يحن وقت هروبك بعد، وعندما يأتي وقته لكلّ حادثٍ حديث) فلم يجبني بنعم، نظرت إليه بتمعّن وكأني أودُّ أن أدخل قلب

عينيه، من أجل أن يقول نعم باعتباره يعرف ذلك حقيقة دامغة، ومع ذلك فلم يقلها.

قلت هل نسيت يا دكتور البغدادي من الذي كان سيرتّب لك الطائرة وأنت ثلاث مرّات تحاول الانشقاق عن القذافي ونظامه؛ فقال على الفور هي نخرج من اللجنة الشعبية العامّة، وأخذني من يدّي وهو يقول هيّا بنا هيّا.

حينها تذكّرت أنّ كلّ شيء قد سُجّل، وذلك لمعرفتي السابقة بأنّ كلّ شيء يدور في اللجنة الشعبية العامّة لابدّ وأن يسجّل، وهذا روتين أصحاب المهام الأمنية، ولا أقصد بذلك أنّ البغدادي قد تعمّد التسجيل؛ فالبغدادي أكثر معرفة منّي بما يجري في أروقة اللجنة الشعبية العامّة، كما أنّه يعرف ما يمكن أن يُعرض عليه من تسجيلات، وما لم يعرض عليه من تسجيلات، أي أن التسجيل عليه لا يمكن أن يعرف حقيقته، ولكن التسجيل على الجميع في مقرّ اللجنة الشعبية العامّة هو أكثر دراية به، ومع كلّ ذلك لم أكن مبالياً بما جرى، ولكن لأنّ البغدادي يعرف أنّ كلّ شيء قد سُجّل، والأمر قد يلبسه التهم المباشرة؛ فأصرّ على خروجنا من مقرّ اللجنة الشعبية العامّة؛ ممّا دعانا للخروج على وجه السرعة.

ركبنا سيارتي، وطلب من سائقه أن يتبعنا، كنّا وحدنا، أنا أقود سيارتي، وهو بجنبي يعيد كلّ ما دار بيننا محاولة منه لعلّي اقتنع؛ فوجدني أكثر إصراراً وأكثر تمسّكاً، واعتقد أنّني كنت أكثر صراحة.

أعدتُ ذلك السؤال ثانية عليه بعد أن قطعه بقوله هيّا بنا نخرج من مقرّ اللجنة الشعبية العامّة؛ فقلت: (موش كنت يا دكتور البغدادي تبي تخرج منشقّاً من البلاد كلّما قُدّمت لك الإهانات من القذافي أو أبنائه، وأنا أقول لك (ميزال لم يأتِ وقتها)؟

قال نعم.

قلت: جاء وقتها؛ فأرجوك أن لا تضيّع هذه الفرصة التي هي الآن بين يديك، فرصة تجعلك تسجّل تاريخاً يحترمك عليه كلّ الليبيين، تاريخاً يجعل والدك في قبره مسروراً؛ فما رأيك.

قال: أنا لا أخون.

بهذه الإجابة استوى الأمر عندي؛ فقلت: وماذا نسمي محاولاتك تلك للهروب التي كنت أنا أنهاك عنها كونها في غير وقتها، هل تلك المحاولات نسميها يا دكتور مواقف وفاءً! أم ماذا نسميها؟

وللعلم كانت جميع تلك المحاولات الثلاثة هي قبل ثورة ١٧ فبراير ٢٠١١م؛ فكلّها كانت في العام ٢٠١٠م

ثمّ قلت له: أنت قلت لا نخون، سامحني أنت لا تخون من؟

قال: لا أخون معمّر القذافي.

أوقفت سيارتي، وقلت: إذن أنت أكبر خائن للوطن.

فتح باب السيارة ونزل وهو يقول لي: (إنشاء الله نلتقي في الجنّة).

قلت يا دكتور: أنت أخي، وليس لي موقف ضدّك، بل لك مكانة رفيعة عندي؛ فأنا موقفي لم يكن مخفيّاً عليك، وأنت كنت قبل أشهر معي في موقفي ضدّ القذافي؛ فما الذي جرى؟

أنا موقفي يا دكتور من رأس النظام، ولكن بما أنّك وصلت إلى هذه النتيجة سامحني، وأنت حرّ فيما ترى، وعليك بردّ باب السيارة، ومع أنّني قلت له ما قلت، إلّا أنّ قلبي كان عليه يدمي؛ فركب سيارته التي كانت تتبعنا طوال حركتنا التي استمرّت مجادلاتها ما يقارب من (٤ ساعات) مكتباً وسيارة، وكان الوقت آن ذاك الساعة الخامسة إلّا ربعاً عصر يوم ٢٤ مارس ٢٠١١م.

في ذلك اليوم رأيت المسافة بيني وبين الخطر أصبحت تُطوى؛ فاتّصلت بهاتف عبد الله السنوسي الذي لم يجب.

وعود على تلك المحاولات الثلاث التي أعلنها لي الدكتور البغدادي المحمودي للفرار خارج ليبيا من القذافي ونظامه، كنت في ذلك الوقت أقنعه بعدم الإقدام عليها، ونطلب منه تأجيلها إلى أن تحين الفرصة المناسبة لذلك، أقول:

تعرّض الدكتور البغدادي إلى كثيرٍ من العقوبات الشديدة من قبل معمّر القذافي وأبنائه دون تخصيص، ولكن على رأسهم المعتصم وسيف؛ فقد داهمت الشرطة منزله بأمر من القذافي للسيد النائب العام محمّد المصراتي لتفتيشه، دخلوا فناء المنزل، والسيد البغدادي المحمودي في مكتبه يمارس مهام رئيس الوزراء المسؤول الأعلى على الشرطة التي جاءت مأمورة لمداهمة منزله، وهو لم يبلّغ بشيء من قبل مرؤوسيها، حتى فوجئ بهاتف من منزله ينادي (هناك مداهمة بالقوّة للمنزل من قبل الشرطة)، أخذ حاله مسرعاً وسلاحه معه، كاد أن يقتل أحد الضباط لولا تدخل البعض ممّن كان حاضراً، ومناصراً للدكتور البغدادي المحمودي وحرمة منزله.

اتصل بي مساءً بصوت خافت تكاد الآلام أن ترتفع به لولا محاولاته ضبط نفسه؛ فعرفت أنّ مشكلة ما ألمت به كما هو معتاد بين الحين والحين؛ فأسرعت بالحضور إلي منزله؛ فأخبرني بما جرى، وبعد خروج الدكتور محمّد أبو عجيله وزير المواصلات الأسبق الذي وجدّته معه، بدأ ما في نفسه يطفو وهو يقول: (خلاص يا دكتور عقيل، لن أبقى معهم هؤلاء مافية، لا أخلاق لهم، وكثيراً من عبارات الشّتم للقذافي ومحمّد المصراتي (النائب العام)، ثمّ قال: لن أسمع منك اليوم نصيحة، لقد قرّرت مغادرة البلاد، وبالتالي قرّرت أن أبلغك بذلك باعتبارك أخ أكثر من كونك صديق، وأرجو أن لا يسمع بذلك عبد الله السنوسي؛

فهذه خصوصية معك أنت فقط، ومن أجل السلامة فلا داعي لأن يسمع بذلك أحد، وقال: لقد سمع عبد الله بأمر مداهمة منزلي، وجائني متأسفاً هو وسيف، ولكن لن أعود عن قراري، سأغادر البلاد إلى دولة آمنة أتنفّس فيها الحرية (يزيني من ها الاستعباد).

قلت: الأمر يعود إليك، ولكن هل تعتقد أنَّ هناك بلداً آمناً أمام النقود التي يمكن أن تُدفع لإعادتك مثل السيد عمر المحيشي؟

قال: لي علاقات جيدة مع بعض الرؤساء وعلى رأسهم الرئيس بوتن.

قلت: رأيي لا تتحدّاهم في هذا الوقت، ولكن عليك بعدم نسيان هذه الكارثة، وعندما تحين الفرصة؛ فعليك بها.

قال: لقد أبلغتك؛ فأنا غير متردّد، وسامحني لن آخذ بنصيحتك هذه المرّة، وستعرف لاحقاً أين سأكون إذا رغبت الالتحاق بي.

قلت: على أيّة حال فكّر وأنت تفكّر فيما أنت تفكّر فيه، حتى لا تخطأ مرتين في وقت واحد.

قال: لقد فكّرت جيداً، وهذا قراري النهائي.

هدأت الأنفس باتصالات سيف وعبد الله السنوسي وبعض من الأصدقاء، وعاد الدكتور البغدادي المحمودي لعمله نشطاً لمدّة من الزمن، ثم انتكس بصدام شديد وغير محترم من قبل معتصم القذافي؛ ففتح البغدادي ثانيةً باب الخروج من البلاد على مصرعيه، حتى بلغ الحال به دعوة ابن أخيه عبد المجيد أحمد المحمودي للبلاد، وذلك ليرتّب معه كيفية وصول طائرة لنقله من أقرب نقطة حدودية مع تونس، ولكن قبل أن يعود ابن أخيه إلى سويسرا حيث يقيم، عدل الدكتور عن رأيه وأبلغني بقوله الموضوع تأجّل.

هذا الموضوع ربطّته بقضية أبغض الحلال عند الله؛ فالبعض يقرّر طلاق زوجته عند ساعة غضب، ثم يعود متأسفاً على نفسه التي دعته أن يفكّر في هذا الأمر، ممّا يجعله قابلاً لتقديم المزيد من التنازلات إليها.

استأنف عمله بكل حيوية، واتسعت الاتصالات به والمقابلات مع القذافي وأبنه سيف؛ ثمّ لُطم لطمة مفاجئة، بقول سيف له أنت غير صالح لتحمّل المسؤولية معي، ثمّ قدّم له ما قدّم من العبارات التي لا تقبلها نفس البغدادي؛ فغضب من جديد، وعاد لفتح ذلك الباب؛ فقلت له: لا تغضب أنسيت يا دكتور ما قلت لك يوم أن فرحت بكلمة القذافي التي ألقاها في مدينة سبها، حينما أعلن أهمية ابنه سيف في تولي السّلطة من بعده وهو يرى أنّه لا غيره يمكن أن يكون وريثاً للحكم في ليبيا؟

قال: نعم لقد عاد بي عقلي إلى تلك القصّة التي رويتها لي يا دكتور عقيل بعنوان: (لا زال الحصان الأبيض على قيد الحياة مع أنّ الأسد قد أكله)

وطلب مني إعادة القصّة كاملة عليه، ليخزّنها هي كما هي في ذاكرته.

قلت:

تعيش في غابة جميلة ثلاثة جياد وأسد، ممّا جعل العلاقة فيها بين طرفين قويين الأسد كقوّة منفرة، والجياد كقوّة متّحدة، ومع الزّمن أصبح الصراع بينها حتمياً، خاصّة وأنَّ الأسد لم يجد صيداً غير التوجه إلى العمل على تفرقة الجياد لينفرد بها واحداً واحداً، وذات يوم والجياد ترعى على مسافات ليست متقاربة، اتصل الأسد بالحصان الأبيض، وهمس له في أذنه قائلاً: كم أحبُّك أيّها الحصان الأبيض، وأرغب أن تكون بيني وبينك صداقة، تجعل بيننا قوّة في هذه الغابة، وأتعهد على ضوءها بحمايتك إلى النهاية، شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان

الأسود، وهكذا اتصل بالحصان الأحمر، وقال له: كم أحبّك أيّها الحصان الأحمر، وأريد أن تكون بيني وبينك صداقة تجعلني أقدم إليك الحماية والرعاية ما حييتُ، شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان الأسود.

وعندما تحصّل الأسد على موافقة الجوادين، حدّد ساعة الصفر، وأنقض على الحصان الأسود؛ فأكله، وبعد مدّة جاء إلى الحصان الأبيض مرّة ثانية، وقال له: يا صديقي العزيز، أودّ أن أجدّد وثيقتنا كصديقين من أجل حقّك عليّ في الحماية ما دمت حيّاً، شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان الأحمر، فوافق الحصان الأبيض على تجديد وثيقة الصداقة والحماية بينهما، وبعدها توجّه الأسد إلى الحصان الأحمر، وافترسه؛ فكان الضحيّة، وبعد مدّة قصيرة جاء الأسد إلى الحصان الأبيض (الصديق الوحيد) وهو ينشد:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

حينها قال الحصان الأبيض للأسد: لم يبق ما يخيفك من أكلي؛ فأنا الذي قُتلت يوم أن وافقتك على أكل الحصان الأسود.

ولسائلٍ أن يسأل:

ما هو المثال الذي يمكن أن يأخذه البغدادي من تلك القصّة.

أقول:

كنت أقصد بالجياد الثلاثة (عبد السلام جلود، وعبد الله السنوسي، والبغدادي المحمودي) حيث قلت: للبغدادي المحمودي بعد عودته مباشرة من سبها، في تحليلي المنطقي أنّ تمكين سيف من السلطة سيكون الطامة على البلاد، وستكون أنت وعبد السلام جلود وعبد الله السنوي أوّل الضحايا التي سيهاجمها معمّر واحداً بعد الآخر، لأنّ معمّر لا يمكن أن يترك من بعده عبد السلام جلّود يصول ويجول إلى

جانبك وعبد الله السنوسي، وستكون البداية بالرائد عبد السلام جلود، الذي سيجعلكما معمّر القذافي (أنت وعبد الله) رأس حربة للتخلّص منه، ثمّ يأتي الدور عليك ومن بعدك عبد الله، من بعدها يطمئن قلب معمّر على سلطة أبنه سيف، هذا بالنسبة لتفكير معمّر، أمّا لو سألتني عن رأيي؛ فأقول: فلسفتي كما تعرفها يا سيد الدكتور: هي: (المتوقّع وغير المتوقّع دائماً متلازمين)، ولذلك ستكون الضربة القاسمة لمعمّر من وجهة نظري ستكون من وسط دائرة الممكن غير المتوقّع. ذلك لأنّ المتوقّع بالنسبة لمعمّر يعرفه وحاسب له الحسابات، أمّا غير المتوقّع فهو القاصر عن معرفته، وهو مكمن الحلّ إن شاء الله تعالى.

بعد إنصات قال الدكتور البغدادي: والله ما قلته حقّ؛ فهو دائماً مرعوب من الرائد عبد السلام جلود، ولكن أنا وعبد الله لا يمكن أن نكونا رأس حربة لمعمّر القذافي تستخدم ضدّ الرائد عبد السلام جلّود.

قلت: عندما يحين الوقت فإن لم تفعلا، فسيُرتِب معمّر أوراقه بتقديم نهايتكما على نهاية عبد السلام جلود، وفي النهاية الانفراد بالضحية في الغابة دائماً في دائرة الممكن المتوقّع سيكون متزامناً مع أنشودة الأسد لذلك الحصان الأبيض بقوله:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

البغدادي المحمودي يخطب

لسيف

ابنة الرئيس بوتن

بعد يومٍ من إعادة روايتي للدكتور البغدادي المحمودي قصّة (لا زال الحصان الأبيض على قيد الحياة مع أنّ الأسد قد أكله) جاءني الدكتور

البغدادي بخبر ومعنويّاته كما يقولون وكأنّها في السماء، كان هذا الخبر في ذلك الوقت سرّاً من الأسرار المتعلّقة بالقذافي وأبنه سيف، وهو:

أنّ القذافي استدعى الدكتور البغدادي المحمودي، وطلب منه السّفر إلى روسيا لمقابلة الرّئيس بوتن، الذي حُدّد له موعد مسبق معه، وذلك ليتقدّم له باسم القذافي خاطباً أبنته لأبنه (سيف).

كان البغدادي متحمّساً لهذه المهمّة، وهو يسألني: ما رأيك؟

قلت: هل عقمت ليبيا، وإلّا أنّ بنات ليبيا لا تليق بالسيد سيف! ومع ذلك خذها منّي يا دكتور البغدادي ستكون عائداً بما ستذهب به (طلب في مقابل رفض)؛ فلا يمكن أن تتمّ هذه الجيزة بهذه الطريقة؛ فالعلاقات عند الغرب علاقات حرّة، وأنتم ترونها وكأنها علاقات نجع من نجوع البادية والأسر المحافظة في ليبيا.

سافر البغدادي إلى روسيا في رحلته العاجلة بالطائرة الخاصّة للقذافي، وقابل الرّئيس بوتن هُناك، وبدأ الدكتور البغدادي حديثه كرئيس وزراء لليبيا مع الرئيس بوتن بالحديث عن أهميّة العلاقات التاريخية بين البلدين، وأهمية انفتاح جميع سُبل التعاون بين ليبيا وروسيا من أجل مستقبلٍ مشتركٍ للبلدين، مع توضيح المكانة الرفيعة للرئيس بوتن عند القذافي. ثمّ بدأ بعرضه الخاص كونه المكلّف الرّسمي لتلك المهمّة الخاصة؛ فبدأ أوّل ما بدأ حديثه بتقديم الإغراءات للرئيس بوتن بالطريقة الشرقية الاستعراضية، وذلك بتفضيل شركات الرئيس بوتن على جميع الشركات العالمية وإعطائها عقوداً واسعة وكبيرة في ليبيا، ثمّ تلاه بقوله أنّ المهندس الدكتور سيف القذافي له الرّغبة الكافية بخطبة ابنتكم الكريمة، ولهذا كلفني الأخ القائد بالحضور إليكم لأبلغكم تحياته وفرحته الكبرى التي ستتم بموافقتكم ومباركتم لهذه الخطبة التي بلا شكّ هي مباركة، ثمّ واصل حديثه كما أخبرني بتوضيح أهميّة هذه المصاهرة التي ستكون فاتحة خير على الأسرتين والشعبين؛ ممّا يجعلها سبباً في تقوية

العلاقات الخاصة بين القذافي وأسرته، والرئيس بوتن وأسرته، ومن ثمّ تقوية العلاقات بين الشعبين الليبي والروسي، هذا إلى جانب تقديم الهدايا الخاصّة بهذه المناسبة، إلّا أنّ الرّئيس بوتن بعد أن استمع لهذا الحديث الشرقي، كان رافضاً لكلّ ما تقدّم به الدكتور البغدادي المحمودي فيما يخصُّ خطبة ابنته، ولم يقبل أن ترتبط خطبة ابنته بمستقبل روسيا، أو بعروض مادية خاصّة، ولهذا قال الرئيس بوتن للدكتور البغدادي على الفور، وبشكلٍ قاطعٍ: في بلدنا حرّية الاختيار مرتبطة مع حرّية الإرادة؛ فابنتي لها اختياراتها الحرّة، وأنا لا يليق بي أن أوافق على هذه الخطبة، وعليك بتبليغ تحياتي للقذافي.

عاد البغدادي بخفّي حنين، وبدأ يقدّم النصائح لسيف القذافي من أجل أن يتزوّج بأميرة من بنات الأمراء في قطر أو الإمارات المتحدة، أو أيّ دولة فيها أميرات، وهذا هو الأخر كان فرصة مفتوحة في نفس سيف القذافي، ولكن ثورة ١٧ فبراير كانت العرس الذي ما بعده عرس؛ فعمّت الزغاريد عموم ليبيا بقبض ثوّار الزنتان ومن معهم من ثوّر الجنوب على سيف القذافي، وهو في محاولة للهروب إلى النيجر وأصابعه الثلاثة التي كان بها يتوّعد الليبيين مقطوعة الأطراف.

ولسائلٍ آخر أن يسأل أو أن يُفسِّر:

لماذا أختار القذافي الدكتور البغدادي المحمودي من يتولى أمر الخطبة لأبنه سيف من ابنة الرئيس الروسي بوتن؟

هل لأنّه رئيس حكومته؟ أم لأنّه كما يقول البعض أنّ البغدادي المحمود تعود جذوره العائلية لذات العائلة التي ينتمي القذافي إليها (عائلة بن نائل القحصيّة)؟

أقول:

البغدادي دائماً يتحدث معي عن تلك العائلة التي يودّ القذافي أن يشدّه إليها شدّاً، بأنّه لا علاقة له بها، لا من قريب ولا من بعيد، وهو يقول حتى ألف جدّ لا يلاقي بيني وبين هؤلاء الخنازير.

وأنا حسب ما أعرفه، أعرف أنّ جذوره الاجتماعية تعود إلى قبيلة المقارحة، وهذا ما يهمس به لي همساً احتراساً منه حتى لا يُسمع من قِبل القذافي الذي سعى إلى ضم قبيلة النوايل إلى أسرته، أمّا حياة أخوه الحاج أحمد المحمودي رحمه الله لم يخف ذلك إذا ما تصادف حديثاً بيننا مصادفة، أمّا والدهما رحمه الله الذي كان من رجالات العهد الملكي، وهو المرجعية الاجتماعية لقبيلة النوائل، فقد صرّح بانتمائه أمام الجميع يوم أن التقت قبيلة القذاذفة بقبيلة النوائل، في احتفال خاص بالقبيلتين بمدينة الجميل، وذلك عندما طُلب منه أن يوقّع على وثيقة إثبات النسب للقذاذفة؛ فرفض، وقال: لأبنه الحاج أحمد: كيف يمكن لي أن أوقّع على ذلك وأنا أعرف جذوري تمتدّ من قبيلة المقارحة؟ ولكن يا أبني إذا كنت تودّ أن تتجنّب وأخوتك المخاطر التي ستترتّب على امتناعي عن التوقيع فأنتم أحرار، ولكن هذه هي الحقيقة.

عرف الجميع الحقيقة، وقبِل الحاج أحمد المحمودي رحمه الله أن يكون من بين الموقّعين على الوثيقة تفادياً للمخاطر.

وعليه: فالدكتور البغدادي المحمودي يعرف الحقيقة قبل غيره، ولكن للضرورة أحكام؛ فهو رئيس الوزراء الذي لم يعمّر مثله معمّرٍ من الذين سبقوه لتولّي مناصب رئاسة الوزراء في نظام القذافي.

ولمعرفتي بالدكتور البغدادي أعرف أنّه لم يكن مقتنعاً بالقذافي، ولم يكن مقتنعاً بابنه سيف، ولا يقبل أن يكون مرتبطاً مع أيّ منهم دون استثناء في علاقات اجتماعية خاصّة.

فذات مرّة تكلّمت زوجة القذافي صفية فركاش مع زوجة الدكتور البغدادي (وذلك حسب ما قاله لي الدكتور البغدادي) تحدّثت معها عن خطبة أحد بناتها لتكون زوجة لأحد أبنائها، ولكن عندما أُخبر الدكتور البغدادي بذلك من قبل حرمه المصون، كان منزعجاً من هذا الخبر؛ فقال لي والله لن أعطيها لأيّ منهم؛ فهؤلاء مجانين، وكيف يمكن لي أن أخرج من هذه المصيبة؟

قلت: قل لحرمك المصون أن تبلّغ صفية بأنّ ابنتك مخطوبة من قِبل أحد أبناء عمّها.

قال: ولكن لقد تقدّم لي أحد الأصدقاء بخطبتها، ولم أجبه حتى الآن بنعم ولا بلا؛ فقلت: دون أن أسأله عمّن يكون ذلك الصديق، حان وقت الإجابة بنعم، مع الإسراع في إتمام إجراءات الزواج، وليس بالتوقّف عند حدّ إتمام إجراءات الخطبة. فأسرع الدكتور البغدادي إلى إتمام ذلك بوجه السرعة.

وعليه: لم يُكلِّف معمّر القذافي الدكتور البغدادي المحمودي بالذهاب إلى موسكو لمقابلة الرئيس بوتن من منطلق اجتماعي، بل من منطلق أنّ الحكومة الليبية التي رئيس وزرائها الدكتور البغدادي المحمودي هي التي تتقدّم إلي الرئيس بوتن لتخطب ابنته لأبنه سيف.

أمّا علاقة قبيلة النوائل بعائلة النائلي في سرت؛ فخير من يعرف حقيقة تلك العلاقة المزعومة هو من تعمّد تزويرها وهو (القذافي)؛ فهو يعرف أن قبيلة النوائل قبيلة عربية عريقة أصيلة، وعدد المنحدرين منها كبير، وتاريخها نظيف، ولا علاقة لها بنسب القذافي لا من قريب ولا من بعيد، ولذلك لا يمكن أن تكون تلك القبيلة الكبيرة العريقة هي جزء من تلك العائلة الصغيرة (عائلة بن نائل في سرت) التي قال القذافي أنّه ينتمي إليها، هذا إذا كانت هناك مصادق لهذا الانتماء. ولكن دائماً كلّما رفع القذافي شعاراً؛ فهو أوّل من يخالفه، ولهذا نلتمس له من هذا

الجانب عذراً؛ فهو في ذلك الوقت كان ينادي بالقومية والوحدة العربية، ولهذا لابدّ له أن يقدم على كلّ ما من شأنه أن يخالف ذلك بالتّمام على أرض الواقع، ممّا دعاه إلى الإقدام على إعلان الوحدة العائلية المحقّقة لطموحه على أرض الواقع بين العائلة التي ينتمي إليها، وبين قبيلة النوائل سادة الصحراء.

وعليه: فالدكتور البغدادي المحمودي الذي أنهى بقية أيّام عمره منحازاً لنظام القذافي، هو في حقيقة أمره غير مقتنعاً بالقذافي، ولا بأبنائه، ولا بنظامه، ولا بألاعيبه وتشويهه للعلاقات الاجتماعية بين القبائل والقبائل، وبين العائلات والعائلات. ومع ذلك وللأسف الشديد انطبق عليه قول الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرءُ يُدركه ... تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

عبد الله السنوسي

في ذلك اليوم ٢٠١١/٣/٢٤م بعد أن انقطعت علاقتي مع الدكتور البغدادي المحمودي، اتصلت بهاتف عبد الله أمحمّد السنوسي ولم يجب. اتصلت بهاتف أخيه الدكتور احميده السنوسي، بعد تقديم السّلام سألته: أين عبد الله؟

قال إنّه في المكتب؛ فقلت له لم يجب على هاتفه.

قال: يمكن أن يكون نائماً بأسباب التعب والسهر؛ فقلت له يا دكتور أنت أين؟

قال في منزلي.

قلت له من فضلك انتظرني أمام الباب أنا قريب من منزلك. وجدت الدكتور احميده ينتظرني أمام باب منزله؛ فقلت له أنا أشعر بالتّعب من فضلك قُد عني السيارة، واتجهنا إلى مكتب عبد الله السنوسي (مكتب الاستخبارات العامّة شارع السيِّدي)؛ فوجدناه هناك داخل مكتبه ومعه العميد عبد السّلام احموده، وأبو القاسم عامر ابن عم عبد الله السنوسي، جلسنا نحن الخمسة؛ فأخبرته بما جرى مع سيف القذافي؛ فعلّق بقوله (أحسن حاجة إنّك كنت صريحاً معه)؛ فقال العميد عبد السلام احموده ابن خال عبد الله السنوسي ورجل قياديي في هيئة الأمن الخارجي: (الدكتور عقيل راهو يا عبد الله عضواً في المجلس الانتقالي مع صاحبه مصطفى عبد الجليل).

رديت عليه بقولي من فمّك إلى باب السماء، ولكن لمعلوميتك والله لم أكن عضواً في المجلس الانتقالي، وإذا كانت هذه معلوماتكم كأجهزة أمنية؛ فلا معلومات عندكم، ومع ذلك كان عبد السلام أحموده مصرّاً على رأيه بأنّني عضو بالمجلس الوطني الانتقالي. ولكن عبد الله لم يلتفت إلى ما قاله عبد السلام احموده.

ثمّ قلت يا عبد الله أنا كنت مع الدكتور البغدادي المحمودي أيضاً الذي طلبني لمهمّة لم أقبلها؛ فقال ما هي؟

أعدت ما جرى بالتّمام مع البغدادي المحمودي؛ فقال عبد الله: (ليش عليك تقول كلّ هذا الكلام)؛ فقلت له: (الآن جايك أنت)

قال تفضّل.

من فضلك يا عبد الله أن تقول لصاحبك القذافي يكفيك ٤٢ عاماً، من فضلك قل له: إذا كان خيراً أخذه، وإذا كان شرّاً أخذه؛ فقل له يكفيك، البلد يا عبدالله تحترق والنّاس في ليبيا يموتون بغير حقّ، وآلام النّاس وأوجاعهم تشتدّ مع كلّ قطرة دم تنزف من شهيد أو جريح.

قال: مع أنّني استمعت بانتباه لما قلته، إلّا أنّني لا استطيع أن أقوله له؛ فهو وللأسف يا دكتور عقيل أصبح غير مستعدّ لأن يسمع من أحدٍ.

استغربت ما قاله عبد الله؛ فقلت له: على الأقل قله لسيف؛ فكان ردّ عبد الله السنوسي في ذلك الوقت بمعنى (يا هوناه يا معمّر)؛ فوقفت، وقلت يا عبد الله: أُريد منك أن تقول لأيّ كان: لقد جاءني في مكتبي عقيل، فاقد لعقله، وخرج منّي فاقد لعقله.

قال: (حشاك يا دكتور) أنت عاقل.

قلت: لا أنا الذي أعرف عقلي، وليس أنت؛ فكرّر الإجابة ذاتها: (أنت عاقل)؛ فقلت: كان عليك أن تسألني عن السبب الذي جعلني أفقد عقلي؟ ولكن دون أن تسألني، أعني أنّك أنت الذي فاقد لعقلك، ألا يكون من العيب يا عبد الله أن تموت بدون ثمن في هذا المبنى الذي سيقصف لا محالة؟

قال: (إن شاء الله يقصفوه ونموت فيه خير لكم) قالها بألم، وكأنّه غير راضٍ عمّا يجري، وبذلك شعرت أنّه في أزمة أخلاقية بين أن يستمر في تلك المنظومة التي لا يريد رأسها أن يستمع لحقيقة ما يجري، وبين حقيقة ما يجري وما يجب أن يقوم به تجاهه.

بعد أن قال: (إن شاء الله يقصفوه ونموت فيه خير لكم) اقتربت منه أكثر وقلت له: خير لنا وأشرف اجتماعياً ووطنياً.

قال: نعم.

قلت: أنت الآن عاقل، بل أنت رأس العقلاء، ولذا أرجوك أن لا تموت بغير ثمن، هاهي تونس ١٧٧كم أخرج إلى هناك، وسألحقك من أجل أن يكون لنا تاريخ.

تركني وخرج، دون أن يردّ بشيءٍ.

من خلال هذا الحديث عرفت أنَّ عبد الله غير راضٍ على ما يجري، ولكنّه في حيرة، بين (إقدام وإحجام)، والأوجاع غالبة، والقيد من حديد.

فالتفتُ إلى العميد عبد السلام احمودة وقلت له: وأنت لِمَ لا تخرج إلى تونس؟

قال أنا مطلوب من الشرطة الدولية.

قلت: هذا الأمر لا يعد صعباً بإمكاننا الاتصال بالأخ عبد الرّحمن شلقم في الأمم المتحدة ويتدخّل لإخراجك من القائمة.

قال الأمر صعب، فما تستطيع أن تعمله أنت يا دكتور عقيل وتقدم عليه، نحن لا نستطيع عمله. وخرجنا سويّاً في سيارة واحدة أنا ومعي الأخ عبد السلام احموده، والدكتور أحميده السنوي الذي اسمعه كمّ من مرّة يؤيّدني فيما أقول، وكذلك السيد أبو لقاسم عامر الذي كرّر قوله أكثر من مرّة أنّه من زمان يقول لهم: (لا فائدة من القذافي وأبنائه، إنّهم فاسدون ومفسدون ولا ثقة فيهم، ولكن ما يبوش يسمعوا).

جائني عبد الله السنوسي في منزلي وهو يقول: أين الحاج محمّد (يقصد أخي)؛ فقلت: موجود وهو بخير.

قال: يجب أن يظهر في لقاء من اللقاءات؛ فقلت له لا يمكن؛ فأخي محمّد رافض كلّ اللقاءات؛ فقال الجماعة يسألون عنه، وحسب معرفتي بقوله الجماعة أنّه (يقصد القذافي، أو أقارب القذافي)، ويجب أن يظهر على الأقل في مقابلة تلفازية، وكان ذلك بقصد الحرص ليس إلّا؛ فقلت له: لن يحضر أحد من أخوتي أيّ لقاء، إلّا إذا اجتمع أهل الجنوب، أو اجتمع المقارحة؛ فهم لا يخرجون عن هذه العلاقات الاجتماعية، ولكن غير ذلك لن يحضروا أيّ لقاء يكون على حساب ثورة ١٧ فبراير.

ثمّ قلت: يا عبد الله أخي محمّد في تونس (أي بمعنى: أنسى هذا الموضوع) وأبلغت شقيقي محمّد بذلك؛ فسافر على الفور إلى تونس، وكلماته تتردّد في أذنيّ وهي تنهال سيلاً من الشتائم على ذلك النظام المتهاوي، والتي أتذكّر منها قوله: (لقد كنت معه سنينَ، ولكنّني لن أكون معه بعد أن أقدم على تقتيل الليبيين في بنغازي وطرابلس، ثمّ قال: لو كنت شاباً لذهبت لمقاتلة مرتزقته مع أهلنا في مصراته أو الزنتان).

في اليوم الثاني من مجيئه (عبد الله) إلى منزلي أتّصل بي قائلاً: (أين الحاج محمّد) قلت: في تونس عنده حساسية؛ فسألني متى سيعود؟

قلت: بالتأكيد نهاية الأسبوع.

اتصل بي نهاية الأسبوع (جي الحاج محمّد والله ماجي).

قلت: لم يأت بعد، لأنَّ الحساسية تضاعفت عنده. وكان الحاج محمّد في ذلك اليوم بالتحديد ملتقي في تونس مع المهندس عبد الرزاق العرادي، لمناقشة الجديد عند كلٍّ منهما تجاه العاصمة طرابلس، وفي تلك الفترة كان الجديد يدور على أهمية تأمين العاصمة، ومساندة الثوّار عندما يأتي يوم فتحها الذي حُدّد فيما بعد بيوم فتح مكّة ٢٠ من رمضان المبارك الساعة ٨:٢٠ دقيقة عند المغرب. فعبد الله بعد أن أستمع للإجابة بقولي: (لم يأت الحاج محمّد بعد، لأنَّ الحساسية تضاعفت عنده).

ضحك، وقال مع السّلامة.

اتصل بي الدكتور أحميده، ثم حضر إلى منزلي وهو يقول: (والله عندك حقّ، هؤلاء لا فائدة منهم، كلّهم كيف بعضهم، كيف الولد كيف أبوه)، أنا معك، وحاولت مع عبد الله لأن أخرج، ولكنّه لم يوافق حتى الآن.

قلت: لا تيئس، وحاول معه باستمرار؛ فحاول كم من مرّة، ولكنّه فشل، ذلك لأنّه لا يريد أن يَقدِم على فعلٍ يضع عبد الله في موقفٍ محرجٍ، وهكذا عبد الله هو الآخر كان يرى نفسه محرجاً تجاه اتخاذه لأيّ موقف، ولذا فهو يعرف جيداً أنّ بقائه مع القذافي محرجاً له أمام الليبيين، ويرى في الوقت ذاته أنّ انشقاقه عن القذافي قد يضعه في موقفٍ محرجٍ أمام زوجته وأبنائه، كما يضعه في ذات الموقف أمام القذافي وأبنائه، وكذلك أمام بعض المزايدين، ولهذا كان عبد الله السنوسي في حيرة من أمره بين أن يختار هذا أو ذاك، إلى أن حكمت عليه محكمة الجنايات الدولية.

بعد ذلك الحكم اتصل بي قائلاً: الآن أصبحت مطرّاً على نسف جسور العودة؛ فلم يترك لي شيء يمكن أن أضعه في الحسبان، وأصبح من حقّي أن أحرّض النّاس على القتال وكلّ ما يمكن لي أن أفعله سأفعله.

قلت: حكم المحكمة من وجهة نظري لا يعدّ سلبيّاً جملة وتفصيلاً، بل هذا الحكم هو اعتراف بأنَّك على مرتبة عالية من الأهمية، وهذه الأهمية هي التي تفتح أمامك أبواب المناورات إذا أحسنت التصرّف؛ فلا تيئس.

العالم وضعك في هذه المكانة (الرّجل الثاني في ليبيا)؛ فعليك بها، وعليك بحسن التصرّف؛ فالنظام لا محالة أنّه منتهٍ؛ فلا تقدم على شيء يجعلك الضحيّة؛ فالقذافي وابنه بعد هذا الحكم الجنائي يمكن أن يقدّموك ضحية بلا ثمن؛ فهما إذا عرفا أن التضحية بك تخرجهما من أزمتهما أمام محكمة الجنايات الدولية؛ فلن يتردّد على تقديمك ضحية؛ فأرجوك أن تنتبه وتفكّر جيداً، ولا تقطع اتصالاتك مع الغرب وخاصّة الأمريكان الذين قلت أنّهم على اتصالٍ بك.

قال: إلى يوم الأمس وهم على اتصالات بي، وصارحوني بما صارحوني به، وهو أنّني مقبول لديهم، وعليّ أن أقدم على ما يمكن أن نقدم عليه لأنّها الأزمة، وكانت مكالمة صريحة جدّاً، وخطيرة جداً، ممّا دعاني لأن أسجّلها وأسلمها بيدي.

قلت: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، يا ليتك لم تسلّمها إليه (إلى القذافي).

قال: لابدّ لي أن أسلّمها؛ فعرفت أنّ عبد الله يعرف جيّداً أنّ جميع مكالماته مسجّلة، وتسلّم من وراء ظهره مباشرة إلى القذافي، ولهذا أسرع على الفور بعد أن أقفل هاتفه إلى إيصال المكالمة ساخنة حتى لا يكون الضحية بلا ثمن.

بعد أن هدأت نفسه قال: إذن أنت ترى الأمور هكذا.

قلت: نعم.

قال: فليكن الأمر كذلك.

وعليه أقول: أنَّ عبد الله بعد أن تمّ القصف على مدينة بنغازي، لاحظت أنّه بدأ يسحب نفسه قيلاً قليلاً، ولو لم يكن كذلك ما توصّلت معه إلى ما توصّلت إليه بموقفي العلني المضاد، ولولا استصدار حكم المحكمة لكان أكثر وضوحاً تجاه الانسحاب؛ ولهذا كان الحديث معه في (شهر٦ وشهر ٢٠١١/٧م) بصوتٍ عالٍ على إمكانية خروج أخيه الدكتور احميده، وإمكانية اتصاله بأحد من قيادات الثوّار المعروفين ليعلن لهم موقفه، ولكنّ عبد الله دائماً في هذا الأمر يشعرك بأنّه في حيرة؛ ولذا فهو دائماً يرى نفسه واقفاً بين موقفٍ مرٍّ وموقفٍ أمرّ منه.

ومن خلال حديثي مع عبد الله السنوسي وتشخيص حالته، أراه غير راضٍ عمّا يجري، ولكنّه كمن لا يمتلك زمام أمره؛ فهو بين هذا وذاك قَبِلَ أن يكون الضحيّة.

وبعد أن سمعت أن سيف القذافي يقول أنّ عقيل منشق ومضادّ، وسيغادر ليبيا لا محالة، اتصلت بعبد الله، وقلت له: قل لسيف، يقول لك عقيل، لن أغادر أرض ليبيا، وذلك لأنّ أبي وأجدادي من قبلي لم يغادرها، وكذلك أبلغه بأنّ المنشقّين سيكونون كثر، وسيغادرون ليبيا، وقل يا عبد الله لسيف ستكون أنت أخر المغادرين، وأكون أنا من الشاهدين على رحيلك. (ومع أنّني قلت ذلك لعبد الله، لكنّني أعرف جيداً لن يقله إلى سيف)، ولكن كما يقولون بلغ السيل الزُّبا.

وأنا أقول ما قلته لعبد الله، كان عبد الله يقاطعني بقوله: لا تسمع الكلام، هذا غير صحيح، وأنا أردّ عليه أنّي متأكّداً من ذلك.

وبعد الجولة الأولى من مفاوضات القاهرة التي طُلبت إليها من بعض القادة من ثوّار ١٧ فبراير، وبعد موافقة رئيس المجلس الوطني الانتقالي المستشار مصطفى عبد الجليل على ذلك، دُعيت لمناقشة ما يمكن الإعداد له بشان مفاوضات القاهرة الثانية، في مقرّ ما كان يسمى اللجنة الشعبية العامّة؛ فرفضت الحضور؛ فاتصل بي عبد الله وهو يقول: كيف أنت الذي ستفاوض، ولا تحضر لنستمع لرأيك؟

قلت: أنت تعرف رأيي، كما تعرف أنّ علاقتي منذ ٢٠١١/٣/٢٤م مع الدكتور البغدادي أصبحت في خبر كان. ولذا لن أحضر، ولكنّه كان مصرّاً بقوله: من فضلك وإلّا سآتي إليك لأخذك.

قلت: أنا في الجامعة، والآن عندي محاضرة (هذه حقيقة وليس ادعاءاً)، مع أنّ عبد الله كان يعتقد أنّها ليست حقيقة.

قال: أنا في طريقي إليك.

قلت: لا داعي سآتي.

وجدّته والبغدادي الذي لم أعد أراه كما كنت أراه؛ فقلت على الفور: لا أدري كيف يمكن للحكومة أن تقبل الجلوس مع المنشقّين عنها (وبطبيعة الحال كان قصدي هو الاستفزاز مع وافر اللوم ليس إلّا).

قال عبد الله: من هو الذي منشقّ؟

قلت: أنا، (وإنْ كنت يا عبد الله غير مصدق لذلك؛ فعليك بسؤال سيف القذافي).

قال: هذا الكلام غير موجود.

قال الدكتور البغدادي: هذا بحقّ موجود، وهم الذين يقولونه عن الدكتور عقيل.

قال عبد الله: من هم الذين يقولونه؟

قال الدكتور الغدادي: كلام الدكتور عقيل صحيح، كلّهم يقولن (من سيف إلى أبيه إلى الآخرين).

بعدها خرجنا كلّ على وجهه، وفي يوم الغد اتصل بي عبد الله وهو يقول: لقد قلت لسيف: قال لك عقيل لن أغادر ليبيا، وستكون أنت المنشق (بالطبع قيلت بأسلوب عبد الله الذي لا يريد أن يلحقني منهم سوء). ثمّ قال لي عبد الله: أنّ سيف أصبح لا يثق في أحدٍ، بالأمس اتصل بأمّه التي لم تردّ عليه في حينه؛ فاتصل بي وهو يقول: يمكن أن تكون أمّي قد انشقّت، ممّا دعاني أن أقول له: هل وصل الحال بك إلى هذه الدّرجة؟ قال: فردّ علي بقوله: (لقد أصبحت أشكُّ في أمّي، وأنا كلّ ساعة انتظر أن يأتيني خبراً بانشقاقها؛ فكيف لا أشُكُّ في غير أمّي).

ولسائل أن يسأل:

كيف يقال ما قلته صراحة أمام عبد الله السنوسي مدير الاستخبارات العسكرية، ولم يتمّ القبض على قائله؟

نُجيب:

تربطني بعبد الله مكوّنات أخلاقية منها:

المكوّن الاجتماعي: فمع أنّني لم أقبل أن تكون القبيلة عنواناً لي أكبر من عنوان الوطن، أو أن تكون على حسابه، إلّا أنّ علاقة اجتماعية تربطني بعبد الله كوننا مقارحة؛ فهو من (قبيلة البراكيس) وأنا من (قبيلة الجلاغمه)، وأنا ابن شيخها حسين بن عقيل بن مسعود الذي قاوم الطليان حتّى قُبض عليه وحُكم بالسجن ١٢ شهراً، ومع ذلك وهو في سجنه أتمّ حفظ كتاب الله الكريم.

هذه الأسطر الأربعة هي دائماً تستوقف عبد الله، وتجعله مقدّراً لأسرتي ولشخصي تقديراً عالياً، وفي المقابل أنا أقدّره على هذا التقدير، ولذلك لا يمكن أن يقدم على فعل يسيء لي، وبمعرفتي ذلك أعلنت له موقفي بحضور أخيه الدكتور احميده، وأبن عمّه أبو القاسم عامر اللذان كانا مؤيدان لي في كلّ الذي قلته لعبد الله السنوسي، وكذلك كان حاضراً معنا الأخ عبد السّلام أحموده الذي لم يبدي معارضة على شيء مما قلته.

المكوّن السياسي: علاقات سياسية تربط عائلة عقيل من الأجداد مع عائلة عامر؛ ففي العهد الملكي كان مدير المقارحة في الشاطئ هو مهدي بن عامر عمّ عبد الله السنوسي، وشيخ قبيلة الجلاغمة هو حسين بن عقيل، ابن المجاهد عقيل بن مسعود الذي قاتل مع المجاهدين في معركة السواني بطرابلس ضدّ الاحتلال الإيطالي، وكان معه من بين المجاهدين ابن عمّه المجاهد حسن بن غلبون ورفيق دربهما

المجاهد البطل الشيخ سعد بن عمر جلغم، ومعه آخرون من أبناء قبيلته.

ولأنَّ العلاقة بين عائلة عامر وعائلة عقيل هي علاقة متميّزة تميّزاً اجتماعياً وسياسياً وتاريخيّاً، لذا كانت دائماً هذه العلاقة حمل ثقيل على ظهر كلاًّ منّا تجاه الآخر.

كذلك فإنّ السيد نصر بن سالم رحمه الله هو الآخر من قبيلة البراكيس وهو رأسها، ورأس المقارحة جميعاً، توّج في عهد الاستقلال بعدّة مناصب منها عضويته بمجلس الأمّة، وتوليه نظارة الزراعة بولاية فزان، ومن قبلها كان من المؤسّسين الرئيسيين لجمعية ليبيا الوطن في فزان عام ١٩٤٦م؛ فهذا الشيخ (السيد نصر بن سالم) كانت له علاقة مباشرة في ممارسة العمل السياسي مع حياة والدي الذي كان وأربعة من أقاربه أعضاء في حزب المؤتمر الذي أسّسه السيد المجاهد بشير السعداوي بتاريخ ١٩٤٨/٣/١م.

هذا الموروث السياسي كان له ثقله وأثره على عبد الله السنوسي تجاهي وأسرتي؛ فلو حدث شرخ بيننا لأنقسم المكوّن السياسي والاجتماعي، وهذا ما لم يرتضه عبد الله بتاتاً حتى لا يكون ذا أثر سلبي، وتلحقه الشكوك من القذافي الذي سبق له وأن اتهمه بأنّه كان وراء تلك القنبلة، التي رُميت عليه في منطقة الشاطئ ١٩٩٦م، والتي بأسبابها لحقت التهم أخي الحاج محمّد، الذي تم استدعائه بشأنها للتحقيق معه من قبل جهاز الأمن الداخلي ومكافحة الزندقة أكثر من مرّة، خاصّة وأنّ الضلع النافذ مع السيد القريو الذي قام برمي تلك القنبلة هو: عيسى بشير جلغم المقرحي.

ولذا كان التفاهم يدور مع عبد الله على أن لا يُزجّ بقبيلة المقارحة في معركة ضدّ ثوار ١٧ فبراير، مع وافر احترامه لوجهة نظري وموقفي الرّافض وما سأقدم عليه وإخوتي من نشاط عن إرادة واعية، وأن يُترك

الأمر فقط لمن أراد أن يتطوّع بنفسه؛ فهذه تعدّ مسؤولية فردية واختيار شخصي لا يلحق القبيلة بشيء، وكان الأمر كذلك؛ فلم تقاتل قبيلة المقارحة مع القذافي برغم كلّ محاولاته، وذلك لأنّ عبد الله في حقيقة أمره كان معي مقتنعاً بأن لا يُزج بالقبيلة في هذه المعركة، ولهذا فتحت ذراعيها لثورة ١٧ فبراير، بداية بمقارحة بنغازي الذين شاركوا إخوتهم من أبناء مدينة بنغازي في تحرير مدينتهم (المدينة الحاضنة لكلّ ثوّار ليبيا)، والمقَاتَلة معهم في جبهات المواجهة ضدّ كتائب القذافي ومرتزقته المأجورين؛ وكان أوّل شهيدين أستشهدا من قبيلة المقارحة، أستشهدا في معركة القوارشة التي دارت رحاها يوم ٢٠١١/٣/١٩م، وهما: الشهيد زياد فرج محمّد الطاهر المقرحي مواليد ١٩٧٩م، والشهيد عبد السلام محمّد على سعد المقرحي من مواليد ١٩٦٩م، وكذلك كان البطل مصباح مسعود مصباح خليفة المقرحي مواليد ١٩٩٩م شهيداً في معركة بن جواد ٢٠١١/٣/٦م، وكان البطل أبوبكر محمّد السنوسي مبارك من مواليد ١٩٨٠م، شهيداً في معركة الوادي الحمر بتاريخ ٢٠١٢/٩/٨م.

وهكذا كان منهم الشهداء والجرحى والقادة مع بقية الشهداء والجرحى والقادة من جميع مدن ليبيا، وأخصّ بالذكر مقارحة الزاوية الأبطال الذين ثاروا وقاتلوا بشراسة كتائب القذافي ومرتزقته مع غيرهم من أبطال الزاوية الصامدة؛ فكان منهم القادة الميدانيين الذين من بينهم الأخ الطاهر المقرحي، وكان منهم الشهداء الذين من بينهم الشهيد محمّد بشير الفيتوري المقرحي.

وكذلك لا ننسى مقارحة عرادة في طرابلس الذين قاتلوا مع ثوّار سوق الجمعة الأبطال ثوار ١٧ فبراير؛ فكان منهم الشهداء وكثير من

الجرحى، ومن بين شهدائهم: الشهيد معاوية عبد الحفيظ دعاب، والشهيد سامي حسين رزيق[١٨].

وكان لمقارحة مصراته الذين منهم أولاد أبو هادي، والدبابسة الشجعان دور فاعل في إظهار بطولاتهم مع أولئك الأسود رجال ونساء مصراته الأبطال، الذين بينهم وبين قبيلة المقارحة التاريخ يربط عُرى العلاقات التي لا تنفصم. وما يماثل موقفهم الانتمائي للثورة ومقاتلة كتائب القذافي هم مقارحة غريان الذين انتموا إلى ثوّار ١٧ فبراير، وقاتلوا جنباً إلى جنبٍ مع بقية أهل غريان الفرسان؛ فكان على رأس شهدائهم الشهيد البطل مصطفى محمّد قشوط المقرحي الذي أستشهد في معركة الرابطة يوم ٢٠١١/٧/١م، وهكذا كان بقيتهم في جبل نفوسة مشاركين في ميادين الثورة والمواجهة.

أمّا أولاد ذويب في الزنتان الذين تمتدّ اصولهم إلى ما تمتد إليه أصول أجدادي؛ فأترك لهم يكتبون ما يكتبون؛ فهم بحقّ يعرفون التاريخ كما هم عرفوا كيفية صناعته؛ فالزنتان شركاؤنا في أخوّة الدّم وأولاد ذؤيب مقارحة لا شكّ في ذلك[١٩]، ولذا فنحن نعتزّ بتصدُّر الزنتان الثوّرة مع غيرهم من الليبيين صنّاعة التّاريخ.

وكان موقف مقارحة الجنوب مؤيداً حيث فتحت مدينة الشويرف ذراعيها وسط الصحراء للثوّار رافعة أعلام الاستقلال ترحاباً بثوّار الجبل أسود الصحراء؛ فَنُحرت الإبل، وذبحت الخراف فرحة بقدوم ثوّار ١٧ فبراير.

---

[١٨] إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٩٧م، ص ٣٩.

[١٩] هنري دي أغسطيني، سكان ليبيا (القسم الخاص بطرابلس الغرب) تعريب وتقديم خليفة محمّد التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، طرابلس ـ تونس، ص ٤٩٢، ١٩٧٨م.

وكذلك مقارحة الشاطئ رفعوا أعلام الاستقلال قبل أن يدخلها ثوّار الشمال الذين في مقدّمتهم ثوّار الجنوب الذين لي معهم من أسرتي مقاتلين، بعد أن شاركنا في إعداد ما استطعنا من القوّة القتالية بعربات مجهّزة بالأسلحة المختلفة، التي سُلّمت لقائد أحد التشكيلات القتالية وهو الأخ إبراهيم مسعود محفوظ المقرحي، ولذا رفع مقارحة الشاطئ أعلام الاستقلال إعلاناً عن انتمائهم إلى الثورة المجيدة التي أطاحت بالطاغية، ولذلك لم تكن هناك مقاومة في الشاطئ سوى تلك البسيطة التي دارت رحاها في محيط القاعدة العسكرية كونها قاعدة ولمدّة ساعة من الزمن تقريباً، وهكذا كان الموقف ذاته مؤيداً ومناصراً من قِبل مقارحة سبها الذين بعضهم قاتل مع ثوّار القرضة بسبها، ولي معهم من عائلتي أقارب وهم: (أبناء صالح عبدو عقيل مسعود عقيل).

وعليه مع أنَّ معظم النّاس الذين كانوا يظنّون أنّ قبيلة المقارحة ستكون حامية ومناصرة لمعمّر في مواجهة الثورة المجيدة، إلّا أنّها كانت حكيمة؛ فحسمت أمرها وخاب ظنّ الظّانّين.

فاليوم والنصر متحقّق، أصبح لهم في المجلس الوطني الانتقالي أكثر من عضوٍ، كما أنّ لهم مسؤول أوّل برئاسة الحكومة وعلى درجة أحد نواب رئيسها السيّد الكيب.

خلال الفترة التي كانت فيها مدينة طرابلس محاصرة بالكتائب قَبِلتُ وأخوتي (محمّد، وأبو لقاسم، وحسن، وأبنائنا والمهندس على الهادي وأخيه الفرجاني الهادي (ابني أخي الذي هو في مرتبة أبي) قبلنا أن نكون في طرابلس مع سكّانها المحاصرين الرّافضين للطاغية ونظامه؛ فقد غادر الكثيرون مدينة طرابلس العاصمة الأم دافئة الفؤاد الذي ينبض قلبها حناناً لكلّ من يكون محتضن بحضنها.

ولذا فنحن قبلنا أن يجري علينا ما يجري على سكان مدينة طرابلس، وقبلنا أن نكون مدافعين عنها كلّما تهيأت لنا الظروف.

أتصل بنا البعض من أقاربنا الأعزاء المغادرين للعاصمة، وهم يقولون لنا من باب الحرص: ما بكم؟ طرابلس ستدمّر؛ فلِمَ لا تعودون إلى الجنوب لأنّه أكثر آمناً؟

قلنا: مع وافر الاحترام والتقدير لحرصهم علينا أنّ ليبيا أمّ الجميع، ومدينة طرابلس أبنتها البكر، التي ترعى الجميع تحت مظلة أمّها.

فنحن بقينا في طرابلس، ولكن معظم الأهل هم من سكّان الجنوب، ومن بينهم أخونا الكبير الحاج الهادي وأخواتنا الخمس وأزواجهنّ وأبنائهنّ الرّافضين والرّافضات وأبناء أعمامنا الكرام هم الآخرون شبه محاصرين هناك؛ فقد كتبت أجهزة الأمن الداخلي ما كتبت عليهم من تقارير بوشايات ودسائس ومكائد، ولذا كم من مرّة يكلمني عبد الله السنوسي بقوله: (ليش الحاج الهادي ما يصكت ويفكنا من المشاكل) نردّ عليه بكل هدوء: لا تصدّق هذه دسائس من البعض.

بعد أسبوع من هذه المكالمة أتصل بي عبد الله السنوسي أنت أين؟

قلت: أنت تعرف لا نخرج من منزلي؛ فقال: (أنا آتي إليك).

جاءني بعد ساعة من الزّمان، وهو يقول: (ردّ بالك من أبن أخيك عقيل الهادي حسين) زوج ابنتي؛ وأوّل ما قال لي ذلك عرفت الشخص الذي كتب ما كتب فيه من تقارير؛ فقلت له لا تخاف هذا عندي أنا، ولم أكن مستغرباً من ذلك الشخص الذي كتب التقرير في زوج أبنتي عقيل الهادي حسين، لأنّ الدكتور احميده السنوي سبق له أن أنذرني من ذلك الشخص، وطلب مني أن نبلّغ ابن أخي بأخذ الحيطة والحذر.

وبعد أسبوعين جاءني عبد الله وهو يخبرني بما كُتب في ابني صلاح الدين من قِبل أجهزة الأمن الداخلي، ولكنّه قبل أن يظهرني على معطيات ذلك التقرير اللعين سألني عن أسم من أسماء العاملين بجامعة طرابلس؛ فشكرته له كثيراً، وقلت: هذا ولد محترم، وصديق لأبني

صلاح الدين، ونحبّوه كثيراً، ويحبُّنا أكثر؛ فضحك وقال: عليك بنصح ابنك صلاح الدين، والحذر واجب.

ومع أنّ فلسفتي في الحياة مؤسّسة على الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، إلّا أنّني كنت مستغرباً من هذا الولد الذي كنت أظنّه محترماً.

وعليه: لم يخلَّ عبد الله بما التزم به تجاهي وأسرتي، وأنا كذلك بقيت داخل ليبيا وفقاً لِما ألتزمته معه رافضاً ومعارضاً داخل ليبيا؛ فألفت أربعة كتب كان عبد الله والدكتور احميده على علمٍ بها، وبما تحتويه من شتم للطغاة، وكشفٍ لمفاسدهم بشكلٍ خاص في كلٍّ من (تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا) وبشكلٍ عام أين ما حلّوا الطغاة وحكموا، وهكذا كانت كتبي الأربعة التي صدرت جميعها ونُشرت في مصر وبيروت، مع العلم أنّ القذافي في ذلك الوقت الذي نُشرت فيه مؤلفاتي لازال طاغية في ليبيا، وأنا أكتب كلّ ذلك من قلب مدينة طرابلس؛ فكان صوت كتبي الأربعة، صوت المعارض علناً لتوريث الحكم للأبناء والقبيلة، كما أنّني ذكرت فيها الطغاة أسماً اسماً، من زين العابدين بن علي إلى حسني مبارك ومعمّر القذافي وعلى عبد الله صالح، وبشّار الأسد، وكلّ ذلك كان عبد الله السنوسي يعلمه ويقدّره.

ومع أنّني وأسرتي كنّا محاطين بما يشبه حقل من الألغام، إلّا أنّني لم أتوقّف عن ما يمكن أن يؤدّى موجباً تجاه ثورة ١٧ فبراير؛ فقلت: لِمَ لم نتصل بالمبروك سحبان (أمر الكتيبة الأمنية بغريان) الذي تربطني به علاقات اجتماعية طيبة؟

المبروك سحبان

في تلك الفترة العصيبة اتصلت يوم ٣٠ فبراير ٢٠١١م بالأخ المبروك سحبان الذي لم يعرف أنني معارضاً لمعمّر القذافي ونظامه، ومنتمٍ إلى ثورة ١٧ فبراير، وهو في ذلك الوقت كان آمراً للكتيبة الأمنية بمدينة غريان، ونظراً لحسن العلاقة به وبأهله الكرام، والعلاقات الخاصّة بيننا نحن الاثنين قلت له: يا أخ المبروك أنت تعرف جيداً أنّ مدينة غريان هي المدينة التي أوت أجدادنا بعد أن غادروا مدينة مصراته معزّزين مناصرين من قِبل أهلها الأعزاء، ولذلك أرجوك أن لا تغفل عن تلك العلاقات التي ورثناها جميعاً.

قال: أنت تعرف أنّ الكتيبة مختلطة، ولكن بالنسبة لي بإذن الله لن أطاردهم، ونأمل أن لا يأتوا في هذا الوقت إلى مقرّ الكتيبة.

قلت الله يسترك: أرجوك أن لا تغفل.

عِدّتُ الاتصال الهاتفي بالمبروك سحبان بعد أسبوع، وقلت له يا أخ المبروك: الله الله في الزنتان، إنّهم أهل والتّاريخ لا يرحم.

قال: لا تخاف لن أفعل معهم ما يشين.

ثمّ اتصلت به بعد أسبوعين بذات السبب، وذات الكلمات: (الله الله في الزنتان إنّهم أهل)؛ فقال: لقد اتصلوا بي، وقالوا لي (حوّل عن طريقنا الله يهديك) أي جرى معه اتصال ودّي مع بعض من رؤوسهم، دون أن أسأل عنهم من يكونوا من أخوتنا الزنتان).

اتصلت به بعد ثلاثة أيّام، وقلت له يقال: أنّ علاقات طيبة تربط أهلنا بأهل جبل نفوسة الذين منهم سكان (كابو ونالوت ويفرن والقلعة الأبطال، وأهل جادو الذين تميّزوا بأخلاقهم؛ فكانوا مشكورين أينما حلّوا أبطالاً يميّزون بين ما يجب ويقدمون عليه، وما لا يجب وينتهون عنه)؛ فلا تغفل يا أخ المبروك عن التّاريخ، ولا تنسى بيت الشعر الذي قاله أحد أجدادك في إخوته من جبل نفوسة:

(ملي رقبة أقطيط بالبيت ...ناوي أخشوش الحمادة

لاقاه إجباليه بالزيت .... هذا استشوى وهضاك زاده).

فقال: كن مطمأناً، ولعلمك لقد سرّحت كلّ الزنتان الذين معي في الكتيبة، حتى لا يؤذوا من أحدٍ؛ فالبعض بدون شكّ يريد أن يدّفعهم الثمن غالياً، ولهذا تحمّلت مسؤوليتي تجاههم وسرحتهم، وكذلك أمنت خروجهم بسلام.

قلت: ليس لك خياراً غير الذي فعلته.

ثمّ قال: مع أنَّ الظروف التي أنا فيها صعبة، ولكن لا تخاف؛ فأنت يا عقيل تعرفني جيّداً.

ولعلمك الخاص حتى الصواريخ المأمور الرّمي بها، لن يُرموا بها من قِبلي، ولن تلحق مسكناً من مساكن الزنتان، ولا مسكناً من مساكن أهل الجبل.

قلت: بارك الله فيك، وفي آل سحبان.

دخل ثوّار جبل نفوسة الأبطال مدينة غريان، وفي مقدّمتهم ثوار غريان الشجعان؛ فلم يجدوا ذلك السدّ الذي كان متوقّعاً من قِبل سحبان؛ فكانت الفرحة عارمة في كلّ بيت من بيوت ليبيا بشكل عام، وفي أنفس جبل نفوسة بشكل خاص، وفي أنفس أهل غريان أكثر خصوصية، وفي نفسي بلا حدود.

المحطّة الثالثة

اتصالات

جسّ النبض

الدكتور

إبراهيم أبو خزام

سمعت في فترة الأحداث بوفاة أمّه رحمها الله؛ فقلت بعد عودته من الجنوب إلى مدينة طرابلس عليّ بمواساته، وبعد أن وصلت منزله وجدّته لوحده؛ فقلت هذه فرصة لجس نبضه، بعد تقديم التعازي قلت له: ما رأيك يا إبراهيم فيما يجري في ليبيا؟

قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، ليبيا لن تعود إلى ما كانت عليه أبداً، ولكن هات من يفهم يا أخ عقيل.

قلت بصوت يسمعه هذا حقّ، وفي داخل نفسي قلت الحمد لله، وعدت لِما يمكن سمعه من قول: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله، دماء الليبيين تسفك بغير حقّ).

قال: بغير حقّ، ثمّ قال: ولن تجد مع من تتكلّم ولا تجد من يسمعك.

لاحظت عليه الإحباط وهو يقول (معمّر القذافي معاد يبي يسمع من أحد)، وجماعته لا ثقة فيهم، بالأمس أخذت منهم سلاحاً، وعلى الفور بعثوا مجموعة من الكتيبة لتفتيش منزلي وأخذ السلاح منه، ثم قال الحمد لله أن الأسرة لم تكن موجودة فيه حيث تأخرهم عن المجيء من الجنوب.

قلت: ردّ بالك فالأمر منتهي يا إبراهيم؛ فالثورة منتصرة؛ فلا داعي لحرق الأوراق، ويا ليتك تتكلّم مع ابن الخالة الأخ على عمر الحسناوي، وأخوه الحاج محمّد حتى لا يغرّر بهما ويضلا الطريق.

أخذتُ انطباعاً موجباً عن الدكتور إبراهيم، ولكن بعد أيّام قليلة وأنا أفكر في العودة إليه، شاهدت ظهوره في قناة من القنوات المحظورة بالنسبة لي؛ فقلت في نفسي ماذا حصل، ولكن عرفت أنّه قد تمّ الاتصال به، وعُرض عليه بأن يكون مندوباً لليبيا في الأمم المتحدة، وقد قبل وهو ينتظر استكمال الإجراءات. ولهذا تأسفت له كثيراً لأنّه يهمني قبل الكثيرين؛ فكيف يقبل والجولة داخل الحلبة كانت في ذلك الوقت منتهية بالنقاط، وفي النهاية كانت القاضية.

الغريب أنَّ الدكتور إبراهيم أبو خزام من خلال مناقشاتي معه وجدته يعرف حقيقة كلّ شيء في ليبيا بالتمام، ولم يكن مقتنعاً بما يجري فيها، فهو يعرفها كما يعرف قصّة الحيوان العالمي، التي تعكس شخصية الطاغية معمّر القذافي في ممارسة الديمقراطية، ومع ذلك لم يتمكّن إبراهيم ابوخزام من اتخاذ القرار المناسب.

ولسائل أن يسأل:

ما هي قصّة الحيوان العالمي التي قلت: أنَّ الدكتور إبراهيم أبو خزام يعرف أبعادها السياسية والأخلاقية؟

أقول:

انعقد المؤتمر العالمي للحيوانات تحت شعار: المساواة والحرية للجميع، وحضر هذا المؤتمر مندوبون عن خمسة أمم هي:

الدّجاج، الثعالب، الخراف، الذئاب، والكلاب، وكان البند الأوّل للجلسة الموقّرة هو اختيار ممثلين لعضوية المؤتمر. ونظراً لأهمية الديمقراطية في تأكيد نظام الإنابة والتمثيل، لم يحضر رئيس المؤتمر هذه الجلسة حتّى لا يؤثّر على حريّة الاختيار، وكانت اللجنة المشرفة على الاختيار معيّنة من قِبل الرئيس الديمقراطي، وعندما بدأت الثعالب بتسجيل اسم ثعلب على أحد صناديق الاقتراع، صاح ممثلو الدجاج معترضين على أن تكون الثعالب الفاشية في لجنة المؤتمر، بل وطالبوا بطردها من المؤتمر، فصاح ممثلو الثعالب، وبدأت المشادات لولا تدخل ممثلو الكلاب من أجل ضبط النظام، وطلبوا تأجيل ذلك إلى حينٍ آخر. وأعطيت الفرصة لمندوبي الذئاب لتسجيل اسم من يرغبون اختياره؛ فسجّلوا اسم أحد أبنائهم الديمقراطيين الأحرار؛ فصاح ممثلو الخراف والنعاج معترضين على دخول الذئاب الظالمة حملة الانتخابات، وبدأت الذئاب تعوي، وتتوعّد الخراف والنعاج بممارسة الديمقراطية بعد انتهاء جلسة المؤتمر الموقّر، وكذلك لولا وجود لجنة ضبط النظام لكانت المعركة الديمقراطية تدور داخل قاعة المؤتمر. وبدأ الضجيج والصراخ إلى أن دخل الدُّب (رئيس المؤتمر) الذي لا نزاع على مكانه في السلطة. حينها صمتَ الجميع عن التشاجر، وبدأت الهتافات بحياته إلى مالا نهاية وكأن الموت لا وجود له في عالم الوجود؛ فشكر الجميع، وسألهم عن أسباب الخلاف بينهم؛ فقال ممثلو الدجاج: نحن نعترض على وجود الثعالب

معنا في ممارسة السلطة، وقال ممثلو الخراف: نحن نعترض على وجود الذئاب في ممارسة السلطة معنا أيضاً، وقالت الثعالب والذئاب معاً نحن نعترض على وجود الكلاب في لجنة ضبط النظام، حينها ابتسم الرئيس وقال: ينبغي أن يستمر خلافكم وعداءكم إلى أن تتأكد الحرية بكل شفافية، ولكلّ منكم حقّ المنافسة وفق جهده، وهكذا أنتم ديمقراطيون إلى الأبد، ثمّ قال: تعتبر الدجاجة حيواناً عالميّاً مثلها مثل الثعالب، ومثل الخراف والذئاب والكلاب، ولهذا ينبغي أن تكون التضحية واجباً عامّاً، وأنَّ أمّة الدجاج أمّة رفيعة الشأن، ومن أجل حقّها في المساواة تزداد رفعة وشأناً وحرية عندما تتوحّد مع أمّة الثعالب في حظيرة واحدة. وينبغي أن تمارس الذئاب الديمقراطية مع الخراف في حظيرة واحدة أيضاً حتّى تتحقق المساواة بين الجميع، وهكذا ينتهي الخوف إلى الأبد.

وفي ختام كلمته شاهد ولاحظ أنّ الجميع يبكي؛ فسأل نقيب الدجاج:

لماذا الدجاج يبكي؟

يبكي يا سيدي صاحب الجلالة من الخوف (من وحدتنا مع الثعالب).

وسأل نقيب الخراف:

لماذا تبكي الخراف؟

تبكي يا صاحب الجلالة من الخوف (من وحدتنا مع الذئاب).

وسأل نقيب الذئاب:

لماذا تبكي الذئاب؟

تبكي من الخوف.

أيّ خوف تعني!

الخوف من لجنة ضبط النظام.

وأجابه نقيب الثعالب وهو يشكره إنّنا نبكي يا صاحب الجلالة من الفرحة (فرحة الوحدة مع الدجاج).

في الختام قال رئيس المؤتمر: أيّها السادة والسيدات ينبغي أن تنتزعوا الحرّية انتزاعاً لا أن تقدّم لكم على طبقٍ من فضة، وطلب من الجميع عدم الخوف من ممارسة الديمقراطية بكلّ حرية، وأن تتم مناقشة هذه الفكرة الحضارية المتقدّمة بينهم عند خروجهم جميعاً من بوابة واحدة جنباً إلى جنب دون تعصّب، ثمّ طلب منهم أن يعودوا للانعقاد في يوم الغد بعد أن تتضح عندهم الفكرة.

وفي اليوم الثاني حضر الجميع بشكلٍ منظور وغير منظور لمناقشة أهميّة الحيوان العالمي؛ فوجد الدّب (الرئيس) القاعة غير ممتلئة مثل الأمس؛ فسأل نقيب الدجاج عن سبب غياب أعضاء نقابته؛ فأجابه: لم يغب أحد كلّهم موجودون.

أين هم؟

إنّهم يا سيدي في بطون الثعالب، وهكذا كانت الخراف في بطون الذئاب وفق إجابة نقيبهم.

فقال: إذن انتهى الصراع بينكم، ولم يبق إلّا صراع النقابات التي هي الأخرى ينبغي أن تأخذ بذات التجربة، التي من بعدها تسود الديمقراطية، وينتهي الصراع على السلطة إلى الأبد، ولن يبقى إلّا الحيوان العالمي، نحرث عليه بكلّ حرص وهكذا من بعدي أبنائي.

ولذلك فالدكتور إبراهيم أبو خزام يعرف هذه الحقيقة بكلّ وضوح، وهو يعرف جيّداً أن معظم الليبيين يشتمون معمّر القذافي ونظامه ليلاً، وفي النّهار تجدهم في المكاتب يبايعون، ويعرف أنّ هذا الأمر يدلّ على أنّ الليبيين يتحينون الفرص، وسيغتنمونها في الزمن غير المتوقّع.

ومع أنّ الدكتور إبراهيم أبو خزام يعرف ذلك كما يعرف أنّ المسيرات المسماة بالمليونية ليست بالمليونية، ولكنّه لم يتمكّن من اتخاذ القرار الحاسم، ويا ليته اتخذه؛ فهو شخصية هادئة، طيبة النفس، من عائلة مقدّرة في وسطها الاجتماعي.

وعليه فبحمد الله بعد انتصار ثورة ١٧ فبراير، أزيحت الغمّة من على صدور الليبيين، وبقيت الأرض لأهل الأرض، وتمكّن الإنسان فيها بأن يكون خليفة لا يستمدّ صفة له إلّا من صفات خالقه تعالى.

علي الدبيبه

شغل الحاج على الدبيبة منصب رئيس جهاز تنمية وتطوير المراكز الإدارية، اتصف بجديّته في أداء تلك المهام التي كلّف بها، وهو دائماً يرى أنّه لا يمكن أن تُبنى البلد إلّا إذا تمّ اعتماد المعيارية الدولية في ضوء خصوصية البيئة الليبية وطابعها الثقافي والاجتماعي والإسلامي، وبالتالي كان يواجه مزايدات باسم رأي المهندس سيف التي تصطدم مع رأي المهندسين الآخرين، وهنا يجد الحاج علي الدبيبة نفسه محرجاً بين آراء المهندسين المتميّزين، وبين رأي المهندس الذي لا تميُّز فيه، ممّا يجعله يتحايل في سبيل أن لا يؤخذ إلّا بالمعيارية، ومع ذلك لا يُنجز مهمّة من مهامه إلّا والآلام تحاصره من هنا وهناك من شدّة وكثرة التدخّلات والتوجيهات المتناقضة. وعندما يُصر الحاج على الدبيبة على الأخذ

بالمعيارية يحال المشروع منه إلى جهاز آخر من أجهزة الدّولة التي لا ترى المعيار في المعيارية.

عندما كنت مكلّفاً بالتعليم العالي قدّمت مشروعاً وطنياً لبناء ٢٤ مركباً جامعياً في ليبيا من الحدود إلى الحدود، وكذلك استكمال ثلاث جامعات وهي: (جامعة بنغازي، وجامعة طرابلس، جامعة عمر المختار)؛ فتمت الموافقة عليه من قبل اللجنة الشعبية العامّة، وأقترح له ميزانية بلغت حوالي (٩ مليارات دينار ليبي)، وعندما جاء زمن التعاقد، طُلب مني أن نتعاقد مع شركات متميّزة حتى يتمّ تنفيذ المركّبات الجامعية وفقاً لمعايير تخطيطية، فقلت في اجتماع اللجنة الشعبية العامة، أنا لم أكن مقاولاً، أنا وزير التعليم العالي؛ فالبناء ليس من مهامي، هناك متخصّصون لهذا الأمر، شركات ومهندسون وخبراء متميّزون، وبالتالي أرجوكم أن تحيلوا أمر التعاقد خارج هذا القطاع، وأن يُعطى الخبز لخبازه؛ فالذي يهمني أن تبني المركّبات الجامعية التي حُدّدت مواقعها وفقاً لمعايير موضوعية في الأماكن والمواقع التي حُدّدت لها في ربوع ليبيا، ويهمني أن تكون متكاملة ونستلم مفاتيح لمركبات جامعية متميّزة؛ فعُرض الموضوع من جديد للنقاش باللجنة الشعبية العامّة، وتمّ إصدار قرار منها بإحالته إلى جهاز تنمية وتطوير المراكز الإدارية الذي كان الحاج على الدبيبة على رأس إدارته.

وفي المقابل طلب وزير التعليم العام في ذلك الوقت الدكتور عبد القادر البغدادي، بأن يتولى قطاعه التعاقد على مشروعات التعليم العام مباشرة؛ فأصدرت اللجنة الشعبية العامة قرارين مختلفين.

القرار الأوّل:

تحال مشاريع المركّبات الجامعية إلى جهاز تنمية وتطوير المراكز الإدارية.

القرار الثاني:

يؤذن لقطاع التعليم العام بالتعاقد بناء على طلب من وزيره الدكتور عبد القادر البغدادي.

استلم الجهاز تلك المشاريع الضخمة من وزارة التعليم العالي، وتمّ التعاقد عليها مع شركات عالمية متخصّصة في بناء المركّبات الجامعية، وتمّت التصاميم تحت رعاية ومراقبة من قبل المهندسين الليبيين العاملين بالجهاز والمكاتب الاستشارية المتخصّصة، ثمّ شكلت لجنة بقرار من اللجنة الشعبية العامّة من مهندسين ليبيين من قطاع التعليم العالي، ومن المهندسين الليبيين بالجهاز للمتابعة المشتركة أوّل بأوّل.

اتصلتُ بالحاج علي من أجل أن يُعطي أهمية وأولويّة لإنجاز تلك المركّبات الجامعية الضخمة، فقال بالنسبة لي هذه على رأس القائمة لأنّها تشكّل مشروعاً وطنياً عملاقاً.

قلت: ولعلمك لم تبن جامعة واحدة في عهد معمّر القذافي؛ في ليبيا ثلاثة جامعات، ثلاثتها بُنيت في العهد الملكي، وهي: (جامعة بنغازي، وجامعة طرابلس، وجامعة محمّد بن علي السنوسي التي سمّيت فيما بعد بجامعة عمر المختار). وهذا الكلام قلته في جلسة علنية لمؤتمر الشعب العام.

وقلت: لم تبنِ الدولة خلال ٤٠ سنة ولا جامعة واحدة، سِوى تلك التي بُنيت في العهد الملكي، وما يوجد الآن لا علاقة له بالمبنى الجامعي؛ فهي عبارة عن مباني مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية حوّلت بقرارات غير واعية ولا مسؤولة إلى جامعات، وبالتالي وللأسف الشديد يتخرّج الطلبة من الجامعات دون أن يشعروا بأنّهم درسوا في بيئة جامعية.

المركّب الجامعي الزنتان

كان المركّب الجامعي بمدينة الزنتان هو أحد المركّبات الجامعية التي أقرّتها وزارة التعليم العالي وفقاً للمعايير التي تمّ الأخذ بها عند توزيع المركّبات الجامعية من حيث (الكثافة السكانية والمساحة الجغرافية) وتمّ اعتماد ذلك من قبل اللجنة الشعبية العامّة، ولكن بعد أن بُدء في تنفيذ المركّب الجامعي بمدينة الزنتان اتصل بي الدكتور البغدادي المحمودي طالباً مني إلغاء ذلك المركّب من مدينة الزنتان؛ فقلت له: إذا قررت ذلك عليك باختيار أحد أمرين:

١ . إلغاء كلّ المركّبات الجامعية لأنّ ما ينطبق على المركّب الجامعي بالزنتان ينطبق بالتمام على بقية المركّبات الجامعية في ليبيا.

٢ . إقالتي من وزارة التعليم العالي.

فقال: يا دكتور عقيل (هل تعتقد أنّي أنا اللي نبي نلغي المركّب الجامعي بالزنتان)؟

فقلت له من يكون، وقل لهم أنّ وزير التعليم العالي يقترح عليكم بدل هذا القرار أخذكم أحد الأمرين السابقين.

قال: (باهي بعدين نلتقي).

التقينا مساءً بمنزله؛ فقال: (سي معمّر هلي كلّ يوم براي هو اللي ما يبيش بناء المركّب الجامعي بمدينة الزنتان، بل وكذلك يبي يلغي أشياء أخرى من تلك المدينة، وهو لا يفكّر في المشاكل، وكذلك الخسائر المالية المترتبة على الإلغاء).

قلت: (أرجوك لا تستعجل ومطّط الموضوع؛ فالزّمن كفيل بترويض الطغاة).

ردّ على بقوله مازحاً (أنت مجنون، ما تعمل في حساب شيء).

ثم اتصلت بالحاج علي الدبيبة لنقول له لا يستعجل بأيي إجراء في حالة ما إذا بُلّغ بهذا القرار؛ فبادرني بقوله: وصلني أمر بإلغاء المركّب الجامعي الزنتان؛ فقلت: هل أنت مقتنع به؟ قال: (والله ماني مقتنع به، ودونك كلّم الدكتور البغدادي.

قلت، كلمته وتفهّم الأمر لحدٍّ ما، وعليك بالاستمرار في العمل هناك، وعليك بالإسراع.

بعد يومٍ من هذا اليوم كلمني الدكتور البغدادي المحمودي وهو يقول: تبي تلغي المركبّ الجامعي بالزنتان أم أنا الذي سنلغيه.

قلت: إذا ألغيته يا دكتور البغدادي سأستقيل واعتبرني من الآن في بيتي. صمتْ .....من بعده صمتْ .....من بعده صمت ...... من بعده أُقفلت الهواتف.

بعد ساعة أتصل بي الدكتور البغدادي المحمودي وهو يقول "إيش رأيك نشكّل لجنة لدراسة الموضوع، ثمّ بعد ذلك يعرض الرأي على الجماعة (المقصود معمّر)" فقلت هذا معقول جدّاً.

كانت اللجنة مكوّنة برئاسة الدكتور البغدادي المحمودي وعضوية:

١ . أمين التخطيط الدكتور عبد الحفيظ الزليطني.

٢ . أمين التعليم العالي عقيل حسين عقيل.

٣ . أمين المواصلات المهندس على زكري.

٤ . الكاتب العام المساعد الدكتور على النقاصة.

٥ . رئيس مصلحة التخطيط العمراني الدكتور أحمد مختار.

٦ . أمين اللجنة الإدارية لجهاز تنمية وتطوير المراكز الإدارية على الدبيبة.

كان هناك رأي في ذلك الاجتماع من البعض بنقل المركّب الجامعي إلى مدينة أخرى بجبل نفوسة تفادياً للمشاكل كما يقولون، وكان الأخوان الدكتور علي النقّاصة الزنتاني والدكتور أحمد مختار الزنتاني، مع أنّهما يعرضان رأياً موضوعياً إلّا أنّ البعض كان ينظر إليهما باعتبارهما من الزنتان؛ فقلت: أنا أمين التعليم العالي لم أكن زنتاني، ولكن اللهم باطل نغضب من الزنتان نلغي المركّب الجامعي الذي تمّ اختياره وفقاً لمعايير موضوعية؛ فأنا لا يمكن أن أوافق على ذلك، وإذا سألك أحد يا دكتور البغداي قل أمين التعليم العالي متمسّك برأيه، وأنا في حالة غضب اتفق الجميع أن يقرّوا رأياً لا يؤدّي إلى إلغاء المركّب أو نقله من الزنتان.

وعليه:

نقول: الزنتان هي الزنتان، كانت عصيّة على إيطاليا، وهكذا كانت عصيّة على معمّر القذافي وكتائبه، والمرتزقة المأجورين، قبلت أن تدفع الثمن؛ فسجد لها التأريخ لتكون تاجاً على رأسه.

وعودٌ إلى سابق؛ فعندما نقول على الدبيبة متمسّك بالمعيارية كما شهدتُ على ذلك بالنسبة للمركّبات الجامعية نقصدها حيث دخلت تصاميم لبعض المركّبات الجامعية الليبية مسابقة عالمية خارج ليبيا مع تصاميم ما يزيد عن ثلاثمائة تصميماً للمباني الجامعية في العالم؛ فكان الترتيب الأوّل لتصميم المركّب الجامعي (الجامعة الأسمرية بزليطن)، والترتيب الثاني من بين ما يزيد عن ٣٠٠ مشروعاً منافساً كان للمركّب الجامعي بمدينة بني وليد.

على أيّة حال ما يهمني قوله في تلك الفترة أصبح الحاج علي الدبيبة كلّما التقي معه يسبّ القذافي وأبنائه علناً دون أن يستثني أحداً منهم. خاصّة بعد أن أصدر القذافي أوامره بإقالتي من التعليم العالي واختياري عضواً بما كان يسمى بأمانة مؤتمر الشعب العام، التي لم أقبل العمل بها

طوال الأشهر التي كُتِبَ على أنّ أكون أحد أعضائها؛ فعندما جاء أمر القذافي بإقالتي من وزارة التعليم العالي إلى البغدادي المحمودي الذي كان يقدّرني كثيراً، كما أنا أقدّره أكثر، تأثر البغدادي بذلك الأمر الذي لا يستطيع أن يفعل تجاهه شيء، فأتصل بآخرين لعلّهم يستطيعون إبطال مفعول أمر إقالتي من التعليم العالي؛ فكان عبد الرّحمن شلقم، وكذلك إبراهيم امجاد على رأس المحاولين، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل؛ فمعمّر لا يريد عقيل حسين في التعليم العالي، ولا بدّ من إقالته؛ فكان الأمر كذلك، وبالنسبة لي كنت بهذا القرار سعيداً لأعود إلى مكتبتي التي أخذوني منها بعد أسبوعين من التفاوض الذي سأذكره لا حقاً.

بعد أن تمّت إقالتي من وزارة التعليم العالي عَلمتُ بأنّه سيتم اختياري عضواً بأمانة مؤتمر الشعب العام؛ فقلت للدكتور البغدادي المحمودي الذي أبلغني بذلك، بلغ معمّر القذافي برفضي التّام، وإذا تمّ اختياري كرهاً لن استلم، ولن أعمل مهما كان الثّمن، سمع بذلك أبو زيد عمر دورده، ومبارك الشامخ، وإبراهيم امجاد؛ فجاءني كلّ واحدٍ منهم على انفراد، وهم يحاولون معي من أجل أن أقبل ولا نتكلّم بهذا الشأن، ومع ذلك كنت أنا كما أنا.

ومن الطرائف التي جائني بها الأخ أمبارك الشامخ وهو يقول: أسمع يا دكتور عقيل، (مرّ أمامي واحد وهو يقول: أنّه سيتم تصعيدي أمين لمؤتمر الشعب العام، إذا كان هذا الكلام حقّ أرجوك تقبل، واقعد حرّ متى ما تبي تجي تجي، ومتي ما تبي ما تجيي ما تجي اسراحك مطلوق) ضحكنا سويّاً على الأمر الذي يتعلّق بالأخ أمبارك، وهو لم يبلّغ بما يتعلّق به من أمر وغيره قد بُلّغ به.

صدر الأمر؛ فَنُفِّذَ قرار إقالتي من التعليم العالي، واختياري كرهاً عضواً بأمانة مؤتمر الشعب العام، خرجت على الفور وعدّت من سرت إلى منزلي بمدينة طرابلس الجميلة وأنا أشعر بشيءٍ من الحرية، جاءني

الأخوان العزيزان المستشار مصطفى عبد الجليل، والدكتور علي العيساوي، وهما غير راضين عن ذلك القرار، كنت حينها في منزل أخي الحاج محمّد عقيل الذي وجدّته سعيداً بمداخلتي في جلسة المؤتمر، وهو يقول لي (الحمد لله على السّلامة لقد افتكيت من الهم والغم، ونحن سعداء بمداخلتك التي كانت رائعة جدّاً).

بعد تناولنا العشاء خرجت مع المستشار مصطفى عبد الجليل والدكتور علي العيساوي، اللذان أخذاني معهما راكباً في سيارة الدكتور علي العيساوي، وذلك لمناقشة موقفي الرّافض، ومع تقديري الكبير لهما قلت: لن استلم أبداً مهما كان الثّمن، وبعد نقاش اتفقنا أن أستلم أمانة التنمية البشرية، ولكن لا أمارس مهامي بها، وهكذا كانت النتيجة، قبلت ولم أعمل، ولم استلم مكتباً حتى ليوم واحدٍ، سوى اتصال من الأخ مبارك الشامخ لحضور اجتماع؛ فحضرته، وذلك لأنّي أقدّر الأخ مبارك الشّامخ لمواقف اتخذها وكنت شاهداً عليها.

وإن سأل سائل عن المواقف المقدّرة من قبلي للأخ مبارك الشامخ:

أقول: كان رافضاً وبصوت عالٍ أن تلغى مجانية التعليم ومجانية العلاج الصحي للمواطنين الليبيين؛ فواجه القذافي وأبنائه بهذا الشأن في أكثر من اجتماع وأكثر من مرة. فكنّا في اجتماعات اللجنة الشعبية العامّة عندما كان وزيراً مساعداً بها، وكنت وزيراً للتعليم العالي على توافق في الرفض الذي نتشاطر فيه مع المستشار مصطفى عبد الجليل الذي كان وزيراً للعدل، والدكتور علي العيساوي الذي كان وزيراً للاقتصاد.

في ذلك الاجتماع الذي حضرته، جلست على انفراد بالأخ مبارك الشامخ الذي قال ممّا قاله لي باللسان العامي: (الجماعة أنا قولي يبوا يورثوا ليبيا؛ وسيف يعتقد أنّ ليبيا ستكون مزرعته الخاصة، ونسوا جهاد عمر المختار ونسوا أنّ ليبيا وطن لليبيين) وختم قوله: (وإلّا أيش رايك يا عقيل)؟

قلت: لن تكون ليبيا مزرعة لا لسيف، ولا لأبي سيف؛ فقال: (أيوه صار أنت ماشي غادي غادي، نشهد إنّك صدقت).

أمّا الحضور الآخر أو الاستجابة الأخرى كانت بسبب اتصال من البغدادي المحمود بشأن حضور اجتماعين لكي لا تتخذ الأمانة قراراً كانت هدى بن عامر جازمة على اتخاذه، وبتوجيه من المعتصم ضدّ إجراءات اتخذتها اللجنة الشعبية العامّة بخصوص استئناف عملية التنمية التي أنا مقتنع بها عندما كنت وزيراً للتعليم العالي.

خلال تلك الفترة التي كنت فيها عضواً بالمسماة أمانة مؤتمر الشعب العام، كان الحاج علي الدبيبة يأتي إلى منزلي وهو إذا ابتعد كثيراً يسب معمّر القذافي، وإذا اقترب قليلاً يسب أحد أبنائه، وعلى رأسهم سيف، ثمّ يقول العبارة المعتادة بيني وبينه (يخلّص الله البلاد والعباد منهم).

أمّا العام ٢٠١٠م كان كبيساً من أوّله إلى آخره على الحاج علي الدبيبة الذي كلّما ضاقت به الحظيرة كما يقولون يتّصل بي، ويطلب أن نلتقي في منزلي أو في منزله، شريطة أن لا يكون ثالثٌ معنا، إلّا من يكون من أبنائنا ليقدّم لنا القهوة والشاي، وكلّما اتصل بي والآهات تملأ صدره أعرف أنّه يعاني من مشكلة ويريدني أن أفكّر معه تجاهها لمعرفة كيفية الخروج منها، كانت هذه اللقاءات شبه يومية، حتى مرض بأسباب تلك العلل التي كان يسمعها أو يجبر على الأخذ بها.

وذات يوم اتصل بي عبد الحميد الدبيبة وهو يقول، الحاج على تعبان جدّاً، وسيتم نقله بالإسعاف الطائر إلى خارج ليبيا، وطلب منّا أن نبلغك قبل أن يغادر، كنت في ذلك الوقت في مدينة غريان الجميلة، أسرعت عائداً إلى العيادة التي كان نزيل بها في طريق بن غشير؛ فوجدّته يعاني من جلطة (شفاه الله منها) بعد أن تمّ إسعافه إلي إيطاليا، وكانت هذه الحادثة في ٢٥ ديسمبر ٢٠١٠م؛ بقي هناك تحت العلاج وفقاً

لأمر الطبيب إلى أن تفجّرت الثورة البركان بتونس ١٤ يناير ٢٠١١م، والثورة الصامدة في مصر ٢٥ يناير ٢٠١١م؛ فأصبحت بعدها اتصالاتنا الهاتفية مليئة بالشتائم لطاغية تونس وطاغية مصر، وفي الوقت ذاته نغلّف كلماتنا ونحن نهمس بما يمكن الهمس به بين الأسطر عن طاغيتنا، إلى أن ربط اتصال هاتفياً بيننا اتصال بالمستشار مصطفى عبد الجليل يوم إعلانه الانشقاق عن نظام معمّر القذافي بثورة ١٧ فبراير مباركين ومؤيدين ومناصرين.

فقربت ساعة الفرج كما يقولون، ولكن وللأسف صَعُب الاتصال بيننا بأسباب المراقبة الهاتفية على كلّ اتصالاتي.

وعندما ما خرجت مشاركاً في عملية المفاوضات التي سيتم الحديث عنها لاحقاً، اتصلت بالحاج علي فلم أجد اتصالاً يربطني معه؛ فاتصلت بأبنه أسامة الذي أعطاني رقم الهاتف البديل؛ فاتصلت بالحاج علي وكانت الفرحة بيننا يوم عيد، تذكّرنا من خلالها تلك الآلام والأوجاع، وتلك الاستقالات الثلاثة التي كنت شاهداً عليها عندما يأتي الحاج علي ويعرضها عليّ قبل أن يقدّمها إلى البغدادي المحمودي ، ولكن القذافي كان يرفضها.

ونحن في حديث الأخوّة ونشوة انتصار الثّورة قال الحاج علي: (ألم أقل لك أنّ القذافي قد اتصل بي عن طريق هاتف ابن اخته سهل).

ماذا يريد منك؟

يريدني أن أرجع إلى مصراته.

وماذا يريد؟

قال، اتصل بي سهل ابن أخت القذافي، وقال لي: أنّ خالي (القذافي) يريد أن يتكلّم معك عن طريق هاتفي، ولذا سأدخل عليه الآن واتصل

بك من جنبه، وليكن في علمك أنّ لاقط الصوت (المايك) سيكون مفتوحاً أمامه لتسمع ما يود أن يقوله لك.

وماذا قال لك؟

قال لي: (ارجع يا حاج علي إلى مصراته وشوف جماعتكم أيش يبوا)

قلت له (انا لا زلت نعاني من المرض والطبيب مانع عليّ السّفر).

قال: (ارجع ولو لمدّة ثلاثة أيّام، وشوف جماعتكم أيش يبوا، واللي يبوه اعمله لهم).

قلت: حاضر، ولكن عندي سؤال يتطلّب منك إجابة.

ما هو؟

قال الحاج علي للقذافي: أنَّ جماعة مصراته سيقولون لي بدون شكّ: (والذين قُتلوا من اولادنا من قِبل الكتائب هل سيردّون لنا أحياء معافين)؛ فقفل الهاتف بوجه السرعة وانتهت الاتصالات.

قلت: لو كنت هناك في ليبيا لقطع رأسك ورأس من يجده معك.

قال: الحمد لله سلمنا من قبضته، ولكنّه بعد ذلك الاتصال الملعون بأربعة ساعات بعث مليشياته لمداهمة منزلي ومنازل ابنائي وتمّ أخذ كلّ شيء.

بعد أن أعلنت مدينة مصراته (صانعة التاريخ) أنّها عصيّة على الطاغية وكتائبه ومرتزقته، بعث الحاج علي أبنيه: حسين وأسامة الذي قال لي عندما اتصلت به سائلاً عن هاتف أبيه (الحاج علي) بعد أن غيّر رقمه المعروف لدي، قال يا عمي الدكتور حتى أنت قالوا منشق؛ فقلت له أنا مقسوم بالنّص؛ فضحك كثيراً وفرح أكثر.

ثمّ بعد أيّام أتصل بي أسامة وهو يقول أنا في الجبهة الشرقية، وأخي حسين في الجبهة الغربية (الدافنية)، فسألته أين إبراهيم؟

قال إبراهيم يقاتل مع الدكتور على الصلابي مرّة في تركيا ومرّه في بريطانيا، وهكذا الحاج على يتابعهم من مكان إلى مكان مع ثوار ١٧ فبراير.

تحرّرت ليبيا على أيدي ثوار ١٧ فبراير؛ فعمّت الفرحة ربوعها دار دار، شارع شارع، زنقة زنقة.

عند بداية تأليفي لهذا الكتاب اتصلت بالحاج علي كالعادة وأنا أشيد بدوره وأبنائه تجاه ما قاموا به وقدّموه لثورة ١٧ فبراير، وقلت له كانت أسرة متكاملة الأدوار لو كان للحاجة خديجة محمّد الدبيبة (زوجته المصونة) دوراً معكم لكانت أسرتكم أنموذجية؛ فقال: لقد أصدرت ديوانين من الشعر تحت أسم (بنت الوطن) عن ثورة ١٧ فبراير، وانتصارات الثوار وصمود رجال ونساء وأطفال مصراته؛ فقلت وما عنوانيهما؟

قال:

الأوّل: رياح الثورة.

الثاني: واستجاب القدر.

قلت: الآن تكاملت أدوار الأسرة من أجل الوطن؛ فلكم مني التحيّة مع وافر التقدير، لكل حبّة من حبات الرّمل بمدينة مصراته التي أنجبت أبطال كُثر؛ فهم بحقّ جميعهم أحفاد السويحلي، وأخصُّ منهم الشهيد البطل (خالد أبو شحمة) أوّل الشهداء في مدينة مصراته يوم ٢٠١١/٢/١٨م، والعقل المخطط للمعارك الكبرى الحاج سالم جحا، وأبناء ألقن الشجعان، والبطل ليث بن رأس علي، والدبابسة أسود الصحراء، وأبناء أبو هادي الفرسان، وكل قبيلة من قبائل مصراته، وكلّ مكوّن من مكوناتها المدنية.

وعليه:

مصراته تاريخ متكامل في السياسة والاقتصاد والاجتماع، ببطولات رجالها ونسائها وشبابها وحتى أطفالها، مصراته هي التي جعلت ليبيا باقية ليبيا هي كما هي دولة موحّدة، ولولاها والزنتان وجبل نفوسة لكانت ليبيا منقسمة غير موحّدة؛ فالتّحية لصنّاع التّاريخ الذي منهم الشهيد البطل (فرج ابو قدادة) آمر كتيبة خطّ النار بمصراته، الذي كان له الفضل الكبير بمدّنا بأحدث الأسلحة المتنوّعة عندما كنّا نعدّ العدّة لدخول الجنوب؛ فقد جاء لمنزلي بحمولة سبعة سيارات من الصواريخ والرشاشات والقنابل، جُهّزت بها تلك الآليات التي سُلّمت لآمر كتيبة درع الجنوب إبراهيم مسعود محفوظ المقرحي.

شهادة

من بشير صالح

التقيت صدفة بالحاج بشير صالح في تونس في الفندق الذي كنت أحد المقيمين فيه وأنا في زيارة لتونس، بعد السّلام سألته كيف خرجت؛ فقال: لقد تمّ القبض عليّ من قبل ثوّار ١٧ فبراير، وتمّت مداهمة منزلي، وأخذ كلّ ما فيه، بعد أن خرج كلّ أبنائي حافاة الأقدام، ولكن بعد ذلك وضعت في فيلة ممتازة، وكانت المعاملة أكثر من ممتازة.

كيف خرجت؟

قال: أُطلق سراحي من قِبل الثوار، وقد قابلت المستشار مصطفى عبد الجليل قبل أسبوع من مجيئي إلى هنا، ولقد قابلني بكلّ احترام، وقلت له أنا تحت خدمتكم يا سيد المستشار عبد الجليل؛ فقال: عندما نحتاجك نبحث عنك، وودّعني بكامل حريتي التي أوصلتني إلى هنا، بعد أن سألني بشكل خاص عن المحفظة التي قلت له بشأنها: لم أخذ معي شيئاً منها سوى مستحقاتي.

في اليوم الثاني التقينا صدفة أمام المصاعد في ذات الفندق، فجلسنا قليلاً لتناول القهوة معاً، وسألته:

يا أخ بشير أريد أن أسألك سؤال:

تفضّل (أيش هو)

القذافي مع أنّه يُظهر تقبّل أهلنا إلّا أنّني أشعر أنّه لا يثق فيهم أبداً؛ فما رأيك يا حاج بشير باعتبارك المقرّب منه ولا أسرار تغيب عنك؟

"نقول لك يا سيد عقيل: (أنَّ القذافي لا يثق في أحد)، ولكنّه لا يأمن ثلاثة رئسيين.

من هم؟

أوّلاً: لا يأمن القذاذفة.

هذا غير معقول يا حاج بشير!

أنت حرّ، ولكن هذه الحقيقة؛ فهو لا يثق فيهم، ولا يحبّهم يمتلكون المال، ويخشى أن ينقلبوا عليه.

سبحان الله هم الذين بعض قياداتهم عبثت، وملكت، وأفسدت بأسباب القرب منه والقرب إليه، وهم الذين لا ثقة فيهم، ومع ذلك فهم الذين بأسبابه سيدفعون الثمن غالياً، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

ثانيا: إنّه لا يثق في علي الدبيبة كونه مصراتي وبيده المال؛ فهوى يراه رأساً من الرؤوس التي لا ثقة فيها، وبالتالي فهوى تحت المجهر.

ثالثاً: عبد الله السنوسي والمقارحة، يعتبرهم خطر على سلطته؛ فهم من وجهة نظره قادرون على إلحاق الضرر به، وبالتالي هادنهم، ولذا فكلّ هؤلاء الذين يخشاهم يعمل بهم ما يشاء، ولا يتركهم يستقلّون عنه حتى لا يجعلونه يدفع ثمناً هو في غناً عنه.

وفي حديثٍ لي مع الأستاذ علي زيدان عمّا قاله بشير صالح عن هؤلاء المقرّبين الأعداء، قال ألم تعرف يا أخ عقيل من هو عدو القذافي؟

قلت: كثيرون.

قال: على رأس الكثيرين صفية فركاش؛ فقلت لماذا؟

قال: لأنّها الأقرب منه.

وهذا الأمر ذكّرني بما قاله لي أسامة علي الدبيبة وهو في سرت مقاتلاً مع المقاتلين (تعرف إيش القينا اليوم يا دكتور عقيل عن قبيلتكم).

ماذا وجدتم؟

كتاب في منزل أحمد إبراهيم القذافي مكتوب بخط يده وموجهه إلى مسؤول من القذافة في الجنوب (لم يسمه لي)، يقول فيه: (المطلوب منكم معاملة المقارحة معاملة مواطنين من الدّرجة الثانية).

أين هذا المخطوط؟

حوّل مع وثائق كثيرة إلى الحفظ في مصراته.

وعليه فالقذافي كان يعمل وفق قاعدة (لكي تأمن عدوّك يجب أن تكون على مقربة منه)، وفي هذا السياق تقول البادية: (القبر الذي تخاف منه نم عليه).

وفي هذا السياق أيضاً، قال الحاج بشير صالح: لقد قرّب القذافي واستخدم كلّ هؤلاء وهم تحت المجهر. غنّى له من غنّى، وقُتل منهم من قُتل، وقاتل معه من قاتل، ودفع إليه من دفع بغير حِساب.

والله يا أخ بشير صالح الحمد لله لقد انتصرت ثورة ١٧ فبراير، ليتحرّر الجميع حتى ولو كان البعض في غيبوبة.

ثمّ سألته:

كيف كان ينظر القذافي إلى الثوّار؟

كان يعتقد أنّهم لا يزيدون عن ٢٠٠ من الجماعات الإسلامية المتطرّفة.

كيف يصدّق ذلك ونصف ليبيا الشرقي تحرّر خلال أربعة أيّام؛ ومصراته منفصلة عنه من أوّل يوم، وأبناؤها قبلوا دفع الثّمن من أجل الحرّية، وكذلك مدينة الزنتان قرّر أبناؤها قبول الموت من أجل أن تكتب لهم الحياة؟ ومدينة طرابلس (فشلوم وسوق الجمعة وتاجوراء والشط وزاوية الدهماني) بل كلّ شوارعها وازقتها ثائرة، وقبلت أن تدفع الثّمن

تقتيلاً وسجناً من أجل أن تتحرّر ليبيا من طغيانه، وهكذا كلّ أسرة في ليبيا تصرخ بأعلى صوت (إرحل أيّها الطاغية) كما بادرت بالصراخ أسرة سعيد الجضران باجدابيا يوم ١٧ فبراير، وهي تطالب بإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين دون استثناء، فهذه الأسرة يا أخ بشير صالح كان لها خمسة من أبنائها سجناء في أبي سليم، ولذلك لم يخش ابنها صالح سعيد الجضران وأخوه محمّد ظلم الطاغية، وأمهم معهم تتصدّر المتظاهرين في مواجهة قوات الأمن الغاشمة، فخرجت الأسرة بكاملها يوم ١٧ فبراير، وهى تقول للقذافي بصوت عالٍ: (إرحلّ).

قال بشير صالح: لم يصل القذافي كلّ شيء كما هو، قلت في نفسي: هذا تبرير من بشير صالح، ومع ذلك عرفت أنّ بشير صالح عنده من المعلومات والأسرار ما يفيد لتصحيح تاريخ ليبيا وإعادة كتابته، ويا ليت ما عنده يُكتب.

قلت يا حاج بشير نأمل أن تكتب ما عندك من أسرار وحقائق.

قال: لن أكتب شيئاً.

وسألته: كيف كان الأمر بالنسبة للقذافي عندما قَبِلَ بالتفاوض مع الثوّار؟

كان يتوقّع من الثّوار في الشرق أن يطالبوا بتقسيم ليبيا إلى دولتين (شرقية وغربية)، وهذا الذي كان يأمله، وبالتالي بالنسبة إليه كان هذا المأمول، ولكنّه لا يود أن يطرح من قِبله؛ بل يريده أن يخرج من أفواههم، وهذا ما لم يتحقّق.

يا إلهي: أين ذلك الوحدويّ الذي كان البعض يظنّه حريصاً على وحدة العرب؟

وأين ذلك الأفريقي؟

وأين ذلك الإسلامي؟

وأين ذلك الأممي؟

من أجل أن يحكمنا وأبناءه من بعده قبل بأيّ شيء ولو كان خيمة في الحمادة الحمراء.

وهذه ذكّرتني بأخر أيّامه حينما جاءني عبد الله السنوسي، قبل يومٍ من ذهابي والسيد أبو زيد دورده إلى مصر بهدف التفاوض مع الدكتور علي الصلابي والمهندس عبد الرزاق العرادي المكلّفين من قبل المستشار مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الوطني الانتقالي للتفاوض معنا في ذلك الوقت؛ فعند مجيئه قال لي: نبّوك تشوف الدكتور علي الصلابي، وتقول له (ألا يكون من الأفضل لنا جميعاً (نحن والإسلاميين) أن نشكّل تحالفاً مشتركاً؟ وبطبيعة الحال يقصد بقوله (نبّوك تشوف الدكتور علي الصلابي) الضمير عائد على أنّ معمّر هو صاحب هذا المقترح وليس عبد الله السنوسي.

فقلت: يا عبد الله أنا لا يليق بي أن أقوله، ومع عدم اقتناعي عليكم بالأخ أبو زيد دورده.

قِيل هذا المقترح للأستاذ أبو زيد دورده الذي بدوره نقله للدكتور علي الصلابي، ولكن الدكتور الصلابي لم يتفاجأ بهذه الرّسالة؛ فقد أخبرته عند التقائنا والمهندس عبد الرزاق العرادي ثالثنا، بأنّه قد طُرحت عليّ رسالة مفادها ما ذكرته، ولكني رفضتها وسيطرحها عليك أبو زيد دورده غداً أثناء اللقاء في جلسة المفاوضات (كان لقائنا الثلاثي في الفندق حيث لا أبو زيد رابعاً لنا).

بطبيعة الحال العقل التآمري دائماً (هو كما هو تأمري)؛ فالقذافي يعتقد أنّ الإسلاميين همّهم الوصول إلى السلطة حتى ولو كانت على حساب القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، ولهذا أخذ أبو زيد الرّدّ من الدكتور علي الصلابي، الذي قال له: نحن لم نكن طامعين في سلطة على حساب

حرّية الوطن؛ فالوطن أوّلاً، ثم يُترك أمر تداول السلطة لليبيين وخياراتهم الحرّة وبكلٍّ شفافية. قل يا أستاذ أبو زيد للقذافي أن يتنحى ويترك الليبيين وحالهم.

وفي اليوم الثاني من عيد الفطر المبارك اتصل بي عبد الرحيم أبو صبع القذافي من بريطانيا وهو يقول: يا دكتور عقيل أنت مقبول عند جميع الأطراف، سبها لقد استجابت لتأييد الثورة شريطة أن يكون لها مجلس عسكري ثوري، ويكون مسعود عبد الحفيظ هو رئيسه.

قلت: يا عبد الرّحيم أنا مستعد أن أتصل بالأخوة في بنغازي، ولكن لا يليق بي ولا بيكم أن يكون مسعود عبد الحفيظ حتى عضواً في المجلس العسكري أو المجلس الانتقالي المحلي لمدينة سبها، ولذلك أنصحك أن تتّصل بأهلك وتقول لهم أن يختاروا مجلس لا مسعود فيه، إذا أرادوا اعتماده، وأنا في انتظار الرّد من قبلك.

قال: خذ هاتف أحمد قذاف الدم وكلّمه؛ فهو مستوعب هذا الموضوع جيّداً؛ قلت: لا علاقة لي بأحمد قذاف الدم، إذا أنتم اقتنعتم أن لا يكون مسعود عبد الحفيظ وغيره من الذين أيديهم لطّخت بدماء الليبيين؛ كلمني وأنا مستعد أن أتحدّث مع الأخ المستشار مصطفى عبد الجليل في هذا الأمر.

لم يرد.

انتصر ثوار ١٧ فبراير؛ فتحرّرت ليبيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وسماء وبحراً.

وقبل خمسة أيّام من اتصال عبد الرحيم أبو صبع بي، اتصل بي ابن أخي عقيل الهادي حسين من الشاطئ، وقال: يا عمّي هناك أمرٌ يدور في الجنوب بأنّ مسعود عبد الحفيظ ومجموعة أخرى تتبع القذافي تريد أن تفصل الجنوب، لتجعله إقليماً يتبع دار فور؛ فقلت: لقد انتهى كلّ

شيءٍ بخير؛ فإن لم تكن مقبرة الضالين سرت ستكون إنشاء الله مقبرتهم سبها.

وعليه: فأناس لا تهمّهم ليبيا، بدون شكٍّ سيتمسّكون بأيّ شيء يمكن أن يؤدّي إلى تقسيمها، أو على الأقل يؤدّي إلى إضعافها، ولذا وإن كانت رؤية الإخوة الذين يطرحون الفيدرالية مشروعاً إقليمياً من وجهة نظرهم وفق رؤية وطنية، إلّا أنّني لا أظن أنّ الوقت مناسبٌ؛ فالفيدرالية في أساسها مولود الاحتمالين في الوقت الواحد؛ فهي:

* إمّا أن تكون مولود تحرير دولة بعد استعمار، أي عندما يشعر المستعمر أنّ شعرة كفّتي الميزان بدأت تميل في اتجاه مغالبته أو هزيمته، يلتجئ إلى الموافقة على الاستقلال بشكل فيدرالي كي لا تكون من بعده الدولة التي كانت تحت احتلاله دولة قويّة، ومن ثمّ سيكون متربص الدوائر بها إذا ما أتيحت له فرص العودة لاحتلالها من جديد، وتكون الخسارة من بعد العودة لاحتلالها أقل ثمناً.

ولذا فليبيا التي نالت استقلالها بالقوّة بعد أن دفعت نصف مواطنيها شهداء، كانت دولة مخيفة للمستعمرين؛ فدولة عدد سكانها قبل الاستعمار مليون ونصف مواطن، يستشهد منه ٧٥٠ ألف شهيد؛ ألا يكون بحقٍّ شعبٌ مخيف؟

بالتأكيد أنّه شعب يخيف، ذلك لأنّه لا توجد دولة على الكرة الأرضية قدّمت نصف عدد سكانها شهداء مثل ما قدّمته ليبيا، وهنا يكون الأمر مخيف جدّاً، ومن هنا جاء أمر القبول بالاستقلال مقترناً بالقبول بالفيدرالية. ومع ذلك عندما تعافت الدولة من شروط المستعمرين في عهد ملكها ادريس السنوسي توحّدت عن إرادة حرّة.

* أمّا الولادة الثانية فتتكوّن الفيدراليات فيها من دول يكون رأس مالها الاقتصادي والعسكري قوي، وكذلك بعدها الاقليمي أوسع كما هو

حال الولايات المتحدة الامريكية التي لها من رأس المال ما يمكّنها من بناء تنظيمها السياسي، ولها من القوات الوطنية ما يمكّنها من لجم أيِّ ضعف على مستوى أيِّ ولاية من ولاياتها المتحدة. وهكذا كان للقوة الاقتصادية دور في تكوين الدول الفيدرالية كما هو حال سويسرا، وبريطانيا، والهند، والارجنتين، واستراليا، وفنزويلا، والمكسيك، وماليزيا. وهذه الدول جميعها تختلف فيدرالياتها لغةً، أو ديناً، أو عرقاً، أو قوميّة، ومن هنا لا جامع بينهم تحت راية واحدة، ونشيد وطني واحد بدستورٍ واحدٍ إلّا القانون الفيدرالي.

إذن الفيدرالية في أساسها مكوّن لنظام سياسي لا تكون إلّا بين مختلفين قوميّاً، أو عرقيّاً، أو دينيّاً، أو لغويّاً، ولا يجمعها إلّا رأس مال قوي ومصالح مشتركة لمن هم في أساسهم مختلفون؛ فهي تجمع بين هويّات لتحوّلها إلى شخصية قانونية واحدة تحت نظام سياسي واحد، مع احتفاظ كل خصوصية بخصوصيتها التي تميّزها عن غيرها.

و مع أنّ الشعب الليبي له من ألوان الطيف، إلّا أنّ ألوان طيفه لا تزيده إلّا تنوّعاً وجمالاً، فليبيا لا يمكن أن تكون ليبيا الجميلة إلّا بجمال أمازيغها، وطوارقها، وتبوها الذين جميعهم يدينون بالإسلام، وجميعهم يتحدثون العربية وإن حافظوا على ما ورثوه من الأجداد، وجميعهم دفعوا الثّمن غالياً عبر التاريخ من أجل استقلال ليبيا دولة حرّة ذات سيادة. ولأنّهم كذلك؛ فهم يختلفون عن تلك المكوّنات لتلك الفيدراليات التي لم تكن جلود ودماء أصحابها من تراب تلك الدّول التي جمعتهم في فيدرالية واحدة.

وعليه:

إنَّ دماء الليبيين تختلف كثيراً عمّا ذُكر مكوّناً للمكوّنات الفيدرالية؛ فهي دماء من تراب ليبيا، وليست دماء مجمّعة تجميعاً فيدرالياً.

ولذا منطقيّاً يمكن أن تكون الفيدرالية مطلباً شعبياً عاماً قبل الاستقلال، حتى يأتي الاستقلال موحّداً للمطالبين بها إرادة حرّة، مع أنّهم فيما بينهم مختلفون قوميّاً، أو دينيّاً، أو لغويّاً، أو عرقيّاً، وهذا ما لا ينطبق على مطالبة البعض بالمكوّن الفيدرالي في ليبيا المستقلّة.

وفي مقابل ذلك إنْ كان هناك من يحلم بعودة الأمجاد الخاصّة على حساب أمجاد الشعب؛ فمن حقّه أن يحلم، ومن حقّه أن يسعى، وفي المقابل من حقّ الشعب أن يعرف الحقيقة حتى لا ينساق وراء حُلم خاصّ، فالذين سبق لهم أن كانوا رؤوساً لتلك الفيدراليات الليبية المقرّة من المستعمرين وفق شروطٍ منحت بها ليبيا استقلالها، بالتأكيد ستكون أحلام بعض المنتميين إليهم في دائرة الممكن بين (متوقّع وغير متوقّع). وفي هذا الأمر سواء أكانوا يدرون أم لا يدرون، يجدون أنفسهم متوحّدين في هذا المطلب مع ذلك المطلب الذي وضعت لبناته من فم القذافي آخر أيّامه عندما عرف أنّ الشرق الليبي أصبح مستقلاً بالتمام عن نظامه؛ فقال: ولِمَ لا ينفصل الشرق عن الغرب، وفقاً لتلك الرغبة التي كشف سرها بشير صالح بقوله: كان القذافي يريد الانفصال عندما أُسقط في يده، ولكنّه كان يريد أن تخرج كلمة الطلاق من أفواه أهل الشرق، وهذا لا يختلف عن ذلك المطلب الذي تسرّب من بقايا النظام بعد أن تحرّرت العاصمة طرابلس بقولهم: يجب أن ينفصل إقليم الجنوب عن ليبيا ويُربط بإقليم دار فور.

وإلى جانب ذلك لا ينبغي أن نغفل عن موقف الغرب ومناصرته لثورة ١٧ فبراير، وفي الوقت ذاته نلتمس لهم عُذراً؛ فهم إن لم يروا الامور قد استقامت في ليبيا الثورة، بالتأكيد سيكون لهم ظهورٌ في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) وهذا ما يجعلني أقول: مع أنّهم مناصرون لثورة ١٧ فبراير، إلّا أنّهم لا يغفلون عن مصالحهم الوطنية التي هي عبء ثقيل على كواهلهم؛ ممّا يجعلهم لا يفرّقون بين ليبيٍّ وليبيٍّ آخر وإن كان من

عناصر ذلك الزّمن الذي اطاحته الثورة. ولذا فالسفارات الأجنبية في ليبيا بدون شكّ هي عيون لا تعرف النوم في سبيل مصالح أوطانها.

وعود إلى شهادة الحاج بشير صالح، الذي قلت له ممّا قلته: سمعت أنّك ذهبت إلى فرنسا مبعوثاً أو مفاوضاً في تلك الأيّام التي كان الاقتتال فيها على أشدّه بين الثوّار وكتائب القذافي؛ فبماذا رجعت؟

عدّت بحلٍ كان في ذلك الوقت مناسباً، ولكن معمّر لم يقبله.

وما هو ذلك الحلّ الذي عدّت به؟

أن تشكل لجنة تتولى الأمر في ليبيا بشكل متساوٍ، أي ٥٠% يمثلون النظام و ٥٠% يمثلون الثوّار، وقال لي الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي إذا أنت يا بشير اقنعت القذافي فأنا أقنع الطرف الآخر.

جئت لمعمّر وعرضت عليه الأمر؛ فأخذ الورقة مني وقسمها نصفين.

كما سألت بشير صالح:

من الذي كان وراء سلامتك حتّى وصولك إلى تونس؟

قال:

أولاً: الفرنسيون لهم الفضل عليّ.

ثانياً: خمسة من الرؤساء الآفارقة أجروا اتصالات معي؛ فكان مجموع هذه الاتصالات مكسباً به أصبحت هنا، وسأتنقّل بحرية أينما شئت وسأمارس نشاطي عن إرادة ووفقاً لاختياراتي.

قلتُ في نفسي شيئين:

أوّلهما: أنّ خروج بشير صالح لا شكّ أنّه سيكون عاملاً رئيساً في إخفاء جزء كبيراً من الحقيقة التي يجب أن يعرفها الليبيون.

والثانية التي قلتها في نفسي أيضاً هي: لم أفهم كيف يُذبح الخروف ليلاً ويُصبح بخير، ولكن دائرة الممكن واسعة فهي تحتوي على المتوقّع وغير

المتوقّع، ولهذا لا استغراب، وإليكم قصّة ذلك الخروف الذي ذُبح ليلاً وأصبح بخير:

حضر الضيف إلى المدينة، واتصل بصديقه من الفندق ليبلغه بوصوله، فدعا الصديق المقيم صديقه الزائر إلى وجبة غذاء ليوم الغد، وقرّر ذبح الخروف الذي اشتراه يوم الأمس لهذه الضيافة، وصدر ذبح الخروف ليلاً، على أن ينفّذ صباحاً لتتمكن الزوجة من إعداد وجبة الغذاء في وقتها المناسب، في هذه الحالة يُعد الخروف مذبوحاً وفقاً لقرار ذبحه، سواء بالنسبة للخروف أو إلى مالكه، ولكن من الناحية التنفيذية لازال الخروف على قيد الحياة، وإنّ التنفيذ في حقيقته ما هو إلّا تأكيد على اتخاذ القرار.

في الصباح الباكر اتصل الصديق الزائر بصديقه يعتذر له عن عدم حضوره وجبة الغذاء التي اتفقا عليها نتيجة ظروف طارئة اضطرته إلى المغادرة في الحال. ومع أنّ العقل قد قرّر ذبح الخروف، إلّا أنّ الحظ جعله لازال حيّاً، ولهذا ذُبح الخروف ليلاً وأصبح بخير، وهكذا يبدو أنّ بشير صالح من المحظوظين، ولو كان غير ذلك لجاء الضيف في موعده.

صالح عبد السّلام

الفرجاني

صالح عبد السلام صديق تربطني به علاقة صداقة، ولذلك كان المبعوث لي من قِبل سيف القذافي ليبلغني بأنّه يريدني أن أكون وزيراً للتعليم العالي، فقلت له أنا باحث، لا أجيد إلّا لغة البحث العلمي؛ فهذه مهنتي ويصعب على تركها، ابحثوا عن غيري، في ليبيا الكثيرين، وعليكم أن تختاروا أفضلهم لتولي وزارة التعليم العالي.

كان حريصاً ومصرّاً على أن أكون أنا وزيراً للتعليم العالي، وهو يقول: يا أخ عقيل معمّر يريد عبد الكبير ألفاخري، فأرجوك أن تقبل.

قلت: عليكم بعبد الكبير الفاخري مع أنّني لا أعرفه جيداً؛ فأنا لا أريد، وقل لسيف عقيل لن يقبل؛ فخرج صالح عبد السلام من منزلي وهو يقول: لن أقول لسيف بإنّك لن تقبل.

أتصل بي قبل اختيار الوزراء بيومين حوالي الساعة الثانية ليلاً (صباحاً) وهو يقول: إن كنت نائماً سامحني، واصحى نريد أن نأتي إليك، قلت ألا يكون الوقت متأخراً، قال أرجوك انتظرني أنا في الطريق وقريب من منزلك.

جاء وهو يقول أرجوك يا دكتور عقيل أن تقبل وزيراً للتعليم العالي.

قلت لا يمكن؛ فكان ملحّاً على أن أقبل وزارة التعليم العالي، ثمّ طلب مني أن يدعو الدكتور عبد الكبير الفاخري للحضور إلى منزلي ليبلغه بأمرٍ، أو أن نذهب معه إليه؛ فقلت عبد الكبير لم يسبق له معرفة منزلي، والوقت متأخر اترك الأمر إلى الصباح إن لم يكن أمر دعوته ضروري لهذه الدرجة؛ فقال الآن؛ فقلت هيّا بنا، وكانت بالنسبة لي هي الزيارة الأولى لمنزل الفاخري، وحينما وصلنا إلى هناك قال: يا دكتور عبد الكبير سيكون الدكتور عقيل هو أمين التعليم العالي، وأنت كما أنت الكاتب العام.

قلت، يا صالح أنا لا أرغب، ولكن صالح وكأنّه لا يريد أن يستمع لهذه الإجابة؛ فقال هيّا بنا، ثم خرجنا مباشرة، اتصل صالح بسيف القذافي وأخبره بأنّ اللقاء بيني وبين عبد الكبير الفاخري قد تمّ بنجاح، ولأنّني لم أفهم المعايير أو الأسس التي تمّ وفقاً لمعطياتها ذلك اللقاء بنجاح، قلت يا صالح على أيّ أساس كان النجاح؛ فقال أرجوك يا دكتور أن تترك الأمور تمشي.

بعد انبلاج نور ثورة ١٧ فبراير اتصل بي الأخ صالح عبد السلام هاتفياً بتاريخ ٢٠١١/٣/١٣م، وقال إذا كنت في البيت لدي رغبة أن أراك.

قلت: تفضل أنا موجود.

ومع أنّه حضر مع وافر الودّ، إلّا أنّ شيء من المخاوف كان يصاحبني، وذلك لكونه يعمل في دائرة سيف القذافي، ومع ذلك أخذته في جلسة خصوصية، وأنا أقول: البلد في أكبر أزمة، ولا من يسمع؛ فقال: يا ليتنا نجد من يسمع.

قلت له: أنا خائف أن يتمّ استغلال الحاج عمّار أحريبه (قريب صالح عبد السلام ووالد زوجته، وهو معروف شيخ من مشايخ ترهونة والفرجان)؛ فقلت: هذا شيخ؛ فلا ينبغي أن يشوّه من قبل القذافي ولا من غيره.

قال: هذا زمان، أمّا اليوم فالشيخ عمّار فائق بكلّ شيء، ولن يضحك عليه أحد، فهو منتبه مثلي وأكثر.

قلت: لا يمكن أن يُترك الحاج عمّار هكذا، وعليه أن ينتبه جيداً؛ فقال صالح إنّ منصور ضوء يوزّع في السّلاح والنقود على المناطق؛ فاليوم استدعى الحاج عمّار احريبه، وطلب منه أن يستلم السّلاح والنقود لتسليح المتطوعين من شباب ترهونة والفرجان لمقاتلة الثوّار، ولكن الشيخ لم يقبل هذا الطلب؛ فقال لمنصور ضوء إذا كان السلاح لحماية

ترهونة حاضر، وإذا كان من أجل أن يذهب شباب ترهونة والفرجان إلى المناطق الأخرى؛ فأرجوك أن تعفيني من هذه المسؤولية.

ثمّ جاءني الأخ صالح عبد السلام في شهر مايو وهو يقول: لك عندي معلومتان:

ما هي؟

المعلومة الأولى: أنّ ابن الشيخ عمّار أحريبه التحق بالثوّار في بنغازي.

مَنْ من أبنائه؟

ابنه خالد (خالد عمّار أحريبه).

قلت: الحمد لله.

أمّا الثانية: يقول صالح عن نفسه (لقد أصبحت مبعداً)، ثمّ قال: والمقرّبون بلا حدود في هذه الفترة وبأكثر زيادة هم: آخرون، على رأسهم محمّد إسماعيل.

قلت: ألا تعرف لماذا يريدونك أن تكون بعيداً؟

قال: لا.

قلت: لأنّك فرجاني، ولا ثقة في الفرجان، ثمّ أنّ السيد حفتر شخصية بالنسبة لهم مخيفة؛ فأنت دائماً لا ينظر إليك إلّا من هذه الزاوية، فقال (أنا عارف كلّ شيء) لا تخاف يا دكتور عقيل لن يضحكوا عليّ مرّتين، ولم تعدّ لديّ الرّغبة لأن أكون معهم، وهم كما تقول يا دكتور يقتّلون الليبيين ظلماً، ويا ويلهم من ربّ العباد.

ودّعته على أن يعود ثانية؛ فكان الأمر كذلك حيث أنّه عاد إليّ بعد خمسة أيّام وهو أكثر حماسة لأن يستمع إليّ؛ فقلت: فكّر في نفسك، ستكون مطلوباً ما لم تنشق عنهم؟

قال: استدعاني سيف، وأسمعني رسالة مفادها أنت فرجاني، ولا ثقة فيك خاصّة وأنّ أوّل بيان بعد ١٧ فبراير قد أصدره حفتر ابن عمّك، وأنت على علاقة جيدة بـ (عقيل حسين) الذي له علاقات مع مصطفى عبد الجليل وعلي الصلابي، وأنَّ التوهامي خالد (رئيس جهاز الأمن الداخلي) قد كتب فيك تقريراً يقول فيه: (أنَّ أخوك يجهز لك مسكناً في الإمارات) وهذه المعطيات جعلتني أبلّغ الدكتور البغدادي المحمودي ليضعك في قوائم الممنوعين من السّفر، وستكون تحت المراقبة، ثمّ طلب مني الخروج؛ فخرجت.

وهل قال سيف شيء آخر عني؟

قال ممّا قاله: أنَّ عقيل لم يكن معنا؛ فأنتم سمعتم شكر مصطفى عبد الجليل له عندما كان في زيارته إلى فرنسا، وهذه رسالة تعني أنّ ترتيباً ما يجري بين مصطفى عبد الجليل، وعقيل حسين، وعلي الصلابي، ونحن نتابع في هذا الأمر جيداً.

قلت: بغض النظر عمّا قلته لي يا صالح: عليك بالخروج بأيّ طريقة وأن تنشق من هذه المنظومة الظاملة.

عمل بهذه النصيحة؛ فخرج إلى الأردن ثمّ إلى مصر، ولكنّه لم يعلن عن موقفه رسميّاً لوكالات الأنباء.

وفي لقائنا السابق، سألت صالح عبد السلام عن الكيفية التي يرى بها سيف القذافي ما يجري في ليبيا.

قال: يرى أنَّ النّاس معهم، وأنَّ الناتو لن يكون قادراً على الاستمرار؛ الناتو في أزمة؛ فهو في حاجة للدّعم، ودوله غير قادرة على ذلك، وبالتالي يرى أنّهم سينتصرون على الثوّار لا محالة.

قلت: إذا كان تفكيرهم لا يرتقي عن هذا المستوى، ستكون نهايتهم هي المفاجئة لهم ولغيرهم في الزّمن غير المتوقّع وكذلك الطريقة غير

المتوقّعة. ثمّ قلت: وخروجاً عن هذا الموضوع أخبرني يا صالح عن حقيقة ما عرفته عنهم وأنت على مقربة منهم.

قال: مساكين الذين يصّدقونهم فيما يقولون؛ فهم دائماً متّفقون (معمّر القذافي وأبنائه)، ولم يختلفوا ولا مرّة واحدة، ولكن الذي كان يجري هو أفلام ليس إلّا، في الظاهر يلاحظ البعض أنّ اختلافات تظهر بينهم في وجهات النظر (بين سيف وأبيه وأخوته)، وفي الباطن هم متّفقون على الليبيين جميعاً، وليس من أجل الليبيين، ولذلك دائماً عندما نكون لوحدنا مع سيف يقول: القاعدة هي: (لا تفنى الغنم ولا الذئب يجوع) ولهذا الليبيون دائماً هم الضحية.

قلت: والله حقّ من يرتكب المنكر لا يمكن أن ينهى الآخرين عن ارتكابه؛ فقال: ولذلك إذا سمعتهم يتكلّمون عن الاحترام تأكّد أنّهم في ذلك اليوم قدّ ضحوا بمحترمين.

ماذا تعني؟

أعني أنّهم إذا عرفوا أحداً محترماً؛ فلن تكون لهم أولويّة إلّا العمل على إفساده وبأيّة طريقة متوقّعة أو غير متوقّعة.

وعليه: صالح عبد السلام الفرجاني بطبيعته العربية الأصيلة يختلف عن الآخرين الذين رضوا بأن يستمرّوا أعوان وأقلام وأزلام ومجرمين وقتلة مع سيف القذافي، ولذلك كلّ من ينتسب إلى عائلة محترمة لا يقبل بسفك دماء الليبيين، ولهذا كان صالح عبد السلام مختلفاً عن الآخرين الذين ارتضوا أن يبقوا مناصرين لسيف القذافي مع أن قارب النجاة أمام أعينهم (ثورة ١٧ فبراير المجيدة)، ولكن لأنّ قلوبهم عميت؛ فكانوا من الغافلين مصداقا لما جاء في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[20]

وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[21]

وعليه: نأمل لصالح عبد السلام العودة الآمنة لأرض الوطن مؤيداً للثورة، بل وثائراً مع الثوّار من أجل بناء ليبيا أم الجميع.

صالح عبد السلام عرفته عن قرب ونحن في مهمّة تفاوضية كان قبول الدخول فيها من منطلق وطني، ولم يكن من أجل شخص بعينه؛ فعندما دُعيت إليها قلت للأخ صالح عبد السلام: من الذي وراء هذه المفاوضات؟

قال: سيف القذافي.

وما هو الهدف من ورائها؟

قال: رفع الحصار عن الشّعب الليبي.

قلت: موافق.

وبدأ الحوار التفاوضي مع ممثلي ضحايا كارثة الطائرة الفرنسية بالنيجر ١٠-dc التابعة لشركة (u t a) التي استمرّت مفاوضاتنا معهم في باريس لمدّة ٩ أشهر تقريباً، بعدها تمّ الوصول إلى اتفاق تعويضي بقيمة مليون دولار يُدفع لكلّ أسرة من أسر الضحايا.

كان الفرنسيون يطالبون بعشرة ملايين دولار لكلِّ ضحية، وهم يقولون لا فرق بين الدّم الأمريكي والدم الفرنسي؛ فليبيا قد عوّضت الضحايا الأمريكان بعشرة ملاين دولار لكلّ ضحية، وهكذا نحن لا نريد مطلباً

---

[20] الأعراف ١٧٩.

[21] الحج ٤٦.

سوى ذلك المطلب بالتّمام، وهو أن يُدفع لكلّ أسرة من أسر الضحايا عشرة ملايين دولار عن كلّ ضحية من ضحايا الطائرة dc-١٠ التابعة لشركة (UTA) الفرنسية التي أسقطت بأمر من معمّر القذافي على ارض النيجر عام ١٩٨٩م.

ومن خلال مشاركتي في تلك المفاوضات عرفت أنّ صالح عبد السلام طيّب النفس، فلا يؤذي ولا مزايد؛ فكان يقدّمني عند كلّ ضرورة لأتدخل كلّما سخن مناخ التفاوض الذي في كثيرٍ من الجلسات يحدث بيننا والوفد المناظر لنا من الفرنسيين، اختلافات في بعض الأحيان تؤدّي إلى وقف الحوار أو فض جلساته، مما يدعو إلى تدخلّ يمكّن من العودة إلى طاولة التفاوض.

ولذلك عندما ألّف السيّد جيوم رئيس الوفد الفرنسي المفاوض كتاباً نُشر في فرنسا، كتب فيه: أنّ الدكتور عقيل حسين مفاوضاً فطناً وماهراً، يجيد المراوغة مع وافر الاحترام؛ فيقول أنا أقدّره كما كان يقدّره المفاوضون الفرنسيون، هذا ما ترجمه لي الدكتور علي الضوّي من اللغة الفرنسية؛ فالدكتور علي الضوّي، وعزام الديب كانا مفاوضان متميّزان، ولكن الدكتور علي الضويّ له من الانتقادات لمعمّر ونظامه إذا ضمن أنّك في ذات الاتجاه؛ فذات مرّة بعد جلسة مطوّلة من التفاوض في برلين، وبعد أن تبيّن له رأيي في القذافي، قال لي والله من البداية والفساد في ليبيا من القذافي ينمو يوماً بعد يوم، ثمّ أوضح ذلك بضربه مثالاً حيّاً حدث كما هو في درج.

وهذا المثال الذي سرده الدكتور علي الضوي بقوله: في العهد الملكي كانت ليبيا تصدّر عصير الطماطم المعلّب من منطقة درج المشتهرة بزراعته وتعليبه؛ فعندما كان في منطقة درج ذلك المصنع الذي منه يصدّر عصير الطماطم للخارج، جاءت لجنة لتقييم ذلك المصنع في سنة ١٩٧٠م تقريباً، وكان رأيها أنَّ المصنع صغير أمام الكميات المنتجة

من الطماطم؛ فصدر قرار بتوسيع المصنع، وجاءت الآليات لهدمه بهدف توسيعه؛ وإلى اليوم يا سيد عقيل لا طماطم، ولا توسيع، ولا حتى مصنع موجود على الأرض.

قلت: يا دكتور علي الضوّي: هكذا نحن من مأساة لمأساة.

تمّ الإعلان عن الوفد المفاوض في قضية الملهى الليلي (ملهي لابيل) بألمانيا؛ فبُلّغت من قبل السيّد صالح عبد السلام بأنّه قد تمّ تكليف ذات الوفد المفاوض في قضية الطائرة dc-١٠ التابعة لشركة (uta) الفرنسية، وهم:

١ . صالح عبد السلام.

٢ . الدكتور على الضوّي.

٣ . الدكتور عقيل حسين عقيل.

٤ . عزّام الذيب.

كانت المفاوضات مع الوفد الألماني أكثر منطقية كون أعضاء الوفد الألماني جميعهم من القانونيين، ومع أنّ المفاوضات معهم كانت منطقية الأسلوب إذا ما قورنت بالمفاوضات مع الوفد الفرنسي، إلّا أنّها لم تخل من الاختلافات بين الحين والحين.

بطبيعة الحال كان الملف المقتدى به للتفاوض من الطرف الألماني هو الملف الأمريكي الذي تمّ التعويض فيه بعشرة ملايين دولار لكلّ ضحية، ونحن الوفد الليبي كان أمامنا الملف الفرنسي أفضل حُجّة، وإيجازاً وانجازاً لهذا الموضوع توصلنا بعد سبعة أشهر من المفاوضات الصّعبة إلى اتفاق مماثل لذلك الاتفاق مع الفرنسيين.

تلك المفاوضات بدون شكّ بدأت شاقّة جدّاً، ولكن منها تعلمنا كثيراً من فنون إدارة التفاوض، ولمن يريد أن يدخل مجالات التفاوض في القضايا السياسية أقول:

١ . اعتمد في أرائك على دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع).

٢ . لا تضع أهدافك الرئيسة في مواجهة العاصفة.

٣ . أعرف أنّك ستتعرّض للاستفزازات من وقت لآخر.

٤ . أقبل الاستفزازات إذا كانت المفاوضات تسير في الاتجاه الموجب، حتى تمتصّ الغضب، ثم أرسل ما يقابلها في الوقت المناسب الذي تكون فيه الفرصة سانحة للطرف الآخر لامتصاصها.

٥ . أرفض الاستفزازات في وقتها إذا كانت المفاوضات لا تسير في الاتجاه الموجب لقضيتك الوطنية.

٦ . إذا أردت إطالة زمن التفاوض لأسباب تخدم القضية فأعمل ما من شأنه أن ينهي التفاوض ليتأجّل حتى تكسب وقتاً للعودة في زمن لا حق.

٧ . إذا كنت في حالة ضعف عليك بإطالة زمن التفاوض.

٨ . إذا كنت قوياً ومنتصراً عليك بالإسراع بإنهاء زمن المفاوضات؛ فطولها قد يعطي الفرصة للخصم بأن يُجمِّع قواه من جديد فلا يُمكِّنك من تحقيق ما أنت تريد.

٩ . إذا تماثلت قوّة المفاوضين فعليهم باعتماد المنطق في التفاوض.

١٠ . إذا كنت منتصراً وخصمك ضعيف اعتمد على اللغة؛ فخصمك بلا شكّ سيحاول قدر المستطاع أن يعتمد المنطق ليضعك في دائرة الإدانة.

١١ . عند الضرورة أقبل بالتنازل، ولكن لا تُقدِّم تنازلاتك دفعة واحدة.

١٢ . إذا قرّرت التنازل للضرورة فلا تتنازل إلّا بمقابل من أجل الوطن.

١٣ . لا تضع حُسن النيّة رفيقاً لك في زمن التفاوض.

١٤ . إذا قبلت أن تكون مفاوضاً نيابة عن الحكومة؛ فلا تستغرب أنْ تكون الضحية من قِبل الحكومة التي أنت تفاوض من أجلها.

١٥ . كن فطنا لكلّ ما يقال في الجلسات الرسمية أو في جلسات الرّاحة المشتركة.

١٦ . إقرأ كل ردَّة فعل سواء أكانت كلمة أم حركة أم فعل.

١٧ . استقراء أفكار الخصم أو من ينوب عنه قبل أن تُقدِّم رأياً أو مقترحاً.

١٨ . قبل الاتفاق عليك بالاعتماد على التحليل أكثر من أن تعتمد على تقديم الآراء والمقترحات.

١٩ . بعد الاتفاق لا داعي للتحليل فزمنه قد ولى.

٢٠ . كن في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادراً على الإنصات، ولا تترك شاردة ولا واردة إلّا وتلمَّ بها.

٢١ . كن صبوراً فالصبر يُمكِّنك من المغالبة.

٢٢ . أشعر الطرف الآخر بحرصك واهتمامك واضع اللوم عليه كلما تهيئة لك الفرصة في إلصاق ذلك به.

٢٣ . تقبَّل الآخر كما هو لتعمل على نقله لما يجب.

٢٤ . إذا أحسست من الطرف المفاوض سيجرُّك إلى ما لا ترغب؛ فعليك بأن تطلب زمناً للرّاحة فيه تتمكّن من أنْ تستجمع أفكارك وقواك العقلية.

٢٥ . حاول قدر الإمكان في بعض الأحيان أن يحس الطرف المفاوض وكأنك محايد بما تقدّمه من نصائح لخدمة الطرفين أو الأطراف ذات العلاقة.

٢٦ . إذا طلب منك الطرف المفاوض (الآخر) رأياً فلا تستعجل على تقديمه حتى وإن كنت واثقاً، بل عليك أن تناقشه أوّلاً مع فريقك المفاوض.

٢٧ . إذا طلب منك الخصم رأياً، تأنّ وفكِّر جيداً حتى لا تقع في الفخ من الغاية المترتبة عليه.

٢٨ . لا تظن أنَّ المفاوضين المتقابلين معك على طاولة المفاوضات هم بسطاء، إن ظننت ذلك تأكد أنّك استعجلت استعجالاً في غير محله.

٢٩ . كن مرناً من أجل القضية التي تفاوض من أجلها، ولا تكن مرناً على حسابها، أي كن صلباً من اجلها.

٣٠ . حاول قدر الإمكان أن تستكشف نقاط الضعف في بعض من أعضاء الطرف المفاوض لك، وأعمل عليها، ولا تجعل القيم قيداً عليك، بل أعمل عليها حتى تكون قيداً بين يديك، ولا تغفل حتى لا تؤخذ منك، وبها تُقيَّد.

٣١ . كُن قادراً على الاستقراء والاستنباط فمعظم ما يثار بين المفاوضين خاصّة في جلسات الحوار الأولى هو حديث مُبطَّن.

٣٢ . لا تغفل عن قوانين نظرية الاحتمالات التي بها تُقلَّب المعلومة على عدد زواياها وأركانها؛ فعلى أساسها أسّس حديثك أثناء الحوار والتفاوض ليكون حمَّالا لأوجه، ولِعلمك أنّ المفاوضين قادرين على استقرائه من أوجه عدة؛ فلا تظن أنهم غير متمكِّنين من الفهم المتعمَّق لنظرية الاحتمالات، ولكن بحوارك حمَّال الأوجه تمتلك الحقّ الذي به تؤكّد على أيّة كيفية أنت تقصدها في اتجاه استمرار الحوار أو في اتجاه توقُّفه.

٣٣ . إذا أحسست بأنّك أصبحت مؤيداً من الطرف الآخر، أعرف أنّك تحتاج لمراجعة نفسك أو مراجعة الكيفية التي بها قد أثرت الموضوع، وإلّا ستجد نفسك في اتجاه بداياته لا تؤدّي إلى النهايات التي من أجلها كنت مفاوضاً، إلّا إذا كنت عن قصدٍ ودراية بالمترتّب عليه.

٣٤ . أعرف كيف يُفكِّر الخصم لكي تتمكَّن من تقديم الحُجَّة المناسبة في وقتها المناسب؛ فعلى سبيل المثال: إذا كنت ليبيًّاً والطرف المفاوض لك فرنسياً، فعليك أن تُفكّر في القضية مع المفاوضين الفرنسيين بعقل باريس، وإذا كان الطرف المفاوض لك ألمانيًّا ففكّر وحلّل واستخلص وفسّر بعقل برلين. وهكذا إذا كان المفاوض أمريكياً؛ فعليك أن تفكِّرَ وتحلل وتستنتج وتفسِّر بعقل واشنطن. إمّا إذا فكّرت وحلّلت واستنتجت وفسّرت بعقلك؛ فإنَّك قد لا تتمكّن من اختراق عقل الآخر والتأثير فيه، والوصول إلى نتيجة مرضية.

٣٥ . فكّر فيما أنت تفكّر فيه أثناء التفاوض.

٣٦ . فكّر فيما يقال قبل الردّ على ما قِيل[٢٢].

بناء على هذه المبادئ التفاوضية، أين العاطفة؟

عندما تتعلّق القضايا بمصير البلد أو الوطن فلا يُمكن أن تجد العاطفة مكاناً لها لتتبوأه بين المتفاوضين. ولهذا يحلّ المنطق والعقل محلّها ليتمّ التواصل مع الآخر بالرّغم من كلّ الخلافات أو الصراعات، ولذا دائماً تزول الصدامات والصراعات ويبقى التواصل سيّداً في ميدان العلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين بني الإنسان.

وعليه:

مع أنّ صالح عبد السلام من المقرّبين وظيفياً لسيف إلّا أنّه لم يقبل بشراء ناقة لجمل القذافي وأبنه سيف كما قبل زملاؤه الآخرين بشراء (نياق) لجِمالهما. وإليكم قصّة شراء الجمل:

استيقظ الفلاح مبكّراً كعادته لتأدية مهام الفلاحة الناجحة؛ فوجد ناقة الحاكم ترعى في مزرعته حتّى أنّها عبثت بإنتاجها من الخضراوات والثمار؛ فأخرج النّاقة من المزرعة دون أن يمسّها بسوء، وذلك لخوفه من مالكها (الطاغية)؛ فانتقلت النّاقة إلى مزرعة فلاح آخر ذهب إلى

---

[٢٢] عقيل حسين، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٢٨٩ - ٢٩٣.

السّوق لبيع إنتاجه اليومي، وحينما عاد إلى مزرعته وجد ناقة الحاكم ترعى فيها وتعبث كما عبثت بغيرها من المزارع الأخرى؛ فأخرجها هو الآخر دون أم يمسسها بسوء ولنفس النتيجة، وهكذا كان حال بقية المزارع، ممّا جعل أصحابها من الفلاحين يلتقون ويقرّرون الذهاب إلى الحاكم، وكان الفلاحون جميعهم من قبيلتين من قبائل الدولة، وحتى لا يغضب الحاكم الطّاغي، وينفرد بمعاقبة قبيلة دون أخرى أو حتّى يشكرها على حساب الأخرى، اتفق الطرفان على أن تقول: القبيلة البادئة بالحديث مع الحاكم كلمة واحدة، وهي: (النّاقة) على أن تقول القبيلة الثانية كلمتين هما: (أفسدت مزارعنا) بعد هذا الاتفاق ذهبا الطرفان معاً إلى الحاكم؛ فاستقبلهما بحرارة، وقال لهما: تفضلوا على الرّحب والسّعة.

فقال الطرف الأوّل: كلمته المتّفق عليها وهي: (النّاقة)؛ فقال ذلك الطاغي بصوت عالٍ وما أصاب النّاقة، وعيناه تكادان أن تخرجا من قلب رأسه من شدّة الغضب؟

فقال الطرف الآخر: إنّها في حاجة إلى جملٍ يؤنسها، وهذا ما لم يتفق عليه. فابتسم الحاكم وشكرهم، وأصدر أوامره على الفور بشراء جمل لمؤانسة النّاقة في مراعيها الحرّة.

هذا ما فعله الآخرون ودماء الليبيين تسفك بغير حقّ، وهذا الذي جعل صالح عبد السلام يترك البلاد ويرحل، رافضاً أن يشتري جملاً للنّاقة التي عبثت في أرض ليبيا فساداً.

الدكتور

محمّد علي زيدان

الدكتور محمّد على زيدان وزير المواصلات سابقاً من مواليد تمنهنت بسببها، من أسرة كريمة، والده رحمه الله كان هادئ النفس تقيّاً، وعمّه الحاج بشير بن زيدان من رجالات العهد الملكي، كان (متصرّفاً في

إقليم الجنوب) وكان في حياته كثير الانتقاد للقذافي ونظامه، ومع ذلك النظام يتجنّبه تفادياً للسانه النّاقد دون مجاملات، ولذلك أطلق عليه موسى كوسا رئيس جهاز الأمن الخارجي بأنّه منشور متنقّل ضدّ النظام.

بحث الدكتور محمّد زيدان عنّي كثيراً بداية الأحداث؛ فلم يتمّ الالتقاء به، وذلك بأسباب شدّة حذري، ولكن ليس الحذر منه، بل من الجميع، وعندما أكثر الاتصال بأبنائي اتصلت به في شهر ٢٠١١/٦م؛ فجاء لمنزلي وفقاً للموعد الذي اتفقنا عليه؛ فكانت علاقة أيّام الدراسة بسببها وطرابلس غالبة على لقائنا هذا بالرّغم من الأوجاع التي تحوطُ بضلوع كلاً منّا، ولكن لكلّ درجة متفاوتة من درجات التحمّل؛ فهناك من صبر على الضيم والظلم برغم شدّة اوجاعه، وهناك من نفض الغبار عنه وثار من البداية مع الثائرين.

زيدان كيف الأحوال؟

الأحوال سيئة جدّاً، ولم يعرف الإنسان ماذا يعمل.

بعد كلّ الذي يجري ليلاً ونهاراً على رؤوس الليبيين لم يعرف الإنسان ماذا يفعل! التاريخ يا دكتور محمّد لا يرحم.

قال: أسرتي في تونس، وأنا مكلّف بمهمّة إلى دول الكاريبي (أمريكا اللاتينية).

قلت: إذن الفرصة بين يديك.

قال: أتركني أفكّر.

جاء بعد يومين لمنزلي، ماذا قرّرت يا دكتور محمّد؟

قال: قرّرت السفر، ولكن الانشقاق يحتاج منّي إلى المزيد من التفكير.

قلت: الفرصة بين يديك المهم أن تخرج، وتتّصل بمن تعرف من الثوّار، ومن العيب أن تسافر في مهمّة رسمية من أجل النظام، والنظام في أخر أيّامه، والثوّار خلال أيّام معدودات سيكونون بإذن الله تعالى في باب العزيزية، وستكون ليبيا محرّرة بتحرير العاصمة (طرابلس). افطن يا رجل.

قال: يا دكتور لا تظنّني سلبياً؛ فأنا أعرف جيّداً إنّك ضدّ النظام، ولهذا جئت إليك لأخذ رأيك فيما يجب أن أفعل.

عليك بالانشقاق دون أيّ تأخير، وإلّا سيأتي اليوم الذي ستندم فيه.

قال: لعلمك أنّني قد ساهمت في شراء السلاح للثوّار عن طريق أحد أقاربي وهو: عادل الهادي عبد السلام (نسيبي) وتمّ إمداد ثوّار نالوت بها عن طريق الثائر حسن محمّد الشيخ (من مدينة نالوت).

هذا موقف أحييك عليه، ولكنّه لا يكفيك عن الانشقاق عن النظام الذي أنت لازلت وزيراً من وزرائه.

تمّ أخبرني باتصال تمّ معه من قِبل سليمان الشحومي، وهو يرغب أن يكون معه من أجل إجراءِ لقاء ومناقشة مع ثلاثة من المؤثرين من أبناء مصراته الثائرين، الذين تربط الدكتور محمّد زيدان علاقات متينة بهم، وسيكون هذا اللقاء في تونس (مدينة جربة).

قلت: هل تعتقد أنت أو الشحومي بأنّ أحداً من أبناء مصراته سيلعب بدماء أخوته الشهداء، أنصحك أن تأخذ هذه مشجباً ليس إلّا.

جاءني من بعد يومين وهو يقول: سآخذ بالرأي؛ فخرج إلى أن تحرّرت ليبيا من القذافي وأعوانه دون أن يعلن موقفاً رسمياً، ويا ليته أعلن ما سمعته منه من رفضٍ لأفعال القذافي وتقتيله لليبيين.

ومن بين ما قاله الدكتور محمّد علي زيدان أنّه التقى مع مسعود عبد الحفيظ في سبها، وتحدّثُ معه عن مدى إمكانية نقل حقيقة ما يجري

لابن عمّه القذافي. فقال ردّ علي مسعود بقوله: مع أنّني لا أثق فيك يا زيدان كثيراً، ولكن يا ليته يرحل هو وابناؤه، ويترك القذاذفة يتفاهمون مع الليبيين.

وتفسير هذه النتيجة التي ظهرت على لسان مسعود عبد الحفيظ، تدلّ على أنّه غير راضٍ عمّار يجري، ولكنّه لا يستطيع أن يفعل ما يجب أن يُفعل.

وما يؤكّد ما رواه الدكتور زيدان عن مسعود عبد الحفيظ، ما رواه لي العميد مسعود فرحات بقوله: بعد تحرير العاصمة من قبضة كتائب القذافي، تحدّث معه مسعود عبد الحفيظ بحضور آخرين وعرض عليهم أن يلتقوا في قاعة اجتماعات بمدينة سبها، ويعلنوا انشقاقهم عن النظام، ولكن انعدام الثقة بينهم لم تجعلهم يلتقون.

وعليه: كان الدكتور محمّد علي زيدان يتحدّث معي بكلّ صراحة دون أن يخفي عدم رضاه عمّا يجري من القذافي وأبنائه من مظالم ومفاسد، ولكن حديثه معي بقي كمن كان يتحدّث مع ظله، مع فارقٍ أنّ الذي كان يتحدّث مع ظلّه سأله القذافي؛ فأجاب. ولكن زيدان تحدّث مع ظله دون أن يعطي ظله فرصة للإجابة، وإليكم هذه القصّة:

أحد الفقراء مرّ بقربه الحاكم (الطّاغية)؛ فلاحظ الحاكم أنّ الفقير يتحدّث وحده دون أن يكون معه أحد؛ فاقترب منه وسأله: مع من تتحدّث؟

فأجابه مع نفسي؛ فسأله الحاكم مرّة ثانية: ولماذا تحدّثها؟

فأجابه الفقير: إذا لم أحدثها أنا فمن هو القريب منّي إليها ليحدّثها نيابة عنّي.

وسأله الحاكم: أين هي نفسك؟ فأشار الفقير إلى ظلّه وقال: إنّني أحدث ظلّي الذي يتهمني بأنّني السبب في مشاكله وعدم ثباته، ولعلّه على حقّ في ذلك.

جلس الحاكم بجانبه ليستمع إلى حوارهما؛ فقال الظل لصاحبه مرّة ثانية أنت سبب مشاكلي وقلقي وعدم ثباتي.

فردّ صاحبه عليه: لا تظلمني لم أكن أنا، بل الشمس الحارقة، فقال الظل: لا تُعمّم الأحكام.

فسأله صاحبه: ماذا تقصد بذلك؟ فقال: أقصد أنّ الشمس لم تكن حارقة بالنسبة لي، ولكنّها حارقة بالنسبة إليك وحدك.

ابتسم الحاكم لجديّة الحوار الذي دار بينهما، وقال لهما: لا داعي أن يشتدّ الخلاف بينكما وأنتما رفيقان، وقبل أن أغادر لتأدية مهامي، أودّ أنْ أعرف أسباب مشكلتكما. فسأله الفقير:

هل تقرأ أيها الحاكم؟ فأجاب بنعم. فكتب الفقير على ظلّه: سارق الدولة لا يحاكم وسارق الخبز تقطع يداه؛ فسأله الحاكم:

من هو سارق الدولة يا هذا؟

فأجاب الفقير: أنّهما اثنان: أحدهما خارجي والآخر داخلي، الخارجي ذبابة حفّار الساق، والداخلي أنت كما قال لي ظلّي؛ فأرحل خير لك من أنْ ترحّل.

الدكتور

جمال اللموشي

الدكتور جمال اللموشي الأمين السابق لهيئة التمليك وتشجيع الاستثمار، وهو من مدينة غريان، له شخصية مرنة استيعابية، تقدّر الآخرين، وله علاقة حسنة بأخي حسن عقيل الذي سألته ذات مرّة عن موقف الدكتور جمال اللموشي، وكان ذلك بعد أن سمعت من صالح عبد السلام الفرجاني أنّ الدكتور جمال اللموشي تقدّم بطلب

إجازة للدكتور البغدادي المحمودي، ولكن الدكتور البغدادي همّش على طلبه بقوله: (أنّ الدكتور جمال اللموشي على علاقة جيدة بعبد الرزاق العرادي) ولذلك تتعذّر الموافقة.

وكانت إجابة أخي حسن عقيل على السؤال الذي طرحته بقولي: ما موقف الدكتور جمال اللموشي؟ بقوله: يبدو وبوضوح أنّه غير راضٍ على ما يجري، وفي اعتقادي أنّه لو يجد من يشجعه سينشق.

قلت: أدعوه إلى منزلك وابلغني؛ فالتشجيع عليّ أنا.

جاء الدكتور جمال اللموشي لمنزل أخي حسن عقيل؛ فأبلغني، جئت على الفور.

جلست بجنب الدكتور جمال اللموشي ونفسه المرحة تكاد تخرج مع كلماته لتعانق نفسي، التي هي الأخرى تكاد أن تخرج مع كلماتي لتعانق نفسه. ومن بعدها سألته: وكيف الأحوال يا دكتور جمال؟

قال: ظهري.

قلت في نفسي لقد فتح لي الباب على مصرعيه من البداية، ثمّ قلت له: كلّنا ظهورنا، ولذا يجب عليك الخروج بوجه السّرعة لعلاجه؛ فضحك وكأنّه يودّ أن يقول لي: لقد وصلت الرّسالة التي كنت انتظرها، وذلك من خلال قوله إذن أنت هكذا؟

قلت: نعم كلّنا ظهورنا.

فرحت لفطنته التي لم تتغيّر، وكذلك لحسن انتباهه لِما أقصد ضمنيّاً، وهو يقول الآن الأمور بالنسبة إلي وضحت، سأسافر دون تردّد.

قلت: مازحاً إذا لم تسافر يفوتك القطار.

ضحكنا مع وافر التقدير المتبادل بيننا نحن الأربعة.

بعد أيّام جاءني أخي حسن وهو يقول: الدكتور جمال اللموشي سافر بسلام.

قلت: الحمد لله.

وذات مرّة اتصل بي الدكتور جمال اللموشي والفرحة تملأ صدره، وكلمات ذلك اللقاء الذي أجريناه في منزل أخي حسن تتسابق مع كلماتنا لتُثبِت وجودها فارساً بيننا. ثمّ قال: في ذلك اليوم كانت رسالتك لي واضحة جدّاً، وقد دفعتني أكثر، ولعلمك يا دكتور عقيل، لقد قمت بعد ذلك اللقاء معكم بتسليح مجموعة كبيرة من الثوّار.

قلت: من أيّ مدينة؟

قال: من طرابلس، ومنهم عائلة السويحلي، وعائلة المسعودي في ميزران، وعائلة الحامي بسوق الجمعة، وعائلة الغرياني والمحجوب بتاجوراء، وكان الفضل يرجع إلى الأخ نوري الزكراوي (ضابط من الجنوب) الذي كان يمدّني بالسّلاح وهو يشترط عليّ أن لا أذكر اسمه.

إذن عليك بعدم ذكر اسمه، ويجازيه الله خيراً عمّا فعل من خير.

وهكذا أوضح لي موقف العقيد صلاح منصور المصباحي (مدير عام شركة الإلكترونات) الذي تربطه به علاقة جيدة، والذي كما يقول الدكتور جمال اللموشي بالتنسيق معه تمّ إعطاب ٣٥٠ جهاز اتصالات لا سلكية، تلك الأجهزة التي كان النظام في ذلك الوقت في حاجة ماسّة لها، ونتيجة التنسيق مع العميد صلاح منصور المصباحي، لم يتمّ أيضاً إصلاح أجهزة الاتصالات العاطلة عن العمل والتي طُلب منه إصلاحها، بل كان مصرّاً على عدم إصلاحها بالرغم من الإصرار والاتصالات التي أجريت معه بشأنها من قبل الكتائب الأمنية؛ فمع أنّهم أحالوا إليه كما يقول ٣٣١ ألف دينار لإصلاحها، إلّا أنّه وضع كامل القيمة في المصرف بذريعة استيراد قطع غيار، والحقيقة أنّه وضعها

لتصبح مجمّدة، حتى لا يتمّ إصلاح تلك الأجهزة التي كانت أجهزة القذافي في حاجة ماسّة إليها.

بعد ذلك الاتصال أتصل بي من دبي، بعد التحيّة والسلام، قلت: وماذا فعلنا بعد الخروج؟

قال: كان لي أوّل لقاء بالمهندس محمّد المنتصر المصراتي في تونس أحد الثوّار المحترمين، الذي أبلغه بحاجته إلى مبلغ ٧٥٠ ألف دينار من أجل استيراد ٣٠ سيارة دفع رباعي إلى جبل نفوسة، فاتصل بشخص من رجال الأعمال وهو الأخ (نوري أحميده) المقيم في تونس، والذي بدوره قام بدفع كامل القيمة، وتمّ استيراد السيارات وأحيلت إلى ثوّار جبل نفوسة.

قلت: يجازيك الله خيراً يا دكتور جمال، ويجازي الأخوين محمّد المنتصر والأخ نوري أحميده ألف خير.

قال: كلّ شيء من أجل الوطن يرخص يا دكتور عقيل؛ ففي تونس كان لأجهزة الاستخبارات الليبية نشاط في متابعة الثوّار هناك، وبعد أن علمت بأني مطلوب من قبلهم، ومعي في ذات القائمة ٢٩ شخصاً آخر، قرّرت السفر إلى الامارات، والتحقت بغرفة العمليات في القنصلية المحرّرة في دبي، والتي قال عنها الأخ محمّد العرادي في مكالمة هاتفية معي بأنّها القنصلية الوحيدة التي تمّ إقرارها رسميّاً (بما فيها من متطوّعين وعلى رأسهم القنصل نوري الخدوري) من قِبل المجلس الوطني الانتقالي برئاسة المستشار مصطفى عبد الجليل، ولذا فقد تمّ طرد العناصر الموالية لنظام القذافي وحلّ محلّهم المنتمون لثورة ١٧ فبراير.

ومحمّد العرادي هو واحدٌ من الذين لم يكن خافياً عليه الدور الذي قمت به تجاه ثورة ١٧ فبراير، وفي المقابل لم يكن خافياً عليّ دوره ودور أخيه سليم في الإمارات وأخوته هنا في مدينة طرابلس، فهو وأخوه

سليم على رأس الداعمين للثورة جهداً ومالاً وعلاقات قد استثمرت أحسن الاستثمار فأنتجت ثماراً مع ثمار النصر.

كانت الاتصالات بيني وبين محمّد العرادي وأخيه سليم العرادي لا تكاد تنقطع، ولكنّها مكالمات تكاد أن تكون مشفّرة، حيث التنصت من أجهزة ذلك النظام، هكذا كنّا، إذا ما استثنيت مكالمات شهر ٢٠١١/٨م التي كانت الجرأة من جانبي في بعض الأحيان تنفكّ عن تلك الرّموز والتشفيرات، ولكن في المقابل كان حرصهم عليّ أكبر، وبحمد الله تعالى أصبحنا وأصبحت مكالماتنا علنية ولا تشفير يبهمها؛ فكانوا يسألون عن أحوالنا جهراً، وعمّا يجري من حولنا سرّاً، وهكذا نحن عن أحوالهم نسأل بذات الشفرتين (جهراً وسراً).

وعود إلى تلك القنصلية المتميّزة يقول الدكتور جمال: إنّ هذه القنصلية كانت على علاقة ارتباط وثيقة بغرفة العمليات (بإيطاليا وفرنسا وبريطانيا)، والتي من خلالها كان يتصل بالأخ جمعه القماطي هناك، وكانت معظم الاتصالات تتمّ من أجل تحديد مواقع الدبابات وتحركات الكتائب التي تداهم وتدك المدن الليبية ظلماً وعدواناً.

وبعد أن تحرّرت ليبيا من القذافي وكتائبه والمرتزقة كان الاتصال بيننا فرحة لا تساويها فرحة، وفي إحدى الاتصالات سألته: ما هي الأخبار التي كانت تفرحك بين الحين والحين وأنت هناك؟

قال: أيّ تقدّم للثوّار يفرحني، خاصّة عندما تظهر الدّقة في كلّ ما يتمّ تحديده من أهداف للثوّار، وأخصّ تلك الفرحة التي ملأت صدري عندما تمّ تدمير ذلك الرّتل من الدبابات الذي كان متقدّماً من مدينة ترهونة إلى مدينة غريان عن طريق وادي القواسم.

ولماذا خصصت مدينة غريان بالتحديد؟

لأنّها مسقط رأسي وأهلي هناك.

ثمّ قال: ولعلمك يا دكتور عقيل قبل حضوري من تونس إلى دبي اتصلت بالمستشار اذ مصطفى عبد الجليل الذي يعرفني ويعرف تخصّصي في مجالات العلوم الاقتصادية والمالية؛ فطلب مني أن أقوم بما أستطيع القيام به من أجل تسييل الأموال المجمّدة لصالح المجلس الوطني الانتقالي، وكذلك توفير السّلاح للثوّار في أيّ مكان من ليبيا.

على ضوء ذلك قال: إنّه التقاء بالسفير الكندي في تونس وسأله عن مدى إمكانية دولته كندا في تقديم المساعدات للشعب الليبي خاصّة من (الاسلحة ومواد الإغاثة) وكذلك طالبه بالاعتراف بالمجلس الانتقالي ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الليبي، وقال: أنّ كندا بعد هذه المقابلة بعشرة أيام اعترفت بالمجلس الوطني الانتقالي.

وقال: لقد طلب منه المستشار مصطفى عبد الجليل حصر أصول الدولة في قارة أسيا. ومن بعده اتصل به الدكتور محمود جبريل، وأحال إليه رسالة يكلفه فيها بالاتصال بست دول من شرق أسيا، وذلك بشأن حصر ومتابعة أصول الدولة واموالها واستثماراتها.

كما قال: إنّه في دبي التقى السفير الباكستاني الذي كما يقول تربطه علاقة صداقة به، وطلب منه مساعدته في أن يلتقي بسفراء تلك الدول الستة التي كلّفه بها الدكتور محمود جبريل. وكان الأمر كذلك توفق من ورائه توفيق، انتصرت الثورة وانهزم الطغاة.

نصر عبد الله العجيلي

نصر عبد الله العجيلي عقيد بالقوات المسلّحة يتبع السّلاح الجوي (الطيران العمودي)، من مواليد ١٩٦٠م، مدينة طرابلس (جنزور) أعرف مسبقاً مواقفه الرّافضة لمفاسد القذافي؛ فطلبت من أخي أبو القاسم عقيل الذي تربطه به علاقات متميّزة أن يتّصل به، من أجل أن لا يقف مكتوف الأيدي، ويعمل ما يمكن أن يعمله من إعاقات لحركة الطائرات العمودية إذا ما جاءتهم الأوامر بضرب الثوار ومواقعهم، وأن يعمل على دفع الآخرين الذين معه على القيام بأيّ عمل يدعم الثوار، وعليه أنْ يعرف أنّ الحياة وقفت عزّ.

التقى معه الدكتور أبو القاسم وجاءني مطمئناً بقوله: نصر تحت الأمر، ولن يتأخّر، ومستعد للقيام بأيّ شيء خدمة لثوّار ١٧ فبراير.

وسيُبلِغنا أوّل بأوّل عمّا يجري داخل قاعدة معيتيقة بالتحديد، وأينما وجد لأداء مهمّة، وأوّل نشاط أقدم عليه وزملائه معه يوم ٢٠١١/٢/٢١م، يوم أن جاءتهم لجنة مكلّفة من قبل السرب الخاص لحراسة القذافي، من أجل تركيب وتسليح الطائرة العمودية (m٨) بالصواريخ والقنابل وتركيب مدفع رشاش داخل مقصورة الشحن، ولكنّه وآخرون اقنعوا اللجنة بأنّ الطائرة لا يمكن تسليحها فنيّاً، ولا توجد إمكانية لتركيب المدفع الرشاش، وكما قال: أنّه بالإمكان القيام بما هو مطلوب، ولكن لغاية مناصرة ثورة ١٧ فبراير وضعوا العراقيل الفنية أمام من طلب منهم وأمام ما طُلب.

ومن أجل إنصاف النّاس يقول العقيد نصر العجيلي: إنّ أحد أفراد اللجنة وهو: العقيد مصطفى برباش يعرف جيداً أنّه بالإمكان تركيب وتسليح تلك الطائرة العمودية، إلّا أنّه غضّ النّظر عن ذلك.

أمّا اللجنة التي وضعت العراقيل في سبيل عدم إصلاح ما كلّفوا بإصلاحه من الطائرات العمودية فهي تتكوّن من:

العقيد مهندس جمال الصديق أبو عرقوب (سوق الجمعة).

العقيد فنّي نصر عبد الله العجيلي (جنزور).

العقيد مهندس السيّد الجيلاني إشكال (الزاوية).

رئيس عرفاء فني محمّد الفلاح (طرابلس).

وعندما نجحت محاولاتهم هذه بإبطال المستهدف، كُلِّفت اللجنة التي كان من بينها العقيد نصر العجيلي يوم ٢٠١١/٢/٢٣م بالعمل على إصلاح الطائرتين العموديتين المتواجدتين بمطار (الشهيد محمود الزّروق) وهاتان الطائرتان على عطب بسيط لا يأخذ إصلاحهما كما يقول العقيد نصر العجيلي ساعة ونصف من الوقت، ومع ذلك لم يتمّ

إصلاحهما كي لا يتمّ قصف إخوتنا المستهدفين بالقصف وتحديداً في مدينتي إجدابيا وبنغازي.

عمل العقيد نصر العجيلي مع آخرين وخاصّة العاملون بغرفة العمليات الجوية والتلقين والإرصاد (ضباط وأفراد ومدنيين) على تأجيل بعض الرّحلات المغادرة إلى مدينة بنغازي والابرق لنقل المرتزقة، ولكن هذه العراقيل عادت عليهم بغضب ضباط من كتيبة خميس القذافي الذين ألحقوهم بسيل من الشتائم يوم ٢٠١١/٢/٢٤م وهم بقاعدة معيتيقة.

وهكذا كان للعاملين بقسم النقل الجوي أيضاً دور رائع في عرقلة تركيب السكّة الخاصة بإنزال أو إسقاط القنابل للطائرة (اليوشن ٧٦)، برغم الأوامر الشديدة التي أصدرت إليهم، ولذا فهم لم يستجيبوا بدعوى أنّه لا إمكانية لتركيب السكّة.

ونظراً لوجوده بقاعدة معيتيقة الجوية وحُسن علاقاته مع العاملين بغرفة العمليات الجوية والإرصاد، تمكّن من معرفة تلك الطائرات التي جاءت من الجزائر، وكان عدد تلك الطائرات حسب قوله: ثلاثة من نوع (اليوشن) وخمسة طائرات (C١٣٠)، ولذا كانت مهمّته الاستمرار في العمل من أجل تعطيل ما يمكن تعطيله من طائرات، ومن أجل معرفة ما يجري وإبلاغ الثوّار به.

ودائماً العقيد نصر يقول: إنّ المنتسبين لقاعدة معيتيقة الجويّة هم ثوّار، وهذا ما كنّا نأمله في كلّ مكان من ليبيا؛ فهو يقول: كلّ من أتحدث معه في القاعدة أجده أكثر ثورية مني.

وممّا قاله العقيد نصر عبد الله العجيلي، أنّه قام بتعطيل بعض الطائرات العمودية المتمركزة بقاعدة (واو). التي يصف طياريها بأنّهم متعاطفون مع الثوّار.

اختفى العقيد نصر عن الأنظار بعد أن أكتشف أمره ثائراً مع الثوّار، حُوصر منزله بمجموعة من عناصر الأمن السرّي والعلني، وتمّ القبض على شقيقه محمود عبد الله العجيلي المنتمي هو الاخر لثوّار طرابلس يوم ٢٠١١/٤/١م.

بعد ذلك أصبح العقيد نصر مختفياً نهاراً، وناشطاً ليلاً مع ثوّار طرابلس الذين اتخذوا نقطة تمركزهم بمنطقة (الغبي بجنزور).

وعليه كان مع ثوّار جنزور يستقبلون الاسلحة الآتية إليهم من تونس عن طريق جبل نفوسة، وممّا كانوا يقومون به: أنّهم كانوا يجمعون الأموال للثوّار، والعمل على تجهيز بعض المستشفيات الميدانية، وتجهيز بعض المباني لاستقبال الثوّار الآتين إليهم من المنطقة الغربية عندما يحين وقت دخول طرابلس.

وبعد التحرير سألته:

من تتذكّر من الذين ساعدوكم مساعدة مباشرة معلوماتية أو مادية؟

قال: العميد المبروك أبو عجيلة صوان (من رجال الأمن الداخلي) من سكان غوط الشعال، الذي كان يمدّنا بالمعلومات المتوفّرة لديه من خلال التنصّت على اتصالات الدكتور البغدادي المحمودي مع العالم الخارجي، وكذلك اتصالات بعض المسؤولين.

وعبد الباسط سالم الشتيوي من منطقة الطويبية على رأس من جمع المال وقدّم السّلاح.

ثمّ سألته:

لماذا كان قَبل قرار الحظر الجوي التركيز على إصلاح الطائرات العمودية؟

قال: لأنّ الطائرات العمودية تركّب الرشّاشات عليها، وأمّا المستهدف من عملية تركيبها هو: ضرب الثوّار في أماكن انتشارهم كأفراد (ضرباً مباشراً).

الحمد لله أنّه بتحدّي المخلصين من رجالات السلاح الجوي، والمتعاونين من المدنيين معهم، لمْ يتمّ إصلاح الطائرات العمودية، التي لو أصلحت لاستهدفت بالرّصاص رمي الثوّار جماعات وأفراد.

المحطّةُ الخامسة

أمر القبض

على عائلة عقيل

أمر القبض

على عائلة عقيل

عائلة عقيل تعدّ أكبر عائلة في قبيلة المقارحة بمنطقة الشاطئ، جذورها ضاربة في مدينة ازليطن، ومدينة مصراته المجاهدة، وفروع تربطها بمن لهم صلة بتلك الجذور في مدينة غريان وسيناون، تنقّل البعض منهم إلى مدينة طرابلس ومدينة بنغازي واستقرّ كل منهم هناك.

ولأنّ هذه العائلة قطعت من نظام معمّر القذافي حبائل الآمال؛ فهي لم تعدّ تنظر إليه كما كان يبدو لها عندما كان أحد منها في رفقته، وعندما دخل البعض منها لجانه الثورية، وفي الوقت ذاته كان البعض منها رافضاً لكلّ شيء من البداية؛ وعليه فما كان يبدو للبعض منها، ثبت أنّه

ليس كذلك؛ فقرّر رؤوسها الانسحاب، ثمّ المعارضة، ثمّ العمل المباشر مع ثوّار ١٧ فبراير، ولهذا وُضِعوا تحت المراقبة والملاحظة والمتابعة إلى أن بلغ الأمر بالقذافي إلى إحالة أمرها إلى أجهزة الأمن وفق الوثيقة المرفقة. تلك الأجهزة بطبيعة الحال لا تنتظر أمراً من بعده؛ فكان إصدار أمر القبض لولا فضل الله.

بدأت الثورة المجيدة؛ فكان للنظام معرفة تامّة بالنشاط الموجب لتلك الأسرة تجاه ثورة ١٧ فبراير، إلّا أنّه حاول غضّ النظر عنها، حتى لا تجرّ غيرها من المكوّن الاجتماعي الذي ترتبط به إلى لُحمة تتمكّن من خلالها من عمل ما تريد، ولكن كتابة التقارير في عددٍ من أفرادها لم ينقطع، إلى أن جاء ذلك الفاكس المرسل (تقريراً) من مدينة سرت إلى القذافي شخصيّاً بتاريخ ٢٠١١/٦/٢٧م تحت رقم (٠٥٤٥٢٦٩٤٤٤) ويحتوي مجموعة من الأفراد وعائلة، وهم جميعهم من منطقة الزوية الشاطئ، وجميعهم منشقين، والأفراد هم:

١ . عبد الله محمّد بشير الزوي وهو ابن أبن خالتي (ريم عبد الله العجيلي) رحمها الله، لقد لعب في طرابلس دوراً ثوريّاً نشطاً، وتمّ إلقاء القبض عليه، ولم يتحرّر إلّا مع تحرير العاصمة حاضنة الجميع.

٢ . ابو بكر مختار الصيد الزوي.

٣ . عبد الرحمن عبد الله يوسف الزوي.

٤ . على محمّد التليب الزوي.

هؤلاء الأربع هم من أسر محترمة، فلم يقبلوا بالظلم؛ فثاروا مع الثائرين من أجل القضاء على الطاغية وتحرير ليبيا من نظامه الذي جثم به على الصدور ٤٢ عاماً.

أمّا العائلة فهي عائلة عقيل، التي كُتبت التقارير فيها، بأنّها عائلة من قبيلة المقارحة، بالزوية الشاطئ، أغلبهم منشقين، يذكر أنّ مصطفى

عبد الجليل تربطه علاقة بهم، وتحديداً أمين التعليم العالي الأسبق (عقيل حسين عقيل)، حيث حضر مصطفى عبد الجليل أكثر من مناسبة من مناسباتهم، و(سيكون التقرير الذي يحتوي هذا النصّ مرفقاً).

أحيل هذا التقرير إلى معمّر القذافي الذي قام بإحالته إلى اللجنة الأمنية المكلّفة من قبله (الغرفة الأمنية العليا) وأحال صورة منه إلى عبد الله السنوسي شخصيّاً، وطلب منه وفق تهميشته المؤرّخة ٢/٧/٢٠١١م (إنهاء الحالة) وفقاً لما هو مبيّن بالوثيقة المرفقة.

ولسائل أن يسأل:

ماذا تعني كلمتي (إنهاء حالة)؟

أقول:

تعني ممّا تعنيه، أنّ لا يتأخر عبد الله عن المعالجة بكلّ الأساليب الممكنة؛ أي وكأنّ القذافي يودّ أن يقول: يا عبد الله لا أريد أن أسمع مرّة ثانية أنّ هذه الأسرة لا زالت في حساب المنتمين لثوار ١٧ فبراير.

كما أنّها تعني ممّا تعنية عليك يا عبد الله بهذه العائلة المارقة، وأنا لا انتظر أحداً سواك في اتخاذ الاجراءات المناسبة حيالها.

وعليه: فكلمتي (إنهاء حالة) وردت بصيغة الأمر الذي لا مجال للمناورة فيه، ولم ترد بصيغة الخيار؛ فلو كانت خيارية لكانت الصيغة (لإنهاء حالة) ولم تكن بصيغة (إنهاء حالة).

وممّا تعنيه كلمتي (إنهاء حالة) الأمرية تعني: إنْ لم تنهِ يا عبد الله هذه الحالة؛ فسيكون أمرها بين يدي غيرك، وهذا ما حدث بالتمام، أحيلت الحالة إلى غيره؛ فعبد الله لم يقم بأيّ شيء تجاهنا، ولم يعلمنا بهذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد؛ فعبد الله قبل ذلك التاريخ كان يعرف جيّداً انحياز عائلة عقيل التّام لثورة ١٧ فبراير، ولذا لا استغراب بالنسبة له بما بُلّغ به. وكذلك لا استغراب بالنسبة لنا من عدم إقدامه على ما يمكن

أن يؤذينا ويلحق الضرر بعائلتنا، وذلك لتلك الأسباب التي سبق ذكرها عندما تناولت شخصية عبد الله السنوسي بالبحث.

ولأنَّ القذافي كما قال بشير صالح لا يثق في أحدٍ، وعلى رأس ما قاله ثلاثة فئات لا يثق القذافي فيها، من بينها القبيلة التي ننتمي إليها؛ ممّا جعل القذافي يحيل التقرير المحال إليه من سرت إلى الغرفة الأمنية، والذي تولّى أمر التعامل مع تلك الإحالة من القذافي هو رئيس جهاز الأمن الداخلي (التوهامي خالد) الذي قام بدوره هو الآخر بتوجيهها يوم ٢٠١١/٧/٣م إلى المسؤول على المنفّذين لأوامر القبض وهو (لواء منصور السماتي) وذلك وفقاً للتوقيع المؤرّخ على الوثيقة المرفقة.

وعود إلى ما جعل هذا التقرير وثيقة رسمية أقول: إنّ الذي جعله وثيقة رسمية أمور منها:

الأوّل: إنّه مُبرق من جهة رسمية، (مؤتمر الشعبية بسرت) وذلك بتاريخ ٢٠١١/٦/٢٧م تحت رقم فاكس حكومي (٠٥٤٥٢٦٩٤٤٤).

الثاني: إنّه مُحال إلى القذافي مباشرة الذي وقّع عليه بكتابة تلك الأرقام التي سبق له وأن أصدر أوامره واتخذ كلّ إجراءاته من أجل أن تُلغى من جميع المعاملات، وجميع المقرّرات الدراسية، وهي الأرقام التي قال عنها بأنّها أرقام أجنبية (هندية) وجب التخلّص منها، وجعل البديل لها تلك الأرقام التي تستخدم عند أهل الغرب والتي قال عنها القذافي بانّها هي الأرقام العربية الأصلية، وفي المقابل ألغى التعامل بتلك الأرقام التي كان في ليبيا لا يُعمل إلّا بها، وجعلها هي الموصوفة بالأجنبية، حتى أنّها أصبحت عند الغالبية من الليبيين غير معروفة، ولكن بعد أن عرفنا الحقيقة بانكشاف السرّ أمامنا، والذي به عرفنا أنّ القذافي لم يلغِ تلك الأرقام ويستبدلها بأخرى إلّا لغاية في نفسه، وذلك لتكون له دون غيره سرّاً رسمياً لا يعرفه إلّا رؤساء أجهزته الأمنية، وذلك من أجل تنفيذ أوامره الساخنة ضدّ الليبيين؛ دون أن يعرف أحداً السّر من وراء

استخداماتها، ولذا لا يحقّ لسواه أن يعمل بها، ومن يكتبها يُعدّ مزوّراً لتلك التوقيعة الملعونة، مع أنّه لا يعرف حقيقة سرّها، والتي لم أكن أنا أعرفها لو لم يُظهر سرّها أمامي الأخ عبد الله عبد السلام التائب الذي عرف سرّها هو الأخر من أخيه محمّد عبد الله التائب أمين سرّ التوهامي خالد رئيس جهاز الأمن الداخلي، ممّا جعل وجود محمّد عبد الله التائب سرّاً من أسرار ثورة ١٧ فبراير في جهاز الأمن الداخلي، ولذا كان لمهمّته الثورية شأن كبير في إنقاذ الكثير من الليبيين من حِبال المشانق، وزنزانات السجون وحلكة لياليه.

والأمر الثالث الذي جعل من ذلك التقرير وثيقة رسمية هو: أنّه بعد أن وُقِّع عليه من تلك الأرقام بأرقامٍ من قبل القذافي، وُقِّع كذلك من قِبل رئيس أكبر أجهزة الأمن في ليبيا (التوهامي خالد) الذي بدوره وجّهه إلى أحد أصحاب الرّتب العالية في أجهزة القذافي الأمنية (اللواء منصور السماتي) كما هو مبيّن بالوثيقة المرفقة وهو يأمره بالقاء القبض على عائلة عقيل.

ولحسن الحظ اتصلت بالأخ محمّد عبد السلام التائب في الأردن بعد أن تحصّلت على رقم هاتفه من الأخ الحاج بشير أبو خريص من تاجوراء البطولة والشجاعة، فقد بذل معي جهداً كبيراً في سبيل الاتصال بالأخ محمّد التائب؛ فأشكره.

عند الاتصال قال لي الأخ محمّد التائب أنّ جميع الوثائق التي تَمكّن من حفظها بما حفظ أصحابها من كتائب القذافي الأمنية هي عند أخيه عبد الله عبد السلام التائب؛ فأعدت الاتصال بالحاج بشير أبو خريص لأبلغه بذلك؛ فقال: الآن سأتصل بعبد الله وأعيد الاتصال بك.

أعاد اتصاله مشكوراً وهو يقول: لقد رتّبت لقاء مع الأخ عبد الله عبد السلام التائب في منزله بتاجوراء غداً مساءً عند الساعة الخامسة والثلاثين دقيقة.

جاء ذلك الموعد فكنت والحاج بشير أبو خريص، وابن أخي عادل محمّد حسين، عند ذلك المنزل الذي لا زالت الفتحات التي أحدثتها طلقات الرصاص التي رُمي بها من كتائب القذافي شاهدة عليه، خرج عبد الله عبد السلام لاستقبالنا وكلّه بشاشة وترحاب.

دخلنا إلى تلك المربوعة العربية وفرحتي تعانق تلك الفرحة الجميلة التي هي الأخرى تعانقها عند ابتسامات الاستقبال من قِبل الأخ عبد الله عبد السلام التائب التاجوري.

كانت القهوة والشاي والحلويات على الصفرة، والوثائق بين يدي الأخ عبد الله تخرج الواحدة تلو الأخرى من ذلك الظرف الحاوي لكثيرٍ من الوثائق الرسمية، حتى عانقتنا تلك الوثيقة التي نحن بصدد البحث عنها. هي تعرفنا كما نحن نعرفها، ومع ذلك كانت بأعلى صوتها تقول: أنا الوثيقة الأصلية، ثمّ بدأت تخبرنا وتعرّفنا بما دار فيها وما دار حولها، وهي تقول:

هذه توقيعة القذافي بأرقامها الهندية التي أحال صورتي إلى عبد الله السنوسي يأمره بإنهاء حالتكم، لقد ظننت أنّكم قد نُهيتم، ولكن فضل الله عليكم كبير وعظيم، لم أكن يوماً أظن أن ألتقيكم، فالحمد لله على السلامة.

كلّنا آذان صاغية لذلك الصوت الندي، والنفس المطمئّنة، والعقل الرّاجح، والروح الملائكية، ثمّ قالت: ولعلمكم لولا فضل الله الذي جعلني بين يدي محمّد عبد السلام التائب التاجوري لكنتم بدون شكّ في خبر كان.

حضنتها كما هي تحضنني حبّ بحبٍ، ثمّ بدأ حديث الأخ عبد الله التائب الذي أخبرنا عن دوره كونه أحد ثوار ١٧ فبراير، وكذلك عن أدوار أبطال تاجوراء الشجعان في تلك المعارك والمواجهات، إلى جانب

تلك الأدوار اللوجستية التي لعبها مع الآخرين من أبناء تاجوراء ومصراته وبنغازي، وأظهرنا على تلك الأماكن التي كان وآخرون من قادة الثوار يرسمون الخطط منها، وتلك الأماكن التي يخفون الأسلحة فيها، ثمّ قال: ألا تعلم يا أخ عقيل أنّنا كنّا نخفي الأسلحة في مسجدٍ بالمنصورة يصلي فيه الساعدي القذافي يومياً، وذلك لثقتنا بأنّه لن يخضع للشكوك من قبل الأجهزة الأمنية، ثمّ قال: وكثير من ذلك فعلنا في استقبال السلاح من البحر، إلى توصيله إلى الزنتان، إلى توزيعه على الثوّار في مدينة طرابلس.

ولسائل أن يسأل:

لماذا القذافي لا يوقّع على التقارير المحالة منه إلى أجهزة أمنه إلّا بكتابة تلك الأرقام التي وصفها بالأجنبية (غير العربية)؟

أقول بديهيّاً: لكي يتمّ تنفيذ جميع أوامره، ولا تلحقه تهمة يوم من الأيام التي كان يتوقّع أن تواجهه بثورة أو حتى انقلابٍ عسكريٍ؛ وكي لا يجد نفسه من بعدها يحاكم بتهم قتل الأبرياء، أو الزجّ بهم في زنزانات السجون، ولهذا كما يقولون: (يقتل القتيل ويمشي في جنازته) ممّا جعل من كلّفهم بتلك المهام الأمنية، هم في المواجهة مع النّاس الذين وقّعوا على ما وقّعوا عليه ظلماً، تنفيذاً لأوامره المكتوبة والتي لا تكون منه إلّا بلا توقيع، فكتابة تلك الأرقام تكفي دون أيّ لبس أو غموض لدى المسؤولين الأمنيين، ومن هنا جعل كتابة تلك الأرقام هي التوقيعه المعتمدة بالنسبة له، ولذا فإن اطّلع من يطّلع عليها لا يظن أنّها توقيعة، وفي الوقت ذاته لا يعرف مصدرها، ممّا يجعله لا يصف التقرير أو الوثيقة بالرسمية (في الوقت الذي هي فيه على رأس كلّ إجراء رسمي)، وهذا ما حصل بالتمام معنا في هذا التقرير؛ فالمدان بالنسبة لنا لو لم يبلّغنا الأخ عبد الله عبد السلام التائب التاجوري بأنّ هذه توقيعة القذافي، لكان المتّهم الرئيس بالنسبة لنا هو رئيس جهاز الأمن الداخلي

التوهامي خالد، ولكن بعد أن عرفنا سرّ هذا التوقيع (التهميشة) عرفنا من الذي أصدر الأوامر.

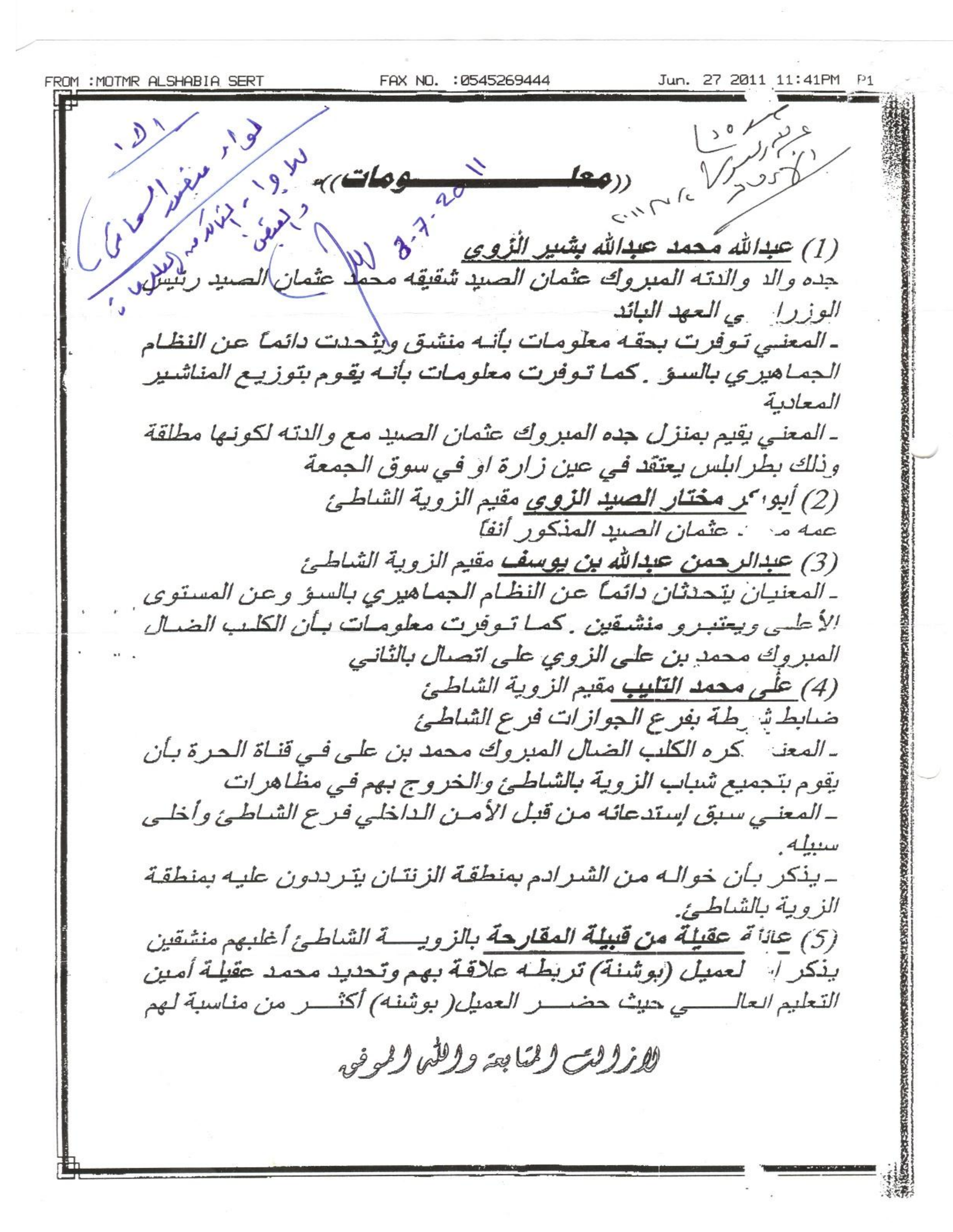
وقد يتساءل البعض:

لماذا لم يتمّ القبض على عائلة عقيل بالرغم من توجيه مستوجبات القبض من معمّر القذافي ورئيس جهاز أمنه الداخلي؟

أقول:

لأنَّ هناك رجل من رجالات تاجوراء (الأخ محمّد عبد السلام التائب) كان منتمياً لثوار ١٧ فبراير، وهو يعمل بجهاز الأمن الداخلي؛ فأخذ تلك الوثيقة المنصوص عليها أمراً بالقبض على أسرة عقيل، بعد أن عرف انتماء هذه الأسرة للثورة المجيدة؛ فُحُجِبت هذه الوثيقة من قِبله، وبذلك لم تصل إلى أيدي المنفِّذين النافذين في ارتكاب الجرائم والتقتيل والقبض على كلّ من يتظاهر، أو يتّخذ موقفاً من النظام الطاغي، إلى أن تحرّرت طرابلس؛ فكانت تلك الوثيقة التي وُقِّع عليها من قِبل التوهامي خالد بالقبض على المنشقين من عائلة عقيل، وعلى رأسهم محمّد حسين وأمين التعليم العالي الأسبق (عقيل حسين عقيل)، كانت تلك الوثيقة تتطاير فرحة بالتقائها بنا لتقول لنا ها أنتم قد سَلِمتُم من تنفيذ الأمر الذي لم تكونوا تعلمون خفاياه؛ فحملها كلّ واحداً منّا بين يديه يقرءوها، ثمّ يعيد قرأتها أكثر من مرّة، فرحة بتلك الإدانة التي تثبت هويّتنا التي بها نعتز.

صورة الوثيقة التي تنصُّ اعترافاً على انشقاق عائلتنا ومن ثمّ القبض علينا



FROM :MOTMR ALSHABIA SERT FAX NO. :0545269444 Jun. 27 2011 11:41PM P1

((معلـــــــــومات))

(1) **عبدالله محمد عبدالله بشير الزوي**

جده والد والدته المبروك عثمان الصيد شقيقه محمد عثمان الصيد رئيس الوزرا ي العهد البائد

- المعني توفرت بحقه معلومات بأنه منشق ويتحدث دائماً عن النظام الجماهيري بالسؤ . كما توفرت معلومات بأنه يقوم بتوزيع المناشير المعادية

- المعني يقيم بمنزل جده المبروك عثمان الصيد مع والدته لكونها مطلقة وذلك بطرابلس يعتقد في عين زارة او في سوق الجمعة

(2) **أبو كر مختار الصيد الزوي** مقيم الزوية الشاطئ

عمه م . عثمان الصيد المذكور أنفاً

(3) **عبدالرحمن عبدالله بن يوسف** مقيم الزوية الشاطئ

- المعنيان يتحدثان دائماً عن النظام الجماهيري بالسؤ وعن المستوى الأعلى ويعتبرو منشقين . كما توفرت معلومات بأن الكلب الضال المبروك محمد بن على الزوي على اتصال بالثاني

(4) **على محمد التليب** مقيم الزوية الشاطئ

ضابط ش طة بفرع الجوازات فرع الشاطئ

- المعن كره الكلب الضال المبروك محمد بن على في قناة الحرة بأن يقوم بتجميع شباب الزوية بالشاطئ والخروج بهم في مظاهرات

- المعني سبق إستدعائه من قبل الأمن الداخلي فرع الشاطئ وأخلى سبيله.

- يذكر بأن خواله من الشرادم بمنطقة الزنتان يترددون عليه بمنطقة الزوية بالشاطئ.

(5) **عائلة عقيلة من قبيلة المقارحة** بالزويـــة الشاطئ أغلبهم منشقين يذكر ا لعميل (بوشنة) تربطه علاقة بهم وتحديد محمد عقيلة أمين التعليم العالـــي حيث حضـــر العميل(بوشنه) أكثـــر من مناسبة لهم

لازالت المتابعة والله الموفق

وعليه: فمع أنَّ العاملين بالأجهزة الأمنية في عهد الطاغية لا يخالفون وجهات نظر مرؤوسيهم المباشرين إلّا أنّ السيّد محمّد عبد السلام التائب التاجوري قد خالف ما هو أكثر من ذلك؛ فقد خالف أوامر الرئيس الأعلى لجهاز الأمن الداخلي (التوهامي خالد) الذي أصدر

أوامره بالقبض على كثيرٍ من الليبيين الذين كان منهم أفراد أسرتنا نحن أبناء حسين بن عقيل بن مسعود.

ولذا أُقدّم للأخ محمّد عبد السلام التائب، وأخيه عبد الله عبد السلام التائب التحيّة والتقدير مع فائق الاحترام لهما، ولأسرتهما، ولتاجوراء مهد الأبطال التي ينتمي إليها هذان الشجاعان، تاجوراء التي قدّمت أعداداً من أبنائها شهداء في سبيل تحرير ليبيا، ولذا تستحقّ تاجوراء أن توضع تاجاً على الرؤوس.

ومن بعد ذلك التقرير الذي كُتب وأُحيل إلى القذافي في عائلة عقيل، كُتب تقريرٌ آخر في شخصي وأحيل من قبل محمّد إسماعيل إلى سيف القذافي، والذي قال فيه محمّد إسماعيل: (إنّ عقيل حسين عقيل منشق، وله الكثير من الاتصالات والعلاقات بقيادات ١٧ فبراير؛ كما تربطه علاقات خاصّة مع مصطفى عبد الجليل، وعلي الصلابي، ومحمود جبريل، ولذلك يجب الالتفات إليه بوجه السرعة). وعندما علم عبد الله السنوسي بذلك استدعى محمّد إسماعيل وقال له: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)، وقد أبلغت بهذا التقرير من قِبل من اضطررت أن أرمز إلى اسمه رمزاً بـ(ص..ع..) وهو من طلب مني بكل إصرار عدم كتابة اسمه لأسباب هو يعلمها[٢٣].

وعليه: لم يعدّ أمر القبض الذي أُصدر بشأننا من قِبل رئيس جهاز الأمن الداخلي (التوهامي خالد) هو المعاملة الأولى التي تمّت تجاهنا؛ فقد سبقه أيضاً ذلك الإجراء الذي على ضوئه وُضعت سيارة أمن ومجموعة من رجالها يتبادلون مهام المراقبة على منزلي على مدار الساعة، ولمدّة ثلاثة أشهر ابتداءً من يوم ١٧ فبراير إلى ١٥ مايو ٢٠١١م، حتى أصبح الجيران والأقارب يردّدون أنّ الدكتور عقيل قد وضع تحت الاقامة الجبرية، ولأنّ هذا الأمر أصبح محرجاً فكانت المواجهات

[٢٣] صالح، ع ف.

الكلامية تحدث بينهم وبين أبنائي وأخي حسن؛ فاضطررت أن أتصل بالأخ أبو زيد دورده وأبلغه بالأمر فقال: ليس لي علم بذلك، بل وغضب جداً؛ فأصدر أمره مشكوراً بسحبهم من أمام منزلي في اليوم ذاته.

ولكن بعد أن انتهت تلك المهمّة التي كنت أظنها قد انتهت بسحب السيارة ورجال الأمن من أمام منزلي، علمت يوم ٢٠١٢/٤/٣٠م من أحد الذين كانوا مكلّفين بتلك الحراسة وهو (عبد الرّحمن زبيدة) بأنّني كنت مراقباً من ثلاثة أجهزة في وقتٍ واحد (الأمن الداخلي، والأمن الخارجي، ورجلين معهم تابعين للسرية الخاصّة).

وممّا قاله عبد الرّحمن زبيدة: عندما صدرت لهم الأوامر من أبو زيد دورده انسحبوا من المكان، ولكن سرعان ما جاءتهم الأوامر من خلف أبوزيد بالعودة لمراقبتي عن بعد، فعبد الرّحمن زبيدة حسب قوله يتبع الأمن الداخلي، وممّا قاله: قيل لهم لا ثقة في أبوزيد دورده حيث العلاقة القوية التي تربطه بعقيل حسين، ولذا عليكم بالانسحاب إلى مكانٍ تستطيعون من خلاله مراقبة منزل عقيل حسين واتصالاته، ولا يستطيع هو أو أحد من أفراد أسرته رؤيتكم؛ فأخذنا مكاناً مناسباً بين تلك الأشجار دون أن نستخدم ضوء السيارة ولا مرّة واحدة، وبقينا هناك نراقب الحركة كما نراقب كلّ اتصال، حتى تحرّرت طرابلس، وإلى جانب هذه المراقبة المباشرة، كانت هناك مراقبة غير مباشرة؛ حيث وضعت سيارة خاصّة لمراقبة حركته من خلال شبكة المعلومات الإنترنت، وذلك لوجود طبق (dish) خاص على سقف منزله، وكانت تلك السيارة قد أخذت موقعها خلف منزل اخيه حسن عقيل.

تلك السيارة التي كنت أظنها للمراقبة العامة كانت واضحة أمام انظار الجيران، وحتى الذين يمرّون بانتباه من خلال الطريق العام الذي تطلّ عليه منازلنا.

وعليه: مع أنّ أبو زيد عمر دورده قد اتخذ موقفاً كما هو اتخذه، إلّا أنّه لم يكن مصدر ثقة بالنسبة للقذافي الذي يعرف جرأة بوزيد ومواقفه؛ فهو قبل أن يتولّى مهمّة الأمن الخارجي كان أكثر النّاس انتقاداً لحركة اللجان الثورية، حتى وصل انتقاده لها إلى أُذنيّ القذافي؛ فكان أبو زيد يقول عنها: (كلّ حركة فيها بركة إلّا حركة اللجان الثورية).

كما أنّه ساهم في إرجاع الكثيرين من الليبيين المهاجرين في الخارج بأسباب أمنية، حُقّق معه كثيراً بأسباب جسارته واعتراضه على اختيار سرت عاصمة لليبيا، وكذلك أسباب أخرى كثيرة منها مواجهاته مع الأقارب المقرّبين من القذافي.

ومع أنّ الأجهزة الأمنية كتبت عنه ما كتبت قبل أن يكون رئيساً لجهاز الأمن الخارجي، إلّا أنّه لم يستسلم لضغوطها، ولكن بعد أن استلم مهمّة جهاز الأمن الخارجي أصبح مسؤولاً على ما يقال من الغير فما بالك بما يقوله لسانه.

ونحن في طريق عودتنا من مفاوضات القاهرة الثانية سألت الأخ أبو زيد: لقد كنت أكثر النّاس انتقاداً لِما يجري من تسيّب وإهمال وسوء إدارة، وما يجري من مظالم على النّاس، وساهمت في إعادة البعض من هجرتهم السياسية؛ فكيف الآن يا استاذ أبو زيد تقف هذا الموقف؟

قال: يا عقيل والله بعد الناتو لا استطيع إلّا الصمود في مكاني.

قلت: يا استاذ ابو زيد العالم اليوم لم يعد مثل ذلك الفصل الذي كان المدرس فيه يقف بعصاته أمام التلاميذ ليخيفهم جميعاً.

اليوم في العالم المتقدّم وأنت تعرفه جيداً إذا ضرب والد ولده أو ابنته، أو ضربت أمٌ ابنها، أو ابنتها، وصرخ أو صرخت حتى سمع الجيران صراخها، يتمّ إبلاغ الشرطة من قبل الجيران، ويكون متهماً وقد يُسجن، وقد يتمّ أخذ أبنائه منه لتتم تربيتهم عن حُسن معاملة وعلى

طيب خاطر؛ فما بالك العالم اليوم يشاهدك بأقماره الصناعية كيف تعدّ القوّة؟ وكيف تحرّكها؟ وكيف تقتّل المدنيين بها وتدمّر المدن بغير حقّ.

وعليه:

إنّ ما جرى من متابعة أمنية لي ولعائلتي ذكّرني بقصة تلك الحكومة التي أمر الضبع بتشكيلها من قبل السيد الثعلب، وهي:

شكلّ الضبع برلماناً لحكومته برئاسة الثعلب، وعضوية كل من الدجاجة والأرنب والخروف والحمار والكلب والغزالة. وعند انعقاد جلسة البرلمان الأولى، طلب رئيس المؤتمر من جميع الأعضاء العمل من أجل سيادة الرئيس، (الضبع)، والحفاظ على أمنه حيث له الفضل في اختيارهم جميعاً، وقال: إنَّ مهمّتكم الأولى هي حماية الرئيس من البعوضة، التي قتلت الفيل، وضربها بيدٍ من حديد أينما حطّت، ورئيس البرلمان (الثعلب) لازال في حديثه المهم عن هذا الموضوع، وإذا ببعوضة تحطّ على خدّه الأيمن، فتقدّم الحمار مسرعاً ورفس البعوضة بقائمتيه الخلفيتين على وجه السيد الثعلب؛ فأغمي عليه في حينها، ونقل على أثرها إلى المشفى، وعندما حضر رئيس جهاز الأمن الداخلي زائراً السيد الثعلب رئيس البرلمان، سمعه يردّد وهو في غير وعي، (مؤامرة، مؤامرة).

حينها ذهب مسرعاً إلى مكتبه وطلب من أجهزة الأمن التحقيق وبكلّ شدّة في هذه المؤامرة، ثمّ أبلغ رئيس الدولة بذلك والذي هو الآخر أصدر أوامره لجنوده بالسيطرة على المدينة، وإغلاق جميع الحدود، وإقفال المطارات والأجواء في وجه الملاحة الجوية، والقبض على جميع أعضاء البرلمان وأقربائهم المتآمرين؛ فقبضت أجهزة الأمن بداية على العضو الذي رفس رئيس البرلمان الموقّر، وأُخذ إلى مقر التحقيق الرئيسي بمقر الرئاسة، وبدأ التحقيق الديمقراطي، وأحضرت كلاب شم

الأثر للمشفى حيث جثمان الثعلب الذي وافاه الأجل المحتوم قبل وصولها إليه بدقائق، وأصدر مدير كتيبة الأنياب أوامره لأعضاء كتيبته لشم صدر جثمان الثعلب من أجل التعرف على أثر النوايا الخفية من المؤامرة، ومع أنّها لم تعرف أثراً سوى أثر حافري الحمار، إلّا أنّها كتبت في تقريرها: إنّها مؤامرة على الرئيس، تصديقاً لما قاله رئيس الأمن الداخلي، وحينها لم يدلِ الحمار بأيّ معلومات غير التي حدثت، وبمقارنة تقرير كتيبة الأنياب، واعتراف الحمار. اتفق جميع رؤساء أجهزة الأمن المختلفة (وهي غير مختلفة) بأنها حقيقة مؤامرة على الرئيس، وأعيد التحقيق بشكل أكثر ديمقراطية مع الحمار إلى أن أعترف بأنَّ الهدف من قتل البعوضة هو قتل الرئيس، وأنّ جميع أعضاء البرلمان ضالعون في هذه المؤامرة.

وعندما عُرض التقرير النهائي على الرئيس قرّر إلغاء البرلمان حفاظاً على الديمقراطية.

بعد التحرير والتقائي بالمستشار مصطفي عبد الجليل أخبرته بأنّ معمّر القذافي جاءته التقارير في شخصي وعائلتي بأنّنا مع ثوار ١٧ فبراير؛ فأحال أمر قضيتنا إلى عبد الله السنوسي، وكذلك إلى بقية أجهزته الأمنية؛ ممّا جعل رئيس جهاز الأمن الداخلي يصدر أمره يوم ٢٠١١/٧/٣م بالقبض علي وأخوتي، ولكن الله سلّم؛ فرجل من تاجوراء قام بإبطال مفعول ذلك الأمر حيث أخفاه مع أمر القبض على كثيرٍ من الناس قبل أن يصل إلى الأيدي المنقّذة؛ فقال المستشار مصطفى عبد الجليل:

أنتم أسرة معروفة، وأنت موقفك ضدّ القذافي دائماً واضح وجلي، الليبيون لن ينسوا ذلك الموقف الذي وضعته فيه أمامهم من خلال شاشات التلفاز، عندما رفضت أمره بإلغاء التعليم العالي وإلغاء مجانية التعليم، وقلت له إذا لم تكن راضٍ عن وجودي أميناً للتعليم العالي

فقلني من هذا المنصب، ولكن لا ينبغي أن تلغي التعليم العالي ومجانية التعليم الجامعي. ثمّ قلت له: أنَّ التعليم العالي حقّ لليبيين القادرين على مواصلته وفقاً لمعاييره الموضوعية.

قلت: لم أنس اعتزازك يا استاذ مصطفى بموقفي حينما قلت لي أمّك جابت، لقد رفعت رأس أهلك بما قلته للقذافي وجهاً لوجه.

ولن ننسى تصريحك وأنت رئيساً للمجلس الوطني الانتقالي في أحد لقاءاتك بالطّلبة الليبيين الدارسين بالخارج حين قلت:

كانت البعثات الدراسية مقتصرة على فئة قليلة من المحسوبين (وساطة ومحسوبية) إلى أن جاء الدكتور عقيل حسين وفتح باب المساواة أمام أبناء الليبيين في حقِّ مواصلة دراساتهم بالخارج؛ فلهو الفضل في وجودكم دارسن بالخارج.

وعليه حديث المستشار مصطفى عبد الجليل عن تلك المقابلة الساخنة ذكّرني بما جرى فيها؛ ففي ذلك اليوم الذي طَلب فيه معمّر القذافي اللجنة الشعبية العامّة للتعليم العالي التي كنت رئيسها، للحضور إلى سرت، لإجراء حديثه من خلالها لليبيين، ليؤكّد فيه على عدم وجود ضرورة للتعليم العالي ومجانية التعليم في ليبيا، وذلك بقوله: من يستطيع أن يُعلّم أولاده فليعلمهم بمقابل، ومن لم يستطع فعليه بتدريبهم أيِّ حرفة رعياً أو زراعة أو أيِّ شيء يستطيعه ولي الأمر. والدولة لن تقبل بدفع التكاليف الدراسية للمتعلّمين، ولا تقدم على بناء الجامعات الممكّنة من ذلك؛ فدخل النفط لن يُدفع منه شيء على التعليم، ولا على الرّعاية الصحية.

أثناء حديثه الممل وغير المنطقي تجاه تسفيه التعليم والتقليل من شأنه، كنت شبه مستمرّ في رفع يدي طالباً مداخلة؛ فلم يعرني انتباهاً، وكأنّه لا علاقة لي بالموضوع؛ كنت جالساً بجنب الدكتور البغدادي المحمودي

الذي همس لي بعد حركة لامس من خلالها كتفه كتفي ليُنبهني بما سيقوله لي همساً، ثمّ مال برأسه ملتفتاً تجاهي وهو يقول:

يا أخ عقيل أرجوك لا تتكلّم، (وكانت هذه المداخلة من باب المحافظة عليّ كي لا نكون في مواجهة العاصفة التي بدأت من الكلمات الأولى، بقول القذافي: (لا يحقّ لأيّ أحد منكم أن يناقشني، ولكن عليكم جميعاً بالاستماع وعليكم من بعده بالتنفيذ).

بقيت رافعاً يدي وكأنَّ البغدادي لم يقل لي شيئاً، أو أنني لم أسمعه؛ فأعاد البغدادي المحمودي الكرَّة ثانية محاولاً إقناعي بعدم الإبداء بأيّ مداخلة، لأنّ القذافي في حالة غضب شديد، ولا يقبل بمعارضين له في الفكرة أو الرأي؛ فقلت له: يا دكتور أنا على رأس التعليم العالي إذا لم اتكلّم أنا فمن ذا الذي سيتكلّم في هذا الشأن!

صَمتَ البغدادي.

إلى أن أنهى القذافي حديثه بقوله: من منكم يريد أن يتكلّم؟

فقال الجميع بما فيهم الدكتور البغدادي: الدكتور عقيل.

قلت: لا شكّ أنّ التفكير في تطوير التعليم هو رغبة ومطلب الجميع، والعالم جميعه لا يتقدّم إلّا بالتعليم العالي، والحضارات لا تؤسّس إلّا على نظرياته وعلومه، ولذا لا ينبغي أن يكون إلغاء التعليم العالي غاية، فأرجو أن لا تلغي التعليم العالي؛ فإنّ إلغائه حتماً سيؤدّي إلى تأخر البلاد وتخلّف شعبها.

فقاطعني بقوله: (أنت أيش تبي)، وكانت هذه الجملة بالأسلوب الذي قيلت به وكأنّه يودُّ أن يقول لي: أتريدني أن لا ألغي التعليم العالي لكي تبقى أنت على رأس وزارته؟

قلت: إذا أنت لا تريد عقيل على رأس التعليم العالي فأقله من الوزارة، ولكن لا يجب أن تلغى التعليم العالي ومجانية التعليم والصحة اللتان كلّ

مواطن ليبي هو في حاجة ماسّة لخدماتهما.

ثمّ قلت له: لقد سبق لك وأن قلت ينبغي أن ينتشر التعليم الأفقي، فانتشر في تلك المدارس الابتدائية والاعدادية حتى أصبحت جامعات بلا معيارية، واليوم تقول يجب أن تلغى مجانية التعليم، ومجانية العلاج، ولا داعي للتعليم العالي؛ فكيف يُقبل هذا في الوقت الذي فيه العالم يتنافس ويتطوّر علماً ومعرفة من خلال جامعاته ومراكز بحوثه بمؤسسات التعليم العالي.

لم يعجبه حديثي في هذا الشأن، وبذلك الأسلوب؛ فقاطعني بإعطاء الكلمة لأحد الأساتذة؛ فكان رأيه مؤيداً لرأيي؛ فأحال الكلمة لآخر؛ فكان حديثه مؤيداً لرأيي، وهكذا أعطاها للواحد بعد الآخر؛ فكان جميعهم متمسّك بذات المداخلة التي أدليت بها مسبقاً؛ فقال: (أنتم امقريكم عقيل)؛ فقلت دون إذن منه: أنا لم أقرئ أحد، ولكن لهم في هذا الموضوع بالذات قناعات.

عُدت إلى طرابلس (أم الجميع)؛ فجاءني اتصال هاتفي من أخي الحاج الهادي الذي هو في مرتبة أبي، وهو يقول: بعد أن استمع لتلك المقابلة المنقولة على شاشات التلفزة، لقد سترتنا، ولو تترك التعليم اليوم نحن يكفينا ما قلته.

حمدّت الله كثيراً وأنا أقول في نفسي يا مرضاة الله ومرضاة الوالدين.

ويبدو أنّ تلك المقابلة نالت حتى مرضاة النّاس؛ فقد اتصل الكثيرون بي، وهم في حالات من الاستغراب الموجب تجاه من يقول للقذافي ما قيل له على الملأ، وذات مرّة بعد وفاة والدتي رحمها الله، وبعد فكّ فترة قبول التعازي المتعارف عليها عند الليبيين، جاءني المستشار مصطفى عبد الجليل، والدكتور محمود جبريل بعد أن جاء كلّ منهما أكثر من مرّة، ولكن هذه المرّة جاء معهم شخص من المنطقة الشرقية لم أعرفه،

ولكنّه عرفني من خلال ذلك الموقف الذي اتخذته في مواجه حِوارية مع القذافي من أجل استمرار التعليم العالي حقّ لكل الليبيين؛ فقال المستشار مصطفى عبد الجليل هذا الشخص لم تعرفه، ولكنّه عرفك من خلال ذلك الموقف الذي اتخذته بشجاعة، ودفاع مستميت من أجل التعليم العالي في ليبيا، ثمّ قال مازحاً: هذا الرّجل يحفظ الكتاب الأخضر عن ظهر قلب؛ فسأله، ثمّ كرّر قوله: أسأله يا دكتور عقيل؛ فلم نسأله؛ فسأله المستشار مصطفى بقوله: الطفل من يربيه؟

فأجاب ذلك الرّجل اللطيف الذي يظهر على وجهه الوقار، بقوله الذي فاجئني به، (والجحش من يربيه؟) ألم تكن أمّه هي التي تربيه! وهكذا القردة تربي أبنائها، وهكذا المرأة تحيض وتلد، والرّجل لا يحيض ولا يلد، والدجاجة تبيض والديك لا يبيض.

ضحكنا بعمق، ونحن نقول على القذافي بحقّ أنّه رجل معتوه، وكان هذا الأمر في بداية شهر فبراير، شهر ميلاد الثورة المجيدة (ثورة ١٧ فبراير).

وفي هذه الجلسة ونحن في هذا الاتجاه الساخر تذكّرت، ما كتبته عن الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع الجماهيري الذي لم يكن مجتمعاً ليبيا، بل (مجتمعاً لاتينيّناً) الذي أتبتُّ فيه أنّ جُلّ ما قاله معمّر القذافي في كتابه الأخضر؛ فهو قد قيل من قبل عند المجتمع الأثيني، ولكن اليوم أعترف، بأنّ لمعمّر القذافي إضافات اكتشافيه لم يسبق لأحدٍ معرفتها وهي:

الدجاجة تبيض، والديك لا يبيض.

المرأة تحيض، والرّجل لا يحيض.

المرأة تلد، والرّجل لا يلد.

الطفل تربيه أمّه. وهكذا كما أضاف ذلك الرجل البسيط أنّ القردة تربي أبنائها.

وعودٍ إلى تلك الآراء المؤيّدة لرأيي ضدّ رأي القذافي المتعلّق بإلغاء مجانية التعليم والتعليم العالي، هناك أراء وصلتني رسميّاً من مكتب اللجان الثورية، تحتجّ على معارضتي للقذافي، مع عدم رضاهم على قولي له: بما يشير إليه (أنت) دون أن أذكره بالاسم أو اللقب، وقد طلب البعض مسائلتي أو محاكمتي، ولكن لم يتمّ اتفاق على ذلك كوني وزيراً للتعليم العالي، يجب إقالتي في أوّل انعقاد لمؤتمر الشّعب العام، وكان الأمر كذلك؛ فتمت إقالتي في أوّل انعقاد لمؤتمر الشعب العام ٢٠٠٩م.

المحطّةُ الخامسة

مواقف

وردود أفعال من القذافي

قبل إقالتي من وزارة التعليم العالي، كانت هناك أكثر من ردّة فعل للقذافي تجاهي، ومنها:

البعثات الدراسية

وردّة

فعل القذافي

اتصل بي القلم ذات مرّة وهو يقول: المهندس إبراهيم علي في انتظارك للتحقيق معك بخصوص تجاوزاتك وانحيازك في البعثات العلمية لأهل البربر.

اتصل بي المهندس إبراهيم علي، وقبل أن أقول له كيف أحوالك، قلت له: أنا في طريقي إليك. ضحك كثيراً كعادته معي وهو يقول: من أخبرك؟

وجدّته في انتظاري يقرأ في ذلك التقرير (موضوع التحقيق معي) الذي لم أعرف من الذي كان من ورائه.

بدأ إبراهيم بعرض تساؤلاته:

ـ لماذا هذا العدد الكبير من المبعوثين الذين يقارب عددهم ١٩ ألف طالب وطالبة؟

لماذا تقدم على كلّ ذلك، وأنت تعرف أنّنا مستهدفون تخفيض الميزانيات العامّة، ألا يكون ذلك دليل إثبات على أنّك من الذين يسعون إلى تبذير المال العام وتسفيه التوجيهات التي تصدر من القائد؟

قلت: ليبيا في حاجة ماسّة لأن يتعلّم جميع مواطنيها، وهذا العدد لا يفي بحاجة الجامعات؛ فالجامعات الآن تعاني من عجز معياري يتجاوز ٢٠ ألف عضو هيئة تدريس؛ وإن لم نضاعف أعداد المبعوثين للدراسة بالجامعات المتقدّمة؛ فسيكون العجز بعد خمس سنوات من أعضاء هيئة التدريس مضاعفاً.

ولعلمك يا مهندس إبراهيم أنّ هؤلاء المبعوثين الذين يبلغ عددهم إلى ما يقارب ١٩ ألف طالباً وطالبة هم من جميع مؤسّسات الدّولة الليبية، ولم يكن جميعهم من الجامعات؛ فمؤسسات الدّولة في حاجة للمتعلمين والمتخصّصين المهرة، ولهذا يجب أن نضاعف عدد المبعوثين للدراسات العليا بالخارج.

أمّا التبذير فلا محلّ له في أسواق التنمية البشرية، التبذير دائماً يعرّف تبذيراً عندما لا يكون في أوجه التنمية البشرية؛ فأنا أعتقد ما أقدمت

عليه هو أفضل مشروع استثماري لليبيا؛ فالاستثمار اليوم في البشر هو الاستثمار الأمثل.

ـ هل ليبيا في حاجة لهذه الأعداد الكبيرة؟

ـ نعم إنّها في أمسّ الحاجة، بل ليبيا في حاجة لأضعاف مضاعفة من المتعلّمين والخريجين المتخصّصين من الجامعات الرّفيعة.

قال: هذا كلام غير صحيح. وعليك أن تعرف أنّ مجانية التعليم لن تكون، (هلّي بيقري أولادة يقريهم على حسابة لا على حساب ميزانية الدولة).

ـ لماذا هذه الأعداد من المبعوثين من الجبل الغربي بصفة عامّة، وأهل البربر بصفة خاصّة؟ (هل تعتقد أنَّ هؤلاء فيهم خيراً؟)

قلت: يا أخ إبراهيم البعثات الدراسية وفقاً لنسبة عدد الطلبة في كلّ جامعة من الجامعات، ووفقاً لعدد الأقسام التخصصية بها، سواء في الجبل الأخضر أو جبل نفوسة، ثمّ لماذا لا نُسأل عن الجبل الأخضر الذي بعث منه ١٨٧٢ طالب وطالبة للدراسة بالخارج، وهي أعلى نسبة على مستوى البعثات الدراسية من ليبيا كلّها، ولعلمك هذا العدد من جامعة واحدة هي جامعة عمر المختار، لكن يا أخ إبراهيم ألم يكن لأهل جبل نفوسة (الآمازيغ وغير الآمازيغ) حقّ المواطنة الذي يكفل لهم حقوقهم كغيرهم من الليبيين؟

قال: أنت بإجراءاتك هذه لقد أضفت أعداد من المعارضين للمعارضة بالخارج؛ فهؤلاء الطلبة تعتقد أنّهم سيكونون معنا، هؤلاء سيكونون مع المعارضة.

قلت: أعمل خير تجد خير، فأنا يا أخ إبراهيم لا يليق بي أن أقصي أحداً له حقّ في مواصلة دراسته العليا؛ فلا داعي لدفع النّاس

لمعاداتكم؛ فأنتم بهذه الطريقة ستفقدون أهل الجبل جميعهم وليس (الأمازيغ) فقط.

قال: حتّى لا نضيّع الوقت، راجع يا دكتور قوائم الطلبة المبعوثين للدراسة بالخارج، وصنّفهم وفقاً لقبائلهم والجامعات التي تخرّجوا منها، ثمّ ابعثهم لي بوجه السرعة.

قلت: لم تكن البعثات الدراسية بعناوين القبائل، بل هي بعناوين الجامعات، وهذا لا يليق يا أخ إبراهيم أن يقال من قِبَلكم؛ فأنتم من يجب أن يقول ليبيا للجميع، لا من يقول أقصوا أهل الجبل، أو صنّفوا الطلبة وفقاً للقبائل التي ينتمون إليها.

أحلت إليه القوائم جامعة جامعة، وقسم قسم، وتخصّص تخصّص، واختتمت القوائم بقولي: هذا ما يطابق قرار البعثات الدراسية.

ولكن الذي لم أقله إلى المهندس إبراهيم علي هو ذلك الاتصال الذي تمّ بيني وبين المهندس على زكري، الذي قال لي: يا أخ عقيل أهل الجبل محرومون من البعثات الدراسية، قلت له: إن كان عندك من تنطبق عليهم شروط البعثات الدراسية؛ فأسرع بما عندك من طلبة.

جاء المهندس علي زكري واتّفقت معه على ذلك، ثمّ جاءني بعد خمسة أيّام بقائمة من الأسماء لأهل الجبل يزيد عددهم عن ٢٧٠ طالب وطالبة؛ فأضفتهم إلى قائمة طلبة الجبل الغربي التي يبلغ عدد المبعوثين منه ما يزيد عن ١٣٠٠ طالب وطالبة، وذلك بعد أن اعتمدت تلك القائمة (التي جاءني بها المهندس علي زكري) من قِبل كليات وأقسام جامعة الجبل الغربي، ولهذا يبدو أنّ القذافي قد سمع بهذا الإجراء؛ فجنّ جنونه، ولكن بحمد الله لقد تمّ إنجاز الموضوع لأهلٍ يستحقونه.

بعد ذلك الخطاب الناري للقذافي في مارس ٢٠٠٨م الذي أقرّ فيه إلغاء مجانية التعليم والصّحة، كما ألغى الوزارات العامّة باستثناء ما اسماها بالوزارات السيادية؛ اجتمع باللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي

مواجهة من التعليم العالي

وردّة

فعل القذافي

بعد ذلك الخطاب الناري للقذافي في مارس ٢٠٠٨م الذي أقرّ فيه إلغاء مجانية التعليم والصّحة، كما ألغى الوزارات العامّة باستثناء ما اسماها بالوزارات السيادية؛ اجتمع باللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي

ليؤكّد لليبيين من خلالها أنّ أولويّة ما يجب أن يلغى من طموحاتهم هو التعليم العالي، ولذلك كان القذافي لا يرى حلاًّ لمشكلة الليبيين ولا مستقبل لهم إلّا بإلغاء التعليم العالي وإلغاء مجانية التعليم من أذهانهم.

ولهذا قال: التعليم وفقاً للاستطاعة، ومن لم تكن له الاستطاعة؛ فليترك الأمر اختيارياً لأبنائه ليختاروا بكامل حرّيتهم العمل في الحقول الزراعية، أو العمل في المراعي، أو يبحث لهم أولياء أمورهم عمن يعلّمهم الرّسم أو الرّقص أو مهنة النجارة.

ومع أنّ القذافي في بداية حديثه لأعضاء لجنة التعليم العالي قال: عليكم بالاستماع، وعليكم بالتنفيذ، ولا وقت للمناقشة فيما قلته بشأن إلغاء مجانية التعليم ومجانية العلاج، وإلغاء التعليم العالي والصحة، المناقشة فقط ستكون مقتصرة على كيفية التنفيذ، ومع أنّه لا يقبل من يعارض أفكاره إلّا أنّني كنت على الهواء مضطراً لمواجهته؛ فقلت: لا يليق بنا في هذا القرن الواحد والعشرين أن نلغي التعليم العالي ومجانية التعليم لشعبٍ له من الثروة النفطية ما يمكّنه من التعليم أينما شاء، وقلت: (نعم لفكرة حرّية التعليم بالكيفية التي يمكن بها أن يتمكّن الليبيون من بلوغ التقدّم، ولكن لا يُقبل أن يحرم الليبيون من بلوغ مستويات التعليم العالي، وأنّ الليبيين إن كانوا غير قادرين على تعليم أبنائهم بأنفسهم؛ فهذه مسؤولية الدولة، ولذا يجب على الدولة تعليمهم. ولكنّك إن كنت لا تريد عقيل حسين؛ فعليك بإقالته، أمّا المساس بالتعليم والصّحة فلا ينبغي.

وهكذا بالتّمام كان ردّ بقية الزملاء تأكيداً تامّاً على كلّ ما قلته للقذافي بشأن فكرته تجاه إلغاء التعليم العالي وإلغاء مجانيته لليبيين، فهوى يرى أنّ فكرته هي الحلّ ولا حلّ سواها، ولكن المعرضة التي قابلته من قبلنا جعلته يقول: كما نُقل بالتّمام مباشرة على شاشات التلفاز أنتم (امقريكم عقيل)، ويقصد بقوله أنتم (أعضاء لجنة التعليم العالي).

وبناء على ذلك كان للقذافي ردّة فعل تجاهي، بأسباب ذلك الرّفض، وتلك الاعتراضات، واتضحت ردّة فعله في الاجتماعات التي عقدها مع اللجنة الشعبية العامّة ولمدّة يومين متتالين في مقرّ معسكره باب العزيزية، ومع أنّه كان يُعطي المداخلات لمن يطلبها من الوزراء دون استثناء، إلّا أنّه رفض أن يعطها لي عند ما طلبتها؛ فقال: أمام جميع الوزراء أنت لا مداخلة لك عندي؛ ولذا فمن بعدها لم أعد أرفع يدي حتى ولو وجب الرّفع. وحينها عرف جميع الوزراء أنّ أمري معه في التعليم العالي أصبح مسألة وقت.

الأساتذة من الإخوان المسلمين

وردّة

فعل القذافي

أُستدعيت من قِبل قلمه آنا ذاك محمّد حجازي لمساءلتي عمّا قمت به تجاه الأساتذة من الإخوان المسلمين، الذين قضوا في السجن سنين، وحُكم على من حُكم منهم بالإعدام، ثمّ أفرج عنهم وأطلق سراحهم، وأعيدوا إلى أعمالهم المشروطة بأن يمكّنوا في مراكز البحث العلمي، ولا يمكّنوا من أداء مهمّة التدريس بالجامعات الليبية، ولأنّي بذلتُ مجهوداً

توّج بتمكينهم من ممارسة المهنة التي أعدّوا لها، وهي مهنة التدريس الجامعي، ولي في هذا الأمر قصّة، وهي أقرب إلى أن تكون قضيّة.

بعد أن اخترت وزيراً للتعليم العالي بأسبوعين أتصل بي سيف القذافي وهو يقول: رجّع يا دكتور عقيل الأساتذة الذين بسببهم أقلنا إبراهيم الشريف أمين التعليم العالي السابق، وجئنا بك لتقوم بتنفيذ هذا الأمر؛ فقلت له يا سيف: لا استطيع تمكينهم من التدريس.

قال: لماذا؟

قلت أبيك لا يودّ لهم أن يكونوا من بين أعضاء هيئة التدريس الجامعي، وعليه اتّفق مع أبوك وكلمني، ويا ليتك تستطيع؛ فهؤلاء أساتذة متميّزون، ولكن أمين التعليم العالي السابق الدكتور إبراهيم الشريف أبلغني يوم استلامي منه مهام التعليم العالي بأنّه مبلّغ مباشرة بأن لا يمكّن هؤلاء الأساتذه من التدريس بالجامعات، وكذلك لقد أتصل بي قلم أبيك قبل أسبوعٍ وابلغني أن لا أتخذ إجراءً به يتمكّن هؤلاء الأساتذة الذين قضوا سنيناً طويلة سجناء بين الجدران، من التدريس بالجامعات.

أنهى المكالمة وهو غير راضٍ بما أخبرته به.

وما اتذكره يوم تسلّمي مهام وزارة التعليم العالي، أتذكّر وأنا في جلسة الاستلام من الأمين الأسبق الدكتور إبراهيم الشريف، فتح السيد الدكتور إبراهيم خزنة الأسرار الخاصة بالتعليم العالي، وأخرج منها ملفّا ضخماً ولا شيئ سواه في تلك الخزنة، ثمّ وضعه بيننا وهو يقول: هذا موضوع غاية في السريّة، وهو أخطر ملف في التعليم العالي، إنّه ملف الإخوان المسلمين، ولعلمك القائد يتابع فيه شخصيّاً، وعليك ان تنتبه فأمره ليس بالهيّن.

أعاد سيف القذافي الاتصال بي مرّة ثانية بعد شهرٍ من ذلك الاتصال الأوّل؛ فكانت إجابتي له بذات الإجابة الأولي، حيث لم يأتن جديد لتغييرها، ومع أنّني أجبته بالرّفض إلّا أنّني على قناعة تامّة بإعادتهم لأداء المهنة التي أُعدّو من أجلها، خاصة وأنّ فكرة خروجهم من السجن والتي لم يعلمها سيف هي في حقيقتها مولودة في منزلي؛ فكيف لا أكون متحمّساً لإعادتهم أساتذة محترمين إلى الجامعات والأقسام التي ينتمون إليها. ومع أنّني قد التقيت ببعضٍ منهم، إلّا أنّني لم أقل لهم أنّني والدكتور علي الصلّابي كنّا أوّل من فكّر في كيفية إخراجكم، وأوّل من اختار الأساليب المناسبة لذلك، والحمد لله تحرّروا وفقاً لِما رسمناه من خطة عملٍ في منزلي، مع العلم أنّني لم أكن منتسباً لحزب الإخوان المسلمين، ولكن أعرف جيداً كما قال الدكتور علي الصلابي مرارة السجن وحلكة لياليه وأيّامه، كما أنّني أعرف جيداً أنّ أكبر قوّة يمكن أن تحسم الصراع إذا جاء وقته هم المنتمون للتنظيمات الإسلامية بشكلٍ عامٍ، ولهذا تدبّرنا الأمر كما دبّرناه إلى أن جاء الوقت الذي فيه حُسم الصراع بضربة واحدة من الشّعب الليبي الذي قرّر الثورة.

ومع ذلك لسائل أن يسأل:

لماذا الإخوان المسلمين قبل غيرهم؟

أقول: كلّ حالات السجناء في ليبيا كانت حالات تمتدّ من الصّعب إلى الأصّعب، ولذالك بدأنا بالصّعب حتّى بلغنا الأصّعب.

وعليه كنّا متربّصين بأيّة فرصة يمكن أن تسنح لتحرير السجناء بمختلف ألوان أطيافهم. وبعد أنّ أنجزت هذه المهمّة بنجاح قرّرنا ثلاثتنا (الصلّابي والعرادي وعقيل) أن نعمل على ما يمكّن النساء اللاتي قتل أزواجهنّ في سجن أبي سليم من التحرّر، وذلك بتحصّلهنّ على شهادات وفاة أزواجهنّ حتّى يستطعن البدء في عِدتهن والانطلاق في

حياة حرّة وفقاً لما أمر به شرع الله. وكذلك يستطيع الورثة من معرفة ما لهم وما عليهم؛ فكان الدكتور علي الصلابي يقول بصوت عالٍ: ما ذنب الزّوجة التي لم تعلم بوفاة زوجها، وينبغي إعطاء شهادات وفاة لأسر أولئك الذين قتلوا في أبي سليم؛ فإنَّ عدم إعطائها يعد تعطيلاً لأحكام قرآنية.

وبعد انجاز هذه المهمّة الصعبة سعينا جادّين بتحرير الجماعة الإسلامية المقاتلة ذات المهمّة الأصعب، ونجحنا فيما سعينا إليه والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ جاءني اتصال ثالث من قبل سيف القذافي، يقول من خلاله: يبدو أنّه لا فرق بينك وبين الدكتور إبراهيم الشريف؛ فقلت كِلانا من الجنوب، وبالتحديد من (منطقة الشاطئ)، ثمّ قلت: لا تقلق سأعمل ما هو ممكن من أجل عودة الأساتذة الذين هم من حزب الإخوان المسلمين إلى ممارسة مهنة التدريس التي أعدوا إليها علماً ومعرفة؛ فأنا مقتنع أكثر منك، ولكن أبوك إذا أقدمت على تمكينهم وعَلِمَ بالأمر؛ فقد يعيد هؤلاء الأساتذة إلى السجن ثانية، أو أن يقطع رؤوسهم؛ فأترك الأمر لي، وسأكون متربصاً بأيّ فرصة نتمكّن من اقتناصها.

ومن حُسن الحظ قرّرت وزارة التعليم العام برئاسة الدكتور عبد القادر البغدادي تخريج دفعتين من طلبة الثانويات التخصّصية (الدارسين بالسنة الرّابعة وهي السنة النهائية لتلك المرحلة المتوسطة، وكذلك طلبة السنة الثالثة من ذات التخصّصات)؛ فكنت الصياد الرّامي لاقتناصها، وذلك لتضاعف أعداد الخريجين المدفوع بهم إلى الجامعات الليبية، ممّا زاد مضاعفة العجز في أعداد أعضاء هيئة التدريس الجامعي، ومع أنّني لم أكن مقتنعاً بتخريج طلبة السنة الثالثة ثانويات تخصصية قبل أن يتمّوا المقرر المخصص لإنهاء تلك المرحلة التي وُلِدت من أساسها قصراً، ولكن كما يقولون للضرورة أحكام؛ فمن أجل تمكين أولئك الأساتذة

المتميّزين من ممارسة المهنة التي أعدوا إليها، كنت قابلاً لذلك الحِمل الثقيل على القوّة الاستيعابية للجامعات؛ فأرسلت خطاباً لرؤساء الجامعات الليبية قلت فيه:

نظراً لتضاعف أعداد الخريجين من طلبة الثانويات التخصّصية بأسباب تخريج طلبة السنة الرّابعة والسنة الثالثة معاً في وقتٍ واحد، يطلب منكم الاستعانة بكلّ أعضاء هيئة التدريس المفرّغين لمراكز البحث العلمي التابعة للجامعات، وتمكينهم من ذلك بوجه السرعة، وذلك للمساهمة النسبيّة في سدّ العجز الذي تضاعف بتضاعف عدد الخريجين لهذا العام.

على الفور اتصل بي عميد جامعة طرابلس وهو يقول: هناك الأساتذة الإخوان المسلمين في هذه المراكز، وأنت عارف القضية إلى أين وصلت.

قلت: هل هناك استثناء لهم في صياغة البرقية التي بين أيديكم؟

قال: لا.

قلت: نفّذ.

تمّ التنفيذ.

ومباشرة بعد أن أقفلت الهاتف معه، اتصل بي عميد جامعة بنغازي بذات التبريرات؛ فكانت معه الإجابة ذاتها؛ فقال العميد أرجوك أن تبعث لي برقية بخصوصهم.

قلت: أمامك أحد أمرين:

١ . التنفيذ.

٢ . الرّحيل من الموقع الذي تشغله الآن.

تمّ التنفيذ.

استمر الحال على ما هو عليه، إلى أن طلبني الأخ محمّد حجازي بصفته القلم لمعمّر القذافي، وهو يقول: تأتي يا أخ عقيل إلى مكتبي بالقيادة غداً السّاعة الثامنة صباحاً.

ذهبت صباحاً في الموعد المحدّد للمقابلة معه، فإذا به يقول: لماذا مكّنت الأساتذة الأخوان المسلمين من التدريس بالجامعات؟ ومن الذي أمرك بذلك؟ والقائد غضبان عليك كثيراً.

قلت: أوّلا لم يأمرني أحداً.

ثانياً: لقد خرّج التعليم العام بغير حقّ طلبة السنة الثالثة ثانويات تخصصية، مع طلبة السنة الرابعة من ذات التخصصات؛ فتضاعف العدد الذي استوجب البحث بكلّ الوسائل عن أعضاء هيئة تدريس من أجل المساهمة في سدّ العجز الكبير الذي واجه الجامعات. ولذلك عمّمت برقية مفادها الاستفادة من جميع أعضاء هيئة التدريس المفرّغين بمراكز البحث العلمي التابعة للجامعات.

استمع الأخ محمّد حجازي إلى ما قلته بانتباه، ثمّ قال: لكن أنت عارف حساسية هذا الموضوع بالنسبة للقائد؟

قلت: يا أستاذ محمّد الأمر لا يخيف إلى هذه الدرجة، فهؤلاء الأساتذة عندما يقومون بمهمّة التدريس سيكونون أمام أعداد من الطلبة، وفي كلّ فصل هناك ما يقارب من ٦٠ طالباً، وكذلك في كلّ مدرّج هناك ما يقارب من ٢٠٠طالبا، آلا يكون لكم في كلّ فصل ٦ طلبة ليخبرونكم بما جرى منهم إن خالفوا مسار مهنة التدريس.

أشعرني الأخ محمّد حجازي باتّفاقه معي، ولكن كمن يود أن يقول لي: (وما باليد حيلة)، مع أنّه قال لي: ستتحمّل المسؤولية، ثمّ سألني قائلاً:

هل تكتب ما قلته بخط يدك؟

قلت: نعم.

أعطاني ورقة كتبت عليها: (إنّ مضاعفة أعداد الخريجين من قِبل طلبة الثانويات التخصّصية دعاني إلى أن أبعث برقيات أمر فيها عمداء الجامعات تمكين جميع أعضاء هيئة التدريس المفرّغين بمراكز البحث العلمي، وذلك للمساهمة في سدّ العجز النسبي الذي تضاعف مع تضاعف أعداد الخريجين من طلبة الثانويات التخصصية، ولذا فبعد أن مكّنتهم من أداء مهنتهم التي اعدّوا عليها أعضاء هيئة تدريس جامعي، أقبل أن أكون مسؤولاً عمّا يرتكبه أيٌّ منهم إن ارتكب ما ارتكب).

سلّمت الورقة التي كتبتها بيدي إلى محمّد حجازي، وودّعني وهو يقول: (ردّ بالك يا دكتور عقيل، وانتبه عن مرّة أخرى) عُدت إلى مقر التعليم العالي؛ فاتصل بي الأخ محمّد حجازي وهو يقول: (لقد تمّت الموافقة على ما قلته، يبقوا أولئك الأساتذة مفرّغين بمراكز البحث العلمي).

قلت: أنا لم أقل ذلك، بل لقد كتبت رأيي كتابة؛ فقال: هذا ما كتبته.

قلت: لم أكتبه.

فبدأ بقراءة الورقة هاتفياً؛ فلم يجد شيئاً مما قاله لي.

قلت: إذن الأمر واضح، وحمدت الله بهذه الخاتمة.

ولسائلٍ أن يسأل:

لماذا اقتصر توجيه البرقية على الأساتذة المفرّغين بمراكز البحث العلمي الجامعي؟

أقول:

لأنّ المستهدف من قبلي قصداً هو أولئك الأساتذة الذين أودّ فكّ القيد ألإقصائي عنهم.

تقرير من عميد الجامعة

وردّة

فعل القذافي

كتب عميد جامعة طرابلس (الفاتح سابقاً) الدكتور الهادي الحاجي تقريراً لمعمّر القذافي عن طريق أحد أقاربه (أقارب القذافي) يقول فيه: إنّ أمين التعليم العالي الدكتور عقيل حسين عقيل بدأ يفرض في آراءه دون عودة إلى عميد الجامعة (يقصد الدكتور الهادي نفسه) فأحال القذافي التقرير إلى رئيس جهاز الرّقابة (المهندس إبراهيم علي) طالباً منه التحقيق معي، فتمّ استدعائي بسببه للتحقيق من قبل رئيس جهاز

الرّقابة الشعبية الذي أتصل بي هاتفياً، وطلب مني الحضور السّاعة التاسعة صباحاً لمكتبه.

وصلتُ مكتب الرّقابة الشعبية السّاعة التاسعة والرّبع صباحاً، ولم أعرف السبب، مع أنّني وجدتُ السيد الدكتور الهادي الحاجي عميد جامعة طرابلس جالساً أمام إبراهيم علي في ذات المكتب، سلّمت عليهما بحرارة كما هي عادتي، ولم أكن أعرف أنّ عميد الجامعة هو المشتكي إن كانت دعوتي للحضور من قبل رئيس جهاز الرّقابة بأسباب شكواه.

بدأت الحيرة على إبراهيم علي وكأنّه لم يعرف من أين يبدأ، ثمّ لاحظت محاولات الالتفات عني من قبل ذلك العميد كلّما أحاول أن أملأ عينيَّ من وجهه؛ فقلت على الفور: هل هناك قضية يا أخ إبراهيم علي؟

فأجاب: تقريباً.

وما هي؟

الدكتور الهادي مشتكي فيك للقائد.

على ماذا؟

فأحسّ إبراهيم بأنّ الطريق أمامه قد فتح، وهو يقول: الدكتور الهادي قال: إنّك تفرض في رأيك عليه؟

ثمّ ماذا؟

إنّك عيّنت جميع العمداء بالكليات من قبيلتك (المقارحة).

ثمّ ماذا؟

عينت ابنك معيداً دون علمه وغصباً عليه.

قلت: فهل هناك من بعد ماذا؟ لماذا؟

قال: هذه حدود القضية.

قلت؛ فلنبدأ بالرّد على قوله بفرض رأيي عليه.

يا أخ إبراهيم هل يمكن لي أن أفرض عليه رأياً لو لم أكن وزيراً للتعليم العالي، ويكون هو تابعاً للقطاع الذي أنا على رأسه؟ وهل يمكن لي ذلك ما لم يكن قد أقدم على ما يخالف اللوائح والنظم؟

قال: هذا صحيح.

إذن فليوضّح بالتحديد.

لم يوضّح شيئاً محدّداً.

انتقلت إلى التهمة الثانية: بقوله لقد عيّنت عمداء جميعهم من قبيلتك (المقارحة).

قلت؛ فلنبدأ بالكليات التي لحقها التغيير كلية بعد كلية، لقد عينت الدكتور عبد الله الخبولي عميداً لكلية الهندسة جامعة طرابلس، فهل هذا مقرحي يا دكتور الهادي؟

قال: لا.

قلت هذه حقيقة لا، لأنّه من مدينة طرابلس، وبالتحديد من سوق الجمعة.

لقد عيّنت عميداً لكلية إعداد المعلمين بسوق الجمعة، اسمه محمّد عمر عبد الحميد الحاجي (ابن عمّ مباشر للدكتور الهادي الحاجي الذي هو أمامك) وإلّا يا دكتور الحاجي حتى أنتم أصبحتم مقارحة؟

طأطأ رأسه إلى أسفل.

عينتُ الدكتور عمران الغرياني عميداً لكلية البيطرة، مع أنّ لقبه الغرياني إلّا أنّه من منطقة الجفرة، وبالتحديد من قبيلة أرياح من سوكنة، ثمّ قلت يا إبراهيم بالتأكيد أنت تفهم في القبائل، وإلّا يريدني أن أقول قبيلة أرياح فرع من قبيلة المقارحة؟

قال إبراهيم علي: هذه واضحة مثل الشمس، المقارحة قبيلة، وأرياح قبيلة أخرى.

عيّنت عميداً لكلية الفنون؛ فمن الذي اقترح عليّ اسمه والسؤال موجّه للدكتور الهادي الحاجي الذي أجاب: أنا الذي اقترحته عليك.

قال إبراهيم علي: إذن لماذا تقول يا دكتور الهادي الحاجي أنّ الدكتور عقيل لم يأخذ رأيك في أيّ منهم!

صمت والرأس لا زال في ذلك المكان الذي تمّ وصفه سابقاً.

عينت الدكتور نصر الدين أبو غمجة عميداً لكلية الآداب، وهو من القسم الذي أنا عضو فيه، وهو من القدرات المتميّزة في الإدارة؛ فقاطعني بقوله أفشل واحد في الكلية.

قلت: أنا مسؤول عمّا قلته، ثمّ قلت: الدكتور نصر الدين أبو غمجة من طرابلس، وبالتحديد من قصر بن غشير، ولكن إن كانت جذوره تعود إلى ذلك المكوّن الاجتماعي فلا يحقّ لي أن أنكره عليه.

أمّا قضية ابني؛ فلن أرد عليها، وعليك يا مهندس إبراهيم بالبحث والتحقّق حتى تكون الإجابة بين يديك جليّة.

عدت إلى مكتبي وأخرجت ذلك التقرير الذي جاء به إليّ حسن الكبير القذافي يوم أمس وهو يقول: (هذا التقرير كتب فيك، ولكن أنا أخذته من بريد القائد قبل أن يراه؛ فقلت له على الفور خذه، القافلة تسير والكلاب تنبح، ولكنّه لم يأخذه (تركه على مكتبي) ممّا دعاني لقراءته بعد خروجه، وهو لم يحمل اسم مرسله، ولهذا تذكّرت ما علّق به يوم أمس حسن الكبير بقوله: أظن أنّ الذي كتبه هو ورفلي). ولأنّه قال لي أنّه ورفلي، عرفت أنّ وراء قوله هذا فتنة ليس إلّا.

طلبت من إدارة الجامعات التي تتبع الوزارة ملف الدكتور نصر الدين أبو غمجة، وملف ابني صلاح الدين.

وجدت في ملف الدكتور نصر الدين أبو غمجة مراسلة محالة إليّ قبل ثلاثة أشهر من الدكتور الهادي الحاجي (المشتكي في) وهو عميد الجامعة يشكر فيها الجهود المبذولة والمتميّزة للدكتور نصر الدّين أبو غمجة، ثمّ يطلب مني أن اسمح له بترقيته ترقية استثنائية، وأنا لم أوافقه على طلبه بترقيته. وبدون شكّ سيكون أرشيف التعليم العالي كفيل بإثبات ذلك لمن يلحقه ظنّ فيما قلته.

أمّا ملف ابني فوجدّته مرشّح مع غيره من المعيدين في كلية الاقتصاد، وأُعتمد ذلك من قبل اللجنة العلمية بالكلية، ثمّ عُرض موضوعه من ضمن ٥٧ معيداً من قبل الدكتور الهادي الحاجي في اجتماع اللجنة الشعبية للجامعة، وأحيل من قبله في مراسلة تضم ذلك العدد، وهو يقول: نأمل إتمام إجراءات هؤلاء المعيدين الذين كان اختيارهم وفقاً للوائح والإجراءات القانونية.

بعد ذلك الإجراء بعث المعتصم القذافي مبعوثاً من طرفه يطلب جميع القرارات الصادرة عن التعليم العالي؛ فأُعطيت له، وبعث جهاز الرّقابة في نفس الوقت شخصين لمتابعة التعليم العالي من داخل مقرّ الوزارة، وصل الشخصان للمقرّ وطلبا من المسؤول الإداري أن يخلي لهما مكتباً حتى يتمكّنا من خلاله متابعة قطاع التعليم العالي، جاءني المسؤول الإداري على الفور؛ فقلت له لا تسلّم لهم شيئاً، وقل لهم أنّ الدكتور عقيل أمين التعليم العالي يرفض ذلك، وعليكما بالعودة إلى مسؤوليكم.

رجع الشخصان إلى مسؤولهم؛ فأمرهم بالعودة ثانية؛ فاتصلت بإبراهيم علي، وقلت له أنصحك يا إبراهيم أن تأتي لاستلام الوزارة بنفسك أفضل من أن تبعث من يقوم مقامك فيها؛ فقال: هل حدث شيء من طرفي؟

قلت: ألم تكن أنت الذي بعث الشخصين لمتابعة أعمال الأمانة من داخلها؟

قال: متابعة الأمانات هذا من تخصّصي.

قلت: ولهذا دعوتك إلى استلامها، وعليك أن تأتي. أمّا الشخصان اللذان بعثتهما لي؛ فلن يدخلاها؛ فقال: معك الحقّ، ولكن قل لموظفي التعليم العالي أن يتعاونوا معهما في مقرّ الجهاز. وكان الأمر كذلك.

وعليه: مع أنّ لكل فعل ردة فعل، لا تساويها في الاتجاه؛ فهي كذلك قد لا تساويها في القوّة؛ فالحاكم قوّته قوّة دولة وأجهزة قمعيّة، أمّا قوّة الفرد فقوّة إرادة ليس إلّا، ولهذا فالقوّتان غير متكافئتين، ولكن هذا لا يلغي أنّ كلّاً منهما قوّة؛ ففي دائرة المتوقّع يستطيع الحاكم أن ينزل العقاب بمن ينّزله في الحال، وفي دائرته أيضاً أنّ البعوضة كفيلة بقتل الحاكم؛ فما بالك بمن يمتلك إرادته مواطناً، وما بالك عندما يصبح شعباً كما أصبح الشعب الليبي في ١٧ فبراير.

قرار المنابر

وردة

فعل القذافي

اتصل بي المسؤول الإداري للجمعية الخيرية لحقوق الإنسان بشان فتح منابر بالجامعات، يتمّ من خلالها فتح باب التعبير للطلبة وأعضاء هيئة التدريس بحرّية عمّا يرونه في جامعاتهم، كما أنّه قال: أنّ سيف القذافي هو الذي كلّفه بهذا الموضوع.

قلت: ولِمَ لا، ولكن قلت في نفسي: (إن أعطاه له أبيه).

دعوت لجنة التعليم العالي للاجتماع لمناقشة هذا الرأي؛ وطلبت من المدير التنفيذي للجمعية أن يحضر، أو يبعث مندوباً لحضور اجتماع اللجنة العامّة للتعليم العالي، وذلك لتوضيح فكرة المنابر المستهدف إقرارها؛ فكان مندوب الجمعية حاضراً معنا، قام بتوضيح الفكرة بأنّ رغبة منهم في معرفة أراء الطلبة وأعضاء هيئة التدريس لصورة ليبيا الغد، يدعون الطلبة والأساتذة بالجامعات إلى فتح منابر، من خلالها يتدرّبون على النقاش الموضوعي الهادف، والاستفادة من أفكارهم كونهم صفوة البلاد.

بعد استفسارات ومناقشات أقرّت اللجنة بالإجماع فتح منابر بالجامعات يتمكّن من خلالها أعضاء هيئة التدريس والطلبة من الاندماج الفكري والمعرفي الذي يمكّنهم من المشاركة.

فُتحت المنابر بالجامعات، وعلى الفور قامت الدنيا ولم تقعد، أتصل بي قلم القذافي محمّد حجازي السّاعة الواحدة ليلاً، يطلب حضوري إلى مكتبه على تمام السّاعة الثامنة صباحاً، ذهبت حسب الوقت المحدّد؛ فقال: يا أخ عقيل لماذا أقرّيت المنابر الجامعية؟ ولماذا تتكرّر منك الأفعال التي تسبب غضباً للقائد؟ ألا يكون كلّ ذلك عن قصدٍ؟

قلت: بطلب ممّا كان يسمى بمؤسّسة القذافي، حيث حضر إلينا عضواً منها، وبيّن لنا أهمية هذه المنابر؛ فاقتنعت اللجنة بكامل أعضائها بتلك الأهمية، وتم إقرارها دون أيّة ضغوط من أحد.

قال: كيف تقرّون المنابر والمؤتمرات الشعبية هي أكبر منبر لممارسة الحرّية؟

قلت: هذه المنابر لم تلغ تلك المؤتمرات؛ فدقّ جرس الهاتف؛ فإذا بالأخ محمّد حجازي يرد بقوله: نعم سيدي، حاضر سيدي، لقد حضر الدكتور عقيل؛ فرفع معمّر صوته وكأنّه يريد أن يخرج من السماعة، وهو يقول: قل له يقفلها فوراً؛ ثمّ قُفل الهاتف.

قال: محمّد حجازي ها أنت قد سمعت، أقفلها فوراً.

قلت: فوراً ليس من مهامي، بل من مهام أعضاء تلك الجمعية التي من ورائها سيف، أمّا أنا لا استطيع، ذلك لأنّه لم يكن قراري.

قال: إن لم يكن قرارك؛ فقرار من؟

قلت: قرار اللجنة العامّة للتعليم العالي، التي بدوري سأقوم بدعوتها لحضور الاجتماع الطارئ هذا اليوم كتابة وفقاً للقانون، لتتمكّن من الانعقاد بعد يومين، وستتخذ قرار الإلغاء دون شكّ، ولكني لا استطيع أن اتخذه نيابة عنها فوراً، ثمّ كرّرت من باب التنبيه؛ فإن كنتم مصرّين على (فوراً) فعليكم بالمؤسّسة.

انعقدت اللجنة واتخذت قرار الإلغاء في الموعد الذي دُعيت له، وهو اليوم الثالث من ذلك التحقيق من قِبل القلم (محمّد حجازي) الذي أشهد: أنّه في كلّ مرّة أراه فيها يسألني لا أراه إلّا متعاطفاً مع ما أقدمت عليه من إجراءات وأفعال، ولذلك دائماً يسألني وفي ذات الوقت يشعرني بأنّه ما باليد حيلة. وهكذا كانت توضع إشارات الاستفهام وإشارات التعجّب، بل وتلبيس التهم، وهكذا لُبِّست لي كما كانت تُلبّس لغيري.

الثورة البرتقالية

وردّة

فعل القذافي

كتب أحد أعضاء مكتب اللجان الثورية سابقاً، وهو منسق العمل الخارجي بجامعة طرابلس (محمّد العماري) تقريراً للقذافي يقول فيه: هناك ثورة برتقالية تنتشر في الجامعة، وستقلب الجامعة رأس على عقب، وهي برعاية الدكتور عقيل حسين أمين التعليم العالي؛ فجنّ جنون معمّر من أمين التعليم العالي.

أتصل بي محمّد بشير أحد أقلام معمّر القذافي من باب العزيزية، وهو يقول: ما هذه الثوّرة البرتقالية التي تجري في الجامعة؟

قلت: ماذا؟

قال: هناك لقاء تمّ في جامعة طرابلس (الفاتح سابقاً) وله شعار برتقالي، يقال أنّك أنت الذي وراءه؟

من الذي أخبركم بذلك؟

محمّد لعماري.

أعطني خمسة دقائق، خلالها اتصلت بعميد الجامعة الدكتور الهادي العكرمي، ونقيب أعضاء هيئة التدريس، وسألتهما ذات السؤال: من الذي رفع في الجامعة شعاراً للثورة البرتقالية؟

لا وجود لهذا الكلام.

إذن ما هو الاجتماع الذي تمّ في الجامعة، وله شعار برتقالي؟

اجتماع المنابر، وله خلفية الشمس.

يطلب حضوركما في الحال إلى مقر اللجنة العامّة للتعليم العالي.

حضر عميد الجامعة، ونقيب أعضاء هيئة التدريس بها؛ فكرّرت السؤال ذاته؛ فأجاب نقيب أعضاء هيئة التدريس الذي لم أعرفه من قبل، ولكن أعرف حياة والده المرحوم محمّد شفتر، وهو من رجالات التعليم المعروفين في طرابلس؛ فطرحت عليهما ذلك السؤال الذي طُرِح عليّ من قِبل قلم القذافي: من الذي اختار تلك الخلفية؟

فقال نقيب أعضاء هيئة التدريس بالجامعة: أنا الذي اخترتها.

ولماذا هذا الشعار بالذّات؟

إنّه عبارة عن إطار بداخله الشمس ليس إلّا.

هل معك تلك الخلفية التي يتكلّمون عنها.

قال: نعم.

من فضلك أن تأتي بها لنحيلها إليهم.

فإذا بتلك الخلفية التي طولها وعرضها حوالي: ٤ × ٣ متر، عبارة عن شمس ليس إلّا.

اتصلت بقلم القذافي، وأحلت لهم ملخّص استنبطته مما دار بيني وبين نقيب أعضاء هيئة التدريس، ومعه لفة تلك الخلفية وكأنّها بساط (فرشة) للجلوس محمولة في سيارة خيمة، قلت لهم ممّا قلت في ذلك الملخّص المحال إليهم: هذا هو الملصق، وهو الخلفية التي وُضعت خلف مديري جلسة الحوار المتعلّق بالمنابر التي سبق لكم استدعائي والتحقيق

معي بشأنها، نأمل التأكّد من لون الشمس الذي استُمدّ للشعار لعلّي لا أميز بين الألوان.

كما قلت: مع العلم أنّ السيد محمّد العماري (كاتب التقرير) كان حاضراً تلك الجلسة، وكان يومها مؤيّداً لكلِّ ما دار من حوار، ولكنّه يبدو بعد أن علم بغضب معمّر القذافي من تلك المنابر، وكذلك غضبه من المتّهم الذي كان وراءها، سارع بكتابة هذا التقرير الذي يجانبه الصواب.

وعليه: إذا كان أمري يخيف إلى هذه الدرجة؛ فلماذا الابقاء عليّ راس على التعليم العالي!.

المركّب الجامعي الزّنتان

وردّة

فعل القذافي

بعد أن طُلب منّي نقل المركّب الجامعي المقرّر بناؤه بمدينة الزنتان، ولم ننفّذ ذلك الطلب، تمَّ استدعائي من قِبل جهاز الرّقابة للتحقيق معي بشان عدم تنفيذي أمر نقل المركّب الجامعي من مدينة الزنتان.

ولذلك سُؤلت:

لماذا تصدر لك توجيهات واضحة بشأن نقل المركّب الجامعي الزنتان، ولم تقم بتنفيذها، وما هو السبب الذي جعلك ترفض؟

أوّلاً لم تصدر لي توجيهات، بل أصدرت إلى الدكتور البغدادي المحمودي، ولكن يا أخ إبراهيم المركّب الجامعي بالزنتان لم أقرّه أنا؛ بل أقرّته المعايير التي تمّ اعتمادها من قبل المكاتب الفنية المتخصّصة في التعليم العالي، ولهذا لا يمكن لي أن ألغيه، أو حتى أنقله، وإذا أنت مقتنع بذلك فعليك بإلغاء ونقل بقية المركّبات الجامعية التي سبق وأن عرضناها على الجهاز الذي أنت تترأسه، وموافقتك واعتمادك الرسمي بصفتك رئيس الجهاز دليل إثبات سلامة إجراءاتنا؛ فكيف لك اليوم أن تقبل بهذه السهولة إلغاء هذا المركّب؟

قال: هذه أوامر تلغي أيّ قرار، وأيّ مركّب. وأنت يجب أن تكون أوّل من يلتزم بها وينفّذها. ثمّ قال: (بالك تحساب أنّ الزنتان هم الذين صعّدوك أميناً للتعليم العالي)؟

قلت: والله إنّي كرهت التعليم العالي.

قال: هذا لم ينجيك من الأخذ بأمر التنفيذ.

قلت: عليكم بغيري فأنا أشعر أنّ الثّقة بيننا قد انعدمت.

فكانت الخاتمة بحمد الله إقالتي من التعليم العالي.

والحمد لله أنّي أقلت من التعليم العالي بأوامر من القذافي، ولم يُقل أو يلغى المرّكب الجامعي بالزنتان وأنا على رأس التعليم العالي.

المحطّةُ السّابعة

المفاوضات

السريّة في مصر

المفاوضات

السريّة في مصر

كانت الاتصالات تجري من هنا وهناك من أجل جلوس مع ممثلين من ثوّار ١٧ فبراير، ولكنّ بداية كان (الطّاغية) يرى أنَّ مجرّد موافقته الجلوس مع الثوّار يعني الاعتراف بهم، وهذا ما لم يكن يأمله، ولكن تحدّي الثوّار له بقبول دفع المزيد من الثّمن الغالي جعله يتراجع؛ فسمح لأجهزته الاستخباراتية الاتصال بالاستخبارات المصرية، التي نجحت في الاتصال المقنع الذي على ضوئه تمّ اللقاء بالقاهرة.

ولذا اتصل بي ذات مرّة المهندس عبد الرزاق العرادي من الخارج بعد مدّة من تلك المحاولة التي قمت بها من أجل إخراجه بسلام من ليبيا حتّى لا يتمّ القبض عليه؛ فقد كان معرّضاً للقبض عليه في أيّ لحظة، لقد زارني في منزلي صباحاً وهو يقول: سأغادر ليبيا للالتحاق بالأخوة الثوّار هناك، ولكن خائف أن يتمَّ القبض علي في رأس أجدير.

قلت: إذا أنت قرّرت فإخراجك بإذن الله تعالى سيكون على يديّ.

قال: سأغادر الحدود اليوم السّاعة السّادسة، وسأتصل بك يا دكتور إذا حدث ما حدث.

قلت: أتصل بي بوجه السرعة.

كُنت قلقاً عليه، وأنا آمل خروجه بسلام، ولكنّه قبل السّاعة السادسة مساءً أتصل بي وهو يقول: مُنعت من الخروج.

قلت: أبقى هناك إلى أن أكلّمك.

كلّمته بعد دقائق بسيطة، أذهب إلى ذلك المكان ستجد من ينتظرك هناك، ولن يتركك إلّا وأنت خارج الحدود.

بعد نصف ساعة تقريباً، أتصل بي عبد الرزاق وهو يقول: الرّجل (يعني نفسه) الآن داخل الحدود التونسية.

الحمد لله.

وبعد خروجه بسلام التحق عبد الرزاق بميادين المواجهة في الداخل (الشرق المحرّر بالقوّة وكرهاً على الطاغية) وكذلك التحق بالنضال السياسي في الخارج حيث اتصل بي ذات مرّه وهو يقول: يا دكتور عقيل: الأخوة المصريين قائمين بجهود طيبة لكف الدماء بين الليبيين، لكن عندنا شرط في اختيار الوفد المفاوض؛ فنحن قلنا للأخوة المصريين نقبل بالتفاوض من أجل كفّ دماء الليبيين شريطة أن تبلّغوا الطرف الثاني، أنّنا نحن الذين نقترح عليه من سيأتي مفاوضاً لنا، وقد قبل بشرطنا؛ فحدّدنا له أربعة أسماء، وأنت أحد الأربعة الذين نحن اخترناهم بالاسم.

قلت: لن أقبل أن أمثلهم، ولا يليق بي.

قال: أرجوك يا دكتور عقيل أن تقبل؛ فدم الليبيين غالٍ، وطرابلس سيدمّرها وتكون أنهاراً من دم.

أنا لا أقبل، عيب يا عبد الرزاق أن تقترحني لأكون جالساً أنا وإياكم في مواجهة تفاوضية، وأنا نُعدُّ مع .... (دون أن أذكر أسمه) مع صمت قليل.

يا أخ عقيل: نحن متفقين، وأنت عارف كلّ شيء؛ فلا تضيّع هذه الفرصة التي نحن في حاجة لأن نراك، ونستمع لوجهة نظرك بعد أن نتبادل المعلومات.

ولكن يا عبد الرزاق التّاريخ يسجل، فلا ينبغي لي أن أكون مع أولئك ...... (لم أذكرهم) ومع ذلك كما يقولون: العاقل يفهم من يكونون أولئك.

طال زمن المكالمة بين رفض شديد وإصرار أكثر شدّة، أنهينا المكالمة بإعطائي فرصة إلى يوم غدٍ لأفكّر، ثمّ نتصل في مثل هذا الوقت، وهو الساعة الرّابعة مساءً تقريباً.

في اليوم الثاني للمكالمة التي أجريت بيني وبين عبد الرزاق العرادي جاءني في منزلي عبد الله السنوسي وهو يقول: لقد اتفقنا نحن وجماعتك على اللقاء في مصر، وهم الذين حدّدوا الأسماء التي يرونها وطنية، ويمكن التحاور والتباحث معها، ولكن اليوم اشترطوا علينا شرطاً.

وما هو شرطهم؟

اشترطوا إن كان الوفد مكوّناً من اثنين فأنت أحدهما، وإن كان من واحد فقط تكون أنت، وإذا الوفد سيأتي بكامله لا شرط لهم في ذلك.

بعد أن استمعت لما قاله عبد الله، أحاطت المخاوف بي من كلّ جانب، ونفسي تسألني:

ألا يكون تحديد اسمك للقذافي من قِبل الأخوة الثوّار حمل ثقيل، به تتضاعف الاثقال على ظهرك مع تلك التي سبق وأن حملتها!

ألا تكون بهذا التحديد قد أصبحت هدفاً للقذافي!

وعليك أن تفهم أن القذافي باستبداده لا يقبل من يملي عليه شروطاً؛ فما بالك بخصمٍ يَفرِض عليه رأياً أو شخصاً كائن من كان؟ ومع معرفتي التّامة بذلك فقد قبلت.

والأسماء المقترحة من قِبل الأخوة و(التي وصفوها بالوطنية) هم:

١ . مصطفى الخروبي.

٢ . أبو زيد عمر دورده.

٣ . المهندس جاد الله عزوز الطلحي.

٤ . الدكتور عقيل حسين عقيل.

قلت: من فضلكم لا تجعلوني في الوفد.

قال: ألم أقل لك شرط الجماعة!

قلت: حاضر.

فسألني من تفضّل أن يكون معك في الوفد من الأسماء المحدّدة.

قلت: المهندس جاد الله عزوز الطلحي.

قال: إذن اتفقنا، وسيكون سفركما اليوم مساءً عن طريق تونس (جربة) وستكون الطائرة الخاصّة في انتظاركم هناك.

اتصل بي المهندس عبد الرزاق ليطمئن على موافقتي؛ فأخبرته بما تمّ بيني وعبد الله، وشرطت عليه موافقة المستشار مصطفى عبد الجليل؛ فقال: لقد عرضنا الموضوع واسمك عليه وقد وافق وهو يقول: من أجل كف هدر دماء الليبيين أنا موافق، ونتمنى لكم النجاح.

اتصل بي عبد الله الساعة الخامسة مساءً وهو يقول: ستكون أنت وأبو زيد دورده.

قلت: ولِمَ لا يكون المهندس جاد الله.

قال: أنت تعرف؛ ففهمت أنّ (معمّر لم يوافق على المهندس جاد الله)، ثمّ قال: يا دكتور نحن لم نخرج عن الاختيارات التي حدّدوها الجماعة.

اتصل بي أبو زيد وهو يقول: أنا من الأسماء المطلوبة دوليّاً؛ فكيف لي بالخروج، يجب أن يكون معك أحد الأخوة الآخرين.

قلت: بلّغ عبد الله.

اتصل أبو زيد بعبد الله، واتفقا أن يستخرج أبو زيد وثيقة جواز سفر باسم غير اسمه، وكان الأمر كذلك، فهو بالنسبة للأخوة في تونس لم يكن أبو زيد دورده، أمّا بالنسبة للأخوة في مصر؛ فهو أبو زيد عمر دورده (بدمه ولحمه) دون أيّ غبار.

مفاوضات القاهرة

الأولى

(١٠/٥/٢٠١١م)

وصلنا ليلاً إلى مطار القاهرة، كان في استقبالنا الأخوة المكلّفين بإجراء عملية التفاوض من الاستخبارات المصرية، ولم يسبق لي معرفة أحدٍ منهم، ولكن وجدت الأخ أشرف شيحة الذي أعرفه من قبل، وهو المالك لشركة الهانوف للسياحة والخدمات عضواً رئيس في استقبالنا، وكذلك كان عضواً رئيساً في عملية المفاوضات الرسمية.

سألت الأخ أشرف: هل الأخوين الدكتور علي الصلّابي والمهندس عبد الرزاق العرادي مقيمان في الفندق الذي سننزل به؟

قال: لا في فندق آخر.

قلت له: لو كانا الدكتور علي وعبد الرزاق نزيلين بالفندق ذاته والله لكنت نازلاً عند أحدهما قبل أن استلم غرفتي التي سأنزل بها؛ فقال أشرف سبحان الله لو تسمع ما قاله الدكتور علي الصلّابي: قال: والله لدي رغبة تامّة أن استقبل الأخوة في المطار، ولكن نحن الذين لم نأخذه معنا.

ركبت والسيد أشرف شيحة سيارة واحدة من المطار إلى حيث مقر إقامتنا، ونحن في السيارة قال: السيد أشرف شيحة نحن نريد أن نعمل لقاء بينكم وبين الدكتور علي الصلّابي والمهندس عبد الرزاق العرادي في

جناح أبو زيد هذه الليلة، كي لا تكون التوترات بينكم غداً سائدة في جلسات التفاوض.

قلت: هذا أحسن، لأنّ أبو زيد قد يعمل على توسيع الهوة؛ فتقويضها مسبقاً مهم جدّاً.

ثمّ قال: أنا أعرف إنّك مع الثوّار، ونحن في حقيقة أمرنا يا دكتور عقيل مع ثورة ١٧ فبراير، ولكن لا نريد أن نقطع شعرة معاوية مع نظام القذافي حتى تستطيع مصر أن تقدم ما تقدّمه لليبيين، ويمكّنهم من الوصول إلى حلّ مرضٍ دون المزيد من سفك الدماء.

يا أخ عقيل مصر لديها ما تخشى عليه، وثوار ١٧ فبراير في حاجة لمدّ يدّ العون لهم، ولهذا نحن في معظم الأحيان نغمض عين ونفتح عين، ونحن في مصر لازال عظمنا طري، خارجين من ثورة والخوف على رعايانا هناك في ليبيا تحت نظام لا يستأمن جانبه أبداً، خاصة وأنّه يرقص رقصة المذبوح، ومع ذلك فنحن قناعة وعملاً مع الثوّار.

وعليه: لقد عرفت أنَّ لمصر دوراً موجباً، ولكن الأخوة المصريين لا يرغبون الإعلان عنه في ذلك الوقت؛ فهم فاتحين الحدود بما يمكّن من الدخول لِما يجب للثوار، مع فتح الأبواب أمام المضطرين لمغادرة ليبيا وكذلك الجرحى، إلى جانب تقديم المساعدات الضرورية.

كان الأخوة المصريون الذين يديرون المفاوضات بيننا، يؤكّدون لنا بين الحين والحين أنَّ ليبيا عمق مصر الاستراتيجي، ولذلك لا يمكن لهم أن يتخذوا موقف المتفرّج منها، ولكن لكلٍّ أسلوبه في تقديم المساعدة، أو لعب الدور الموجب حرصاً ليس إلّا.

وصلنا جميعاً إلى جناح إقامة أبو زيد، وجلسنا سويّاً لتناول أطراف الحديث، وكان الترحاب الكبير من الأخوة المصريين يملأ تلك الجلسة، وهم يبحثون عن مدخلٍ ييسّر لهم دعوة الأخوين لمقابلتنا في هذا الجناح

(الدكتور علي والمهندس عبد الرزاق)، ولكن جرى اتصال من الدكتور علي الصلابي بالأخ أشرف شيحه، ونحن في بداية جلسة وصولنا لجناح أبو زيد؛ فكان يسأل عن وصولنا، ثم قال لأشرف: بما أنّ الدكتور عقيل بجنبك أعطه لي، كانت الفرحة كبيرة بيننا، حتى أنّ أحد الأخوة المصريين قال: نحن كنّا نبحث عن كيفية تُدخلنا في لقاء بينكما (الطرفان الليبيان) ولكن يبدو العلاقة بينكما ليست في حاجة لتدخلنا.

قلت: نحن مع وافر تقديرنا وشكرنا لكم سنلتقي مباشرة، وهذا في اعتقادي هو الأفضل، إلّا إذا رأيتم أيّها الأخوة الأعزاء غير ذلك، ونحن لا نريد أن نتدخل في ترتيباتكم المعدّة مسبقاً.

قالوا: بكلّ سرور، وكانت البهجة في عيون أخوتنا المصريين الأعزاء تعبيراً واضحاً عن شدّة حرصهم على نجاح لقاءاتنا والمفاوضات في القاهرة.

قلت للأخ الدكتور علي: نحن في انتظاركما هنا في الفندق.

خرج الأخوة المصريين باستثناء الأخ أشرف شيحة الذي بقي من أجل أن يطمأن على كلّ شيء، إقامة، وأمناً، وخدمات راقية جدّاً.

قلت للأستاذ أبو زيد ما رأيك أن ننزل معاً لتناول وجبة عشاء مشتركة مع الأخوين: الدكتور علي والمهندس عبد الرزاق؟ ونرتّب سويّاً للقاء غداً وفقاً لِما يجب أن يقف عنده كلّاً منّا، حتى نكون على درجة من الرقي أمام أنفسنا، وكذلك أمام أخوتنا المصريين الأفاضل؟

قال: أنزل إليهم ورتّب معهم كلّ شيء؛ فأنا أريد أن أجري اتصالات، وهذا ما كنت أفضّله ونأمله؛ فأنا لي هدف من وراء حضوري إلى القاهرة وهو التنسيق مع رفاقي. أمّا المفاوضات فأنا والأخوين (الصلابي والعرادي) مسبقاً متفقين على إنهاء الطاغية ونظامه.

بُلّغت من قبل الأخ أشرف شيحة: أنّ محمّد إسماعيل جاء من ليبيا إلى مصر بخصوص أنّه يود أن يحضر المفاوضات، وهو يبرّر ذلك بأنَّ الدكتور عقيل مع الثوّار، وليس معنا، فكان الردّ من الطرف المصري، أنّهم لا يملكون تحديد من يحضر المفاوضات، هذا الأمر يتعلّق بالثوّار، وعليك يا سيد محمّد إسماعيل بالاتصال بالأخ الصلابي والعرادي إذا وافقا؛ فلا مانع لدينا.

ذهب محمّد إسماعيل إلى الأخوين من أجل أن يحضر المفاوضات حيث لا ثقة لسيف في عقيل؛ فكان الردّ عليه نحن لا نقبلك عضواً مفاوضاً، أفلا يكفيك هذا.

فعاد محمّد إسماعيل إلى سيف القذافي بخفي حنين.

التقينا والفرحة تملأ صدورنا باللقاء، أمّا نفوسنا فهي باقية ممتلئة بتلك الآلام التي ألمت بنا من تلك الجراح الدامية بدماء الشهداء والجرحى الليبيين، وهكذا أوجاع وآلام الأخوة المفقودين تزيدنا وجعاً وألماً.

جلسنا في ذلك المطعم في ذات الفندق في مربّعٍ خاص، وفقاً لترتيب من قِبل السيد أشرف شيحة، الذي طلبنا منه أن يكون باقياً معنا، حيث لا مخفيّ عنه، كانت الاستفسارات من الكلّ، وكانت الآراء تلاقح بعضها البعض، إلى أن وصلنا إلى الآتي:

أوّلاً: أن يلعب المهندس عبد الرزاق أثناء جلسة التفاوض دور المحايد قدر الإمكان وذلك لأمرين:

١ ـ أن يتدخّل كونه محايداً (افتراضاً ليس إلّا) إذا حاول أبو زيد التشبّث بأشياء غير التي تمّ الاتفاق عليها في هذه الجلسة الخاصة (غير الرسمية).

٢ ـ إنّ ظهوره طرفاً قد يلحق أضراراً بأخوته الباقين في طرابلس، وتفادياً لهذا الأمر عليه بإظهار الحياد، ولكن عبد الرزاق غلبت عليه طبيعته

الثورية التي جُبل عليها؛ فانكشف أمره أمام أبو زيد، الذي صاح بأعلى صوته أنت لم تكن محايداً؛ بل أنت أكبر خصم. ومع أنّ الموقف فيه شيء من الإحراج إلّا أنّنا ضحكنا سويّا. ومنذ تلك اللحظة أصبح عبد الرزاق طرفاً معلناً ولا غبار عليه.

ثانيا:

١ . وضع خطّة لتحرير طرابلس، وتلك الخطة كانت متمركزة على تشتيت جهود القذافي وكتائبه ومرتزقته، من خلال فتح جبهات البريقة، مع مصراته، مع الجبل الغربي وتوسيعها في ذات الوقت، من أجل فك القبضة الأمنية التي تختنق منها طرابلس، وذلك لكي يجد الثوّار مجالاً لإدخال المزيد من الأسلحة وفرض وجودهم في شوارعها وأزقتها وميادينها، وتتغيّر الأحوال من تضييق الخناق على الثوار إلى تضييق الخناق على القذافي وكتائبه.

٢ . أن أقوم بتقييم الموقف من الداخل والتنسيق بشأنه مع الدكتور علي الصلّابي، ولذلك كان حضوري مشاركاً في المفاوضات في القاهرة على فكرة واضحة ومحدّدة وهي رحيل القذافي.

٣ . أن أعمل قدر المستطاع على تأمين سلاح قبيلة المقارحة في الديار، حتّى لا يُشهر في وجه الثوّار، مع العمل على دفع القبيلة لتأييد الثورة، وهذا ما تحقّق بالتّمام كما كان متّفق عليه التزاماً؛ فقاتل من قاتل من قبيلة المقارحة المنتشرة في ربوع ليبيا وهم ثائرون مع ثوّار ١٧ فبراير، وأيّد منهم من أيّد، وناصر من ناصر، وحفظ سلاحه في منزله من حفظ، والنتيجة أنّ هذه القبيلة التي كان يظن القذافي ومن ورائه من يظن أنّها ستكون مع القذافي، رفضته من أجل الوطن جملة وتفصيلاً.

٤ . أن يحمل كلّ من معي السلاح ويهبُّ مع ثوّار طرابلس يوم تحرير العاصمة. جاء ذلك اليوم الذي كنت أظنّه بعيد؛ فقام جميع أبناء شارعنا مع أبنائنا بقفل الشوارع، وإنزال الأعلام التي كانت تملؤها.

٥ . أنْ أعلن موقفي من وسط العاصمة من خلال تلفاز الجزيرة على الهواء مباشرة، وكان الأمر كذلك؛ من خلال الزمن الذي أخذته المداخلة وهو ٢١ دقيقة، أوضحت فيه أنّ القذافي وكتائبه ومرتزقته قد هزموا في مدينة طرابلس، ودعوت النّاس للخروج في مسيرات تأييد لثورة ١٧ فبراير، وهكذا كنت أقول: (اليوم التاريخ يصنع فلا داعي للتأخير عن صناعته، لقد أصبحت الفرصة بين أيديكم أيّها الليبيون فلا تضيعوها).

ثالثاً: فيما يتعلّق بالمفاوضات:

مع أنّ مطلبنا واحد دون أيّ لبس أو غموض وهو: رحيل القذافي، أو القضاء عليه، إلّا أنّنا اتفقنا أن لا يذكر اسم القذافي في اللقاء المزمع عقده صباحاً، انطلاقاً من قناعة مشتركة بين ثلاثتنا (الصلابي والعرادي وعقيل) بأنّ مجيئنا للتفاوض لم يكن من أجل حلّ مشكلة شخص (القذافي)، بل جينا لنحلّ مشكلة وطن (ليبيا)، ولهذا ارتأينا أن لا يثار اسمه حتى لا يرتبط باسم الوطن الذي جئنا من أجله مفاوضين.

جئت صباحاً للأستاذ أبو زيد، وأبلغته بما تمّ إعداده مشروعاً شفويّاً للاتفاق؛ فكان مرحّباً كثيراً بما توصّلنا إليه، التقينا في الجلسة التفاوضية بالمقر الرئيس لإدارة الاستخبارات المصرية، وكان رئيس وأعضاء إدارة الجلسة من الطرف المصري على مقدرة عالية في إدارة عملية التفاوض، وبعد نقاشٍ دار بيننا أخذ فترة طويلة متصلة من الوقت (من الصباح حتى المساء) توصّلنا لذات النتيجة التي اتفقنا عليها مساءً (أنا والدكتور الصلّابي والمهندس العرادي).

وكان الاتفاق على النقاط الآتية:

١ . أن تشكّل لجنة وطنية لإدارة البلاد، تختار رئيساً لها من بين أعضائها، ويكون أعضاء اللجنة متّفق عليهم من الطرفين، على أن تعرض الأسماء المقترحة من طرف الثوّار على الطرف الثائر عليه، وفي المقابل تُطرح الأسماء المقترحة من الطرف الثائر عليه على الطرف الثائر، ولكلٍّ حقّه في الاعتراض على أيّ عضوٍ من الأعضاء المقترحين، حتى يتمّ تغييره بشخصية تقبل عند الطرف الآخر.

٢ . تتولى أداة المرحلة الانتقالية تشكيل لجنة لصياغة مشروع الدستور الليبي، بما يحقق طموحات المواطنين، ويعرض مشروع الدستور الجديد للاستفتاء العام بوجود إشراف يتفق عليه.

٣ . بدء حوار وطني حول الخطوط العريضة لشكل النظام السياسي، وشكل الحكم، والإطار الدستوري، والحكم المحلي، وهياكل إدارة الدولة، على أن يتمّ عرض ما يتفق عليه على الشعب لإقراره باعتباره صاحب القرار.

٤ . عودة جميع وحدات القوات المسلحة في كافة المناطق الليبية بدون استثناء إلى معسكراتها، والاضطلاع بالمهام والواجبات الموكلة إليها.

٥ . العمل على وقف كافة التدخلات السياسية والعسكرية الأجنبية في الشؤون الليبية، مع التشديد على أن يتمّ ذلك بالتزامن مع الإجراءات السابقة.

٦ . استئناف قوات الأمن العام والشرطة الليبية القيام بمهام ومسؤولية حفظ الأمن، وتطبيق التشريعات النافذة في كافة أنحاء البلاد.

٧ . تطبيق لوقف إطلاق النار يتضمن تجميع السّلاح من أيدي المدنيين وتسليمه إلى مكانه الصحيح (مخازن ومعسكرات القوات المسلحة الليبية).

٨ . الإعداد للإجراءات التي ينصُّ عليها الدستور الجديد حال صدوره.

وقبل أن أغادر القاعة وقفت مع الأخوين الدكتور علي الصلّابي، والمهندس عبد الرزاق العرادي، وأعدت ذلك السؤال الذي طرحته على الأخ عبد الرزاق هاتفياً، وذلك ليطمئن قلبي، وهو:

هل المستشار مصطفى عبد الجليل، والأخوة هناك موافقون على إجراء المفاوضات بكلّ وضوح؟

قال الدكتور علي الصلّابي: نعم، وإليك بعضاً من أسماء الموافقين:

١ . المستشار مصطفى عبد الجليل.

٢ . عبد الحكيم بالحاج.

٣ . سليمان عبد القادر.

٤ . نزّار كعوان.

٥ . اسماعيل القريتلي.

٦ . عبد الله الزوي.

٧ . مفتاح الدوادي.

٨ . انيس الشريف.

٩ . كمال حذيفة.

١٠ . خالد السائح.

ثمّ قال: وآخرون كُثر.

كان الأخوة المصريون ممتنين جدّاً من نقاشاتنا وأساليب عرضنا للمشكلة مع وافر الاحترام المتبادل.

بطبيعة الحال كان للجانب النظري (تحليلاً وتفسيراً وتبريراً وأحيانا تهرّباً) الحيّز الأكبر في أخذ الوقت التفاوضي الطويل، ومع ذلك تحمّل الجميع

تلك الإطالة لأنّها لم تكن لو لم يكن الجميع سبباً فيها، ومع ذلك أقول: هكذا هي طبيعة المفاوضات السياسية النّاجحة.

كُتب المحضر بموافقة الطرفين.

قال الدكتور علي الصلّابي بكلّ صراحة: يا أخ أبوزيد القذافي (منتهٍ)، ونحن في حاجة لمساعدتك في حقن دماء الليبيين وحفظ طرابلس من الدمار.

كنت ممتنّاً من هذه الرّسالة الواضحة من الدكتور علي، ولكن أبو زيد لم يكن ممتنّاً.

قال أبوزيد: أنتم جبتوا النّاتو.

فقال الدكتور علي: الناتو أتى به القذافي، وذلك بما أقدم عليه من طغيان تجاه مدينة بنغازي وأهلها الآمنين، وما يقوم به من تقتيل لأهل مصراته، وأهل الزنتان ومحيطهم في جبل نفوسة والزاوية وازوارة.

غادرنا القاعة للمطار مباشرة عائدَيْنِ إلى تونس، ومن بعدها مباشرة إلى طرابلس، وأنا كلّي امتنان لِما توصّلنا إليه من اتفاق، مع امتناني بمقدرة الأخوة المصريين على إدارة النقاش والتفاوض، وكذلك لمعرفتهم المسبقة بموقفي مع ثوّر ١٧ فبراير بكلّ وضوح، والذي تأكّد لهم عندما قلت في حديث موجّه إلى الأخوين الدكتور الصلّابي والمهندس العرادي في الجلسة الرسمية للمفاوضات (بحضور جميع عناصرها بما فيهم أبو زيد دورده) قلت: (والله لولا اختياركم لي يا دكتور علي، ويا مهندس عبد الرزاق لكان مكاني بينكم) ولهذا كلّما وقفنا في وقفات الاستراحة يؤكّد الأخوة المصريون أنّهم مع الثوّار ويشدّون على أياديهم، دون أن تظهر من أفواههم كلمة واحدة يمكن أن تحسب ضمن أيّ حسابات مجاملة لذلك النظام الطاغي.

وصلنا طرابلس السّاعة السادسة صباحاً، وطوال الليل لم نعرف النّوم، استرحت قيلاً فإذا بالاتصالات الهاتفية من عبد الله: الحمد لله على السلامة، ثمّ كيف كانت المفاوضات؟

كانت ممتازة، ونتائج غير متوقّعة.

أين التقرير؟

عليك بأبو زيد.

حضر الأخ أبو زيد لمنزلي الساعة ١١ صباحاً؛ فكتبنا التقرير مختصراً من صفحتين، وذلك بما تمّ الاتفاق عليه في تلك الجلسات الرسمية، وأخذه بدوره ليسلمه إلى عبد الله الذي يقوم هو الآخر بدوره لتسليمه للقذافي.

كانت النتائج من وجهة نظر عبد الله جيدة جدّاً قبل أن يُسلِّمَ التقرير إلى القذافي، ولكن بعد أن سلّمه له قال: يجب أن تعودوا بعد أسبوع كما هو متّفق بينكم، ولكن (نحن دائماً نبوا أكثر) أي يقصد أنّ معمّر يريد تنازلات، وكأنّه لا يريد حلّاً.

قلت: يا أخ عبد الله هذه النتيجة جاءتكم سريعة؛ فظننتم أنّ الثوّار قد يكونوا قابلين بإعطاء التنازلات، ولكن أقول لك أنا لن أعود ثانية إلى المفاوضات، لأنّني لا استطيع أن آتي بما هو أفضل ممّا توصلنا إليه عن إرادة حرّة. ولعلمك سيكون الاجتماع الثاني لا بند له إلّا رحيل القذافي، وأنتم أحرار.

اتصل عبد الله بأبي زيد وقال له: الدكتور عقيل يرفض أن يعود ثانية إلى المفاوضات؛ فاتصل بي أبو زيد وهو يقول حتى أنا لا أريد العودة، ولكن نصحت عبد الله بأنّه إذا لم يذهب عقيل للمفاوضات والله لن يتمّ التوصّل إلى تفاهم.

بعد ساعتين تقريباً جاء عبد الله إلى منزلي واتبعه بعد دقائق أبو زيد، عرفت أنهما قد اتفقا عليّ؛ فبادرت برأي وهو: أن القذافي سيقرأ هذه الجهود التي نحن ورابعنا عبد الرزاق العرادي نقم بها في غير محلّها؟

فقالا معاً عبد الله وأبو زيد ماذا تقصد؟

قلت: القذافي يعرف أنّني مقرحي، ويعرف أنّ أبو زيد مقرحي، ويعرف أنّ عبد الله مقرحي، ويعرف أنّ جذور العرادي في كتب التاريخ هي الأخرى تعود إلى ما نعود إليه[٢٤]، كما أنّه يعرف أنّ الدكتور علي الصلّابي مصراتي؛ ممّا يجعله يعرف العلاقات التاريخية بين المقارحة وأهل مصراته. وبالتالي ستحوم الشكوك على الجميع، ونحن يكفينا شكوك وظنون. وبناء على هذه المعطية سيرى معمّر أنّ المفاوضات تدور بين طرفٍ واحدٍ وليس بين طرفين. وأنتم تعرفون أنّ معمّر يستخدمكما ولا ثقة له كما تعتقدان فيكما.

قال، أحدهما الوقت لا يسمح بذلك وهذه تبريرات لأنّك أنت لا تريد المشاركة؟

قلت: حتّى إذا حسبتموها كذلك؛ فهي ليست بعيب.

أرجوك أن تستعدّ للسفر غداً.

عدنا وفقاً لخط السير الذي لا بديل له برّاً وجوّاً: (طرابلس . جربه . القاهرة)، وصلنا ليلاً وكان الأخوة المصريون هم الأخوة المصريون، استقبالاً مع وافر الترحاب والحفاوة، توجّهنا إلى ذات الفندق السابق (القاهرة) بطريق المطار.

---

[٢٤] إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٩٧م، ص ٣٩.

مفاوضات القاهرة

الثانية

(٢٠١١/٥/٢٥م)

بعد أن وصلنا مطار القاهرة، واستقبال الأخوة المصريين المتميّز، توجّهنا للفندق، وتمّ تمكين كلّ منّا من الجناح الذي خصّص له، اتصلت على الفور بالأخوين الدكتور علي الصلّابي، والمهندس عبد الرزاق العرادي، اللذان جاءا على الفور، أبلغت أبو زيد بأنّني سألتقي مع الأخوين لذات الفكرة السابقة (ترتيب للقاء الغد) كان ممنوناً بذلك.

التقينا هناك في ذات المربّع بذات الفندق، وكان السيد أشرف شيحة بداية معنا، ثمّ استأذن للمغادرة وبقينا هناك إلى وقتٍ متأخّر حتى الصباح الباكر ليوم إجراء المفاوضات، أبلغتهم بأنَّ الوهن بدأ يسري وينخر في عظام الطاغية؛ فلم يعد يخيف.

وهم من جانبهم أبلغوني بتضاعف قوّة الثوّار؛ فالثوّار كل يوم يتزايد عددهم، وترتفع معنوياتهم، والسّلاح دخل ولا زال يدخل، ولقد وصل كلّ مكانٍ بما فيها تاجوراء وسوق الجمعة وفشلوم، وبالتالي لابدّ من رحيل الطّاغية، ولا شيء غير ذلك، اتفقنا على ذلك بالتّمام، مع تنبيهي إليهما بأنّ أبو زيد حسب ما أتوقّعه سيكون صوته مرتفعاً في هذه المفاوضات، ولكن لعلمكما إذا حدث ذلك أن تطمئنا وتعرفا أنَّ

ارتفاع صوته لا يزيد عن كونه دليل إثبات ضعف صوت القذافي ونظامه وليس دليل إثبات قوّته.

فُتحت الجلسة الساعة العاشرة صباحاً بِذات الفريق المصري المدير للمفاوضات، بدأ الحوار بعد افتتاحه من رئيس الجلسة؛ فأُعطيت الكلمة لطالبها أبو زيد؛ فأطال حديثه كثيراً (تحليلاً وتفسيراً وتعليلاً)، حتى عرف الجميع أنّه حديث لا يزيد عن كونه محاولة لتغطية الشمس بعين الغربال، وكانت مؤشّرات الرّفض تظهر على تلك الشخصية الهادئة (الدكتور الصلّابي) وهو رافع يده لطلب مداخلة، وكذلك كانت علامات الغضب تظهر على وجه (المهندس عبد الرزاق) فأشرت إليهما بأنّ هذا القول لا يزيد عن كونه ضعفاً ويأساً؛ فابتسم المهندس عبد الرزاق، باعتبار نحن متفقين أنّه لا حلّ إلّا رحيل القذافي أو القضاء عليه بالقوّة.

أعطيت الكلمة للدكتور علي الصلّابي؛ فأسرعت بطلب نقطة نظام؛ فاحتجّ الدكتور علي الصلّابي كونه لم يتكلّم بعد؛ فقلت يا دكتور علي أنا لم أخذ عليك نقطة نظام، بل أنا أطلب منك أن تعطيني من فضلك نقطة نظام؛ فقال: لا بأس تفضل يا دكتور عقيل.

ما قاله أبو زيد لا شكّ أنّه يعبِّر عن رأيه، وقبول الرأي الآخر يُعدُ ضرورة، أمّا أنا لو لم تختاروني أنتم لهذه المفاوضات، لكنت جالساًً بينكما في هذه الجلسة، وكذلك الجلسة التي سبقتها).

ثمّ قلت: أرجو أن نحافظ على أخلاقياتنا، ولا داعٍ للعبارات التي لا تليق بحضرة الجميع، ومن العيب أن ننشر غسيلنا أمام النّاس؛ فالمصريون إخوتنا، والاحترام أمامهم يرفع من قيمتنا سويّاً، وأنا أتحدث في هذا الاتجاه بأكثر توضيح لاحظت علامات الهدوء بدأت تأخذ حيّزاً عريضاً على وجه الدكتور علي.

أستأنف الدكتور علي الصلّابي حديثه؛ فكان ذلك الهدوء علامة من علامات الوثوق في شخصه، وفي القضية التي كان مفاوضاً من أجلها، وفي ما حقّقه ثوّار ١٧ فبراير من انتصارات، وكذلك احتراماً للحضور.

فقد رفض وجود القذافي، وهو يقول: يا أستاذ أبو زيد القذافي انتهي، ونحن في حاجة لموقفك معنا في كفّ سفك دماء الليبيين، وكذلك نحتاج لموقفك معنا في تأمين مدينة طرابلس عند دخول الثوّار إليها.

أمّا الناتو؛ فأنت يا أخ أبو زيد تعرف من الذي جاء به إلى ليبيا، لقد جاء به القذافي بأسباب إقدامه على محاولة إبادة سكان مدينة بنغازي ثاني مدينة كبرى في ليبيا بعد العاصمة الأبدية طرابلس.

وكيف تقول هذه مجموعة إرهابية ومتطرّفين إسلاميين، وأنت تأتيك التقارير كلّ يوم عن حقيقة الموقف الذي لا تريد الاعتراف به في هذه الجلسة، وهو: أنّ معظم الليبيين أصبحوا مؤيدين للثوّار الذين حرّروا أراضيهم كما هو حال أهل الشرق الذين حرّروا كلّ الشرق في أربعة أيّام، وهكذا هي مدينة مصراته عصيّة على القذافي وأجهزته وكتائبه والمرتزقة، وكذلك مدينة الزنتان المجاهدة، وجبل نفوسة العظيم.

مقاطعة كلامية من أبو زيد لحديث الدكتور الصلّابي: وهو يقول:

أنتم يا عائلة الصلابي ما بكم؟ أخوك إسماعيل قائد كتيبة في بنغازي، وابن عمّك أسقطت به الطائرة، وهناك صلّابي آخر على الأرض هو الذي أسقط تلك الطائرة التي كان فيها ذلك الصلّابي، وأنت يا دكتور علي تتنقّل من مكان لمكان لأخذ السلاح، وأخذ المواقف الدولية، وتأتي هنا لتفاوضنا. ثمّ تقول القذافي يرحل.

أشار لي الأخ أشرف شيحة وشخص آخر من الأخوة المصريين الذين تولوا إدارة الحوار بأن أتدخّل لأجل تهدئة الموقف.

فتدخلت بما يخرجنا من هذه الكلمات التي بالاستماع إليها أنفسنا ضاقت، وبما يدخلنا استماعاً إلى تلك الكلمات التي تقبل الآذان الاستماع إليها، هدوء من بعد صولات وجولات؛ فقال أبو زيد والحديث موجّه للجميع (أنا لم أكن عاقلاً مثل عقيل؛ فلا تحسبوني مثله عاقلاً)؛ فقلت استغفر الله أنت أخي، ولكن لكلّ منّا رؤيته وشخصيّته التي بها يكون موفّقاً في موقفٍ ولا يكون موفّقاً في موقفٍ آخر.

أعطى رئيس الجلسة فترة قصيرة للاستراحة التي كان يظن أنّها سَتُسهم في زيادة تهدئة الأنفس.

استؤنفت الجلسة الثانية بطرح من الدكتور علي والمهندس عبد الرزاق يؤكّدان فيه على تنحية القذافي وبقائه مواطناً في ليبيا، أو رحيله إلى أيّ مكان يرتضيه، ولهذا فالثوّار لا يقبلون بغير ذلك.

فلم يقبل أبوزيد بهذا.

ولكن كان ردّ الدكتور علي أنّه لا نقاش ولا اتفاق إلّا على تنحي القذافي، ثمّ أخرج الدكتور علي ورقة من محفظته، وبدأ قراءتها المدونة بملاحظة أولى تنصُّ على تنحية القذافي دون قيدٍ ولا شرط.

وفي مقابل ذلك كان أبو زيد غير قابل باستمرار الحوار؛ ممّا دعا رئيس الجلسة إلى رفعها والكلمات تتزاحم عند الجميع وبينهم؛ فمنها ما بلغ الحناجر، ومنها ما تجاوزها إلى الألسن، ومنها ما بقي مخزّناً في الأنفس والصدور التي بها تضيق.

حاول الأخوة المصريون إعادتنا إلى استئناف الحوار، ولكن الأمر أصبح صعباً مع أبو زيد دورده، محاولات من بعد محاولات والنتيجة ساكنة، مع طلب أبوزيد من الأخ أشرف شيحة إحضار الطائرة على الفور من

أجل العودة المسرعة إلى طرابلس، وفي المقابل الأخ أشرف يحاول بكلّ هدوء تهدئة أبو زيد، ولكن النتيجة واحدة غضب مع عدم قبول.

بقي أبو زيد لوحده قليلاً فقلت: يا أخ أبو زيد إذا تريد أن تقطع شعرة معاوية؛ فها أنت تكاد تقطعها، ولكن إذا تريد أن لا تُقطع فأترك الأمر لي.

قال: لا يجب أن تُقطع، وعليك بالتدخّل.

قلت للأخ رئيس الجلسة: قل للأخ الدكتور علي الصلّابي والأخ المهندس عبد الرزاق أنّ عقيل يرى أنْ لا تقدّمان عرضكما لبند الملاحظات التي يجب الأخذ بها أوّلاً، بل تقدّمان ما يؤكّد تلك النقاط التي اتفقنا عليها في المفاوضات السابقة، وما جاءا به جديداً من نقاط مفصّلة لها، ثمّ نترك بند الملاحظات التي يجب الأخذ بها ثانياً لصوغها في فقرة مشتركة، وإن اختلف الطرفان يقبل كلّ طرف ملاحظات الطرف الآخر، ويتحمّل مسؤولية عرضها على ذوي العلاقة بالموضوع المباشر بالمفاوضات، سواء أكان رئيس المجلس الانتقالي المستشار مصطفى عبد الجليل أم القذافي، وبهذا نكون قد صغنا ما نتفق عليه من ملاحظة مشتركة، ويقبل كل طرفٍ عرض الملاحظات التي لم يتمّ الاتفاق عليها على من يتعلق الأمر بهم.

رجع رئيس الجلسة وهو يقول: يوافق الأخوان على الاقتراح.

عُدنا سويّا إلى تلك الطاولة التي يبدو أنّها استقبلت الكثير من المفاوضين والزوّار، ولذا فهي صامدة، يتغيّر المفاوضين وهي لم تتغير، وفي اعتقادي لن تتغيّر إلى النهاية، ولهذا ستبقى مصر ثابتة لن تفرّط فيما تلعبه من دور مع أبناء عمقها الاستراتيجي ليبيا.

بدأ الحوار هادئاً بكلمة من أبو زيد وكأنّه يريد أن يمزح قليلاً أو ليصحّح ما قد أخذ عليه من وجهة نظر، وذلك بقوله: (موش قلت لكم أنا لم أكن عاقلاً مثل عقيل).

وللأمانة هناك احترام متبادل بيني وبين الأخ أبو زيد دورده، وبيني وبين أخوته، وبينه وبين أخوتي؛ فهو يقدّرنا كثيراً، ولم يقبل تلك التقارير التي كتبت فينا؛ فذات مرّة قُدِّم له تقرير في أخي الدكتور أبو القاسم حسين عقيل عندما كان في تونس وهو ملتقياً بمجموعة من الثوّار هناك لأداء ما يجب أن يقوم به كلٌّ منهم، قرأ أبو زيد التقرير وحذفه وهو يقول لمن قدّم له ذلك التقرير: (لم ينشقّ الدكتور بلقاسم وأهله فقط، بل النّاس كلهم منشقين).

وبعد أن تمَّ عرض النقاط المتّفق عليها من الجانبين، انتقلنا إلى البند الساخن، وهو بند (الملاحظات المشتركة)؛ فلم نتّفق بأسباب تمسّك الأخوين الدكتور على والمهندس عبد الرزاق بالنقاط الآتية:

١ . خروج القذافي وأبنائه ورجال نظامه المتورّطين في الدماء خلال الفترة الانتقالية.

٢ . تحديد المدّة الزمنية للفترة الانتقالية.

٣ . تشكيل مجلس رئاسي من خمسة أشخاص.

٤ . توكل المهام للجيش الليبي من المجلس الرئاسي.

٥ . إعادة تشكيل قيادات الجيش.

٦ . اعتماد الكتائب التي شُكّلت في المناطق التي لا تقع تحت سيطرة النظام كجزء من الجيش الليبي.

٧ . إعادة تشكيل القيادات الأمنية.

ونظراً لبعد الهوة بين الطرفين، تمّ الاتفاق على كتابة المحضر الآتي

عُقد بالقاهرة يوم الاربعاء الموافق ٢٠١١/٥/٢٥م اللقاء الثاني من الحوار الوطني الليبي بمشاركة وفد ممثلي الدولة الليبية، وبعض التيارات السياسية الأخرى لمواصلة البحث عن سُبل لتسوية الأوضاع الحالية التي تمر بها ليبيا.

عرض الطرفان خلال الاجتماع وجهة نظرهما حول سُبل حلّ الأزمة الحالية، كما قدّم كل طرف ورقة تتضمّن مقترحاته ورؤيته لتنفيذ ما اتفق عليه في الاجتماع الأوّل طبقاً للورقة المصرية.

نظراً لوجود اختلافات في وجهات النظر حول بعض النقاط، اتفق الجميع على ضرورة عرض مضمون المناقشات والرؤى التي تمّ تقديمها للحلّ على قيادتيهما، وذلك لمناقشتها وإبداء أيّة ملاحظات تجاهها، تمهيداً لبلورة خطوات عملية لحلّ الأزمة، على أن يتمّ الاجتماع مجدّداً في القاهرة خلال فترة اسبوعين من تاريخه إنشاء الله.

جدّد الوفدان التحية والتقدير والعرفان للأخوة في مصر شعباً وحكومة ومجلساً على كلّ ما قاموا به وقدّموه، وأنّهم سيحتفظون لمصر بكلّ ذلك ويدعون الله أن يوفّقهم إلى النجاح.

كانت الطائرة جاهزة للإقلاع بنا؛ فاتجهنا إلى مطار القاهرة مباشرة وفقاً لخط العودة (القاهرة ـ جربة) لنجد السيارة في انتظارنا هناك ليكون استكمال الرحلة برّاً (جربة ـ طرابلس).

وصلنا طرابلس صباحا مع شروق الشّمس، والسّهر والتّعب والإرهاق كلها كانت حريصة على مرافقتنا بكلّ ما فيها من ملل.

ساعات قليلة للنوم، والوقت لا ينتظر كتابة التقرير من قبلي وأبوزيد، طلب مني الأخ أبو زيد كتابة التقرير؛ فقلت لا أعرف كتابة التقارير؛ فهذه مهنة ولها أصحابها، فقال: إذن نلتقي في مكتبي لنكتبها معاً.

قلت له: بما أنّ الأمر كذلك؛ فأنت الذي تأتي إلى منزلي، ونكتبها سويّاً؛ فعلّق أنت خائف إلى هذه الدرجة من أماكن أجهزة الأمن.

قلت: أنا خائف كما أنت تعلم، ولكن إظهارك أنت عدم الخوف يذكّرني بما حدث مع بائع الخضراوات (التشيكي) الذي كتب على المحل المرخّص له ببيع الخضراوات فيه: "يا عمال العالم أتحدو" وهو لم يعرف الأبعاد الفلسفية لهذه المقولة، ولكنّه يعرف جيداً أن كتابة هذه المقولة، قد تقيه شر الحكومة وظلمها من أجل أن يبيع خضرواته بسلام، وهو غير مكترث بمضمونها الفكري، وهذا يدل على شعور داخلي يقول: "أيّها المشترون أرجو المعذرة، أنا اعرف أن معظمكم مثلى لا يحب هذا الشّعار، ولكن الضرورة الحياتية جعلتني أضعه على واجهة محلي، لكي لا ترفعوا رؤوسكم إليه مرّة ثانيه، ولكي تتمكّنوا من اختيار أحسن الخضراوات، وعليكم أن تراعوا ظروفي. لقد وضعته من أجل أن يقال أني صادق، ومن أجل سلامتي وسلامتكم، وأعرف أن أكثركم يعارضه سرّاً. وعليكم أن تعرفوا أن كتابتي هذه تعنى معارضتي العلنية له، من أجل أن أكون صادقاً معكم، وكاذباً مع الحكومة. ثمّ قال: ولأنّكم تخافون مثلي أقدّر ظروفكم إلى ان تحين الفرصة"[٢٥]، فعوض أن يكتب البائع على محلّه أنا خائف؛ فأرجوكم المعذرة، كتب عليه: (يا عمال العالم اتحدوا).

بعد هذا التعليق قلت: أنا يا استاذ أبو زيد في انتظارك.

أنا في انتظارك.

جاء أبو زيد ثُمّ لحق به عبد الله؛ فوجدنا مختلفين على كتابة التقرير؛ فأنا أريد أن تسلّم ورقة الأخوة الممثلين للثوّار إلى معمّر القذافي، وأبو زيد لا يريد ذلك؛ فقلت نحن التزمنا مع الأخوة الدكتور الصلّابي والمهندس

[٢٥] فرنسيس فوكو ياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة (حسين احمد امين)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ١٥٣.

العرادي أمام الأخوة المصريين بتسليم الملاحظات التي اختلفنا عليها إلى أصحابها، وثبّتنا ذلك في محضر الاجتماع، وأنتم تعرفون أن هذه الملاحظات موجهة لمعمّر شخصياً، وبالتالي عليه بمعرفتها، وإلى متى ستُخفى حقيقة ما يجري عنه!

قالا: صعب أن نسلم لمعمّر وثيقة تنصُّ على تنحيته وأبنائه.

قلت: إذا لا تحبِّذون ذلك؛ فمن رأيي أنْ يُكتب التقرير ويحال باسم أبو زيد دون أن يُكتب اسمي معه.

فاعترض أبو زيد بقوله: لا يكتب التقرير إلّا باسمينا.

قلت: ما رأيكما أن نكتب التقرير من نصف صفحة، ثمّ نقرن ورقة الأخوة بقولنا مرفق رقم (١)، وتكون الورقة المقدّمة من طرفنا المرفق رقم (٢).

وافقا الأخوان مع شعورهما بأنّها ستكون محرجة.

أخذ عبد الله التقرير، وقدّمه لمعمّر.

اتصل بي مساءً، وهو يقول: قدّمت التقرير بما هو مرفق (هو كما هو).

فرحت كثيراً، واتصلت بالدكتور علي هاتفياً لأبلغه بذلك؛ ففرح الدكتور علي بما أخبرته به وهو يقول: متأكد أنّها وصلت؟

قلت: متأكّد.

قال: هذا ما كنّا نودّه أن يكون.

المحطّةُ الثامنة

مواجهات ساخنة

أحمد إبراهيم منصور

أحمد إبراهيم منصور القذافي من مواليد أتشاد، وذلك بأسباب هجرة عائلته إليها، عاد من مسقط رأسه أتشاد إلى مدينة سبها، التحق بنا دارساً في مدرسة سبها الثانوية عام ١٩٧١م، كنت اسبقه بسنة دراسية؛ فأنا في الثانية ثانوي ادبي، وهو في السنة الأولى ثانوي، كان الاتجاه التطرّفي غالباً عليه، وطابع العودة من تشاد لم يفارقه في تلك المرحلة؛ فهو لم يكن مندمجاً معنا نحن أبناء الجنوب الليبي.

وفي العام ١٩٧٢م قمنا بتشكيل اتحاد طلاب ليبيا في مدينة سبها، ومُنعنا من تشكيل الاتحاد العام لطلاب ليبيا على مستوى الوطن بكامله، وذلك لاعتراض الحكومة ومنعنا من تشكيله؛ فكان أعلى سقف مسموح به في ذلك الوقت هو تشكيل اتحادات طلابية على مستوى المحافظات فقط؛ فدعينا طلاب محافظة الجنوب لتشكيل وحداتهم وروابطهم الطلابية؛ فكانت نتيجة الانتخابات الطلابية بمحافظة سبها هي:

١ . خير الله مسعود خير الله رئيساً للإتحاد.

٢ . عقيل حسين عقيل أميناً عاماً للاتحاد.

٣ . إبراهيم المهدي إبراهيم أمين القضايا الطلابية.

٤ . محمد ادويني إسماعيل أمين الشؤون الإدارية.

٥ . خديجة السنوسي حمادي أمين النشاط الطلابي.

ولذا لم ينجح أحمد إبراهيم في تلك الانتخابات الطلابية، ولكنّه كان يرى نفسه الأولى بها، حاول القيام بمناشط خارجة عن رؤية اتحاد طلاب ليبيا بسببها، ولكنّه فشل.

بعد تحصُّله على الثانوية العامّة من بعدنا بعامٍ، التحق بجامعة بنغازي؛ فأظهر نفسه بطلاً ومرشداً وموجّهاً؛ فكانت العاصفة ضدّه من طلبة جامعة بنغازي، ولكن أدوات الحكم بدأت تظهر هناك لتفرض رؤية معمّر القذافي على جامعة بنغازي من خلال أحمد إبراهيم؛ فأصبح السّلاح الذي كنّا نحرّم دخوله للجامعات الليبية احتراماً للحرم الجامعي، أصبح بأنواعه يدخل مع أحمد إبراهيم ومعاونيه؛ فازداد الرّفض لتلك المظاهر المشينة، ولمن كان سبباً فيها.

لم التقِ مع أحمد إبراهيم خلال دراسته الجامعية حيث لا علاقة ودّ تجمعنا، ولهذا لم أكن ملمّاً بتفاصيل نشاطه هناك في جامعة بنغازي، وأترك الأمر لغيري لعلّه يظهر ما كان خفيّاً، وهو في اعتقادي ما كان أعظم.

فُرِضَ أحمد إبراهيم رئيساً لاتحاد الطلبة؛ فتصوّر نفسه رئيساً لليبيا؛ بل كان يرى نفسه مرشداً لكل النّاس، ثمّ شارحاً ومفسّراً للكتاب الأخضر الذي كان القذافي يرى أنّه لا شارح ولا مفسّر له من بعده إلّا ابن عمّه أحمد إبراهيم، وبهده المعطيات أصبح أحمد إبراهيم كمن يمتلك حقّ النقض الذي به يحقّ له أن يشتم من يشاء، ويحرق أوراق من يشاء، ويُسقط من ينجح، وينجّح من يسقط، ويسجن من يشاء، ويقطع رأس من يخالفه، مع مباركات وتأييدات ممّن رخّص له بذلك.

بعد أن امتلأت سيرته الذاتية بهذه الشهادات، أصبح أحمد إبراهيم وزيراً للتعليم والبحث العلمي، يطرد من يشاء بقرارٍ لا عودة من بعده، ويخصم من مرتبات الموظفين والمدرسين بحقّ وبغير حقّ؛ فالحقّ بالنسبة له ما يقدم عليه من أفعال وأعمال، والباطل ما يقدم عليه غيره.

أُخترت في عام ١٩٨٦م أميناً للتعليم والبحث العلمي بطرابلس، ممّا دعاني للالتقاء مع أحمد إبراهيم في جلسة عمل، وفي اعتقادي كان ذلك اللقاء كفيل بأن يذكّر كلينا بتلك الصدامات التي كانت رحاها تدور بيننا في مدرسة سبها الثانوية.

بدأ بتقديم النصائح والإرشادات حتّى ظننته إمام جامع، ثمّ ودّعني بابتسامة جافة وهو يقول: رد بالك تتقيد بالقوانين، هذا كلام فارغ؛ فلا قانون إلّا قانون الثورة، قلت في نفسي أنا أعرفك، وإذا كان هذا شعارك سيكون التعليم كفيل بكشف أوراقك وحقيقتك أمام الليبيين، وستخرج إنشاء الله تعالى ويديك فوق رأسك هذه من جهة، ومن جهة أخرى أقول: لقد انتهى التعليم في ليبيا، ولن تقوم له قائمة مادام أحمد إبراهيم هو الذي على رأسه.

بعد يومٍ من لقائنا اتصل بي صباحاً السيد الأمين (أحمد إبراهيم) ليبلغني بخصم مرتّب شهر كامل لكلّ مدرس ومدرسة وفقاً للكشف الذي سيحال إليّ هذا اليوم؛ فقلت له: كيف يمكن لك بخصم شهر وجميع اللوائح لا تقرّ لك ذلك، وبالتّالي لا يمكن لي تنفيذ هذا القرار؛ فغضب وهو يقول: إن لم تخصمه من معاشاتهم سيتم خصمها عن طريق المهندس عبد المجيد القعود (باعتباره عميداً لبلدية طرابلس).

وقد يقول البعض: بما أنَّ أحمد إبراهيم هو وزير التعليم والبحث العلمي؛ فهو ليس بحاجة لأن يبلغك بقراره.

أقول:

في ذلك الوقت كانت كلّ بلدية مستقلة مالياً عن الوزارات العامّة، وبالتّالي صلاحيات الخصم من عدمه مسؤولية أمناء البلديات، وأمناء القطاعات النوعية بها. ولهذا فأمين التعليم أحمد إبراهيم لن يكون قراره ملزماً لأمين تعليم القطاع ببلدية طرابلس، أو أيّ أمين تعليم في أيّ بلدية أخرى.

من هنا بدأ الرّفض والمواجهة الساخنة بيني وبين أحمد إبراهيم، ممّا جعله يصدر قراراً من اللجنة الشعبية العامّة للتعليم والبحث العلمي بوقف عضواً من أعضائها عن العمل (عقيل حسين عقيل)، وأُخطرت بذلك القرار الذي لم يمنعني من ممارسة مهامي أميناً للتعليم والبحث العلمي ببلدية طرابلس، ذلك لأنّ اختياري لهذه المهمّة لم يكن من أحمد إبراهيم ولا لجنته العامّة، بل كان من مؤتمر طرابلس الذي كان في ذلك الوقت وحده يمتلك حقّ إقالتي من عدمها.

ولكن بقراره هذا لم أعد أحضر اجتماعات لجنته الشعبية، وهذا فضل ورضا من الله تعالى.

في تلك الاجتماعات التي كنت مغيّباً عن حضورها يقول الأخوة الزملاء (أعضاء اللجنة العامة للتعليم): أنّ ما يدار من حديث ونقاش في الاجتماعات العامّة للتعليم والبحث العلمي يأخذ نصف الوقت الذي يقضيه أحمد إبراهيم في إدارة اجتماعاته لسبّ وشتم عقيل حسين وبقية الليبيين من أمثاله، والنصف الآخر خطاباً وتوجيهات لأحمد إبراهيم تذيّل بقرارات لم تصدر من أيّ أحدٍ من أعضاء اللجنة.

وذات مرّة جاء الدكتور عامر غميض لمكتبي طالباً مقابلتي في مقر تعليم بلدية طرابلس؛ فقلت لمدير مكتبي الذي أبلغني بذلك أن يتفضّل، باعتباره عضو هيئة تدريس بالجامعة، ولذا فهو زميل لا ينبغي أن لا أقابله حتى ولو لم يكن له موعد مسبق.

استقبلت الدكتور عامر غميض، وقلت له تفضّل إن كانت لك حاجة؛ ففتح حقيبته وأخرج منها ظرفاً وسلّمه لي.

فتحت الظرف فإذا به قرار من أحمد إبراهيم يطلب فيه أن أسلم مكتب النشاط المدرسي الخاص بتعليم طرابلس إلى الدكتور عامر غميض ليستعمله جامعة مفتوحة.

قلت للدكتور مع احترامي لك، هلّ أنت مقتنع بذلك؟

فقال: هذا قرار أمين التعليم العام والبحث العلمي.

قلت: لن أنفّذه، وعليك إن شئت بالعودة إليه.

بطبيعة الحال عاد صاحبنا إلي صاحبه؛ فاتصل بي مدير مكتبه وهو يقول: يطلب منك الأمين (أحمد إبراهيم) تسليم مقرّ النشاط المدرسي ببلدية طرابلس إلى الدكتور عامر غميض. فأبلغته أن يقول له على لساني: أنّ تعليم طرابلس في حاجة إليه.

وبعد مقاطعة لمدّة أسبوعين اتصل أحمد إبراهيم بمدير مكتبي مباشرة؛ فجاءني على الفور وهو يقول: امين التعليم أحمد إبراهيم متّصل على خطّ الهاتف.

قلت: أحله إلي: كان اتصالاً هادئاً، مع قوله لو تسمح يا أخ عقيل أن تأتي إليّ غداً بمكتبي عند السّاعة التّاسعة صباحاً.

قلت: بإذن الله سأكون غداً وفقاً للموعد المحدّد.

جئت إلى مكتبه السّاعة التّاسعة صباحاً كما هو متّفق عليه؛ فلم أجده؛ ولكن بادر مدير مكتبه بقوله: إنّ الأمين قد طُلب في أمرٍ عاجلٍ من قِبل اللواءِ أبوبكر يونس جابر، وقال لك انتظرني، نصف ساعة على الأكثر.

قلت: لا بأس، فانتظرته ساعة إلّا ربع، من بعدها أجريت اتصالاً هاتفياً بمكتبي في تعليم طرابلس لمتابعة العمل اليومي؛ فقال لي مدير المكتب أنّ أحمد إبراهيم جاء إلى مكتب النشاط المدرسي، وطرد جميع الموظفين، ومكّن آخرين منه.

عدّت مسرعاً إلى مكتب النشاط المدرسي؛ فلم أجد أحمد إبراهيم هناك، بل وجدتّ الموظفين المطرودين واقفين خارج المقر، ووجدّت الممكّنين منه بداخله؛ فتوجهّت إلى كلّ مكتب وأنا في حالة من الغضب نخرج من نجده فيه، وأعدت الموظفين إليه، وبقيت معهم هناك، واخترت لي فيه مكتباً ليكون دوامي اليومي رسميّا به.

لم يتّصل بي، ولم يأتِ أحد من طرفه، وبعد عشرة أيام فوجئت بمجيئه دون سابق موعدٍ إلى مكتب النشاط المدرسي لبلدية طرابلس بصحبة اقرين صالح اقرين القذافي، ومن حسن الحظ كنت هناك واقفاً بذات المقر تحت شجرة كبيرة عند العصر من ذلك اليوم، تبادلنا السّلام بصحبة خطاب من اقرين صالح اقرين يقول فيه: يا أحمد أقسم لك أنّ عقيل محترم، وأنت يا أحمد تعرف أهله؛ فلا ينبغي أن تختلف معه ولا أن يختلف معك، وأرجو أن تنهوا هذه المشكلة بينكما. وفي المقابل قال: يا أخ عقيل أحمد أنت تعرفه؛ فلا تسمع كلام الآخرين فيه.

قلت يا أخ اقرين: ها نحن ثلاثتنا واقفين سويّاً، فأنت مفوّض من قبلي بقول الحقّ.

قال: (اللي نقوله تقبله وتوافق عليه).

قلت نعم.

كرّر ذات السؤال، وأنا ذات الإجابة.

فقال: يا دكتور عقيل: إنهاءً للمشاكل أنت الذي تخرج من مكتب النشاط المدرسي وتسلّمه لأحمد.

كنت واقفاً معهما بالتّمام؛ فجلست وكأنّ أحداً يحاول أن يقسم رأسي نصفين، ثمّ وقفت وأنا أقول: والله يا أخ اقرين كنت أعتقد أنّك ستقول غير الذي قلته، كنت أعتقد أنّك لا تقول إلّا الحقّ، فكنت أتوقّع منك أن تقول: أن يكون لأحمد مكتباً بجانب مكتبك، أو حتى تترك له المكتب الذي أنت تشغله، وتأخذ مكتباً بجانبه في ذات المقر، كل ذلك كسقفٍ أعلى للتفاهم يمكن قبوله، ولكنّك تقول: أترك المقر بكامله إلى أحمد إبراهيم، هذا لا يرضيني، ولكم أن تختاروا أحد أمرين:

١ ـ أن تتمّ إقالتي من التعليم والبحث العلمي ببلدية طرابلس.

٢ ـ أن تقطعوا رأسي إن استطعتم.

خرجا بخفي حنين دون أيّ تعليق منهما.

شعرت بصداع شديد؛ فاتّصلت بأمين تعليم الفرع البلدي لسوق الجمعة آن ذاك (أحمد فرحات) قلت له: نحتاج إلى راحة لمدّة يومين، فاعتبر نفسك أنت أمين التعليم والبحث العلمي المكلّف ببلدية طرابلس، وعليك بمباشرة عملك من الآن، وبلّغت مدير مكتبي بذلك ليبلّغ أمين البلدية، وهذه لا تزيد عن كونها إجراءات إدارية وأدبية، وعدّت إلى منزلي للرّاحة، وكان ذلك مساءً عند الساعة السادسة تقريباً.

أتصل بي الأخ أحمد فرحات وهو يقول: لقد جاءت مجموعة مسلّحة واستولت على مقر مكتب النشاط المدرسي.

قلت: ألم تعرف أحداً منهم؟

قال: أعرف منهم سعيد ابو حليقة، وهو أحد العاملين المتضلّعين لأحمد إبراهيم.

قلت: يا أحمد عليك بإخراجهم من المقر وبأيّة طريقة، ولا تتصل بي إلّا إذا أخرجتهم؛ فقال كن هانئ، أتصل بي الساعة الحادية عشرة ليلاً وهو

يقول نبيك تأتي لترى بأمّ عينيك أنّهم فرّوا، ونحن هنا لن يستطيعوا مواجهتنا ولا العودة إلى مقر النشاط المدرسي.

شكراً ومع السّلامة، تصبح على خير.

ومن حُسن الحظّ كانت سيرة أحمد إبراهيم سيئة عند جميع الليبيين، ولكن معمّر هكذا يرى أن تدار ليبيا، ومع ذلك ولامتصاص الغضب تمّ تغيير أحمد إبراهيم بالممرّضة فاطمة عبد الحفيظ التي أصبحت وزيرة للتعليم والبحث العلمي، الذي ليس لها منه سوى ما تعرفه من تمريض.

في ذلك اليوم والجلسة منعقدة لما يسمى بمؤتمر الشّعب العام في مدينة البيضاء، وبحضور القذافي الذي طرح أسمي لأن أكون وزيراً للتعليم والبحث العلمي بدلاً من أحمد إبراهيم، إلّا أنّني رفعت يدي ممتنعاً ومعتذراً لاقتراح اسمي أمينا للتعليم والبحث العلمي، وذلك لمعرفتي لسببين:

الأوّل: أنّ القذافي يعرف اختلافي مع ابن عمّه أحمد إبراهيم، وأنا أعرف أنّ القذافي لا يمكن أن يُغلِّب أحداً (من يكون) على أحدٍ من أبناء عمّه، ولهذا لا يمكن أن يدفع بشخصٍ رافضٍ لأبن عمّه أحمد إبراهيم ليحلّ محلّه، ولهذا أصدر أمره ليلاً لكافة المصعّدين لتكون الممرّضة فاطمة عبد الحفيظ دون غيرها وزيرة للتعليم والبحث العلمي، وجاء صباحاً ليطرح مقترحاً يعرض فيه اسمي وزيراً للتعليم والبحث العلمي، ليظهر نفسه أمام الليبيين وكأنّه لا علاقة له بما تمّ تعميمه من أمرٍ ليلة البارحة.

الثاني: يريد أن يطرح اسمي أمام الذين أصدر أمره إليهم بفاطمة عبد الحفيظ أن لا يرفعوا لوحاتهم إذا ما تمّ عرض اسمي لوزارة التعليم والبحث العلمي، وبهذا يُثبت أمام الليبيين أنّ من يعارض أحمد إبراهيم لا يمكن أن يكون له مساندين ومناصرين، ولهذا يخسر أمام الجميع.

ومع معرفتي لكلّ ما يجري إلّا أنّني اقترحت عليه الدكتور أبو القاسم اخماج من مدينة الزاوية، وكان هدفي من ذلك أن أضع القذافي في موقفٍ محرجٍ بين ما يقوله، وبين ما أمر به ليلاً، إلّا انّه كان متمسّكاً بالأمر الذي به أصبحت الممرضة على رأس الهرم التعليمي بليبيا.

لم أرفع لوحتي التي تحمل صفتي (تعليم طرابلس) لاختيار السيدة الوزيرة، بل حذفتها أمام الشاشات الناقلة للصورة والحركة بعيداً عنّي، وخرجت من القاعة عائداً إلى مدينتي الجميلة (طرابلس)؛ فشاهد من شاهد تلك اللوحة وهي تُحذف كما شاهد خروجي؛ فتمّ إبلاغ القذافي بذلك.

بعد وصولي إلى طرابلس حيث الهواتف لازالت أرضية كون ليبيا في ذلك الوقت لم تبلغ عالم الرّقي في عالم الاتصالات النقّالة. وإذا بالمهندس عز الدين الهنشيري وعبد الله السنوسي يتصلان بي، وكلّ منهما يقول: لماذا أنت زعلان؟ فالقائد قال: أنا كنت أريد عقيل، ولكنّه هو الذي رفض.

لم أعلّق. واكتفيت بقولي: شكراً.

وأوّل اجتماع تدعو إليه السيّدة الوزيرة الممرضة، وجّهت دعوتها إليّ لحضور اجتماع اللجنة العامة للتعليم والبحث العلمي؛ فلم استجيب لها بالحضور، وقلت لها: لن أحضر إلى سرت، ولكن عندما تقرّرين انعقاد الاجتماع بمدينة طرابلس نرحب بذلك. ولهذا لم أذهب إلى حضور اجتماعات التعليم العام برئاستها.

كتبتُ في العام ١٩٩٠م استقالتي بخط يدي وبعثها إلى معمّر القذافي (نأمل أن تكون تلك الاستقالة من الوثائق التي تمّ العثور عليها في باب العزيزية) لتكون شاهدة على حقيقة ما أقول، ومع ذلك فإنّ الذي حمل استقالتي هو الأخ العقيد محمود إشتيوي مدير مكتب العدل ببلدية

طرابلس بأمرٍ من أمينه آن ذاك عبد القادر البغدادي، الذي قال لمدير مكتبه وهو يسلمه الظرف بأن يختم الظرف قبل أن يحمله إلى باب العزيزية، ولن ننسى تعليق عبد القادر البغدادي بقوله: عليك أن تعرف يا عقيل أنّ (معمّر يغضب ممن يقدّم له استقالة).

قلت: يا رضا الله.

كان مضمون الاستقالة: (نظراً لظروفي الصحية وعدم رغبتي نأمل قبول استقالتي وإعفائي من تعليم طرابلس، وأترك الفرصة سانحة أمام مكتب اللجان وأحمد إبراهيم الذي لازال يسعى لخروجي من تعليم طرابلس، وذلك لاختيار من يناسبهم في التعليم بها).

بعد أسبوع من كتابتي لتلك الاستقالة وتقديمها لمعمّر القذافي، اعتبرت نفسي في حلٍّ من التعليم والبحث العلمي الذي تترأسه السيدة الممرضة الوزيرة فاطمة عبد الحفيظ، وسافرت إلى الخارج ولم أعد إلى طرابلس حتى تمّ اختيار محمّد القذافي من بعدي للتعليم والبحث العلمي ببلدية طرابلس.

ومن الطرائف أنّه تمّ تصعيدي في مؤتمر الشعب العام ٢٠٠٥م دون أن يتمّ تبليغي بما تمّ تصعيدي إليه وهو: (مفتشاً عاماً على وزارة الشؤون الاجتماعية) التي كانت ترأسها سيدة أنا لم أعرفها؛ فباستماعي لذلك الخبر المنقول على شاشات البث المباشر للإذاعات الليبية مسموعة ومرئية، أقسمت للمتفاجئين معي بالخبر، وهم يباركون لي هذا المركز أني لن أقبل به وإن دفعت الثّمن غالياً، في ذلك الوقت بالتأكيد صدّقني من صدّق وكذّبني من كذّب.

وفي ذات اليوم كتبت ورقة وبعثها في الحين إلى القذافي قلت ممّا قلت فيها: (أنا لم أكن ذلك الشّاب الذي لعلّه يقبل مثل هذه المهام، فأن اليوم أستاذ جامعي، وبلغت من العمر ٥٢ عاماً، ولي من المؤلّفات ما

يكفي معيشتي، وأنا من أسرة كريمة أنت تعرفها؛ فلا يليق بي أن أفتش على رجلٍ؛ فكيف لي أن أقبل التفتيش على امرأة! نأمل من حضرتكم قبول عذري).

وصل العذر، وجاء على الفور الاتصال الهاتفي من القلم وبالتحديد (عيسى كوسا) وهو يضحك؛ فعرفت أن تعليقاً كان مصاحباً لِما نعنيه بقولي: فلا يليق بي أن أفتش على رجلٍ؛ فكيف لي أن أقبل التفتيش على امرأة!

ثمّ قال: يسلم عليك القائد، وقال لك: أريدك أن تتولّى مسؤولية التفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي.

بعد قليلٍ من الصّمت وتفكيري يصاحبني بكلّ وعي، قلت: والله لو لم أكتب ذلك العذر الذي قبلتموه، لكنت كاتباً ذات العذر على ما تبلّغوني به في هذه المكالمة.

فقال بكلّ ودّ: أرجوك أن لا تركب رأسك؛ فكما تمّ تقديرك بالقبول في العذر الأوّل، قدر الموقف في العرض البديل.

قلت: يستر الله.

على أثره تمّ الاتصال بي من قِبل أمانة مؤتمر الشّعب العام يدعونني فيه للحضور غداً صباحاً لأداء القسم القانوني.

ذهبت إلى هناك؛ فوجدت على رأس طاولة المكتب أحمد إبراهيم، ومن المحيطين بها مبارك الشامخ (أمين شؤون اللجان)، وحسني الوحيشي أمين الشؤون القانونية، وغيرهم من المدعوين لأداء القسم. فاقتربت من الأخ مبارك الشامخ وسألته: على ماذا سأكون من القاسمين؟

قال: بالنسبة لي أنت المفتش العام على الشؤون الاجتماعية، ولكن أحمد إبراهيم بلّغني بأنَّك المفتش العام على التعليم العام والتعليم العالي؛ فقلت: هل ثمّ تغيير القرار يا أخ أحمد إبراهيم؟

فقال: لم يتمّ التغيير، ولكنّك ستؤدّي القسم، ومن بعدها سيتم تغيير القرار.

قلت: يا أحمد أنا لن أقسم لكم ووقفت؛ فقال ما بك؟

قلت: اليوم يا سيد أحمد إبراهيم يقسم لكم الذين توضّؤا لذلك، أمّا أنا اليوم فلم أكن متوضئاً له، وخرجت على الفور، والأخ مبارك يضحك على تلك العبارة مع الآخرين.

لحقني المهندس مصطفى الأحرش المصعّد هو الأخر مفتّشاً للزّراعة، وهو يقول: ما بك! فقلت له: لم يكن على الماء، وتركته واقفاً في حيرته.

ولذلك لم أعد لأقسم، ولم استلم هذه المهمّة ممّا جعل أحمد إبراهيم وآخرين من ورائه يردّدون أنّ عقيل متعالٍ على سلطة الشعب. وانا كلّما اسمع ذلك من بعض الاصدقاء، أقول: القافلة تسير والكلاب تنبح.

وعليه فإنَّ أحمد إبراهيم يرى نفسه داخل عالم فسيح ولا توجد فسحة تساويه في الخلق، وهذه الرؤية تذكِّرني بقصّة ذلك الكتكوت، الذي أخبرته الدّجاجة الحاضنة بأنّه سيخرج غداً إلى العالم الكبير، فملأه الخوف حتى كاد أن يموت من الصّراخ. وإليكم هذه القصة:

احتضنت الدّجاجة بيضها بالدّفء لتغرس في نفوس فراخها حنان الأمومة الذي يملؤها من احتضان أمّها لها في الزّمن الماضي، وقبل يوم واحد من اكتمال نضج الكتاكيت في البيض أخبرتها الدّجاجة الحاضنة بأنّ غداً ينتظرها بخيرات كثيرة وستتنقّل بقوائمها في البستان تحت ظلال الأشجار نهاراً وتنام على أغصانها ليلاً، فسأل أحد الكتاكيت أمّه: هل هناك عالم أوسع وأفضل من العالم الذي نحن نعيش فيه؟

نعم.

وما هو؟

عالم الحياة الواسعة بين الكتاكيت والكائنات الأخرى وفي وسط الحظائر والبساتين تقدّم لكم الخدمة من أيادي البشر المفضّلين عليكم في الخلق.

إنّه من الصّعب التصديق يا أمي بأن المفضّلين علينا هم الذين سيقدّمون لنا الخدمة.

ها أنا يا أبنائي أحدثكم من العالم الواسع والعقلاء فيه هم الذين يوفّرون لي الغذاء والمأوى والتدفئة اللازمة للبقاء.

ولكن يصعب علينا التصديق بما أنّنا لا نراك وإيّاهم.

إنكم سترون غداً بعد خروجكم إلى عالمنا الواسع مالم يسبق لكم رؤيته، سترون الشمس والقمر والنجوم لتعرفوا المواقيت كغيركم من المخلوقات الأخرى، وستعرفون من يمشي سويّا ومن يمشي مُكباً على وجهه، وستميزون بين الطائر والزّاحف كما تميّزون بين اليابسة والماء، بعدها ستعرفون أن ما قلته لكم هو الحقّ.

نحن لا نصدق ما تقولين ولا نرغب في الخروج إلى عالمكم الذي تدّعين بأنّه أوسع من عالمنا الذي يملؤنا بالاستقرار كما تملؤنا الرّاحة والطمأنينة فيه.

أنتم وعالمكم الذي تعتقدون باتّساعه كلّكم من أحشائي، وأنا في هذا العالم لم نشبع نهم ثعلب.

ومن هو هذا الثّعلب؟

عدوي وعدوكم.

بما أنّ الأمر هكذا، إذن يبدو أنّك مصرّة على بيعنا بلا ثمن.

لا، لم أقصد يا أبنائي، ولكن عليكم أن تعرفوا أن لكلّ بداية نهاية، حياتكم داخل البيضة لها بداية ونهاية، وحياتكم في عالمنا ستكون لها

بداية ونهاية، ولكلّ أسباب، ومن بينها العداء الطبيعي بيننا وبين الثّعالب.

ولهذا نحن لن نخرج حتى لا نكون تحت رحمة الثّعالب وتكون لنا النهاية، ونحن على يقين أنه لا يمكن أن يوجد عالم أوسع وأفضل من العالم الذي نعيش فيه.

سيأتي غدٌ وخروجكم سيأتي إلّا إذا وقعت لن.

وما هو سرّ لن هذه؟

أن تموتوا داخل البيض أو أن غداً لن يأتي عليّ وعليكم أو يحدث عالم الغيب أمراً.

في الفجر صاح الديك كعادته فاستمعت الفراخ في عالمها إلى صوته فتساءلت. وما هذا الصوت المدوي يا أمّنا؟

صوت أبيكم يعلن عن فرحته بموعد خروجكم من زنزاناتكم الإنفرادية إلى الحياة الاجتماعية العامة ليراكم بأم عينيه تأكلون الحبَّ وتلتقطون الحشرات كما يفعل هو، وسأفرح أنا مثله.

إنّه من الغرابة أن تفرحا بخروجنا من العالم الواسع الذي لا يشاركنا فيه أحد إلى عالمكم الذي تشارككم فيه الثّعالب.

ستخرجون بالقوّة لا بالإرادة.

سنصرخ ونبكي.

الصراخ والبكاء لا يوقفان قدوم المستقبل وصراخكم هذا هو سبب تكسير البيض الذي يخرجكم إليه (إلى المستقبل).

صراخ.... صراخ.... يكسّرَ البيض من شدة الصراخ، ما هذا النور؟ وما هذه الأرجل التي تحملنا؟ وما هذه المساحات الشاسعة؟ وما هذا الليل الطويل؟ ومن ذا الذي يقدم لنا الخدمة ويسهر على راحتنا؟

بكاء.... بكاء وفرحة.... فرحة.... صدقتِ يا أمنا صدقت، ولكن أين الغذاء.

ها هو يملأ الأرض.

ولكن كيف يؤخذ؟

افعلوا مثل ما أفعل، اضربوا مناقيركم في الأرض فأنا لا أرضع.

هكذا كان عالم أحمد إبراهيم لا يزيد عن وسع عالم ذلك الكتكوت الذي فاجئه العالم غير المتوقّع.

إبراهيم عبد السّلام إبراهيم

إبراهيم عبد السّلام إبراهيم القذافي من المنسّقين الرئيسيين بمكتب اللجان الثورية، وعلى الخصوص أسندت إليه مهمّة متابعة الجامعات، وكلّف بالأوقاف على مستوى ليبيا.

اتصل بي هاتفياً بعد استلامي مهام التعليم العالي، وهو يقول: أنّه مكلّف بمهمّة تتعلّق بالمشرفين على الطلبة الدارسين بالخارج.

قلت: مرحباً بك.

دخل وبيده ملفّاً، بعد التحيّة والسّلام، تفضل.

بدأ بمقدّمة شارحاً فيها أهمية الإشراف على الطلبة الدارسين بالخارج، وأنَّ الإشراف عملية ليست سهلة؛ فهي تحتاج إلى قدرات وخبراء، ونحن عندنا مجموعة ممتازة من هذه الخبرات.

قلت: ولكن لا توجد وظيفة لهذه المهمّة وفقاً للكادر الوظيفي المعتمد باللجنة العامة للتعليم العالي، وهذا الأمر يتطلّب قراراً من اللجنة العامّة، ومع ذلك فهذه ليست صعبة، ستتمّ مخاطبة العامّة بذلك وتتخذ الإجراءات؛ فقدّم لي تلك القائمة كما يرى من الخبراء.

قرأتها وفقاً للتصنيف المعروض من قِبله، فكانت معظم الأسماء تميل لجهة دون غيرها.

قلت: هل يليق بي أن أقصر اختيار مشرفي الطلبة الدارسين بالخارج على جهة دون غيرها؛ فأنا يا أخ إبراهيم المسؤول الأوّل على التعليم العالي بليبيا، ولم أكن المسؤول على جهة معينة، ولذا لا يمكن لي أن أقبل

منك هذه القائمة، ثمّ يجب أن تكون الاختيارات وفق معايير تحدّدها المكاتب المتخصصة في التعليم العالي، والتي يجب أن لا تغفل عمن يقع الاختيار عليه أن يكون يجيد لغة البلد المراد اختياره لها مشرفاً طلابياً، وينبغي أن يكون من بين الذين سبق لهم الدراسة بها، وينبغي أن يكون متحصّلاً على درجة الدكتوراه، ليكون قادراً على أداء المهمّة حيث هناك من يدرسون بالمراحل الجامعية، وهناك الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه)، ولهذا لا يليق أن يكون المشرف الطلابي أقل درجة علمية من الذين يتولى مهمة الاشراف عليهم.

بعد استماعه إلى ما قلته له، بدأ بقراءة بعض الاسماء وهو يقول: يا دكتور عقيل هذا فلان مريض ويمكن أن يفقد بصره، وبالتّالي أرجوك اختياره لهذه المهمة حتى يعالج عينيه، وفلان هذا متزوّج ولم يُنجب؛ فأرجوك أن تفتح أمامه هذه الفرصة لعلّى الله يفتح عليه.

ضحكت، ثمّ قلت: يبدو أنّك يا إبراهيم قد أخطأت العنوان؛ فيبدوا أنّك تريد الذهاب إلى وزير الصحة؛ فجئت إلى وزير التعليم العالي.

صمتَ قليلاً ثمّ قال: هذه القائمة أرسلها لك سيف القذافي.

قلت: سيف هو الذي بعثك بهذه القائمة؟

قال: نعم.

فقلت : سأتصل بسيف وأسأله.

قال اتصل.

بعد خروجه اتصلت بسيف، وقلت: لقد جاءني إبراهيم عبد السلام بقائمة يريد أن يكون أصحابها هم المشرفون على الطلبة الدارسين بالخارج؛ فهل أنت الذي بعثه بها؟

قال: لم أبعثه، ولم يكن من العناصر التي تعمل معي، فلا تأخذ بما جاءك به.

بعد مدّة أبلغني محمّد إسماعيل أحد أقلام سيف القذافي بأنّ إبراهيم عبد السلام قابل سيف في منطقة الجبل الأخضر، وقال له فيك ما قاله مالك في الخمر.

قلت: إبراهيم عبد السلام الشخصية الطيبة الهادئة يقول ذلك؟

نعمّ قال ذلك.

حسبي الله ونعم الوكيل.

ومن بعدها يبدو أنّ آخرين قد تلقّفوا ما تلقّفوه؛ فبدأت التّهم تُنسج في غير محلّها في مكتب اللجان الثورية لِتُلفَّق لي بمختلف ألوان طيفها، وأنا لم أُعِرها اهتماماً، حتّى وإن لفتت اهتمام من لفتت ولو كان من بينهم أفراد أسرتي؛ فأنا على سبيل المثال: في حياتي لم أشرب خمراً؛ فإن قال أحد قد وجدت عقيل خمراناً؛ فهل هذا يحيّرني وإن صدّق من صدّق؟

ثلاثة أحكام إعدام

بين يدي

مع أنّني كنت طالباً بجامعة طرابلس (الفاتح سابقاً) في تلك الفترة العصيبة التي ظهرت فيها منصّات المشانق تحت عنوان السابع من ابريل ١٩٧٦م؛ إلّا أنّني كُنت طالباً منافساً على الفوز بدرجة الشّرف الأولى خلال السنوات الجامعية الأربع، ولم يسبقني أحد عليها سوى في السنة الأولى التي جاء فيها ترتيبي ثانياً، حيث كان عدد المنافسين على الفوز بالترتيب الأول ٧ طلبة، فكان الفائز بها بتقدير ممتاز طالباً يستحقّها وهو من أبناء مدينة غريان اسمه: محمّد المسعودي. أمّا بقية السنوات الثلاثة فكان الفوز بالأولّوية حليفي مع درجة الامتياز برغم عدد المنافسين.

في العام ١٩٧٨م قُبلت معيد، وفقاً لاشتراطات ومعايير الجامعة التي على رأسها أن يكون المرشّح لدرجة معيداً بالجامعة متحصّلاً على تقدير عام ممتاز أو جيد جدّاً، ويفضّل قبول الأوائل.

في العام ١٩٨١م تحصّلت على درجة الماجستير من جامعة جورج واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية في التربية والتنمية البشرية.

عدت إلى ليبيا في ذات السنة ١٩٨١م، وأصبحت عضو هيئة تدريس بجامعة طرابلس.

اخترت في العام ١٩٨٦م أميناً للتعليم ببلدية طرابلس.

قدّمت استقالتي للقذافي في العام ١٩٩٠م من التعليم ببلدية طرابلس، وكذلك استقالتي من تلك المظلة التي كنت منتسباً إليها (اللجان الثورية). ومع أنّني طلقتها بالثلاثة إلّا أنّ البعض لا يراني إلّا عضواً.

وفي العام ١٩٩٥م وقبيل ذكر ما كان يسمى بالسّابع من إبريل بأربعة أيّام، كان هناك اتجاهاً نحو إصدار وتنفيذ حكم إعدام في من يصفونهم بالرّجعيين وأعداء ما كان يسمى بالثّورة من أعضاء هيئة التدريس؛ فقلت أمام تلك المجموعة من الطلبة التي تردّد هذا القول وتتباها به أمام كلية التربية، جامعة طرابلس التي أنا أحد أعضاء هيئة التدريس بها، قلت: اللهم باطل. فقال أحدهم أصبحت يا دكتور عقيل لا تقبل حديث الثوريين في أولئك الرجعيين.

قلت إن لم تستح فأفعل ما شئت، ثمّ غادرت المكان.

اتصل بي المهندس سعيد راشد مساءً وهو يقول: جماعة المكتب (مكتب اللجان الثورية) سمعتهم اليوم يردّدون أنّ الدكتور عقيل مرتدّ فيجب أن يحاكم؛ فما الذي حدث؛ فأخبرته بما حدث صباح ذلك اليوم.

أُجريت تلك الاحتفالات في جامعة طرابلس يوم ٤/٧/ ١٩٩٥م، وكان البعض يريد أن تتمّ التضحية ببعض الأبرياء من أساتذة الجامعة، ولكن انتهت تلك الفترة التي تجعل البعض من شدّة المظالم أن لا يتحدث إلّا مع ظلّه، ثمّ بعد اسبوعين استأنفت الأصوات المتطرّفة الحديث بجديّة عن أهمية التخلّص من بعض الأساتذة المضادين، حتى أنّهم وصلوا إلى مبتغاهم بتأييد القذافي لهم.

وخلال هاذين الاسبوعين وبالتحديد يوم ١٩٩٥/٤/٢٨م اتصل بي الأخ الهاشمي الغزيوي بعد التّحية والسّلام قال: أنا في حاجة لرؤيتك، تفضل أنا في المنزل.

حضر الهاشمي وهو يقول: ردّ بالك يا دكتور عقيل، هناك متابعة لك خاصّة، وهي من معمّر القذافي شخصيّاً، والشّخص المكلّف بذلك هو ابن عمّي علي الغزيوي (الذي أنا أعرفه جيّداً)، وسابعثه إليك لتستمع لكلّ شيء بنفسك.

وما هو الموضوع؟

اتصل الهاشمي بابن عمّه علي الغزيوي، واتفقنا على أن نتقابل غداً في الجامعة.

جاءني في الموعد الذي اتفقنا عليه بالتّمام السّاعة العاشرة صباحاً، وهو يقول: الأمر الذي سأخبرك به ليس هيّناً؛ فإن خرج منك يا دكتور عقيل سأدفع أنا الثّمن غالياً.

قلت: تكلّم ونحن إخوة.

قال: أنت تعرف مكانتك عندي، وعند العائلة كلّها، وخاصّة عند الهاشمي الغزيوي، الذي ذهبت إليه وأخبرته بالأمر؛ فقال لي لابدّ أن تذهب إلى الدكتور عقيل وتخبره بذلك، ولا تخاف من شيء.

وما هو الأمر؟

قال: بالأمس اتصل بي عيسى كوسا (أحد أقلام القذافي) الذي تربطني به علاقة جيدة، وحدّد معي موعداً في الجامعة؛ فالتقينا، وطلب مني متابعتك في الكبيرة والصغيرة، ومع أنّي قلت له الدكتور عقيل صديق العائلة، إلّا أنّه قال الله غالب القذافي شخصياً هو الذي أمرني بذلك؛ فأرجوك بمتابعته، وأبلغني أوّل بأوّل، وأتّصل بي بعد يومين على الأكثر، وها أنا اليوم في اليوم الثاني.

قلت: عليك بأداء ما طلب منك، ولك منّي فائق التقدير والاعتبار.

وأنا أودّعه قال: نحن يا دكتور لم نلتق أبداً، وذلك بقصد (أن لا يعلم أحد، حتى لا يصبح الأخ علي الغزيوي ضحية).

قلت: لا شكّ في ذلك، وكن مطمأنّاً.

في يوم ٧/٥/ ١٩٩٥م اتصل بي هاتفياً أحد أقلام القذافي وهو يقول: سيتمّ إعدام ثلاثة من دكاترة الجامعة، بعد ثلاثة أيّام، والقائد يطلب منك استلام ملفات أولئك المعنيين، وعليك غداً بالذّهاب إلى الجامعة لاستلام ملفاتهم، والتنسيق مع محمّد المجدوب بالخصوص.

عرفت أنّ المكائد لي قد بدأت تظهر على هذا المستوى، فأنا الذي قلت لأولئك الطلبة:

اللهم باطل، ثمّ قلت لأحدهم: إن لم تستح فأفعل ما شئت؛ فيبدو أن مقدّمة بدأت في الظهور لتهمة ستلفّق لي، والمحاكمة التي أشار إليها المهندس سعيد راشد أصبح موعدها يقترب، وبالتالي عليّ أن أقبل، ثمّ نفكّر في مخرجٍ.

في تلك الليلة لم أنم؛ فالخوف يملأ صدري حتى أصبح يضيق بأنفاسي. دعوت الله أن يلهمني إلى الحقّ، وييسر لي أمري في مرضاته جلّ جلاله.

ذهبت إلى الجامعة، كلية العلوم حيث ذلك المكتب الذي حُدِّد من قِبل إدارة الجامعة ليتم استلام ملفات المعنيين بالإعدام.

فُتح لي ذلك المكتب الكئيب والملفات الثلاثة، تسلم لي من مبعوث محمّد المجدوب (مكتب اللجان).

استلمتها وأنا اسخر من كلّ شيء، ونفسي بكلّ ودّ معي تسخر مع صوتها المرتفع: (دُفع إليك ثلاثة ملفّات من أجل إعدام زملائك، لا لشيء إلّا لتكون رابعهم)؛ فقلت: والألم يكسوني دون أن يستثني ذرة

من مشاعري الإنسانية والأخوية، يا إلهي، دُفع بي إلى هذه القضية من أجل إعدام زملائي حتى نكون أربع ضحيا!

وتلك الملفات هي:

الملف الأوّل

الدكتور عامر أبو ضاوية أستاذ من كلية الاقتصاد، حكمت عليه المحكمة الثورية بكلية الاقتصاد بالإعدام، وذلك للمبرّرات التالية:

١ . قوله أنّ معمّر القذافي راعي، والرّاعي لا يصلح لأن يكون قائد للدولة.

٢ . قوله: إنّ الدولة في ليبيا تقاد بالوساطة والمحسوبية.

٣ . قوله: إنّ النظرية العالمية الثالثة لا ترتقي إلى العالمية.

٤ . محاضراته جميعها ضدّ الثورة وشخص القذافي.

استدعيت الدكتور عامر أبو ضاوية الذي لم يسبق لي معرفته، حضر في ذلك المظهر المحترم والمنطق اللين مع تواضع ورفعة.

وللأسف لم يعرف عمّا لحق به من ظلم ومأساة، وأنا في حيرة من أمري كيف نبدأ مع هذه الشخصية الهادئة، ثم قلت يا دكتور من فضلك أن تقرأ هذا الملف الذي كتب فيك والحكم الذي يحتويه تجاهك.

أخذ الملف وقرأ التّهم والحكم، وبدأ ذلك الوجه الذي يملأه الضياء مع وسامة ومنطق رفيع، بدأ يسودُّ بسرعة وبشدّة.

قلت: أريد أن استمع إلى رأيك، وهل لك مشكلة مع أحد في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية؟

قال: يا أخ عقيل أنا من طرابلس وبالتحديد من جنزور، أسرتي من الفلّاحين أسرة بسيطة، وليس لي أيّ موقف مضاد لمعمّر القذافي، بل

معمّر يعرفني، ولقد سبق أن عرّفته بشخصيات مسؤولة ومعروفة من النمسا والسويد، وعلى رأسهم: السيد برونو كرايسكي المستشار النمساوي. ثمّ قال: أنّ (جميع محاضراتي مطبوعة وموزّعة على الطلبة، ولا شيء مخفي عندي).

قلت: الحمد لله، هل لديك نسخة منها؟

قال نعم، وفتح حقيبته وأخرج منها تلك المحاضرات. ثمّ قال: أنا ليس لي مشكلة إلّا مع أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية (ذكر اسمه ولم أعد اتذكره) ولا خلاف لي مع معمّر القذافي، ولذا فالدكتور عامر أو ضاوية لازال بخير، وهو بالتأكيد يعرف جيداً من يكون ذلك الشخص (الذي ذكره لي ولم أعد اتذكره، وهو كما قال: عضو هيئة تدريس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية).

قلت: الحمد لله، لقد وجدت المخرج.

ودّعته وأنا أقول له: لن تُظلم بإذن الله.

الملف الثاني:

الدكتور عبد القادر المحيشي

حضر الدكتور عبد القادر المحيشي الذي لم يسبق لي معرفته أيضاً، وهو من أصدرت بشأنه اللجنة الثورية بكلية التربية حكماً بإعدامه.

سلّمت له الملف، وطلبت منه قراءته، ومعرفة التّهم الموجّهة إليه، وما رأيه في الحكم الصادر ضدّه.

تأثر كثيراً، وهو يقول: معمّر القذافي يعرفني، وكون لقبي المحيشي فأنا لا يمكن لي أن أنكره؛ فنحن وعمر المحيشي أسرة واحدة، وأنا عندما سميت أحد أبنائي سميته معمّر ولم أسمه عمر.

مشكلتي مع أحد طالبات الدراسات العليا التي أدرسها بقسم الجغرافيا، ولم تنجح في المادة التي أدرّسها، ولهذا فهي التي تكيد لي المكائد، ولقد تواجهتُ معها كثيراً قبل ثمانية سنوات مضت، وها هي اليوم تجدّد لي المشاكل والتّهم بعد أن عادة للدراسات العليا.

قلت: الحمد لله، لقد وجدت المخرج.

بطبيعة الحال اتصالات جماعة المكتب لم تنقطع من أجل إحالة الملفات إليهم لوضعها موضع التنفيذ.

الملف الثالث:

الدكتور الدرناوي.

الذي حكمت عليه اللجنة الثورية بكلية الطب بالإعدام.

اتصلت بالدكتور احتيوش وهو في ذلك الوقت عميد لكلية الطب، واخبرته بالأمر؛ فقال: يا دكتور عقيل: الدكتور الدرناوي لم يكن مضادّاً، بل بالعكس هو مع النظام وليس ضدّه.

قلت: هل تتحمّل معي مسؤولية ذلك؟ وإذا سألك أحد هل ستظل شهادتك ثابتة لا تتغيّر؟

قال نعم.

قلت له: والله لن استدعيه، وسأتحمّل مسؤوليتي وفقاً للرأي الذي سمعته منك.

وبالفعل لم استدعيه، وإلى الآن لم أتذكر أنّني قابلته.

كانت المتابعة مستمرّة من المكتب، وكذلك من قلم معمر القذافي الذي كان أحدهم مرافقاً له في رحلته للجزائر، أي يبدو أنّ معمّر يريد أن يطمئن على الموضوع قبل أن يدخل إلى الحدود الجزائرية؛ حيث

اتصل بي أحد الأقلام في ذلك الوقت من مدينة اغدامس (المنفذ الذي سيدخل القذافي منه إلى الجزائر) وهو يقول: (كيف صار في الموضوع؟)

قلت: هؤلاء الأساتذة لم يقترف أحد منهم ذنباً يؤدّي به إلى الإعدام؛ فقد التقيت بهم مباشرة، ومنهم تبيّن لي:

أوّلاً: أنّ الدكتور عامر أبو ضاوية لم يكن مضادّاً، بل قال: (أنّ القائد يعرفه جيداً، ويعرف أنّه من أسرة فلاحية، ولقد سبق وأن أحضر له شخصية مرموقة من النمسا وهو السيد المستشار النمساوي كرايسكي)، ولقد اطلعت على جميع محاضراته ووجدّتها خالية من جميع التّهم التي وجهت له، ولم تكن فيها كلمة واحدة تشير إلى ما يخالف قواعد البحث العلمي، ولكنّه قال، لا مشكلة له إلّا مع ذلك الشخص الذي من وجهة نظره لا عمل له إلّا المزايدة على الأساتذة، وهو الذي يلفّق التّهم إليه ولغيره. ولذلك لن أحيل ملفّه إلى جماعة المكتب؛ فهو برئ.

ثانيا: الدكتور عبد القادر المحيشي، دعوته هو الآخر للحضور، واطّلع على كلّ ما كُتب عنه، ونفى كلّ التّهم الموجّهة إليه وهو يقول: (أنّ معمّر يعرفه، وأنّه عندما زاد عليه ابناً سمّاه معمّر ولم يسمه عمر، ولذلك قال: أنا لم أقم بأيّ عمل ضدّ معمّر القذافي)، ثمّ قلت: أنّ حقيقة مشكلته مع طالبة من طلبة الدراسات العليا بقسم الجغرافيا، التي تريد أن تنجح في الدراسات العليا، وهي غير ملمّة بالمادة التي يتولّى تدريسها الدكتور عبد القادر المحيشي.

وعليه أشهد أنّ الدكتور عبد القادر المحيشي بري كما هي براءة الدكتور عامر أبو ضاوية، وبراءة الذئب من دم يوسف عليه الصّلاة والسّلام.

لاحظت من خلال مكالمتي الهاتفية إنصات من قبل القلم المستلم للمكالمة، وكأنّه يسجّل ما أقول:

ثالثا: الدكتور الدرناوي، عضو هيئة التدريس بكلية الطب، اتصلت بشأنه بالأخ الدكتور احتيوش كي يبلغه بالحضور، بشأن التهم والحكم الصادر تجاهه؛ فقال الدكتور احتيوش ماذا تقول يا دكتور عقيل: من الذي أصدر هذا الحكم الظالم ضدّه؟

قلت: اللجنة الثورية بكليتكم (كلية الطب).

قال: هذا شخص معروف، وهو مع النظام، ولم يكن يوماً معادياً ولا مضاداً. ولهذا قبلت شهادة الدكتور احتيوش، ولم استدع الدكتور الدرناوي.

ثمّ قلت: بعد أن تبيّن لي عدم مصداقية ما وصلكم من أحكام الإعدام لهؤلاء الأساتذة الثلاثة المظاليم، لم أقم باستدعاء الآخرين الذين وُجّهت لهم التُّهم من لجنة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ولم يبلغ الحكم عليهم مستوى الإعدام الذي لحق بالآخرين ظلماً، وهؤلاء المتهمون بلا تهم منطقية، (دون أن أقول له ما قيل فيهم من تهم) هم:

١ . الدكتور عبد الحميد النعمي، الذي اتهموه بأنّه يدّرس كلّ ما من شأنه ضدّ الكتاب الأخضر.

٢ . الدكتور مالك ابو شهيوة، الذي لحقته تهم عدم تدريس النظرية العالمية الثالثة، وأنّه مؤمن بالنظرية الفوضويّة، وكذلك بالنظرية الماركسية.

٣ . الدكتور محمّد المهدوي، الذي قالوا فيه: أنّه مضادّ لفكر معمّر القذافي، وضدّ اللجان الثورية.

٤ . الدكتور سامي أبو خشخوشة، كتبوا فيه قولهم: أنّ والده كان مدير الأمن في العهد الملكي، ويربّي من منزله كلاب ويقول: هي أفضل من الطلبة، ويستخدم في عبارات البرلمان بدلاً من عبارات مؤتمر الشعب العام.

انتهت المكالمة: بقول القلم: كلّ شيء وصل.

بعد ساعة من الزّمان أعاد القلم اتصاله بي:

ولماذا لم تستدع الآخرين على الأقل سمعت منهم.

قلت: لم أجد تهمة بيّنة تستدعي استدعائهم من قبلي.

قال: (ماشي) وقفل الهاتف.

ثمّ جرى الاتصال بي ثانية بعد حوالي خمسة دقائق من أحد الأقلام الذي لم أتذكر اسمه الآن، وهو يقول: هل أنت متأكّد ممّا قلته لنا بشأن الدكاترة المطلوب حكم إعدامهم، وكذلك الأربعة الآخرين.

قلت: نعم متأكّد وسأكون مسؤولاً أمام الله تعالى.

إذن أنت الذي سيتحمّل المسؤولية كاملة في حالة ما ظهر منهم ما يخالف ما قلته لنا.

نعم أتحمّل المسؤولية كاملة.

أقفلت الهاتف. وصليت ركعتين حمداً وشكراً لله تعالى.

أتصل بي أحد من مكتب اللجان وهو يقول: أين الملفات وإلّا خائف.

نعم خائف والملفات عندي.

قال: محمّد المجدوب حريص على إحالتها إليه غداً صباحاً قبل التنفيذ.

قلت: اترك الأمر لي.

يبدو أنّ اتصالاً جرى مع المجدوب؛ فاتصل بي وهو يقول: لماذا لم تحوّل إلينا الملفات؟

قلت: لقد كلمني القلم وتفاهمنا، وكنت أعتقد أنّهم اتصلوا بك؛ فقال نعم لقد تمّ الاتصال بي، ولكن هذا لا يمنع من إحالة الملفات.

قلت: غداً صباحاً.

هذه المكائد التي كنت شاهداً عليها، وبدون شكّ غيرها كثير، ومن هنا أقول:

إنّ بعض الذين دخلوا تلك اللجان كان حالهم كحال جحا وحماره؛ فهو الذي يزيّف الحقيقة، وهو الذي يضحي بآخرين.

فجحا ذات مرّة اشترى حماراً بثمنٍ بخسٍ، ركبه إلى منزله الذي لا يبعد كثيراً عن موقع السوق الذي تباع فيه الحيوانات، في الطريق أطاحه الحمار أرضاً أكثر من مرّة، وحالما وصل إلى منزله بسلام، استقبلته أمّه؛ فغضبت، وطلبت من ابنها جحا أن يعيد ذلك الحمار إلى الذي اشتراه منه، أو أن يبيعه إذا كان السوق مربحاً؛ فاستجاب جحا لطلب أمّه بشرط أن تعيره ذهبها لمدّة يومين، وفي حالة ما قبلت بالشرط سيعيده لها مضاعفاً.

وافقت الأمّ على ذلك وأعطته ليلاً ما تمتلكه من ذهبٍ.

صحا جحا في الصباح الباكر وتوجّه إلى حماره، ثمّ صاح بصوتٍ عالٍ أكثر من مرّة، حماري يلد ذهباً..... حماري يلد ذهباً.....حماري يلد ذهباً.

استيقظ الجيران وجاءوا على الفور إلى جحا ليشاهدوا المولود الذهبي؛ فشاهدوا بأمّهات أعينهم الذهب تحت أرجل الحمار متناثراً؛ فصدّقه البعض من الملّاك، وطلبوا منه أن يبيعهم الحمار؛ فرفض جحا في البداية، وعندما بدأت الأسعار في مزادها العلني في الارتفاع، قال لهم: لن أبيع حماري إلّا بوزنه ذهباً.

اشتراه أحد التجار بعد أن باع كلّ ما يمتلك حتى السيارة التي كان يركبها، وقبل أن يقتاده إلى منزله دفع المشتري الثمن ذهباً، وسأل ذلك التاجر المشتري جحا بقوله: بماذا تنصحني يا صاحبي؟

فأجابه جحا: أن تشبعه كثيراً قبل أن ينام.

عمل ذلك التاجر المشتري لذلك الحمار بالنصيحة، وصحا مبكّراً ليجمع الذهب الذي ولده الحمار؛ ولكنّه لم يجد تحت حوافر الحمار إلّا الزبالة العفنة؛ فصرخ بصوتٍ عالٍ: أين الذّهب؟ أين الذهب؟ أين الذّهب؟ وذهب مسرعاً إلى منزل جحا وأخبره بأنّ الحمار لم يلد إلّا الزبالة العفنة ذات الرائحة النتنة.

ابتسم جحا، وقال:

ما نوع الأكل الذي أعطيته إيّاه قبل نومه؟

قال: كثير من الشعير والبرسيم الأخضر.

قال جحا: يا لك من غبي، كيف تغذيه الشعير والبرسيم وتتوقّع منه أن يلد لك الذّهب!

إذا أردت أن يلد لك الذّهب فعليك أن تزوّده به، وإلّا فلن تجني من حمارك إلّا الزبالة.

سقط الرّجل على الأرض مغمى عليه، أدخل المشفى، وبعد العناية الفائقة صحا من حالة إغمائه، وعاد إلى منزله مترجّلاً والخيبة تملؤه، خطواته كالسلحفاة، إلى أن مرّت بجانبه سيارة اليكسس بقيادة الرّجل المتواضع الذي استوقفها بجانب قدمي السائر الذي يكاد يتعثر من التثاقل الذي ألمّ به، سأله: من أنت؟ فأجابه أنا الذي لم يلد حماره ذهباً؛ فتبسّم السائق وقال: لا يهمّك أيتها السلحفاة؛ فالبيع والشراء دائماً أيام الحرب الباردة هو رأس مال يؤدّي إلى الربح والخسارة، أمّا اليوم في عصر العولمة فالبيع والشراء مهارة وفن في الإدارة التي لم يعرها الطغاة وأزلامهم اهتماماً؛ فالبيع والشراء دقّة حسابات مع وافر الفطنة بما يجري في السوق على المستويين الوطني والعالمي، وكذلك يتطلّب الفطنة الفائقة وسرعة في التصرّف.

اركبي أيتها السلحفاة.

إلى أين؟

إلى المكان الذي تقصدين؛ فالقرية بالنسبة لخطاك بعيدة جدّاً، وحالتك الواهنة في حاجة للمساعدة.

ركبت السلحفاة (التاجر الذي خسر كلّ شيء) بجانب السائق المتواضع وقالت: أوصيك أن لا تقف لجحا إن وجدته يمشي على الطريق، ولا تركِّبه معنا في هذه السيارة الرّفيعة، فهو ابن حرام، ونصّاب.

فقال السائق: ألا تحبين فعل الخير أيّتها السلحفاة الغلبانة؟

قالت السلحفاة: ولأنّني أحب الخير كل الخير قلت لك ما قلت؛ فكن حذراً، وإلّا ستصبح خطاك مثلي سلحفاة، ويصبح دخولك للقرية أملاً قد يقبر معك وأنت في الطريق إن لم تجد محترماً يقف لك رأفة وإحساناً.

وصلت السلحفاة إلى منزلها، وقالت للسائق: الحمد لله إنّك سلمت من جحا؛ فضحك السائق وقال: اتركي جحا وشأنه، وفكّري كيف تصبحين جحا إذا أردتِ دخول المنافسة الحرة.

معك الحق، ولكن أنت من يكون؟

أنا جحا.

فقالت: أنا التي تلد ذهباً؛ فهل تشتريني؟

أُغلق باب السيارة وعاد جحا لأمّه، والذهب المضاعف.

لمن بعت الحمار يا ابني؟

بعته للحمار.

لم أفهم.

معك حقّ، بعته للتاجر الذي كنت أعتقد أنّه يسير بسرعة العولمة، والذي لما سابقته وجدّته من مواليد الحرب الباردة.

مبروك يا ولدي السيارة.

مبروك يا أمّي الذّهب.

خرج جحا من منزله قائلاً سأعود يا أمّي إليك بعد ساعتين من الآن.

إلى أين يا ولدي؟

إلى مشاهدة لعبة المصارعة.

بين من ومن؟

بين الغزالة (والمستأسد).

خذني معك.

البرد قارص؛ فلا داعي يا أميّ، وبعد أن أعود سأروي لك ما يحدث.

بعد أقل من ساعة رجع جحا.

قالت له أمّه: ألغيت اللعبة أم انتهت؟

لقد انتهت يا أمّي.

أخبرني.

في عام ٢٠٠١م قرّرت الهيئة الدولية للمصارعة بأن تنظّم مصارعة حرّة بين الغزالة المتحدية بلياقتها العالية، والمستأسد صاحب المنازلات الفعّالة، ووقع الاختيار على الثعلب كحكم أوّل على حلبة المنافسة الحرة، وعندما حان الوقت بالتمام دخلت الغزالة الحلبة ومدربها والمساعدون والمساندون يحيطون بها من كلّ جانب؛ فكان التصفيق حاراً عندما أظهرت لياقتها العالية من خلال قفزاتها الجميلة وحركاتها السريعة على حبال الحلبة.

وحالما صعد المستأسد بجانب الحلبة، سقطت الغزالة مغميّاً عليها، كما سقط مدربها والمساعدون بنفس الحالة.

أعلن الحكم النتيجة بفوز المستأسد قبل أن يدقّ ناقوس إعلان زمن البداية، كان الاعتراض من قِبل لجنة الحكام المراقبين، استدعي الثعلب كونه الحكم لمسائلته عن السبب الذي دعاه إلى إعلان النتيجة بهذه السرعة؛ فقال: من لا يسرع بكفاءة عالية في عصر العولمة، قد لا يجد له مكاناً حتّى في الميدان العام.

أحتفل (المستأسد) والفريق المساعد له بالفوز مع بعض المدعوين، قدَّمت فيه الفرق الفنية لوحات من الأداء والعرض الرائع، والمستأسد على كرسيه تملأ صدره البهجة، والأناشيد تنشد، والرقصات الاستعراضية تؤدّى، والمجاهدون القدامى أصحاب الأوسمة الرّفيعة يتقدمون القوات المستعرضة. كتائب الأنياب (كلاب شمّ الأثر) تقدّم استعراضاتها، تصفيق من جموع أهل المسارب لأجهزة الاستخبارات المستعرضة بأحدث وسائل التنصّت على الجميع، حشود المسير على المسارب تسير وكأنها راضية، تهتف وتصفق وتزغرد وكلّ شيء بألم.

الدعوات تقدّم بمناسبة الفوز إلى مأدبة عشاء تقام على شرف بعض الأقارب والمدرّب والفريق المساعد له، وبعض من الوجهاء والأعيان الذين لا وجاهة لهم، وكذلك الاصدقاء المقرّبين، كان رأس المأدبة من الصيد البري، وبعض من لحم الخنازير.

جلس الجميع حول المائدة والمستأسد يلقي كلمته التي رحّب فيها بالحضور، ومجّد انتصاراته المتوالية وهو يؤكّد على ممارسة الديمقراطية بشفافية عالية بين أبناء الرعية، وأن تعمّ المساواة والعدل بين الجميع، ولا فرق بين حاكم ومحكوم، والصيد في الأشهر الحرام حرام، يعاقب عليه القانون ويعدّ من الكبائر؛ فلا يُقرب. ثمّ أعلن عن قبوله منازلة الأرنب التي أعلنت تحديها له، في المؤتمر الصحفي الذي عقدته في منامها بعد أن عادت من مؤاساتها للغزالة التي خسرت في خوضها المنافسة الحرة. وحالما سمعت الأرنب بالخبر عن طريق استماعها التلفاز

فرّت من جحرها مرتعبة في حالة من الجنون، وتركت أبناءها فيه وهم في اليوم الثاني من تاريخ ميلادهم.

سمعت كتائب الأنياب وكتائب التنصّت ومتابعة الأثر بالأمر، فتوجّهت على الفور لمطاردة الأرنب والقبض عليها في المرعى، وكذلك على جميع مولوديها في ذلك الجحر الدافئ.

بُلّغ الطاغية وهو لازال يلقي حديثه على المائدة بالأمر الخطير؛ فأمر بإجراء التحقيق بكلّ شفافية. ثمّ طلب من الثعلب أن يقوم بمهمّته كقاضي قضاة بتوزيع ما على المائدة من صيد على الحضور بالتساوي دون أن يغفل عن أحدٍ أو يسيء إلى مهنته ككبير قضاة له تاريخ في النزاهة وتقدير الآخرين واعتبارهم.

تقدّم القاضي إلى الصِّيدة والسكين معه، وقطع منها جزءاً صغير، ثمّ قام بتجزئته بأصابعه على جميع الحضور؛ فتحصّل كلّ واحد منهم على مقدار ما يُحمل بين الإصبعين، وحمل مع مساعديه بقية المائدة وقدّمها للمستأسد. ابتسم المستأسد وقال: من علّمك أساليب العدل وهذه الديمقراطية يا أعدل قاضٍ في حكومتي؛ فأسرع الثعلب (كبير القضاة) إلى تقبيل يدّ المستأسد، وقال علَّمتني العدل هذه اليد الكريمة يا مولاي؛ فقرّر (المستأسد) على الفور أن يعيّن الثعلب وزيراً للعدل إلى جانب احتفاظه بمهنته كقاضي القضاة.

بعد ثلاثة أيّام من قبول إعلان التحدّي للأرنب فهمت الحمير ما كان يدور من خطورة في المؤتمر الصحفي الذي عقدته الأرنب في منامها؛ فجاءت مسرعة في حشود على مساربها تهتف بحياة (المستأسد) عليها، وبإقصاء الأرنب من ميادين المنافسة الحرة، وإنزال أكبر العقوبات عليها لِما ارتكبته من جريمة عن سابق إصرار وترصّد.

اطمأن الأسد على أصالة السائرين على المسارب، وشكرهم، وقدّر عاطفتهم وانحيازهم له عند كلّ شدّة، وفي كلّ حين، وأكّد لهم حرصه على استمرارهم في ممارسة الحرية، وأخذ الحيطة والحذر من أولئك الذين قد تسوّل لهم أنفسهم، وتعهّد لهم بفتح المزيد من المدارس لتعليم أبنائهم المسير على المسارب، حفاظاً على قيمهم التي لم تتبدل ولن.

همس الفأر في أذن أبنه عمّا حدث للأرنب.

فقُطع لسانه، وقُطعت أذن ابنه قبل أن تعمّ العولمة، وقبل أن يأتي الصباح.

ولسائلٍ أن يسأل:

من هو المستأسد؟

هو نكرة.

على من كان يستأسد؟

على الضعفاء (أصحاب الحقوق).

بمن كان يستأسد؟

بكتائب الأنياب.

هكذا كانت المظالم إلى أن أصبح الصبح، وأشرقت الشمس، وأنكشف الغطاء، وأزيحت الغمّة.

المحطّةُ التاسعة

رسائل

كشف الزيف

الرّسالة الأولى

من رجل القبيلة

إلى

رجل ألإنترنت

القذافي

رسم سياساته بعقول الأموات

يمتدُّ بعد النّظر الإنساني مع امتداد التّاريخ تأصيلاً بما ينتجه من قيمٍ حميدة، وتطلّعاً إلى مستقبلٍ أفضل، تترسّخ من خلاله قيمة الإنسان كونه المستخلف في الأرض، ليحكم فيها ويعدل إذا ما استمدّ صفاته من صفات خالقه تعالى. ولكن إن لم يستمدّ صفاته من صفاته تعالى يعبث ويُفسد ويطغى؛ ممّا يجعل حيّز تفكيره لا يتعدّى حوصلة طائرٍ صغير.

ولذلك فالفرق كبير بين من يُولّى أمرٌ وينظر بعين الجميع الذين ولّوه ذلك الأمر، وبين من يولّى فلا ينظر إلّا بعينيه وحده.

ومن خلال هذه الرؤية نشرت مؤلّفاً في ٢٠٠٤م بعنوان (منطق الحوار بين الأنا والآخر) رأيت فيه أنّ حيّز التفكير عند معمّر القذافي لم يرتق إلى مستوى رأس دولة، ولم أرَ فيه إلّا شيخاً لقبيلة صغيرة يريدها أن تسود العالم، وتلك الرّسالة تنصّ على:

إنّ "حيّز التفكير عند شيخ القبيلة لا يتجاوز المرعى الذي ترعى فيه حيواناته، وإذا حاول التجاوز يجد نفسه في مواجهة مع شيخ أو مجموعة من المشايخ المتحالفين ضدّه على حدود المرعى؛ فشيخ القبيلة قضيّته أن يحفظ الشّعر، ويجيد الحديث الذي ليس له علاقة بقواعد اللغة، ولا حتى بالمنطق في بعض الأحيان. وكذلك ينبغي أن يجيد القدرة على حث أفراد قبلته على القتال، وردّ الأعداء حتى ولو كانوا بنو عمومة، عندما يحاولون الامتداد داخل حدود المرعى الذي ترتع فيه حيوانات القبيلة، وإذا ما تمّ أيّ اعتداء على المرعي من أيٍّ كان وجب القتال، والقبيلة التي يقتل أحد أفرادها حتى وإن كان مرتكب خطيئة، وجب

الثأر له من جميع أفراد القبيلة القاتلة، ولا يقتصر أخذ الثأر من القاتل، بل يؤخذ من أيٍّ فرد من أفراد القبيلة المعتدية؛ كم من مظاليم ماتوا وهم ليس لهم يد فيما أُرتكب من جرائم.

ولأجل الحماية سادت التحالفات القبلية المضادّة لبعضها البعض، وتكوّنت مجالس للحكم القبلي، حتى وصل الشيخ الكبير في بعض البلدان إلى اعتلاء سدّة الحكم، وأصبح ملكاً أو رئيساً، وفي كلتا الحالتين فإنَّ عقل القبيلة هو الذي يرسم سياسة الدّولة، فلا فرق بين السياسة السائدة على مستوى القبيلة وبين السياسة السائدة على مستوى الدّولة، ذلك لأنّ العقل المسيّر للأمر لم يتغيّر قيد أنملة عن الحالة التي هو عليها.

لقد انتشر التعليم على المستوى القاعدي حتى عمّ الجميع، ولقد قرّر رئيس الدّولة دراسة التّاريخ الذي لا ينبغي أن يُنسى على جميع المراحل التعليمية، حتى أصبحت عقول المتعلّمين نسخة واحدة من عقل ذلك الشيخ. لقد ساد الفساد والسلب والنّهب لممتلكات الدّولة وكأنّها مراعي القبائل المعادية لشيخ القبيلة.

كثر الشكّ في أفراد الشّعب ممّا استوجب الإكثار من الأجهزة السرّية والعلنية المتخصّصة في التنصّت على مرابيع وغرف الضيافة، والأخرى المتخصّصة في التنصّت على غرف النّوم، والعصرية التي تواكب حركت التغيّر في شبكات الإنترنت.

ولساءل أن يسأل:

من أجل من كلّ هذا؟

هل من أجل شيخ القبيلة ملك الملوك، أم من أجل أفراد القبيلة؟ أم من أجل الشعب؟

هناك ثلاثث إجابات متساوية:

الرئيس (شيخ القبيلة) يقول: كلّ ذلك من أجل الشّعب.

والشّعب يقول: كلّ ذلك من أجل الرّئيس (شيخ القبيلة).

وأفراد القبيلة يقولون: كل شيء من أجل الشيخ.

ولكن من يصدِّق من! قضية يغيب فيها المنطق لابدّ وأن تكون بلا حكم.

في عصر التقدّم العلمي بدأ الوعي السياسي، وبدأت دائرة المعارف تتّسع حتى تمكّن الإنسان من التفكير في المتوقّع وفي غير المتوقّع، وبدأت النشرات الدولية تكشف كلّ حساب، وبدأت الاتصالات دوائر متداخلة ومتواصلة، وانكشفت الأسرار التي كانت محظورة على أفراد القبيلة، وبدأت التساؤلات: من أنت؟

من تكون؟

من أين لك هذا؟

لماذا السجون؟

أين الحرّية والشفافية؟

لماذا لا نكون نحن سويّاً؟

وعليه: أزداد الخوف في مقابل ازدياد دائرة الانفتاح، خوف أفراد القبيلة من المحاسبة، وخوف الشيخ من السقوط، وخوف الأجهزة الأمنية من المظاليم، وبدأ الاطمئنان بأنّ المنطق سيسود على بساط التحكيم، وأنّ الحقّ سيهزم الباطل بقوّة الحجّة.

تكونت العلاقات العابرة للحدود، وتمكّن الجميع من الاتصال بالآخر الذي بيده جملة من الحقائق والمنافع، التي كانت مخفية عن أفراد القبيلة، وتحسّنت العقول، وتحسن المستوى الثقافي.

أصبحت الشفافية في صدارة كلّ حديث، وفي صدارة كلّ برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي، وأصبح الحديث ظاهراً بعد أن كان حبيساً في الصّدور، ودائرة الهوامش تتّسع بعد أن كان المرور من بوتقة جبل الصّمت الذي كان سبباً في تكوين التنظيمات السرّية، التي اضطرت لأن تُظهر مالا تبطن؛ فتؤيّد النظام وحكومته المحكومة بعقلية شيخ القبيلة على كفّة الميزان، وتعارضها على كفّته الأخرى، خوفاً من عدم التقدير وعدم الاعتبار.

أصبح الجميع على شبكة الإنترنت إخوة متحابّين في تبادل المعلومات، وفي ممارسة الشفافية، وفي رسم سياسة المستقبل والعمل على صناعته، وأصبحت المسافات تطوى في الزّمن القياسي، والقرية لا تختلف عن المدينة في شيء، والمعلومات تبث للجميع على شبكة الأحاسيس والمشاعر وكأنّها من ذاكرة الأحلام؛ فعرف الرّجل أنّ تفرّده بالقرار والتنفيذ لن يدوم، وعرفت المرأة أنّها على الطريق الذي يمكّنها من المشاركة باتزان.

واقع يسابق الخيال حتى أنّ البعض أصبح يعاني من الدوران نتيجة عدم مواكبته حركة التغيّر التي طُويت فيها المسافات، وكأنَّ الجميع يجلسون على الدائرة القطبية التي تجعلهم ينظرون إلى الليل والنّهار وهم في ذات الزّمن.

الجامعات المفتوحة في القرية الصغيرة تَلغي من شروط قبولها إثبات الهوية التي تميز بين شخص وآخر أو بين شعب وشعب، التلاميذ أمام الشاشات يتلقون العلم وهم في قُراهم ومدنهم من الأستاذ الذي تبعده عنهم المسافات، وتقرّبه لهم شبكة المعلومات (الإنترنت) وشبكات الاتصال المطوّرة.

لقد انتهى عصر الشيخ، وعكازه الذي يرسم به الحدود على الرّمل عندما يخطط به كما يشاء، ويوكز به أنوف من لا يأتون على مزاجه،

وجاء عصر العلائق المفتوحة، والاتصالات الخالية من الشكوك، وعمّت فكرة التحكيم بالمنطق بغضّ النّظر عمن تكون أطراف الحوار، المهم أن يحدث التوازن ويسود العدل الذي تتساوى فيه كفتا الميزان"[٢٦].

هذه نظرة معمّر القذافي التي كانت عابثة في البلاد فساداً، والتي لا تزيد عن نظرة شيخ القبيلة لمرعى قطعان ماشيته التي يبيع منها ما يبيع، ويذبح منها متى ما يشاء ما يذبح، ويصلب منها ما يصلب على حِبال الشنق، هكذا بالتّمام كان القذافي ينظر إلى قضايا الشّعوب السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمنظور شيخ القبيلة.

ولذا فلم ينظر إلى مستقبل الشّعب الليبي بنظرة الأمل، بل بنظرة تلك القصائد الشعبية التي ورثها وتحمل في أبياتها بطولات القبيلة، وما سفكت من دماء في غزواتها على قبيلة من القبائل المجاورة لها على تراب الوطن، أو ردّ ثأر في غير مرضاة الله، أو إيقاد نار فتنة والخروج منها بسلام، في مقابل التضحية بأفراد أو جماعات من قبيلة أخرى، ومن هنا كان يرسم سياسات الحاضر بعقول الأموات.

ولذلك كان ينظر إلى الماضي مصدر للدفء، وبالتالي يحنّ إليه وكأنه سيأتي مرّة ثانية، وهذا العقل لم يُمكّنه من التفكير التطلّعي، وبالتالي لا يحس بأهمية المستقبل ولا حتى ينظر إليه، ممّا جعله يلوك التاريخ الماضي كما تلوك الفرس اللجام، لينسجم مع تلك البطولات الخيالية التي عظام أصحابها قد بليت؛ فهو لا يعرف أن الحياة بدون طموح ترافقها المرارة، وبالطموح عسل تُقطّر.

ولأنّه على هذه الصّورة فليس له بدّ إلّا أن يُكثر من أجهزة الأمن السرّي لتتجسّس على الليبيين الذين يأملون مستقبلاً أفضل وأجود، ولأنّهم كذلك فأكثر لهم من الأجهزة ونوّع؛ فكانت فلسفة أجهزته

---

[٢٦] عقيل حسين عقيل، منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٦٥ - ٦٨.

مؤسّسة على الشّك في الجميع إلى أن يُثبت الجميع غير ذلك. ولكن عندما يشكّ النّظام وأجهزته في الشّعب، إذن في من يا ترى ستكون الثقة؟ وعندما تصبح مهمة النّظام الشّك في الشّعب؛ فهل يعتقد النظام أنّ الشّعب سيغرس ثقته فيه وفي ما يختاره من حكومة؟

ولأنّ الأمر كذلك ألّا تكون كلمة الشّعب هي الفيصل في الأمر عندما يحين وقتها في الزّمن غير المتوقّع[٢٧].

ولأنَّ الإنسان يحب أن ينظر إليه مصدر ثقة؛ فلا يقبل من أحدٍ أن يشكّ فيه، وإذا شعر بغير ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يبادل من يشكّ فيه ذات المشاعر التي وجّهت إليه. ولذا فمن أجل من تؤسّس أجهزت الأمن السرّي؟ هل تؤسّس من أجل الذين يميزون بين تحية العلم (الراية) وبين تحية الحكومة؟ أم أنّها تؤسّس للذين لا يميِّزون بين تحيّة العلم وتحيّة الحكومة؟

في كلا الحالتين هي أجهزة أمن سرّي تدار بعقل رأس النظام، فمن يرضى عنه رأس النظام ينام هانئاً، ومن لا يرضى عنه سيكون ميداناً واسعاً لممارسة مناشطها السرّية. ولأنّها تعمل وفقاً لسياسات رأس النظام؛ فلابدّ لها من أن تُظهر إخلاصها له على حساب أنا وأنت. وكلّما زاد نشاطها واتسعت دائرته كلّما كان ذلك مؤشراً على قلق الحكومة واضطرابها[٢٨].

وعليه فالفرق كبير بين عقل شيخ القبيلة الذي يرسم سياساته بعقول الأموات التي جعلت منه متعصّباً لنفسه وقبيلته على حِساب الاخرين من بني الوطن، وبين ذلك الإنسان المتطلّع لصناعة المستقبل الأفضل دون أن يتردد عن قول الحقّ وفعله، وهو الذي تبنى قيمه على المنطق وبكلِّ موضوعية، منطقه نعم إنّك أخي، ونعم إنّك على خطأ عندما

---

[٢٧] المصدر السابق ، ص ٥٤.

[٢٨] المصدر السابق، ص ٥١ ـ ٥٤.

تكون حقيقة الأمر كذلك، ولذا فالإنسان العالمي لا يؤمن بمقولة أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، بل يؤمن بمقولة: لا إكراه في الدين، ولا تظلم أحداً، وقل الحقّ ولو كان على نفسك، وأصبر وما صبرك إلّا بالله.

وبهذه النظرة الاستيعابية المتطلّعة لِما هو خير وأهم، لن يكون لنظام وحكومة شيخ القبيلة، ولا حتى لعكازه الذي يوكز به أنوف المعارضين لرأيه في أخذ الثأر مكانة ولا مكان في صناعة المستقبل، الذي تأمله الأجيال في ليبيا على مختلف ألوان طيفها.

ولهذا عندما يعتمد شيخ القبيلة على اللغة لن يجد له حُجّة إلّا العكاز، وعندما يعتمد الإنسان العالمي على الحجّة لن يجد سبيل له إلّا المنطق[٢٩].

[٢٩] المصدر السابق، ٦٩.

الرّسالة الثانية

أَلستمُ من آل البيتِ

القذافي نسب نفسه

إلى

آل رسول الله

ألستم من آل البيت مؤلّف طبع ونشر في ٢٠٠٩م وهو ردّ على ما قام به القذافي من تجميع لبعض النّاس تحت مظلة الأشراف التي أعلن نفسه أنَّه مليك سلالتها، وذلك بعد أن عمل له المزوّرين للتاريخ ما عملوا من تزوير، فأصبح شريفاً منحدراً من آل سيدنا محمّد، وسيدنا محمّد رسول الله عليه الصلاة والسلام بريء منه.

ولقناعتي أنّ الكثير من النّاس الذين نسبهم إلى ما نسب نفسه إليه لم يكونوا أشرافاً، كما أنّه لم يكن من سلالة رسول الله، قرّرت البحث في هذا الموضوع، واعتمدت القرآن مصدراً أوّلاً للبحث الموضوعي الذي منه تستمدّ الحجّة؛ فبحث في أصل كلمة (آل) وعلاقتها بكلمة (أهل) لغة، ثمّ بحث في آيات القرآن الكريم التي منها تمكّنت من تبيّن الحقّ من الباطل.

ولأنّ القذافي من قبيلة محاطة بقبائل عربية عريضة، ولها من اللحمة والقوّة وأصالة نقاء الدّم العربي، لذا عمل القذافي ما في وسعه من أجل أن ينهض بقبيلته المنتمي إليها، لتكون في الصدارة عدداً وعّدّة، وفي مقابل ذلك حاول إضعاف غيرها من القبائل بإيقاد نيران الفتن بينها ومع الآخرين، ولكن كما يقولون من لم يكن ابن أبيك ولم تلده أمّك ليس بأخيك، ولهذا فالآل لا يعودون إلّا لأبٍ، أمّا الأهل فكثر، من أهل البيت، إلى أهل الكتاب، وأهل الحكمة، وأهل المدينة، وأهل العلم وغيرها كثير.

بدأ القذافي أوّل ما بدأ بتحييد البعض عن أنسابهم الأصليّة، وإلّا كيف يصبح النوائل العرب الأقحاح الذين هم من سلالة بني هلال من قبيلة الأشراف التي حاول القذافي أن يجعل من نفسه رأس لها؟[٣٠].

وكيف يكون البعض من سكان محروقة الأصليين في منطقة الشاطئ من قبيلة الأشراف، وأبناء عمومة له، وهم في حقيقة أمرهم محاريق إخوة لبعضهم بعضاً وليسوا بأشرافٍ، مع العلم أنّ الشرف كونه قيمة؛ فهو المقدّر عندهم ومع الآخرين؟

وهكذا زرع بذور الفتنة بين قبيلة وقبيلة، وبين أسرة وأسرة، حتى أنّه استطاع أن يجعل البعض من أبناء الأب الواحد والأمّ الواحدة من هو قحصي، ومن هو غير ذلك؛ فمن قبل أن ينسلخ عن نسبه الأصلي وينتسب إلى أسرة القحوص كان له مقابل، ومن لم يقبل أن ينسلخ عن نسبه الأصلي ويتمسّك به كان له مقابل أيضاً، ولكن مع الفارق الكبير في المقابلين، فالأوّل بمقابل مادّي للبعض الذين قبلوا التخلّي عن نسبهم وأصلهم، وحتى إخوتهم أبناء أمّهم وأبيهم إن خالفوهم فيما قبلوا الانتساب إليه بغير حُجّة، والبعض الأخر بمقابل دفع الثّمن (إقصاءً وتغييباً مع وافر الإهانات)، ولكن هذا المقابل مع مرارته فهو في سبيل حقائق بها يثبّت ويصحّح التّاريخ.

ولذا فكما أنّ ليبيا وحدة وطنية واحدة، فإنّ النوائل قبيلة عربية واحدة جذورها ضاربة في بني هلال، والحطمان قبيلة عربية واحدة جذورها ضاربة في بطون بني سليم[٣١]، ومحروقة لحمة اجتماعية عربية واحدة، دمها ولحمها وعظمها من تراب الوطن ليبيا.

ولأنّ مؤلّفنا (أَلستمُ من آل البيت) كان الهدف من وراء كتابته هو تصحيح المفهوم الذي عَلق لبساً وغموضاً في أذهان البعض، حتّى أنهم

---

[٣٠] هنريكودي أغسطين، سكان ليبيا (ترجمة خليفة التليسي) الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص ٤٢٠.

[٣١] المصدر السابق، ص ٥٥٠.

لم يستطيعوا التمييز بين ما ينسبهم إلى آبائهم كما أمر الله تعالى، وبين ما ينسبهم إلى معمّر القذافي، وإلى ما نسب نفسه إليه.

قدّمت هذا المؤلّف إلى سيف القذافي وأنا أقول له: هذا الكتاب يثبت إنّكم لم تكونوا من آل بيت رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، برغم أنّ أبيك قد زار مقام الإمام موسى الكاظم في بغداد، وقد صرّح بقوله أمام الإعلام العالمي أنّه يزور مقام جدّه.

وعندما سلمته المؤلّف كان ذلك بحضور مجموعة من الأحياء أذكر منهم الدكتور محمّد عبد المطلب ألهوني، والدكتور البغدادي المحمودي، اللذين أمامهما كان ردّ سيف القذافي بقوله: مع أنّني غير مقتنع بما يجري باسم الأشراف، ولكنّك بطبيعة الحال تكتب ضدّنا.

فقلت: لم أكتب ضدّكم؛ فما كتبته مستمدّ من القرآن الكريم، والقرآن الكريم حقّ لا تحيّز فيه. واللغة كفيلة بتوصيل الحجّة إن اعتمدنا المنطق بيننا حجّة، وحتى لا يصاحبنا اللبس والغموض أقول لك أنّ النسب إلى (الآل) غير النسب إلى (الأهل).

النسب

إلى الآل والأهل

الآل الأصل الذي يؤول الدّم إليه، ولهذا يُنسب الأبناء لآبائهم من حيث ثبات ونقاء الأصل، قال تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[٣٢].

وآل الرّجل: تعني كلّ من يشاركه في النسب إلى أقصى أب له في الإسلام"[٣٣].

وعليه: وردت كلمة (آل) متّصلة بالمذكّر في القرآن الكريم ثماني مرّات، ولم ترد ولا مرّة واحدة متّصلة بالمؤنث (آل إبراهيم، وآل عمران، وآل يعقوب، وآل لوط، وآل داوود، وآل موسى، وآل هارون، وآل فرعون) ممّا يدل على الاختصاص الذي يدعى به الأبناء لآبائهم.

ولذا فإنَّ الآل: كلمة تأصيلية تُمكِّن من العودة إلى الأصل الذي ينسب إليه الشيء، مصداقاً لقوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ). فالآل تدلّ على ذوي القربى الذين يعودون إلى صُلب الرّجل، ولذا فكلّ ذرية آل، وليس كلّ آل بذرية"[٣٤].

وعليه فإنَّ الآل تعود بالفرع إلى الأصل من جهة الأب، "آل الرّجل: كلّ من يشاركه في الانتساب إلى أقصى أب له في الإسلام"[٣٥].

أمّا الأهل فتأخذ احتمالين:

الأوّل: الأهل هم ذوو القربى من جانب الأب والأم؛ ممّا يجعل الأعمام كالأخوال في علاقة نسب ومصاهرة تقرّب العلاقات بين الأجداد

---

[٣٢] الأحزاب ٥.

[٣٣] معجم لغة الفقهاء، ج ١ ، ص ٣٦.

[٣٤] الفروق اللغوية ،ج ١، ص ٦.

[٣٥] معجم لغة الفقهاء ، ج ١، ص ٣٣.

والأحفاد من الجانبين الذين منهما (الأب والأمّ) ويمتدّ مفهوم الأهل ليشمل العشيرة التي منها الأب، وكذلك العشيرة التي منها الأمّ.

الثاني: الأهل اندماج اجتماعي بقرابة الدّم وبغيرها؛ ممّا يجعل للمكان المشترك خصوصية تسمح بالانتساب والانتماء إليه، ولذلك يقال: أهل القرية، وأهل الحي، وأهل المدينة.

وعليه: الآل أداة ربط لعلاقات دمّ تربط الفروع بالأصول، والأهل مسمى يطلق على ذو القربى الاجتماعية والمكانية، والأولاد هم الذين لا يفصلهم فاصل عن آبائهم.

وعليه: لا نتّفق مع من يقول أنَّ تصغير (آل) هو (أهيل) فأهيل تصغير لأهل، أمَّا (آل) فتصغيرها (أُوَيْل).

ولذا فآل: لا ترتبط إلّا بمعلوم بشري مذكّر، أمَّا أهل فترتبط بمعلوم بشري ومكاني وموضوعي، وعلى مكانة أو دون منها، ومنها قولنا (أهل الجنة وأهل النّار) وهذه لا تختصّ بأيّ آل، ولذلك يقال، أهل الجنة، أو أهل النّار، وهكذا يقال: أهل الإيمان وأهل العلم، وأهل الخير والمعروف والحقّ، وفي مقابل ذلك يقال: أهل الكفر والجهل والمنكر والظلم.

ولذلك ف(آل) هي دليل تأصيلي، أمّا (أهل) فهي دليل إثبات علاقات مكتسبة تختلط فيها الدّماء مصاهرةً.

أهل: كلمة جامعة لمن هم ينتمون لآل، ولمن ينتمون لآل غيرها، كأهل الكتاب الذين هم ليسوا بآل في شيء وهم (اليهود والنصارى، أهل التوراة والإنجيل)، فأهل الكتاب منهم بعض العرب، ومنهم آخرين من غير العرب، ولهذا فهم يتّحدون في كلمة (أهل الموضوع) ولا يتّحدون في كلمة (آل الدّم والأصل).

قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ

بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[36].

أهل: مكانية كأهل البيت، والكعبة هي البيت الحرام، ولذا فبيت إبراهيم هو الكعبة التي رفع قواعدها، قال تعالى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}[37] قالت سارة باستغراب وتعجُّب (أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) والشيخ البعل هو إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وهنا قولان بينهما الأمر يتأرجح: قول يعود على إبراهيم بقوله تعالى: (أهل البيت) وهذا المعنى لا استغراب فيه باعتباره وزوجه هما المخاطبان، ولأنَّ الأمر يتعلّق بإبراهيم وزوجه؛ فهو يتعلّق بعلاقات اجتماعية، وهذه تتطلّب استخدام كلمة (أهل) لا استخدام كلمة (آل) التي لا تستخدم إلّا لأصل يعود على المذكّر، أو يعود به إلى مذكر، ولهذا جاء في القرآن الكريم (آل إبراهيم وآل يعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داود، وآل فرعون وآل لوط). ولذا علينا أن نتوقف قليلا أمام قوله تعالى: {آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ}[38]، ومع أنّ موسى وهارون من آل عمران من أبٍ واحد إلّا أنّ آل موسى هم غير آل هارون؛ فالذين هم من آل موسى يعودون إلى صلبه، والذين هم من آل هارون يعودون إلى صلب هارون، ولذلك فالقضية اللغوية تتعلق بخصوصية كل أخ عن الآخر، ولذا لم يكن هارون من آل موسى ولا موسى من آل هارون، بل كلاهما من آل عمران عليهم الصّلاة والسّلام.

وعليه فالعلاقة الاجتماعية تترتّب وفقا للآتي:

. من الأبناء (ذكوراً وإناثاً) لأصولهم العرقية علاقة (آل).

---

[36] آل عمران ٦٥ ، ٦٦.

[37] هود ٧٢، ٧٣.

[38] البقرة ٢٤٨.

. من الأبناء للآباء علاقة (أبوة) وعلاقة (أمومة) وعلاقة (آل).

. من الآباء إلى الأبناء علاقة (أهل).

. العلاقة بين الأبناء علاقة (أخوة) وعلاقة (أهل).

. العلاقة بين الأقارب علاقة (أهل).

. العلاقة بين الأنساب علاقة (أهل).

. العلاقة بين الجيران وسكان المدينة والقرية علاقة (أهل).

. العلاقة بين المشتركين في الموضوع الواحد علاقة (أهل).

* وكلمة (أهل البيت) لم ترد في القرآن الكريم إلّا مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: {رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}[٣٩].

والثانية: في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}[٤٠]؛ فدخول الزوجين أو الأزواج في المعنى والمفهوم يدلّ على بيت النّسب "المراد من البيت بيت النسب لا بيت الطين والخشب، ودخول سارة رضي الله تعالى عنها حسبما جاء في الآية الكريمة السابقة من سورة هود عليه الصّلاة والسّلام هنا لأنّها بنت عمّه، وكأنّهم حملوا البيت على الشّرف كما هو في أحد معانيه"[٤١].

إذاً (أهل البيت)، تدلّ على أهل بيت النبوّة (البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وابنه إسماعيل) عليهما الصّلاة والسّلام.

وهناك من يعود بقوله تعالى: (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد عليه الصّلاة والسّلام؛ ممّا يجعل البيت بمعنيين:

معنى علاقات اجتماعية: (الرّسول وأزواجه بغض النظر عن الآلات التي تعود إليها كلّ زوج من أزواجه رضي الله عنهنَّ جميعاً).

---

[٣٩] هود ٧٢، ٧٣.

[٤٠] الأحزاب ٣٢، ٣٣.

[٤١] تفسير الألوسي ، ج ٨ ، ص ٣٠٨.

والمعنى الآخر: هو أن أهل البيت (الكعبة) وهذا المصطلح يجمع كلّ من اتخذ البيت الحرام قبلة له ومصلّى.

إذن نساء النبي عليه الصّلاة والسّلام ليسوا من آله، فآله لابدّ أن يكونوا من صلبه، ولأنهنَّ أزواجه فهنَّ من أهله، ولذلك نقول أنّ أبناء الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام هم من آله، ولأنّه لم يخلّف من الذّكور من خلَّف ليكون من بعده من هم من آله، لذا لا آل من بعد محمّد عليه الصّلاة والسّلام، ولكن من بعده أهله؛ ففاطمة الزهراء من آل محمّد، أمّا أبناؤها فليسوا من آله، بل هم من أهله، وذلك لأنّهم من آل علي رضي الله عنه، وعلي لم يكن من آل محمّد صلوات الله وسلامه عليه؛ فهو من آل أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولكن محمّد عليه الصّلاة والسّلام وعلي رضي الله عنه هما من آل عبد المطلب.

عليه: فالذين يعتقدون أنفسهم أنّهم من آل محمّد رسول الله عليه الصّلاة والسّلام اعتقادهم ليس في محلّه، والذين يعتقدون أنّهم من أهله؛ فهم من أهله.

ومن هنا فإنّ جميع الذين ينسبون أنفسهم إلى فاطمة الزهراء هم في حقيقة الأمر من آل علي رضي الله عنه، وبنسبهم هذا يكونون من آل عبد المطلب وهو آل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

بناء على ما تقدم: لم يرد ذكر آل البيت مطلقاً في القرآن الكريم، وذلك لسبب علمي وهو أنَّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام كان آخر آل البيت الذين ينتمون إلى إبراهيم (الذين جعل الله عزّ وجلّ النبوّة فيهم) مصداقاً لقوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}[٤٢] ولأنّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام خاتم الأنبياء والمرسلين الذين هم من آل إبراهيم (من صلبه) كان خاتماً لأمرين اثنين:

---

[٤٢] العنكبوت ٢٧.

الأوّل: أنّه النبي الخاتم للأنبياء الذين يعودون لآل إبراهيم.

الثاني: أنّه صاحب الرّسالة الخاتمة لكلّ الرّسالات السابقة وهي الرّسالة الكافّة للعالمين، وبهذا كان محمّد رسول الكافة، وخاتم الأنبياء والمرسلين الذين يؤولون إلى إبراهيم عليهم الصّلاة السّلام، وهو النبي الذي جعل الله النبوّة والكتاب في ذريته، ولذا كان محمّد رسولاً خاتماً وكان القرآن كتاباً خاتماً، وأصبحت الكعبة البيت الحرام هي بيت المسلمين، ومن دخله فقد (أمن).

وعليه: فأهل البيت هم المسلمون الذين اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ}[٤٣] أي كلّ من أسلم وجهه لله ربّ العالمين، واتّبع ملّة إبراهيم بالرّسالة الخاتمة والرّسول الخاتم آخر رسول ينسب لآل إبراهيم عليهم الصّلاة والسّلام، قال تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}[٤٤]. بمعنى جعل الله الكعبة بيت المسلمين محرّم على الكافرين، ولذا فأهل البيت (أهل الكعبة) هم جميع المسلمين، "بيت الله الذي يتساوى فيه عباد الله، فلا يملكه أحد منهم"[٤٥].

قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}[٤٦]. قال (أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) قال للناس ولم يقل للمسلمين أي لا بيت للنّاس على الحقّ إلّا بيت الله الحرام؛ فمن يهتدي فإنّما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنّما يضل عليها.

---

[٤٣] البقرة ١٢٥، ١٢٦.

[٤٤] المائدة ٩٧.

[٤٥] في ظلال القرآن ، ج ٥، ص ١٨٩.

[٤٦] آل عمران ٩٦.

والآل على ما ذكرنا من تعريفه، هو قائم منذ آدم عليه الصّلاة والسّلام، ومستمر في ذريته وهو الآل العام في جميع البشر.

وأما الآل الخاص وهو آل النبوة؛ فقد بدأ بإبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وانتهى بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام.

فالرسول عليه الصّلاة والسّلام لم يعش له ولد ذكر حتى يكون الآل فيه مصداقاً لقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[٤٧] وعلى هذا فإنَّ آل النبوّة انتهت في محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، لذلك نجد أبا الفرج الاصبهاني لم يجاوز الصواب، وكان دقيقاً في ردّ الفروع إلى أصولها، ولم ينسب أحداً إلى آل بيت النبوّة عندما ألف كتاباً بعنوان (مقاتل الطالبيين) الذي ذكر فيه جعفر بن أبي طالب ومحمد بن جعفر، وعلي بن أبي طالب، والحسن بن علي والحسين بن علي وجميعهم يرجعهم إلى آل أبي طالب[٤٨]. ولذا نرى أنّه مصيب في هذا العرض وفقاً لقاعدة الآل. ومن هنا بقي العيب يلاحق القذافي فيما أقدم عليه من تزويرٍ للتّاريخ، وقلب الحقائق عن مواضعها؛ فجعل نفسه من آل البيت، ثمّ جمّع من جمّع من الأنساب الأخرى وضمها إليه لتكون حزمته كما يظن متينة، فيصعب كسر.

ولأنّ ما يبنى على باطل هو باطل، خسر القذافي المعركة في أوّل جولة، ولم يبق من حزمته الهشّة إلّا ما تناثر منها قشّاً متطايراً.

وما قصدته بقولي: (ما يبنى على باطل هو باطل)، أعني أنّ انتساب القذافي إلى آل البيت من أساسه باطلٌ، وإقدامه على تحويل النّاس عن أصولهم العرقية هو الآخر باطلٌ، والأكبر من ذلك باطلٌ هو أن ينسبهم إلى آل رسول الله.

---

[٤٧] الأحزاب ٤٠.

[٤٨] – مقاتل الطالبيين ج١ / ص ١، ٤ ، ٥ ، ١٢

وعليه: كلّ ما أقدم القذافي على جمعه من أناس ليصبحوا قذاذفة (اقحوص) بغير حقّ هو في أساسه تجميع ذنوب ليس إلّا، ولهذا لقي جزاؤه ليكون لمن بعده آية كما كان فرعون لمن خلفه آية، مصداقاً لقوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً}[٤٩].

[٤٩] يونس ٩٢.

الرِّسالة الثالثة

التطرّف

من التهيّؤ إلى الحلّ

التغييب

في زمن الطّغاة وتأزُّمات الحلّ

التطرّف بدون شكّ لو لم تكن من ورائه علّة ما كان معلولاً، ولذا فالنتيجة الموضوعية تؤكّد لنا أنَّه لا علّة إلّا ومن ورائها سبب، ومع ذلك يغفل الكثيرون ويصدرون حكمهم المجرّم للتطرّف دون أن يستدعونه عدلاً ويستمعون إليه.

فانفراد الحاكم بحكم الشّعب لا يمكن أن يكون له لو لم يقصِ الشّعب ويغيّبه عن المشاركة؛ فالتغييب فعل مترتّب على أفعال الإقصاء العمدي الذي لا يفسح مجالاً للتعاون والتفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر، فإن غُيِّبَ أحد الطرفين بأيّة تعليلات تصبح العلّة في من كان سبباً وراء فعل التغييب؛ فالذي يكون أساس المشكلة أو جزءاً منها، لا بدّ أن يكون أساس الحلّ الرئيس أو جزءً منه.

ولهذا قلت في هذه الرّسالة ممّا قلته: (إن لم يكن الإصلاح الذي يُرضي النّاس، تصبح أفعال التطرُّف في البلاد هي العملة الداعمة لرفع رأسمال مصارف الدّم. ولأنّ الأمر لا يكون إلّا كذلك؛ فهل يحقُّ تجريم التطرّف بالمطلق أم يجب النظر إليه وإلى مكامن علله التي قد تتضمّن شيئاً من الحقيقة)؟

قدّمت هذا السؤوال للحكّام الذين يقصون شعوبهم من ممارسة الحرّية، وعلى رأسهم من أكتب مؤلّفي وانا على مقربة من معسكره (معسكر باب العزيزية)، ومع أنّني كتبت ما كتبته إلّا انّني أعرف أنّه لا مجيب.

وإن سأل سائل عن السبب، أقول: لأنّه لا وجود لمن يستمع؛ فالقذافي الذي بلغ به الحال إلى أن جعل من نفسه ملك الملوك، وإمام المسلمين، والقائد الأممي، لا يمكن أن يقبل بمشاركٍ له في السّلطة، ولهذا لم يُعوّد أذنيه على الاستماع لمطالب الشّعب؛ فحرمه من ممارسة حقوقه حتى ظنّ أنّه بعد هذا الحرمان الطويل لن يطالب بها أبداً، ولهذا

ظن أنّه لن يكون من حوله من يتكلّم في ليبيا. ونسي أنّ من يعتدي على حقوق الآخرين، (لابدّ أن يأتي يوم ينتزعونها منه انتزاعاً، وإن وصفوا بما يمكن ان يوصفوا به ولو كان تطرّفاً).

عندما جاء هذا اليوم الذي كان القذافي يعتقد فيه أنّه القوّة التي لا تضاهيها قوّة، وجد الشّعب الليبي هو القوّة التي لا يضاهيها، ومع أنّه كان يعتقد أنّه المخيف للشّعب الليبي، إلّا أنّه وجد نفسه أكبر الخائفين منه، بعد أن أصبح بين قبضة الثوّار يتجدّى، بقوله: (أنا في سِنِّ آبائكم).

لقد انتصر الشعب الليبي على القذافي ونظامه؛ فكسّر المركزية، وجعل من نفسه المركز الأعلى الذي ستتشعّب منه المراكز الفرعية لتقديم الخدمات بإدارة ماهرة، قادرة على أن تلاحق المنتجين والعاملين في مواقعهم من أجل زيادة الإنتاج، وتحسين أحوال المواطنين تعليماً وصحيةً وضماناً اجتماعياً، مع وافر الجودة في الخدمات المقدّمة.

وعليه: إنّ أيّ إدارة مركز لا تراعي ذلك فلا تغضب إن وجدت يوماً ما إنَّ بعضاً من مواطنيها على حالة من حالات التطرُّف أو على كلّ الأحوال، ولا تنسى أن عقل الإنسان قوّة، وقراره قوّة، فإنّ نسيت كل ذلك أو تناست فعليها أن لا تنسى أنّ التطرُّف قد يصبح لدى البعض هو الحلّ، وعليها بقبول دفع الثّمن، ولكلٍّ ثمنه.

ولذا فالإدارة المركز (ينبغي أن تكون قوّة جذب لمواطنيها تجمع ولا تشتت، كالجاذبية التي جمعت شتات الأرض وحافظت عليه، والتي إن فقدت جاذبيتها فقدت وجودها. ومن هنا فمن يعتمد معالجة التطرّف بوسائل متطرّفة يُعدُّ متطرّفا بذاته، ولهذا إن غابت لغة (النحن) تسود لغة (الأنا) على حِسابها)[٥٠].

---

[٥٠] عقيل حسين عقيل، التطرف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٧٩ - ٨٤.

وعليه فإنّ لغة (النّحن) تُذيب الفوارق وتظهر معطيات التمركز على قاعدة (نحن معاً) وقاعدة (نحن سويّاً)، وتختفي لغة (أنا فقط)، و(أنت مغيَّب)، و(هو مُقصى) هذه الكلمات هي التي تُفرِّق بين الأنا والآخر، وتجعل كلّاً منهما يفكر بتطرُّف تجاه الآخر، دون أن يأسف أحد منهما على غيره إذا حلّت به طامّة من قِبل الذي تطرَّف بأسباب الإقصاء أو التغييب، التي يترتّب عليها احتكار الحكم في إدارة البلاد والتصرُّف في العباد وشؤونهم.

وهكذا كانت رسالتنا تنصّ على أنّ (من يحتكر التصرُّف في حقوق النّاس وثرواتهم لا يستغرب ولا يفاجئ إن واجهه التطرُّف بالشدّة والتشدُّد؛ ممّا يجعل الدماء ثمناً لإعادة قواعد المنطق (نحن معاً) (نحن سويا) (نحن إدارة المركز)[٥١].

وعندما تصل هذه الإدارة إلى هذا المستوي تسطيع أن تستنبط قوّتها من:

* قوّة العلائق وترابطها.
* قوّة المشاركة وحجمها.
* درجة التفاعل وتماسكها.
* قوّة التنظيم وتشريعاته.
* قوّة الدين وتسامحه.
* قوّة العرف وأصالته.
* قوّة القوانين وشفافيتها.
* قوّة الرؤية ووضوح حُجّتها الاستراتيجية[٥٢].

ولهذا عندما يرى (رأس السلطان الطّاغي) نفسه أنّه الأكبر، أو الأقوى على الجميع؛ فليعلم أنّه مهما قوي أمام توحَّد قوّة الجميع لن يظلّ إلّا الأضعف أمامهم، ولذا فالأفضل للجميع أن لا يكون من جنسهم

---

[٥١] المصدر السابق، ص ٩١ - ٩٣.

[٥٢] المصدر السابق، ص ٦٢.

أحد كبير ومتكبِّر عليهم، بل الأفضل لمن يرى نفسه أنّه الأكبر على قومه، أو شعبه، أن يعيد نظرته لنفسه ويقيِّمَ حاله، ثم يقوِّمها بقوّة النّاس التي وحدها تستطيع أن تجعله الأكبر مكانة بينهم، متى ما اعترف بأنّهم سادة وقدَّرهم بالفضائل والقيم التي قدّروه بها وجعلوا له مكانة بينهم ليكون بينهم الأمر شورى، وبكلّ شفافية وإرادة حرّة.

إن تمسُّك الأنا (من يكون هذا الأنا) بأنّه المركز وغيره هامش، وتمسُّك الهامش بأنّه صاحب الحقّ في أن يكون مركزاً على حساب الذي يجب أن يُهمَّش، إن هذه التشبّثات لن تؤدّي إلى حلّ إلّا إذا اعترف الجميع بأنّ مركز السلطة والنظام حقّ للجميع؛ ممّا يستوجب الالتقاء والتفاهم على إدارته بموضوعية، دون أن توزَّع الأدوار بما يجعل البعض ضحية ولو كان من الغافلين[٥٣].

ولذا فالتجاهل هو المؤدّي إلى إلغاء الآخرين وتحقيرهم، وتغييبهم عن ممارسة الحقوق التي بها تتحقّق المنافع المشتركة دون أن يتضرّر الغير، ومن لم يجد آذان صاغية تسمعه وتُسهم في توفير ما يُشبع حاجاته المتطوِّرة، ليس له بدّ إلّا أنّ يتطرَّف بعيداً ويتخنّدق لمقاتلة من كان سبباً في تهميشه، وإقصائه، وتحقيره، وتسفيهه، وتغييبه، وعدم الالتفات إليه ولو بطرفة عين[٥٤].

إذن تشبّث الأنا بما هو عليه، وتشبّث الآخر بما هو عليه، يجعل كلّاً منهما في حالة تطرُّف، حيث لا لين، ولا مرونة، ولا تقدير، ولا اعتراف بما يجب، ولذلك يصبح التساوي في التشبّث هو المؤجّج لنار التطرُّف في كلِّ صغيرة وكبيرة؛ ممّا يجعل المفاجئات الدموية مفجعة.

ومن لا يريد ان تتكرّر المفاجئات الدموية المفجعة؛ فعليه أن لا يستعلى على أحدٍ، ولا يسيطرة على أحدٍ، ولا يصدر إملاءات فوقية على أحدٍ، وأن لا يَقدِم على فعلٍ يؤدّي إلى التهميش، أو يحرم النّاس من

---

[٥٣] المصدر السابق، ص ٨٩.

[٥٤] المصدر السابق، ص ٨٩.

تبادل الآراء والعلوم والمعارف والخبرات، أو أن يقفل أبواب المشاركة بين من يتعلّق الأمر بهم، أو أن يقرّ توريث الحكم لأبنائه من بعده، أو أن يقدِّم قبيلته على أفراد وجماعات وقبائل الدولة وشعبها في القرى والمدن، أو أن يحتكر السلطة أو الثروة، أو أن يفرض رؤيته فرضاً، أو ان يخرج عن الدستور المقرّ من النّاس، أو أن يخرج عن دين النّاس وأعرافهم التي ارتضوها. ومن لم يقدّر ذلك تقديراً عالياً، ويقف دونه؛ فعليه بقبول المواجهة والتحدّي كما تحدّى الشعب الليبي معمّر القذافي إلى أن أسقطه من قمّة السلّم السلطاني أرضاً، دون أن يجد من يتأسّف عليه.

وهكذا كان الشّعب الليبي قوّة، وسيزداد قوّة إذا ما أندمج أفراده وجماعاته وقبائله وسكّان قراه ومدنه في وحدة وطنية لا تنفصم عُراها، وأن يتمكّنون من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمْل مسؤوليّاتهم، ويكون لسان حالهم (نحن سويّاً) و(نحن معاً)، وأن يتطلّعوا للآخرين وهم متهيّؤون لأحداث التغيير إلى ما هو أفضل وأحسن وأجود، وعندما تكون لهم صلاحيات واختصاصات، ويؤدّونها بمهارات متنوّعة.

ولأنّ أدوار الأفراد تتنوع؛ فهي الصانعة للتّاريخ بتوفّر الإرادة الحرّة، وعندما يستثمرون إمكاناتهم المادّية الاستثمار الأمثل، تمشياً مع كلِّ حلقة من حلقات التطوّر والتقدّم التقني والعلمي والحضاري، وعندما تُشبع حاجاتهم المتطوّرة، وعندما تسود العدالة قيمة بين الجميع، وعندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السلوك والفعل، وعندما تصبح الثروة ملكاً عاماً لأفراد الشّعب دون أيِّ حرمان من الملكية الحرّة والاستثمار الحرِّ، وعندما تلغى من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلّ كلّمات الإكراه والإجبار وأساليب الإقصاء والتغييب، وعندما تكون الثّروة قوّة تمكِّن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود، وعندما يكون التعليم قويّاً بما يحقِّقه من منجزات إضافية على قوّة أفراد الشّعب، وعندما يرتفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات؛ فالصحة

قوّة، والأفراد الذين يغفلون عن هذه القوّة يضعف مستوى أدائهم وإنتاجهم، ومتوسط أعمارهم. لذلك كلّما كانت قوّة الإنسان وصحته سليمة، تمكَّن من تجاوز الصّعاب، والتطلّع بدون تردُّد إلى الأمام، بما يحقّق أهدافاً، وينجز أغراضاً، ويبلغ غايات.

وإذا لم يتحقّق ذلك لا استغراب أن يصبح التطرُّف أحد المقررات التعليمية في المدارس الخاصة[٥٥].

---

[٥٥] عقيل حسين عقيل، التطرّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٤٧ - ٢٥٦.

التطرُّف السياسي

السياسة فن الإدارة العامّة بتفريعاتها في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، تُسطَّر لِما تشاء ولا تسير على الأسطر، تعتمد مرجعية ما، ولا تتمركز عليها؛ فعندما تكون قراراتها مؤسّسة على إظهار السيادة العامّة للأمّة أو للوطن أو للشّعب يكون بها نيل الاعتراف والتقدير والاحترام من العموم، وعندما يكون بغيرها تكون المواجهة مع العموم ذاته، ويصبح الأمر في مواجهةٍ بين فرضٍ يواجهه رفضٍ في علاقة متضادة. وتكون السياسة في هذه الحالة هي أوّل من زرع بذرة التطرّف في نفوس المواطنين، الذين جميعهم سيواجهون السياسة بفروقهم الفردية، إمَّا بالتطبيل والنفاق المتطرّفين، وإمَّا بالإفساد والتخريب المتطرّفين، وإمَّا بالتآمر والمقاتلة المتطرّفين، ممّا يدلُّ على أنّ الشكر المقدَّم للحاكم ليس بشكرٍ، ولا الحبّ الظاهر ليس بحبٍّ باطن، ولا التأييد له ليس بتأييد، فقط سيظل التصفيق هو التصفيق[٥٦].

ومن هنا إن لم يكن المواطن مركزاً في وطنه، لا يمكن له أن يكون مُصلحاً فيه، وعندما يُغيَّب المواطن عن المشاركة الدستورية، سيكون بطبيعة المواطنة الطبيعية متطرِّفاً، ولكن عندما يشارك بإرادة في إقرار كلّ أمر يتعلّق بمصير الوطن وحقّ المواطنة؛ فلن يجد دافعاً ولا محفَّزاً لأن يكون من المتطرِّفين. لذا فلا داعي لأن يصرّ الحاكم على التغييب الذي به تتحقق المآرب الشخصية على حساب المصالح العامّة للمواطنين، وقرارات الحاكم وإن نُفِّذت كرهاً، فلا تكون إلّا معطية من معطيات توليد الرّفض، وقبول التحدّي، ودفع الثّمن ولو كان موتاً، وعندما يصبح الأمر كذلك، ألا يكون الإكراه والإرغام والإجبار والإذلال بذور وضعت في بيئة صالحة لأن تنمو وتقطف ثمارها تطرُّفا[٥٧]؟

---

[٥٦] المصدر السابق، ص ٢٥١.

[٥٧] المصدر السابق ، ص ٢٥٣.

إنَّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم إن اكتسبت الضديّة تكون بلا شكّ أرضاً خِصبة للتطرُّف، ممّا يجعل البحث عن الحلّ يدور في دوامة نهايتها غير معروفة؛ فيتحول كلّ ما هو غير مشروع إلى مشروع، وهنا تبدأ المأساة التي تُفتِّت المجتمع وتجعل منه كيانات متعددة، وتخلق جماعات لم يكن لها أن تجتمع من قبل، وتظهر اتجاهات حديثة كُتب لها أن تظهر في هذه المرحلّة التي يسود فيها صوت الخلاص (نحن سوياً) (نحن معاً) من أجل واجبٍ تجاه الوطن وحقوق المواطنة.

إن البحث عن حلّ لا بدَّ أن يكون وفق صيغ توافقية تجمع المتفرق، وتلغي الحواجز، وتفتح آفاق الحوار المفضي إلى الإصلاح وصناعة المستقبل المشترك، المكبح لانتشار التطرُّف الذي بالوقوف على منابعه وتجفيفها بالحكمة يُقبر دون أن يجد من يتأسف عليه.

ومع أنَّ الأساليب السياسة في التعامل مع القضايا المختلفة تُرسِّخ سياسة (الترويض) والتهدئة، إلّا أنَّ ما يجري بأساليب تنفيذ قرارات الحكم على الآخرين في كثيرٍ من الأحيان لا يُعدّ كذلك، ممّا يجعل مبررات ظهور التطرّف مؤسّسة على الضرورة؛ فالسياسة لو كانت ودّاً بودٍّ لكانت العلاقات المترتبة عليها توافقاً وتكيفاً وانسجاماً، ولأنّها لدى البعض تطرُّفاً؛ فلا تكون العلاقة المترتِّبة عليها إلّا تطرُّفاً[٥٨].

والمتطرِّفون مع أنّهم يقعون تحت طائلة القانون إلّا أنَّ المتطرِّفين بالقانون لا قانون يلاحقهم سوى التطرُّف، وعندما يتبيَّن للمواطنين أنّ مصدر الفساد والإفساد والتغييب والإقصاء هو رأس هرم السلطة؛ فلن يحدِّدوا هدفاً سواه إلّا مَن تبنَّى تطرُّفاتهِ وعَمل بها، ولكن عندما يتبيَّن المتطرِّفون أنّ المفسِدَ ليس المركز؛ فلن يتجهوا إليه تطرُّفاً، بل يتجهون تطرُّفاً إلى تلك الأدوات المتطرِّفة في تنفيذ ما ليس هو بحقٍّ.

---

[٥٨] المصدر السابق، ص ٢٥٤.

فالطغاة هم الذين سيسيطرون بالإدارة الظالمة المتطرّفة، ولكن في النهاية دائماً الطغاة يُهزمون، والزمن دائماً كفيل بترويضهم، ومع أنّهم الطغاة بالقوّة إلّا أنَّ الخوف دائما يملؤ أنفسهم مع أنّهم يجحدون، ولكن إلى متى سيجحدون وغطاء الوجه لابدَّ له من أن ينكشف[٥٩]!

ولأنَّ الطغاة هم على رأس هرم المتطرّفين؛ فالخارجون عنهم لن تكون لهم مواجهة معهم إلّا على رأس الهرم ذاته، فالتّاريخ الذي سجّل في طيات سجلّاته أنّ طغاة قد سادوا بالقوّة كرها على النّاس، سجّل نهاياتهم في قمامة التّاريخ ذاته، وفي المقابل سجّل لأصحاب الفضائل والقيم الخيّرة والحميدة منهم تاريخاً لا تُستمدّ العبر إلا منه[٦٠]. هذه الرّسالة طبعت ونشرت وزين العابدين بن علي لازال على قيد الحكم في تونس، وحسني مبارك على قيد الحكم في مصر، والقذافي على قيد الحكم في ليبيا، وعلي عبد الله صالح على قيد الحكم في اليمن، وها هي رؤيتنا قد صدقت عليهم جميعاً وستكون كذلك صادقة على غيرهم من الطغاة.

---

[٥٩] المصدر السابق، ص ٢٥٤.

[٦٠] المصدر السابق ص ٢٥٤.

الرِّسالة الرّابعة

الخوف
وآفاق المستقبل

الخوف

يخلِّص من الخوف

أُلّف هذا الكتاب في العام ٢٠١٠م، وأحيل إلى بيروت للطباعة والنشر يوم ٢٠١١/٢/١١م مع مجموعة من المؤلّفات الأخرى؛ فبعد أن تناولت موضوع الخوف بالبحث والتحليل، تمكّنت من الوقوف على نتائج موضوعية تثبت أنَّ الخوف ليس بسالبٍ، وذلك لأنّ الخوف يؤدّي دائماً إلى بلوغ الحلّ، وبدونه تسود التأزُّمات بين خائفٍ ومخيف.

ثمّ عرفت أنَّ الخوف وحده يُخلّص من الخوف؛ فخوف العبد من الله يُخلّص العبد من خوف العبيد.

وهكذا فالخوف لا يخيف، بل الذي يخيف هو من يمتلك القوّة المخيفة؛ فلا يقف عند حدّه، ممّا يستوجب التدبّر والحذر والحيطة عند اتقاء المخاطر كي لا تلد الأزمة تأزُّمات جديدة. ومن هنا فمن خاف سلم، ومن لم يخفْ تعرّض للمخاطر والتهلكة. ومن أراد أنْ يقضي على الخوف فعليه بمخافة الله؛ فيتجنّب ارتكاب المظالم والمفاسد وسفك الدماء في الأرض بغير حقّ، وأنْ يتقدَّم مشاركاً في إصلاحها وإعمارها قيماً وفضائلاً[٦١].

ولأنَّ الخوف من الله يُحرّر العبيد من العبيد، لذا فكلّ شيء تخافه تهرب منه إلّا الواحد الأحد فإنَّ من خافه فرّ منه إليه؛ فيهرب من سخطه إلى رضوانه، ومن وعيده إلى وعده؛ فلا ملجأ ولا مَنجى منه إلّا إليه[٦٢].

إذن من يخاف الله يتّقيه في القول والفعل والعمل والسلوك، حتى لا يكون ظالماً ولا طاغياً كما هو حال الطغاة الذين حكموا البلاد والعباد دون مخافة الله؛ فافسدوا في الأرض، وذلك بإيقادهم نران الفتن وتزوير الحقائق، وسلب السلطة من أصحابها من أجل أن تورّث لأبنائهم من بعدهم، والتصرّف بغير

---

[٦١] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٦.

[٦٢] ناصر الزهراني، الله أهل الثناء والمجد، ص ٦٨١.

حقّ في اقتصاد الدولة حتى أصبح الشعب محروماً من خيرات بلاده كما هو حال الليبيين أعوام حكم القذافي، الذي زجّ بآلاف الليبيين في السجون، وقطع رقاب الكثير من الأبرياء، وهكذا كما قوّض القذافي التعليم والصحة في ليبيا، قوّض القيم الحميدة والفضائل الخيّرة المستمدّة من الدّين القيّم والعرف الحميد؛ فأصبحت الأخلاق غير الأخلاق، وأصبحت الظنون والشكوك قضايا بين النّاس. حتى تولّد المنقذ (الخوف) في الوطن وترعرع في نفوس المواطنين؛ فكان هو (المولود) الذي ثار على الجبن حتى قهر الطّغاة. وبذلك لم يعد هناك مكان لفرض الرؤية الواحدة والقبيلة الواحدة ولا مكان للتوريث، ولا مكان للإقصاء والتغييب والتحقير والتعذيب، كلّ شيء في مرضاة الناس على البلاطة ولا شيء لإكراههم؛ فزمن العسكر قد ولى كما ولى عهد موسليني والفاشية والماركسية، ومعمّر القذافي، وبدأ يظهر في الآفاق عصر النّاس سواسية أمام القانون كما هم سواسية أمام الله[٦٣].

وعليه إن ظنّ المخيف الذي يمتلك القوّة، ليُخيف بها الضعفاء (أصحاب الحقوق) أنَّ الخائف سينسى ويصمت على ما يلمّ به، ومن قبله ألمَّ بآبائه وأجداده من مآسٍ وآلام، بأسباب الحرمان والتغييب والإقصاء؛ فهو مخطئ، وسيكتشف يوماً أنَّ الجروح الدامية لا يكفّ نزيفها إلّا بالإصلاح والتعويض المرضي للذين ظُلموا، وإلّا لا مفرّ من قطع رأس من ظلم الأبرياء. وهنا تنتهي مقولة: (الخوف دائماً يجعل من الخائف مستسلماً للمخيف) لتحلّ محلّها مقولة: (من تمتلئ نفسه بالخوف ليس له بدّ إلّا الثورة على مصدر خوفه)[٦٤].

إذن العلاقة بين الخائف والمخيف علاقة لا ثقة تسندها، بل الذي يسندها بوضوح هو العمل على كسب الوقت؛ فالزمن بالنسبة للخائف كفيل بترّويض الطغاة، وكفيل برمي الخوف في تاريخ النسيان، وكفيل بامتلاك القوّة

---

[٦٣] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٢٨٨.

[٦٤] المصدر السابق، ص ٢٦٩.

لمن يسعى لامتلاكها، وكفيل بتغيير الأحوال من الغفلة إلى الفطنة والصحوة، وكفيل باسترجاع الحقوق، وكفيل بالقضاء على الجُبن، وكفيل بإلحاق الانتقام من الذين يظلمون مصداقاً لقوله تعالى: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[٦٥].

ولأنَّ الخائف المدرك للأمر يعلم جيداً أنَّ الخوف مؤقّت؛ فهو لم يكن متسرّعاً ولا مستعجلاً، بل لثقته بأنَّ اليد التي امتدّت عليه ولا يستطع قطعها ليس له من بدٍّ إلّا أن يُقبِّلها إلى أن يستطيع، وعندما يستطيع عُدّة وقدرة واستعداداً سيكون الإعلان عن ذلك بالنسبة له ضرورة، وستكون المعادلة الجديدة مؤسّسة على ردِّ الاعتبار ونيل الاعتراف من الآخر الذي كان غافلاً عن حقيقة من أخافه ظلماً، وإن لم تكن الاستجابة المرضيّة ستكون المواجهة معه حتميّة[٦٦]. وهذا بالتمام قد حدث مع القذافي.

وعليه فإنَّ الإخافة لا تولِّد خائفين، بل تولّد المتمرِّدين والغاضبين والثائرين، ولهذا عمر الظالمين قصير؛ فلا يخيف، بل الذي يخيف أن يغفل الخائف ولا يَعدَّ العُدّة المرهبة للمخيف.

ومن هنا فإنَّ مقولة الخائف والمخيف هي استثناء وليست قاعدة؛ فالقاعدة هي: (تبادل الثقة طمأنة)، ولذا تبقى القاعدة ويتغيّر الاستثناء الذي يفترض أنَّ الإخافة لا تولّد إلّا خائفين مستسلمين، ولم يفترض أنَّها ستولِّد متمرِّدين متأهّبين للردِّ والدفاع عن النفس وما تملكه من قيم حميدة، بها تُدفع إلى الدِّفاع عن الشّرف، وعن الدين والوطن، ممّا يجعلها قادرة على إيقاع أكبر الضرر بالمخيف إن لم يقبل بالوقوف عند حدّه[٦٧].

---

[٦٥] إبراهيم ٤٧.

[٦٦] المصدر السابق، ص ٢٧٠.

[٦٧] المصدر السابق، ص ٢٧١.

ولذا فعلى الذين يعتقدون أنَّ التخويف هو الحلّ، عليهم أن يعرفوا أنّ الخائف سيظل دائماً متربِّصاً بالمخيف يُقبِّل يديه إلى أن يتمكَّن من قطعهما. لذلك فإنَّ ثورات الربيع العربي هي نتاج ثمرة من ثمار الخوف.

وعليه: لم تكن نظرية الإخافة ولن تكون حلّاً، بل إنّها نظريّة لاشتداد التأزُّمات، وإن لم يُنزع التخويف من عقل المخيف؛ فلن يُنزع من ذهن الخائف تقبيل اليدين من أجل أن تقطعا[٦٨].

ولسائل أن يسأل:

من هو الخائف؟

أقول:

الخائف هو من يعرف أنَّ كفّة النزاع والصدام مع الغير الظالم غير متكافئة ولا متماثلة ولا متطابقة، وفي مقابل ذلك قد يقبل بتقديم التنازلات إلى حدٍّ معينٍ، ولكنّه لا يستطيع أن يقدّمها إلى النهايّة، وذلك لأنَّه خائف على أسرته إن كانت له أسرة، أو خائف على شرفه وعِرضه، أو خائف أن يُقتل بدون ثمن، أو أنّه خائف على دينه ووطنه، أو أنّه خائف على ممتلكاته، وغيرها كثير، ولهذا فهو لم يكن خائفاً من أجل الخوف، بل هو خائف لأنّه لم يمتلك القوّة بعد، ولهذا تقديم التنازلات هي علامة لكسب الوقت الذي به يتمّ امتلاك القوّة التي بها يُدمغ الباطل ويُزهق، وإلى ذلك الحين سيظل الخوف سائداً في السلوك الظاهر، والكره سائداً في العقل الباطن، كما هو حال الليبيين الذين كانوا في زمن القذافي يسيرون إليه في مسيراتهم نهاراً ويشتمونه ليلاً كلّما التقوا في مرابيعهم ومناسباتهم، إلى أن سنحت لهم الفرصة التي بها استمدوا القوّة فقهروه إلى الأبد.

إذن فمن هو المخيف؟

نقول:

---

[٦٨] المصدر السابق، ص ٢٧١.

المخيف هو الذي يعتقد أنّ الخائف قادر على تقديم التنازلات إليه بلا نهاية، ولهذا قد يستمر في الضغوط عليه من أجل نيل المزيد من التنازلات كما يعتقد، إلّا أنَّ الاستمرار في هذا الأمر الظالم هو الذي يقوّي العلاقة بين الخوف والخائف حتى يصبحا صديقا يألف أحدهما الآخر بعضهما بعضاً، أي: يصبح (الخوف مصادقاً للخائف) وعندما يصبح الخوف صديقاً للخائف بعدها لن يُعَد الخوف مخيفاً لمن كان خائفاً، ولهذا يتمّ التحفّز إلى رفع الصوت الخافت إلى صوتٍ جهورٍ خالٍ من التلعثم، مع فائق الوعي والإدراك بقبول ما يترتّب عليه من أفعال، (سالبة أو موجبة) خاصة إذا عرف الخائف أنَّ قبول الموت بالقوّة هو المنقذ له من الخوف والموت معاً.

إذن المخيف هو من لا يتَّقِ الحقّ في الآخرين وما يتعلّق بهم من أمر، أي هو من يعرف الحقّ ولكنَّه لا يعترف به؛ فيتطاول ويعتدي على حقوق الآخرين بالقوّة وهم ضعفاء[٦٩].

وفي هذا الأمر يقول جيمس ماتيل الذي كان رئيساً لطاقم الموظفين بمكتب الخارجية الأمريكية للمحاسبة والشفافية ببغداد (الخوفُ هو الخيط المشترك الذي يَنْسجُ الحركاتَ السياسيةَ العَنيفةَ سوية، هو لَيسَ الحافز الوحيد وراء العنفَ السياسيَ، ولا بالضرورة الأكثر وضوحاً، لَكنَّه عملياً دائماً هناك. حينما نَسْألُ لماذا يَكْره الناسَ، أَو لِماذا هم راغبون في القَتْل أَو الموت من أجل قضية ما، الجواب دائماً .... الخوف).

إذن الخوف هو نتاج أمور منها: الإلغاء والتحقير والتهميش أو التسفيه أو التغييب أو احتلال البلدان والأوطان والاعتداء على أعراض الذين لم يمتلكوا القوّة، أو على معتقدهم الديني، الأمر الذي يفضي إلى التفكير بالتخلّص من مصدر التهديد بكلّ الوسائل الممكنة في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع[٧٠].

---

[٦٩] المصدر السابق، ص ٢١٧، ٢١٨.

[٧٠] المصدر السابق، ص ٢٧٤.

الرّسالة الرّابعة

خريف السّلطان

الرّحيل

المتوقّع وغير المتوقّع

خلال الثّورة التونسية (الثّورة البركان) والثّورة المصرية (الثّورة الصامدة) الّفت كتاباً عن الثورتين العظيمتين بعنوان: خريف السّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) يحتوي هذا الكتاب على تلك المظالم التي ارتكبها الطّغاة في تونس ومصر والتي ترتكب من بقية الطغاة في الوطن العربي والعالم كافّة، انهيت تأليف هذا الكتاب يوم ٢٠١١/٢/١١م وأحلته في ذات اليوم إلى الطباعة والنشر؛ فطبع ونشر في بيروت، ومع أنَّ علاقات التعامل التجاري والتعاون مع الأشقاء في لبنان تكاد تكون منعدمة بأسباب على رأسها قتل القذافي للإمام موسى الصدر، إلّا أنَّ أوّل نسخة تجريبية من هذا المؤلّف قد وصلت إلى أيدي القذافي وابنه سيف قبل أن تصلني.

اتصل بي الدكتور احميده السنوسي ليعرف أين أنا، وجاءني على الفور إلى منزلي وهو يقول بنفسٍ هادئة ومحبّة: الجماعة محتجّين عليك؛ فقلت من هم الجماعة؟

قال: سيف ولا أدري من وراءه.

لماذا؟

قال: إنّك ألّفت كتاباً بعنوان خريف السلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) وهم يقولون إنّك تقصدهم بقولك في الكتاب ممّا كتبت (لن يكون بعد اليوم غير المتوقّع غير متوقّعٍ)

قلت هل في ذلك شكّ؟ ثمّ قلت: ألا تعلم بأنّني أنهيت تأليفه يوم ٢٠١١/٢/١١م

قال نعم.

وكيف علمت؟

أجاب كان هذا التاريخ مكتوباً على المقدّمة، وذلك لأنّ الدكتور احميده يعرف أنّني لا أكتب مقدّمة لمؤلِّفٍ أكتبه إلّا بعد الانتهاء من تأليفه، وبالتحديد يوم إرساله للطباعة.

فقلت إذن الأمر واضح.

قال: ولكن هات من يفهم.

قلت: يا دكتور احميده سامحني من يقرّر أن يركب ظهر البعير فلا داعي لأن يطأطئ رأسه، هذا الكتاب طبع ونشر فأنا لا يمكن لي أن أنكر ما كتبته، ولا ينبغي لي أن أكون مع الطّغاة.

قال معك الحقّ، ولكن هؤلاء النّاس لا يقدِّرون أحداً؛ فانتبه، الأمر ليس هيناً.

قلت: إنَّ نضال الشعوب من أجل بلوغ الأفضل لم ينتهِ ولن ينتهي عبر التاريخ حتّى بلوغه، ليكون من بعده نضال آخر، فنضال الشعوب أوّلاً نيل الحريّة، سواء أكانت من المستعمرين، أم أنّها كانت من الذين يتربَّعون على قمّة سُلّم السلطان عنوة، والنضال المترتّب ثانياً هو العمل على إحداث النُقلة بالجميع من أجل حقوق تمارس عن إرادة وواجبات تؤدّى ومسؤوليات تُحمْل.

قرونٌ عديدة والشعوب في أوطان التكميم ترزح تحت وطأة المكمِّم بالقوّة الاستعماريّة، أو الإكراهيّة من قِبل قمّة سُلّم السّلطان وأعوانه، ومع ذلك لم تتوقّف المقاومة يوماً واحداً وإن تنوّعت صُورها وأساليبها؛ فكانت المقاومة والمواجهة بقيادة الزعماء والأبطال والمرشدين الذين أفرزتهم الظروف التي جعلتهم على المواقف المشرّفة، ثمَّ تلاها نضال ومقاومة من قِبل القادة والزعماء والمرشدين الذين أفرزتهم التنظيمات

العقائديّة فكراً وسياسة، فكانت التضحيّة من أجل الآخرين هي العنوان السائد.

أمّا اليوم فالعنوان قد تغيّر؛ فأصبح: (مسؤولية الجميع من أجل الجميع)، ولهذا لم يعدّ الجميع في حاجة لمن ينوب عنهم برؤية محدودة في مقاومة المستعمر أو مقاومة الظلم والفساد، وذلك لقصور تلك الرؤى المحدودة عن تحقيق غاياتها التي ثَبُت أنّها غير كافية لوحدها لإزاحة الطغاة وتخليص الشعوب من قبضة الظلم.

فظهر غير المتوقّع في تونس ومصر مفاجأ لمن ساد على قمّة سلّم السلطان، بأنَّ الشعب كلّ الشعب سيلتقي غداً في الميادين والسّاحات العامّة؛ فالتقى الشعب دون أن تقوده زعامات ولا مرشدين إصلاحيين ولا غيرهم، بل الشعب كلّ الشعب في يومٍ واحد التقى وقرّر رحيل الطاغيّة؛ فكان الرّحيل.

ولأنَّ دائرة الممكن تحتوي المتوقّع وغير المتوقّع سالبه وموجبه؛ فهي تُثبِتُ أنَّ الأمر بما أنَّه لم يكن مستحيلاً فهو ممكن، ولهذا عندما يتحقّق المتوقّع فلا يكون الاستغراب، ولكن عندما يتحقّق غير المتوقّع تكون المفاجأة والاستغراب لمن لم يحسب لغير المتوقِّع حِساب، ولذا فالمتوقّع هو استقراء وفق حسابات ومعطيات ومؤشّرات. أمّا غير المتوقّع فهو المتاح لمن لم يضعه في خانة الاستثناء.

ولأنَّ لكلّ شيء بداية ونهاية؛ فمن فكّر في زمن البداية لابدّ له أنْ يُفكِّر متيقّناً بضرورة النهاية، ممّا يجعل البعض يهتدون ويُرشدون للتي هي أحسن وأقوم، ولكن في مقابل ذلك يُلاحظ أنَّ غيرهم لا يلتفتون لمثل هذا الأمر، كما هو حال من اعتلى قمّة سلّم السلطان بغير حقّ، ولم يتّعظ بقيمة واحدة أو فضيلة واحدة ترشد للتفكّر والتذكّر والتدبّر التي من خلالها يتمّ التمكّن من معرفة المتوقّع وغير المتوقّع، الذي بمعرفته

يتمكّن الإنسان من الانتهاء عمّا يُفسد ويُقدم على ما يؤدّي إلى الإصلاح.

ولذا فالسلطان في زمن خريفه لا يُميِّز بين حقٍّ وباطلٍ، ولأنَّه كذلك؛ فلا يمكن له أنْ يكون قمّة؛ فحمْل الأمانة ليس بالأمر الهين، إنَّها عبء ومسؤولية لا يمكن لأحدٍ حملها كاملة، فالمشاركة فيها من قِبل الذين يتعلّق الأمر بهم هي الحقّ الذي يجب أنْ يُحقّ، وإنْ استمسك أحد بغير ذلك كرهاً؛ فعليه بقبول دفع الثمن كرهاً من الشعب في الزمن غير المتوقّع[٧١].

"ومع أنَّ نظريّة المتوقّع وغير المتوقّع سبق التطرّق لها في مؤلفنا (خماسي تحليل القيم) إلّا أنَّ ولادة هذا المؤلف كانت متزامنة مع ولادة ثورة ١٤ يناير ٢٠١١م، الثورة الشعبية التاريخية التي بدأت خطوتها الأولى من مدينة سيدي بوزيد بتونس الخضراء، فتظاهر هذا المؤلف هناك مع المتظاهرين، وانتقل معهم من مدينة جميلة إلى مدينة أجمل، حتّى رحل الطاغيّة، ثمَّ سافر مع الفكرة إلى مصر العزيزة فنزل مع الثوّار المصريين حيثما نزلوا، وتحرّك معهم أبطالاً في ميادين الحرّية والشهادة إلى أن شهد على رحيل الطّاغية، ثمَّ وقف يتأمّل في أوطان التكميم وهو يقول في نفسه لن يكون غير المتوقّع بعد اليوم غير متوقّعٍ"[٧٢].

وعليه: فإنّ ما جرى في تونس ومصر كان بالنسبة لي متوقّعا بالتّمام لنظام معمر القذافي.

---

[٧١] عقيل حسين عقيل، خريف السُّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٥ ـ ٨.

[٧٢] المصدر السابق، ص ٩.

ثورة

ربيع النّاس

بدون شكّ الثورة الشعبية التونسية والمصرية والليبية واليمنية والسورية هي ثورات قمّة ما بعدها قمّة، وهكذا سيكون حال من يأتي من بعهدها ثائراً على أنظمة الفساد من خلال التنظيم الذاتي الافتراضي، ولهذا لا تقارب في المقارنة بين تلك الأدوات والتنظيمات السياسية التي كانت تناضل في ظروف صعبة للغاية، وتقبل أنْ تكون شعاراتها مقبولة لحدٍ ما عند قمّة سلّم السلطان، أو أنّها تناضل من أجل لفت أنظار أجهزته الحكومية إلى إصلاح جزئي ولو كان يسيراً، ولكن ما جاء به غير المتوقّع من مفاجآت، أسهم في إنجاز المهمّة التي ضحّت أجيال وناضلت من أجلها ولم تتمكّن من بلوغها ،كما هي متحقّقة بين أيدي الشّعب التونسي والشّعب المصري والشّعب الليبي.

وعليه أقول:

إنّ زمن المطالبة بالإصلاح قد ولّى وانهزم أمام زمن الحلّ (زمن ربيع النّاس) الذي فيه قَبِلَ الجميع بدفع الثّمن من أجل حرّية الجميع دون استثناءات.

ولذا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع فأنَّ كلّ الثورات الشّعبية ذات التنظيم الافتراضي الآتية من بعد الثورة الشعبية في تونس ومصر وليبيا لن تكون آتية من أجل الإصلاح، بل لابدّ أنْ تكون آتية من أجل الحلّ؛ ذلك لأنَّ زمن الإصلاح قد ولّى مع زمن التنظيمات الحزبية ومطالبها المحدودة، وسيكون الرّحيل للطغاة حياة أو موتاً، وستكون الشعوب خير منفّذ وخير شاهدٍ على نجاح الثورات الشّعبية التي بدأت في الوطن العربي.

إذن فإنَّ ما جرى وما سيجري من ثورات منظّمة في ميادين التحرير وميادين الشهداء، لا يُعدّ موجة من موجات التغيير، بل يُعدّ تاريخاً

بحاله؛ فموجات التغيير يمكن تفاديها، ويمكن القفز عليها، ويمكن تحويل مسارها، وتغيير اتجاهها، ولكن ولادة التّاريخ لا يقدر عليها إلّا صنَّاع التّاريخ.

القذافي

لم يتّعظ والمنتفعون يتخلّون

في حديثي مع الدكتور احميده السنوسي: قلت:

ألم يرَ معمّر القذافي كيف يتساقط أمامه الطغاة في تونس ومصر؟

ألم يرَ بأمّ عينه كيف تتخلّق الثورة الشعبية في ميادين وساحات ليبيا كما تخلّقت بالتمام في ساحات وميادين تونس ومصر؟

ألم يسمع أصوات النّاس تنادي برحيله كما نادت برحيل زين العابدين بن علي وحسني مبارك؟

إنّ ما جرى في تونس ومصر لا محالة أنّه سيأتي إلى هنا؛ فليرحل القذافي بإرادة، وإلّا سيتم ترحيله وترحيل من يتمسّك به بالقوّة، وإن لم يرحلوا ستكون دماء الليبيين فداء لليبية.

ولذلك كتبت في مؤلفنا خريف السّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) لن يكون بعد اليوم غير المتوقّع غير متوقّع.

ولأنَّ هذا المؤلّف كان المستهدف من وراء نشره إيصال رسالة إلى القذافي بأن يرحل عن إرادة خيراً من أن يُرحّل كرهاً؛ فمع أنّه اطّلع على الكتاب إلّا أنّه لم يتّعظ؛ فاكتفى بإبلاغ مؤلفه أنّه علم بالأمر، وينذره من أيّ تمادٍ من بعده؛ ومع ذلك كان مصيره أسوأ بكثير من مصير أخويه (زين العابدين بن علي وحسني مبارك) الذي حاول بكل جهده أن يجذبهما من الغرق المدفوعان إليه بقوّة غضب الشعب التونسي والشعب المصري، إلّا أنّه قد فشل بشدّة جذبهما إليه حتى أصبح تحتهما في قاع المحيط حيث الظلمة القاتمة التي لا تمكّن أحداً من رؤية جثمانه.

ولذا فالطغاة دائماً لا يرون الشّعوب إلّا أعداء يستوجب إقصائهم كلّما سنحت الفرصة لهم؛ فلا توجد في قواميسهم كلمة (الثّقة في الآخرين)، ومن يعتقد أنّه محلّ ثقة؛ فهو من الغافلين؛ فالطغاة دائماً لا يثقون إلّا

في أنفسهم، وشهادة السيد بشير صالح خير دليل على أنموذج من أولئك الطغاة الذين على رأسهم معمّر القذافي، الذي قال عنه بشير صالح (قلمه الرئيس)، أنّه بشكلٍ عام لا يثق في أحدٍ، وبشكلٍ خاص لا يثق في ثلاثة، حتى وإن رآهم من راء أنّهم من المقرّبين منه، وهم:
أوّلاً: لا يأمن القذاذفة. فهو لا يثق فيهم، ولا يحبّهم يمتلكون المال، ويخاف منهم أن ينقلبوا عليه.
ثانيا: إنّه لا يثق في الحاج علي الدبيبة المصراتي والمال؛ فهوى يراه رأس من الرؤوس التي لا ثقة فيها، وبالتالي فهوى تحت المجهر.
ثالثاً: عبد الله السنوسي والمقارحة، يعتبرهم خطر على سلطته؛ فهم من وجهة نظره قادرون على إلحاق الضرر به، وبالتالي هادئهم، ولذا فكلّ هؤلاء الذين يخشاهم يعمل بهم ما يشاء، ولا يتركهم يستقلون عنه حتى لا يكون الثّمن بالنسبة إليه غالياً.
ولأنّ الغافلين دائماً يدفعون الثّمن مرّتين، لذا فلا استغراب أن سارع البعض إلى استبدال البعض الآخر إذا ما تأزّمت الأمور؛ فعلى الصعيد السياسي يتّضح هذا الأمر بصفة خاصّة عند بعض المقرّبين والموالين للحاكم؛ فمثل هؤلاء إذا ما عرفوا أنَّ الحاكم أو النظام الذي يوالونه أصبح معرّضاً للسقوط؛ يسارعون بالتخلّي عنه قبل موعد سقوطه، ويتمّ القبول باستبداله حتّى لا يتعرّضون للمسائلة على ما فعلوا في عهده من مفاسد وجرائم من خلال الأساليب الاستبدالية الآتية.
أوّلاً: أنْ تنسحب مجموعة من العناصر التي كانت توالي النظام من ميادين المواجهة، ثمَّ تهرب إلى الخارج تحت غطاء الهجرة، وطلب اللجوء السياسي، قبل أن يزداد عدد اللاجئين والمهاجرين وتصعب الأمور؛ فهؤلاء الحذّاق والمنافقين كما تسابقوا على اغتنام الفرص وأخذ المغانم والفوز بالمكاسب، هم الحذّاق والمنافقون أنفسهم الذين يتسارعون إلى

الهروب من أجل المحافظة على تلك المكاسب لأجل سلامتهم وسلامتها من المخاطر المتوقّعة وغير المتوقّعة في دائرة الممكن[٧٣].

ثانياً: الانسحاب من المنظومة الحاكمة، والتطلّع إلى الثائرين على تلك المنظومة، ليكونوا بديلاً للسّابق مع وافر المنافقة والمبالغة في إظهار المواقف المزيّفة، في القول والعمل والسلوك، وذلك لأجل الاستمرار في نيل المزيد من المغانم والمكاسب كما كانوا يفعلون، ولذا فمثل هؤلاء دائماً همّ يتقلّبون، ولكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع فإنَّ لكلّ قاعدة شواذ، فبعض الذين انتموا أو عملوا تحت مظلته، ثمَّ لم يقبلوا ارتكاب الممارسات السلوكية التي لا تليق بأخلاق المواطنة الكريمة، ولم يناصروا ذلك الحاكم على ظلمٍ وباطلٍ؛ فحافظوا على مكارم أخلاقهم، وقيم مجتمعهم الحميدة، وفضائلهم الخيّرة، ثم انسحبوا هدوءاً كي لا يتعرّضوا للمخاطر من قِبل ذلك الحاكم الظالم كما كان في تونس في عهد (زين العابدين بن علي وحسني مبارك)؛ فإنَّ انضمامهم إرادة للثائرين وأخذهم بديلاً لهم من ذلك الظالم لا يعدّ منقصة يمكن أن يشار إليهم بها؛ فهؤلاء ومن على مثلهم مواطنون لهم أنْ يمارسوا حقوقهم، ويؤدّون واجباتهم، ويحملون مسؤولياتهم مواطنين أحرار كغيرهم من بني وطنهم المتحرّر بإرادة الثورة[٧٤].

ثالثاً: أن يعمل المواطن مسؤولاً على أيِّ درجة من درجات السلّم الوظيفي دون أن ينافق أو يسرق أو يزيّف الحقائق أو يظلم ويفسد، ثمّ إذا عرف أنَّ انحرافات بدأت تظهر من قِبل ذلك الحاكم الذي هو أحد أعضاء حكومته؛ فليس له بدٌّ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع إلّا العمل من أجل البديل الموضوعي.

ولذا فالبديل يمكن أن يكون شرعيّاً ويمكن أن لا يكون؛ فذلك الذي كان قريباً مقرّباً لقريبه وهو على قمّة سُلّم السلطان، وعمل ما في وسعه

---

[٧٣] المصدر السابق، ص ١١٠.

[٧٤] المصدر السابق، ص ١١١.

من أجل نيل المكاسب والمغانم وارتكاب المظالم، ثمَّ أسرع بأخذ البديل الأوّل فلا ثقة فيه مع أيِّ بديل يُتّخذ وإنْ تلوّن بجميع ألوان القيم[٧٥].

وفي حالة الحرب أو ظهور الاضطرابات أو المواجهة؛ فإنَّ للمنتفع رؤية تميل إلى الاتجاه الأكثر سلامةً وأمناً، أي في اتجاه الابتعاد عن كلّ ما يقرّب من الخطوط الساخنة (تجنّباً للوقوع في المخاطر) وذلك من أجل السّلامة وجني المنفعة. وهنا يكون الميل المتوقّع من أولئك النفعيين مع النظام المتّجه إلى الهاوية من أجل البقاء المشترك أو الفناء المشترك، والمناصرة قد تكون متكئة على مبررات المنفعة المشترك، أو رابطة العصبيّة، أو الإحساس بالخطر الآتي من الآخرين، الذين لا يفرّقون بين رأس النظام وأعوانه على مختلف درجات سّلّم السلطان، وفي دائرة الممكن أيضاً هذا الأمر يجعل البعض يفكّر مرّتين بين الاستسلام تفادياً لمزيد من سفك الدماء بغير حقّ، أو أن يقبل دفع الثّمن مرّتين (الخسران في الدارين)، ولذا في مثل هذه الحالة فإنَّ أنظار النفعيين لا تتجاوز أقدامهم؛ فالنفعيون إن تعرّض النظام الذي ينتمون إليه لضائقة، أو تعرّض للانهيار تركوه، وهم في هذه الحالة على احتمالين:

١ . أنَّهم مضطرون للتخلّي عنه من أجل الحفاظ على ما اختلسوه من ثروة الشّعب؛ فيفرّوا مسرعين بما كسبوا هروباً لتلك البلدان التي سبق لهم أن هاجروا إليها باعتبارها بديلاً بالنسبة إليهم عند كلّ شدّة، خاصة إذا لم ينسفوا جسور العودة بمحافظتهم على علاقات هناك في ذلك الوطن الآخر، ففتحوا التجارة معه، وامتلكوا العقارات؛ ممّا جعلهم على حالة من ازدواج الهويّة والانتماء، وازدواج الوثائق الشخصية التي تُثبت وجودهم مواطنين أينما حلّوا، ولذا فكلّ نفعي لن يموت من أجل الوطن وكرامة الوطن، والوطن الذي يعبأ على مثل هؤلاء، لا يفاجأ إذا واجهه ما واجهه من مخاطر في دائرة غير المتوقّع.

---

[٧٥] المصدر السابق، ص ١١١.

٢ . إنّهم مضطرون للتخلّي عنه وذلك لمعرفتهم أنَّ النظام آيلاً للسّقوط فيستبدلونه بالآخر لعلّهم يسلمون بما كسبوا بغير حقّ.

أمَّا الاضطرار الموضوعي، هو ذلك الاضطرار الذي لا يكون إلّا من أجل النجاة من أفعال الظلم، التي قد تلحقهم من الذين تمتلئ أنفسهم غضباً على ذلك الحاكم ونظامه الفاسد؛ فهؤلاء مضطرون حالهم كحال من كان في مخمصة فلا يلقي بنفسه إلى التهلكة، مصداقاً لقوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٧٦]، وقوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٧٧].

وبالنسبة للذي تمّ إكراهه وقهره بالقوّة على القول أو الفعل أو العمل أو السلوك الذي ليس بحقٍّ؛ فالبديل بالنسبة له هو المخلّص من المظالم والمكائد والمكر والقسر، وهو المنقذ من التأزُّمات والشدائد.

ولذا فإنَّ منطق الثورات الشعبية العربية لقد تأسّس على قاعدة: (إرحل عن إرادة وإمَّا سترحّل قسراً)؛ فكان رحيل الطغاة من تونس ومصر وليبيا كرهاً لكلٍ منهم، ولكن لكلّ نهاياته الخاصّة به، ممّا جعل كلّاً منهم آية لمن خلفه.

وعليه: فالأقارب كلّ الأقارب كلّما قُرِّبوا من ممارسة السلطة عجّلوا بإسقاط النظام؛ فهم مع أنَّهم أقارب إلّا أنّهم لا ينظرون لحاكمهم بمنظور الحاكم كما ينظر إليه الآخرون من الأباعد؛ فهم ينظرون إليه أوّلاً: أنّه أبن فلان من أقاربهم، ثمَّ بعد ذلك لعلّهم ينظرون إليه حاكماً، ومن هنا يتمّ النفاق بأسباب بقائه مصلحةً وليس بقائه حاكماً موقّراً ومعتبراً لديهم، ولذا عندما تُقرَن العلاقات الاجتماعية بالمصلحة؛ فحيز الثّقة يمتدّ ويضيق حتّى يشكّل خطراً في دائرة غير المتوقّع.

---

[٧٦] المائدة ١٣.

[٧٧] البقرة ١٧٣.

ومن هنا فالأقارب بدون شكّ عندما يحسّون الخطورة تلاحقهم؛ فلا يأملون التغيير، ولكن في مقابل ذلك إذا ما حدثت المواجهة مع الغير؛ فسيكون تفكيرهم مسيّر بقوانين الطواري من أجل الأسرع في التعرّف على أساليب وسُبل الرّحيل، قبل أن يعمّ الخطر المدفوع بالقوّة المحقّة للحقّ في الزمن غير المتوقّع.

وهكذا حال من يُجنّد ويشهد على الكبيرة والصغيرة؛ فإنْ لم يستنفع؛ فلن يكون مواجهاً عند ما يشتدّ الأمر على الحاكم حتى وإن كان حارسه الشخصي، ومع ذلك لا نغفل أنَّ لكلّ قاعدة شذّ خاصّة إذا ما أصبح الولاء مجرّد عنوان قابل للتبدّل.

أمَّا بالنّسبة للمجتمعات القبليّة المولاة فيها لا تكون للوظيفة بقدر ما تكون للدّم، ولكن إنْ جُنّدت القبيلة لتكون الأداة الرئيسة للحكم، تفقد مكانتها عند الآخرين الذين لا تربطهم بها علاقات قبلية، وما التحالفات مع القبائل الأخرى إلّا مصالح متبادلة ومنافع يتمّ بلوغها، ويشتدّ الأمر خطورة إنْ قَدِمت القبيلة الحاكمة على قتل أحد من أبناء القبائل الأخرى، وتحت أيِّ مظلة أو ذريعة، والزمن دائماً كفيل برد الاعتبار القبلي؛ فالثأر بين القبائل قضية لا تموت، والصراع من أجل الحكم قضيّة لا تموت؛ فالتدافع بينهما في دائرة الممكن يؤدّي إلى قبول الموت ثمناً من أجل نيل التقدير والاعتبار وإثبات الذات، ومهما تعاضدت لحمة القبائل مع القبيلة الحاكمة؛ فهي لا تقبل بطغيان حاكمها إلّا مؤقّتاً، وذلك من أجل بلوغ الفرصة التي كلّما أتيحت تحقّق الانقلاب بفعل الرفض والتمرّد والثورة مع الآخرين، الذين لهم ذات المطالب[٧٨].

ولذا فالفرق كبير بين لغة ومنطق الاستبدال في القرن العشرين، وبين لغة ومنطق الاستبدال في القرن الواحد والعشرين، ففي القرن العشرين

---

[٧٨] المصدر السابق، ص ١٦٤، ١٦٥.

كان المهم أن يتمّ الاستبدال من أجل التغيير والإصلاح، أمَّا في القرن الواحد والعشرين فالاستبدال من أجل بلوغ الحلّ، ولذا فالفرق كبير بين الإصلاح وبين الحلّ، فالإصلاح دائماً للقديم، أمّا الحلّ فهو المولود الجديد، أي أنَّ الإصلاح يحافظ على ملامح القديم في اتجاه الحركة ورسم السياسات في دائرة الممكن من ملامح النخبة والصفوة، ولكنَّ الحلّ هو إظهار الجديد الذي يستمدّ ملامحه من وجوه جميع أبناء الوطن.

وعليه:

بعد مراجعة ما كتبناه رسالة مفتوحة للقذافي قبل ١٧ فبراير ٢٠١١م، أصبح الأمر واضحاً أمام القراء، خاصّة بعد أن عرفوا من الذي استبدل القذافي أوّلاً، ومن الذي تلاه ثانياً، وهكذا كانت قوافل الاستبدال بعيد أوّلها عن آخرها.

ولسائل أن يسأل:

ما هي المبرّرات الموضوعيّة والمنطقيّة التي جعلت بعض المؤيدين معارضين للقذافي؟

نقول كثيرة ومنها:

. الإفساد الأخلاقي.

. الإفساد الاقتصادي والمالي.

. الإفساد السياسي ومطلقيّة السلطة المحتكرة مع وافر الاستهتار بالحكم.

. الإفساد الاجتماعي باعتماد نظرية (فرّق تسدّ).

. أفعال التحقير والتغييب.

. أفعال المحسوبية والمحاباة.

. الانفراد بالأمر.

. توريث السلطة للأبناء.

. تغييب المواطنين من المشاركة في أيِّ أمر.

. الاستبداد.

. العبث بثروة الوطن في ارتكاب المفاسد، في مقابل لا قيود على ما تمتلكه العائلة من داخل الوطن وخارجه.

. التعسُّف.

. تزوير الحقائق.

. التكميم.

. انتشار المظالم.

. الإقصاء[٧٩].

وعليه: فالحكَّام الذين يسارعون بالفرار عن الوطن إذا ما تعرّض الوطن للتّدافع هل هم بحقّ على مستوى حمْل المسؤولية، وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام؟ أم أنّهم في السِلم وكأنّهم أسود غابة، وفي الشدّة هم الجرذان[٨٠]؟

أيّها المنحرفون:

اتّعظوا خيراً لكم.

تدبّروا أمركم خيراً لكم.

انتهوا خيراً لكم.

اجتنبوا خيراً لكم، وإلّا فالشعوب خُلقت تدافعاً؛ فهي كالسيل تجرف كلّ العوائق وتجتثها من جذورها؛ فمالكم لا تتّعظون وتعتبرون[٨١]!

---

[٧٩] المصدر السابق، ص ١٢٨.

[٨٠] المصدر السابق، ص ١٦١.

[٨١] المصدر السابق، ص ١٥٩.

الرِّسالة الخامسة

الرّفض

الرّفض

(استشعار حريّة)

بعد ذلك الإنذار الذي جاءني به الدكتور أحميدة السنوسي من طرف الطغاة، مع حرص الدكتور أحميد الشديد على أن لا يلحقني أذى، ارتئيت أنّ هذه الرّسالة تستوجب ردّاً، ولكن ليس شفهيّا، بل رسالة تُطبع وتنشر وأنا باقياً هنا في مدينة طرابلس (المدينة التي لازال فيها معمّر القذافي) وذلك لم يبق لديّ مجالاً للقبول إلّا الرّفض، الذي من يبلغه ويسلكه ضدّ الطغاة قولاً وفعلاً وعملاً وسلوكاً يكون من الواعين بما يجب وما لا يجب؛ فيكون من الذين يمارسون حقوقهم ويؤدّون واجباتهم ويحملون مسؤولياتهم ويتحمّلون ما يترتّب عليها من أعباء جِسام، ولهذا فالثورة ضدّ الطاغية حقّ وواجب ومسؤولية على جميع المواطنين الرّافضين لإقصائه واملاءاته وتكميمه للأفواه، وعدم احترامه لحقوق المواطنة، وهذا ما حقّقه ثوّار تونس ومصر وثوّار ليبيا الأبطال الذين رفضوا القذافي ورفضوا أن تورّث البلاد لأبنائه من بعده؛ فقرّروا مواجهة القذافي وترسانته العسكرية ومواجهة مقاتليه المأجورين؛ فكان النّصر غاية من غايات الرّفض؛ ممّا جعل النصر ثمرة حقّ لرفضٍ حقّ.

أنهيت تأليف هذا المؤلف بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٧م ونشرته في بيروت؛ ليكون كتاباً بين أيدي قراء الفكر والعارفين بالعلوم التاريخية والسياسية والاجتماعية أينما كانوا.

فالرّفض البعض من النّاس لا ينظر إليه إلّا من خلال الزّاوية السلبيّة، والبعض لا يراه إلّا موجباً، ونحن نراه قيمة تستوجب التقدير حتّى تنال الاعتراف بعد حوار ينبغي أن لا تكون نتائجه تقود إلى المواجهة والصدام؛ فالرّفض إن قاد إلى حوار موضوعي لا يؤدّي إلّا إلى التقبُّل الممكّن من القبول بما هو مشترك، وفقاً لحقوق يجب أن تمارس عن

إرادة، وواجبات ينبغي أن تؤدّى بحريّة، ومسؤوليّات يجب أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

ولذا فإنَّ استشعار الحريّة لا يكون إلّا إذا بلغ الإنسان درجة من درجات الوعي على السُّلم القيمي؛ فالجهل والحاجة قد يجعلان الإنسان قابلاً بمقتضيات الأمر الواقع، الذي لا يعكس حقيقة الموقف الذي يجب أن يتّخذه الإنسان عن وعيٍ وإرادة حرّة، ممّا يجعله على حالة من الغيبوبة عمَّا يجب عليه اتخاذه تجاه ما يتعلّق به من أمر.

"إنّ تصرّف الأنظمة الاستبدادية اتجاه الشّعب عند الافتراق، لا يختلف عن تصرّف إنسان سوقي يستفزّ الآخر كي يخرجه عن وقاره حتَّى تغلي مراجله؛ فيخرجه بذلك عن سمته وهديه واتزانه، غير أنَّ غباء الاستبداد ووعي الشَّعب لا يعطي نتيجة مرجوّة للسلطان، لأنّ الشّعب هو ذو امتداد واعٍ، وغالباً ما يدرك بوعيه المقاصد السلطانية من وراء الاستفزاز، الأمر الذي يدفعه إلى التماسك فيما بينه والتمسّك بما يريد؛ فلا يقف مكتوف الأيدي ويترك الطغاة يفعلون ما يريدون، ولا ينفلت انفلاتاً يجعل منه مدخلاً شرعياً لانقضاض السُّلطان عليه!

إنّ الشّعب أبداً لا يلزم الصمت والسّكوت اتجاه الأحداث الكبرى، لأنّه يجد فيه مظهراً من مظاهر الذعر والجبن والتخاذل، وهذه الأوصاف لا يمكن أن تجتمع في وعي شعب أو أمّة أبداً، ولذلك لم يسجّل التَّاريخ أنَّ الشّعب بأكمله انسحب أمام طغيان من تسلّط عليه من الحكّام، وكذلك لم يبدِ ليناً مع عدوّه كي يحفظ له أرواح أبنائه، وإن صدرت بعض هذه المواقف عن بعض الأفراد، فإنّه موقف فردي لا يعبّر عن وعي الشعب أو الأمّة التي انسلخ عنها، لأنّ التَّاريخ الذي سجّل هذه المواقف على البعض، سجّل كذلك أنَّ هذا البعض كان مناصراً للأنظمة المستبدّة التي تخلّت عنه وقت الأزمات؛ فالتجأ إلى استبداد آخر يمنع نفسه به.

غير أنَّ موقف الشّعب في التحدّي والمواجهة يعبّر عن استمرار الزخم المتدفّق وإن تراخى قليلاً في بعض الأحيان نتيجة ظرف معين ليس تراخٍ تخاذلي، وإنّما استراحة محارب لإجالة الفكرة والتقاط الأنفاس حتّى يصل إلى هدفه بتوازنٍ يُحكم إحجامه كما يُحكم إقدامه، وعلى هذا فالشّعب لا يستسلم لبطش السُّلطان وطغيانه، كما أنّه لا يركن لزهو البطولة الانفعالي، وإنّما يستمدّ موقفه من وعيه بإرثه الذي يدفع أبناءه إلى اتخاذ المواقف من خلال سياسة اللحظة السريعة النابعة من الوعي الامتدادي للإرث الثقافي والحضاري، ولذا فإنّ موقف المواجهة والتحدّي الذي يظنّه البعض أنّه مفاجيء، إنّما هو قائم على سياسة النّفس الطويل الكامن في الوعي قبل أن يظهر في المواجهة؛ فالقوّة الحقيقية في استمداد الموقف نابعة من الصمود أمام التحدّيات داخلية كانت كالقمع والتسلّط والقهر من قبل السُّلطان، أو خارجية تتمثّل باستعمار أو عدوان، ومن هنا لا يمكن لهذه الثورات التي نعيشها أن تقع ضحية عقلية الفروسية الفردية والبطل المنقذ، كما كان حال الطّغاة في الوطن العربي على وجه الخصوص.

لقد أثبتت الوقائع على مسرح الأحداث أنَّ أبناء الأمّة في مواقفها اتجاه السُّلطان المستبدّ، كانت على قدر المسؤولية من الوعي والحكمة وعدم التهوّر في الانجرار إلى ما تريده أنظمتها المتسلّطة، وبدأت التجربة تتعاظم في التنامي، إذ أنَّ الثّورة المصرية على (مبارك) أدخلت سياقات جديدة لم نعهدها في الثّورة التونسية على (بن علي)، لأنّ (مبارك) أبدى تعنّتاً لم نعهده عند (بن علي) مع أنَّ كليهما آل إلى المصير، وكلّما تعاظم جنون السُّلطة في القهر، نجد في المقابل وعي الأمّة يتّسع صدره لاستيعاب هذا الجنون كي يُطبِقَ عليه ويلحقه بمن مضى، ولذا

فمن يرفضه الشّعب فلن يجد له سند يتكئ عليه، ولذا فعليه بالرّحيل وإلّا لا مفرّ من أن يرّحّل كرها"[٨٢].

وعليه: فالرفض بغير حقّ يؤدّي إلى الصّراع سواء بين فردٍ وآخر، أو بين مواطنين وقمّة السلطان الذي يفرض إملاءاته على المواطنين بصور مختلفة، وأشكال شتى، تارة على هيئة نظم وقوانين مزوّرة، أو بالقمع والبغي تارة أخرى، ومن ثمّ يُخيّل لصاحب السُّلطان الظالم أنَّ تلك الاملاءات تصبح مع مرور الزّمن وكأنَّها جينات أخلاقية متوارثة لدى الأجيال، بينما في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هي دوافع للرّفض تُحفّز على التمرّد والثورة من أجل التغيير وبلوغ الحلّ.

[٨٢] عقيل حسين عقيل، الرّفض استشعار حرّية، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص ٢٣ ـ ٢٥.

القذافي وابنه ينذراني

بالترك

فاخترت الرّفض

في تلك الرِّسالة التي جاءني بها الدكتور أحميده السنوسي وهو يقول: أنّ الجماعة يلقون اللوم عليك بطباعتك ونشرك لكتاب خريف السُّلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) وينبّهونك إلى ما كتبته بهذا العنوان أنّ المقصود بذلك ليس الثورة التونسية على (زين العابدين بن علي) ولا الثورة المصرية على (حسني مبارك)، بل المقصود من قولك: (لن يعد بعد اليوم غير المتوقّع غير متوقّعٍ) أنّك تقصد بذلك (القذافي وابنه سيف)، وعليك أن لا تنتهج هذا النهج، وأتركه نهائياً.

قلت: لن أترك مهنتي في البحث العلمي، وحرّية التعبير، وتشخيص الظروف السياسية والتغيّرات الثورية في ربيعها العربي؛ فأنا لابدّ لي من مواكبة حركة التغيّر الثقافي والحضاري التي يجري من حولنا في تونس ومصر، وما هو غير متوقّع بالنسبة لهم؛ فهو بالنسبة لي وللكثيرين غيري أصبح متوقّعا لا محالة.

ولذلك تركت الترك واخترت الرّفض خير إجابة لتلك الرّسالة التي أُنذرت بها؛ فكان لمؤلفي موضوعاً بعنوان (الرّفض استشعار حرية).

كنت أقصد من هذا العنوان رسالة إلى القذافي وابنه سيف، لنقول لهم لن تسمعوا بعد ١٧ فبراير (حاضر سيدي) التي كنتم لا تستأنسون لأحدٍ إن لم يقلها لكم بصوت عالٍ، لتكون شاهدة عليه أمام الآخرين، وذلك لأجل أن تُرضوا غروركم على حساب كرامة النّاس؛ فهذه لن تسمعوها من أحدٍ إنشاء الله تعالى، بل ستسمعون ما هو أكثر صدقاً منها وهو: (إرحلوا إرادة خير من أن تُرحّلوا كرهاً) ولذا كتبت هذه الجملة في كتابي الذي أُنذرت بأسباب نشره، وكذلك كرّرتها

أكثر وضوحاً في مؤلفي (الرفض استشعار حرّية) مع العلم أنّ هذين المؤلّفين طبعا ونشرا والقذافي لازال يحاول التحكُّم في مصير الشّعب في جهة من التراب الليبي، ومن جهة أخرى الثوّار قادمون من الشرق ليلتحموا مع ثوّار مصراته وجبل نفوسة من أجل التحرير قرية قرية، ومدينة مدينة، وشارع شارع، وزنقة زنقة، ودار دار، وشبر شبر.

ولذلك فالرّفض قيمة من بلغه استمد قيمته منه، ومن لم يبلغه قد يجد نفسه تاركاً لكلِّ شيء، ومع أنَّ اللغويين قد عرّفوا الرّفض بأنَّه الترك"[٨٣]، إلّا أنَّنا لا نتّفق معهم من حيث المفهوم، ذلك لأنَّ الرّفض من حيث المفهوم هو عدم القبول، أمَّا الترك فهو فعل لا يكون إلّا مترتّباً على قبولٍ سابقٍ، أي لو لم يكن هناك قبول سابق ما كان من بعده فعل التّرك متحقِّقاً؛ فالترك تخلٍ عمَّا يحمله القول الصادر من وعيد أو إصرار على الفعل، أو أنَّه تكفير عن الفعل الذي فُعل، أو العمل الذي ارتكب، أو السلوك الذي تمّ.

وعليه: الرّفض ترك ما لم يكن مرغوباً فيه، وهو المدحور تجنّباً أو تحرُّزاً أو حذراً وخوفاً من التعرّض لِمَا لا يحمد عقباه، ولذا فالرّفض لكلِّ ما هو معيب هو قيمة حميدة مرضية للإنسان الذي لا يرى في الحياة إلّا وقفة عزّ وفضائل خيِّرة.

والرَّافض هو الذي لا يقبل المساومة في الحقّ؛ فهو الذي يأبى الطّاعة لغير الله وما أمر به جَّل جلاله، ولهذا فما دون ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يرفضه جملة وتفصيلاً دون تردّد ولا جبن.

إذن "الرّفض قرار يصرّح به قول وفعل مع وافر التحدّي لما هو مترتّب عليه، حتَّى ولو كان المترتّب عليه عبء جسيم، وهو خروج من دائرة الجبن إلى دائرة التحدّي بالقوّة؛ فالإنسان عندما يستشعر الخطر يهدّده، يملؤه الخوف الذي يحفّزه على اتخاذ قرار المواجهة؛ فيعصي أمراً كان

---

[٨٣] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، ج ٣، ص ١٠٧٨.

يقبله، ويمتنع عن فعلٍ كان يفعله، ممّا يجعل علامات الاستغراب ترسم عليه من قِبل الطاغية، الذي في معتقده لا يعصى له أمر، ومن يعصي أمره يكبّل ويقيّد ويسجن ويعاقب شدّة ثمَّ يقتل، هذه المراحل جميعها تمتدّ من سيء إلى أسوأ، وقد تكون مختصرة جدّاً رفض يقابله قتل"[٨٤].

إذن الرّفض أسلوب وموقف منطقي عندما يوافق العقل في محاكاة حقائق الأشياء؛ فلا يمكن أن يكون الرّفض موقفاً لمجرّد المخالفة، ولكنّه في الوقت نفسه هو موقف حقٍّ مخالف للآخر عندما يكون الآخر مخالفاً لمنطق الحقّ.

إنّ محاولة الطغاة لتزوير الحقائق يدفع الواعين إلى الرّفض؛ فالقضيّة التي يعمل عليها السُّلطان هي قطع الخلف عن السلف بالمعنى الفكري والثقافي والحضاري، وكذلك السعي إلى إنشاء أجيال ليس لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها، كي لا يكون لها ولاء ولا انتماء لأسلافها، الغرض منها جعل قاعدة البناء الحضاري مستحدثة بحداثة السّلطان، ولذا نجد أنَّ الأنظمة الاستبدادية التي وصلت إلى سدّة الحكم بطريقة أو بأخرى، أوّل ما تقوم به اتجاه مواطنيها، بتر التواصل مع الماضي الحضاري والإرث الثقافي، وكذلك بتر التطلُّع إلى المستقبل الأفضل، واستبدالهما بمنطلقات حديثة بحداثة الحاكم الذي يريد أن يقنعهم أنّهم خُلقوا من جديد، إن لم يَدّعِ أنّه خلقهم وأوجد لهم التّاريخ والحضارة والثقافة والماء والغذاء والهواء، ولذلك جاءت الثورات الشعبية في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن حلّاً وليس إصلاحاً.

---

[٨٤] عقيل حسين عقيل، الرّفض استشعار حرّية، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م ، ص ٣١.

الشعب

الليبي نفذ صبره

بعد أنْ استنفذ الشعب الليبي الأسباب العقلية من أجل الحوار المقنع الذي يجب أن يفضي إلى التفاهم مع القذافي المستولي على السلطة ظلما صارخاً ولم يجدِ ذلك نفعاً، استحضر الشّعب الليبي ما يختزنه في اللاّوعي إلى الفعل الواعي الذي يعلم ما يريد، ذلك أنَّ نفاذ صبر الشّعب الليبي وخروجه الجماعي بوعيه الجمعي في ثورته الشعبية التي تخلّقت في الميادين والساحات العامّة، في طبرق والبيضاء السبّاقون انتفاضة وثورة مبادرة، وبنغازي أمّ الثوّار التي دفعت بالشهداء شهيداً بعد شهيد من أجل ليبيا حرّة، ومصرته والزنتان أسود الصحراء أوتاد الوحدة الوطنية، وطرابلس المواجهة والتحدّي (من تاجوراء إلى سوق الجمعة وفشلوم وسيدي خليفة وبن عاشور إلى غوط الشّعال) والزاوية العصية عبر التاريخ على القذافي وكتائبه، وازوارة الثورة التي كسّرت القيد بدماء شهداء الوطن من ابنائها، وجبل نفوسة الذي ثار جملة واحدة من أجل ليبيا وحدة واحدة، وهكذا جعل ثوّار غريان من مدينتهم قلعة لصمود الثوّار في ليبيا، وفي مدينة سبها كانت القرضة مركزاً رئيساً لثوّار الجنوب، وهكذا كان الجديد معها ثورة ضدّ القذافي ونظامه، وكان شباب الثورة في ابراك الشاطئ برغم المحاصرة هم شعلة تضيء شوارع المدينة، مثلهم مثل ثوّار منطقة الجفرة الأبطال، وثوّار بني وليد الذين دفعوا الثمن غالياً من قبل كتائب القذافي، وللعلم كان ثوّار مرزق وأوباري والكفرة الفرسان (تبو وعرب وطوارق) أسود صحراء يواجهون كتائب القذافي ومرتزقته المأجورين.

ولذلك فإنّ الثورة في ليبيا ثورة شعب بأسره من الحدود إلى الحدود، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

وهكذا كانت الثورة الشعبية الليبية كالثورات الشعبية العربية ما هي إلّا غضبة الحليم التي أطاحت بالفوضى السياسية والتردّيات الأخلاقية في تونس ومصر وليبيا واليمن، وسيكون الحال إنشاء الله بالتمام في سوريا التي ستطيح بالأسد والنعامة معاً وفي وقت واحد، وبالمعطيات ذاتها ستطير الشرارة إلى هشيم أنظمة مماثلة ما لها من غضبة الحليم من عاصم، وستنتصر طوعاً أو كرهاً؛ فالشعب عندما يقرّر عن وعي رفض الطاغية يقبل بدفع الثّمن ولو تضاعف الثّمن دماً أكثر ممّا هو متوقّع. ولذا فالطغاة الذين يظنوا أنّهم قادرون على البقاء، هم واهمون؛ فلا باقٍ إلّا الله[٨٥].

إنَّ ما يجري اليوم من ممارسات ظالمة طاغية من قبل السُّلطان وأعوانه على اتساع الرقعة الجغرافية التي تشغلها الأمّة العربيّة من أحداث جسام ومآسٍ عظيمة من قهر وقمع ومصادرة رأي وكبت للحرّيات ما يكفي لأن يحدث الزلزال؛ فهذه الممارسات أخذت تهزّ وجدان الأمّة وتقضُّ مضاجعها وتُدمي ضميرها، وبالتالي نقلتها إلى صراع قاس مع قوى الباطل المتمثّلة في السُّلطان بكلّ أشكاله وألوانه، ممّا وضعها أمام امتحان صعب وأليم في مواجهة هذا الباطل المتجبّر والمتنفّذ الذي لا يبالي بدين أو بقيم أو أعراف، ممّا ولّد أموراً جساماً وأحداثاً عظيمة، ولكن هذه الأحداث مع عِظمها وشدّة أهوالها ستكون نقطة البداية في انطلاق الأمّة نحو هدفها المنشود، وتكون حافزاً قويّاً في استنهاض طاقاتها وشحذ هممها ودفعها إلى تجاوز الأزمات والمصاعب، كما أنّها ستساعد على الامتداد في أعماق ماضيها التليد لتستخرج من تاريخها صفحات مجدها المشرق، ومن ثمّ توائم بين واقع تعيشه، وماضٍ تستذكره، ومستقبل تأمله وتستشرفه عن إرادة حرّة.

[٨٥] المصدر السابق، ص ٣٦.

الثوّار

يرفضون أمر الطاغية

ثار الليبيون دون أن يستأذنوا من أحدٍ؛ فأمر القذافي أبنائه قادة الكتائب برمي الثائرين بالرّصاص الحي، وفي المقابل كان التحدّي أكثر صموداً عندما قرّر الثوّار الليبيون مواجهة الرّصاص بصدورهم، وهم يدفعون الشهيد بعد الشهيد في ميادين الحرّية وساحات الشهداء في ليبيا.

ولذلك كان الرّفض قراراً يصرّح به الثوّار الليبيون قولاً وفعلاً مع وافر التحدّي لما هو مترتّب عليه، حتَّى ولو كان المترتّب عليه عبء جسيم، إنّه الخروج من دائرة الجبن إلى دائرة الشجاعة والتحدّي بالقوّة؛ ولذا فالإنسان عندما يستشعر الخطر يهدّده، يملؤه الخوف الذي يحفّزه على اتخاذ قرار المواجهة؛ فيعصي أمراً كان يقبله، ويمتنع عن فعلٍ كان يفعله، ممّا يجعل علامات الاستغراب تُرسم عليه من قِبل الطاغية، الذي في معتقده لا يعصى له أمر، ومن يعصي أمره يكبّل ويقيّد ويسجن ويعاقب شدّة ثمَّ يقتل، هذه المراحل جميعها تمتدّ من سيء إلى أسوأ، وقد تكون مختصرة جدّاً رفض يقابله قتل.

من المتوقّع الموجب أن يكون التحدّي من أجل إثبات الذات، ومن أجل ترسيخ الهويّة ومن أجل التمسّك بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة، ومن المتوقّع السالب أن يكون التحدّي من أجل طمس الهويّة التي كان المتحدّي أحد المنتمين إليها، والانسحاب من القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة التي هي الأخرى كان الاعتزاز بها والانتماء إليها، ولذا فإنّ التحدّي بشكل عام يولّد نوعاً من الرّفض، ونوعاً من البحث عن الذات، ونوعاً من التفكير في مخرج تحفّزه الدوافع لتخرجه من التأزُّمات وتمكّنه من العيش بحريّة.

وهكذا سيظلُّ العنوان الدائم من يستهين بإرادة الشعب يسقطه الشعب، ويضعه في القمامة دون أنْ يجد من يتأسف عليه؛ فهذه الثورات العربية في ربيعها العربي ستتنصر لا محالة كما انتصر صنّاع التَّاريخ وصنعوا العبر، وخير العبر أقربها زمناً، وأقرب الزّمن الحاضر منه، حيث كانت الضرورة والحاجة وراء الدفع القوي الذي أُوقدت شمعته من قرية سيدي أبو زيد التي كان فيها محمَّد البو عزيزي أوَّل جمرة توقد الجمر حتَّى التهبت شوارع المدن والقرى التونسيّة الجميلة في وجه من كان غير متوقّع لِما حدث من ثورة تاريخيّة، وتحقّق الهدف (إنَّ الشعب إذا قرّر الموت تُكتب له الحياة وينال الحرّية)[٨٦].

وعليه: فإنَّ لأيِّ أمّة عظيمة ذاكرة تختزن فيها دوافع صناعة التَّاريخ ممّا يجعلها قادرة على استدعائها من اللاوعي إلى المدركات الجمعية الواعية نتيجة علاقات الحضور بالغياب، ممّا يجعل الحدث التاريخي حاضراً في الزمن الآن، ومستوعباً للمعطيات التي استوجبتها اللحظة الآنيّة. ولذا لا استغراب في دائرة غير المتوقّع أن تكون استنارة الأمّة بكاملها بمعطيات صناعة المستقبل متحقِّقة لإحداث النُقلة التي كانت شرارتها الأولى واحداً من أبنائها[٨٧].

ولأنَّ التدافع حركة وامتداد بين رفض وقبول، جاءت الثورات الشعبية في الوطن العربي تتصدّر حركة التَّاريخ في هذا القرن الواحد والعشرين، معلنة للعالم أنّ امتلاك الإرادة مع وافر التهيّؤ والاستعداد والتأهُّب يمكّن الشعوب من صناعة التَّاريخ الذي تؤخذ منه العبر، وهكذا طويت مرحلة من التَّاريخ المزوّر في الوطن العربي وفتحت الصفحات لتاريخ الشعوب والأمم كافّة.

ولأنَّ "ممارسة الحقوق حقّ؛ فلِمَ لا يُمكَّن المواطن من ممارستها في بلاده مع غيره من المتماثلين معه في ممارسة الحقوق؟ أي لماذا يحرم المواطن من

---

[٨٦] المصدر السابق، ص ٣٣.

[٨٧] المصدر السابق ، ص ٣٣.

ممارسة حقوقه مواطناً؟ فالحرمان كفيل بتوليد الرّفض والدفع في الاتجاه الذي يُمكّن من التغيير السريع من خلال استخدام (الفيسبوك) وسيلة للتجمّع والتدافع الشعبي تجاه ممارسة الحرّيّة عن إرادة وبأسلوب ديمقراطي.

ولأنَّ أداء الواجبات حقّ؛ فلِمَ لا يُمكِّن المواطن من أداء واجباته في وطنه ليكون مواطناً بحقّ من الدرجة الأولى كما كانت عائلة الطرابلسي في تونس مواطنين من الدرجة الأولى في مقابل الشعب التونسي مواطنين وكأنَّهم من الدرجة الثانية؟ أليس ذلك بحقّ قد دفع إلى الثّورة الشعبية في تونس الشقيقة؟

ولأنَّ حمْل المسؤوليات حقّ؛ فلِمَ لا تُحمْل من الجميع لتكون مسؤولية الوطن سِلماً وحرباً هي مسؤولية عامَّة يتحمّل أعبائها جميع مواطنيه؟ فالحكَّام الذين يسارعون بالفرار عن الوطن إذا ما تعرّض الوطن للتَّدافع هل هم بحقّ على مستوى حمْل المسؤولية وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام؟ أم أنّهم في السِلم وكأنّهم أسود غابة، وفي الشدّة هم الجرذان"[٨٨]؟

[٨٨] المصدر السابق، ص ٣٨.

القذافي يعتقد

أنّه

المفكّر للأجيال

لقد أقنع القذافي نفسه وحاول أن يقنع الآخرين أنَّه يفكّر لكلّ الأجيال؛ وهذا ما يخالف القاعدة التي ترى أنَّ من يقصر الأجيال المتعاقبة والمتلاحقة على رؤيته، يكون سبباً في تخلّف الأجيال التي خضعت كرهاً للأخذ برؤيته طوال حكمه الطاغي، الذي به سيطر على الكلّ بالقوّة، فما بالك بالقذافي الذي سيطر سنين على مجموعة من الأجيال بغير حقّ.

ولذا فمن الأمر الطبيعي أن يفكّر كلّ جيل في يومه وفي غده دون أن يغفل عن أخذ العبر من قصص وتجارب السابقين، وأن يسعى جادّاً والأمل لا يفارقه من أجل صناعة المستقبل الأكثر جودة، ومن الجرائم التي سترفع قضاياها لمحاكم العدل الدولية هي جريمة مصادرة رؤى الأجيال ورسم مستقبلها برؤية طاغية ذلك العصر، التي تجاوزها هذا العصر علماً ومعرفة وثقافة وحضارة.

وعليه لا ينبغي أن يقوّلب مستقبل الأجيال الآتية بتفكير ورؤى عقول اليوم، بل ينبغي أن يترك الأمر مجالاً لحالات التقدّم والتطوّر والتغيّر الذي سيحدث، فرؤى أجيال اليوم مجتمعة قد لا تفيد بالتّمام لرسم صور الجيل الآتي في المستقبل؛ فمن خلال هندسة الجينات الوراثية يمكن التخلّص من بعض القيم التي تتأثر بالمورثات الجينية كالجبن والنفاق وطاعة الحاكم في غير مرضاة الله تعالى، وغيرها من القيم التي قد تتأثّر بإحداث تغيرات من خلال معرفة خريطة هندسة الجينات البشرية ومعرفة كيفيّة التغيير الذي يُحسّن الصفات أو يشوّهها.

إذن سيطر عقل اليوم وتحكّمه في إدارة أمور الرّعيّة (المواطنين) الذين يخضعون للأمر بالطّاعة كرهاً، وإلّا ستصادر أملاكهم وتهتك أعراضهم،

ثمّ ستقطع أعناقهم إن لم يكونوا قابلين لتنفيذ الأمر دون النظر لقيم الشّرف والكرامة والاعتبار، التي ضاق بها صدر القذافي؛ فمثل هذا العقل إذا تمكّن من السيطرة على معطيات علم التحكّم في الجينات الوراثية للإنسان؛ فسيكون هذا العلم مسخّراً من قبله لتشويه كلّ الأجيال الآتية من خلال تدخلّه في رسم صورة المواليد الذين ينبغي أن يكونوا طائعين، وذلك بسلب كلّ الملكات العقلية التي تدفع إلى الرّفض والتمرّد والثورة على الحاكم؛ فمثل هذا التدخل بغير حقّ إذا وصل العقل البشري إلى توظيفه؛ فبدون شكّ ستكون الأجيال اللاحقة ممسوخة الهويّة من قبل تدخل الطغاة في كلّ أمر؛ فما بالك بتشويه شخصية المواليد الذين ينبغي لهم صناعة المستقبل الذي يناسبهم عن إرادة.

وعليه: بدون شكّ للتّقدم العلمي منافع كثير في تحسين التفكير وتحسين الصورة التي يراد لها أن تكون على حُسن التقويم، ممّا يستدعي البحث من أجل معرفة ما يمكن أن يقضي على الأمراض في زمن التخلّق في الأرحام، ويقضي على التشوّهات الوراثية قبل أن تبدأ في التكوين، ويظهر الأجنّة معافين وهم في الأرحام على أحسن صورة وأحسن تقويم؛ فهذا الأمر يعطي للوالدين حقّ تحسين الصورة وسلامة الأبناء، ولكن عندما يكون القرار بيد الآباء؛ فإنَّ الآباء دائماً هم لا يفكّرون إلّا برؤاهم التي لا تتجاوز حدود عصرهم وأجيالهم، ولأن لكلّ جيل رؤاه فلا يحقّ للجيل المنتهي أن يرسم صور الأجيال الآتية وفقاً لرؤاه الخاصة، فما بالك لو استولى الطّغاة على مقاليد العلم، وسخّروها لِما سخّروها إليه. فالقذافي الذي لا يرى شيء يستوجب الطاعة إلّا أمره ورؤيته التي بها يسيطر على الكل آباء وأمهات وأبناء وسياسة واقتصاد وعلاقات اجتماعية، فهو بحق كان يعتقد أنّه المعلّم الوحيد، والمهندس

الوحيد، وملك الملوك، والقائد الأممي، ومن لم يلقّبه بهذه وغيرها كثير يعدّه مذنباً وقاصراً ومنحرفاً وزنديقاً.

القذّافي

مُكمِّم الأفواه

التكميم فعل إكراهي قمعي به يقهر الآخرون وتتمّ مغالبتهم بغير حقّ؛ فلا يستطيعون إبداء رأي أو قول وجهة نظر فيما يتعلّق بهم من أمر، وهذه من أفعال الحكّام الذين تحكّموا في مقاليد أمر النَّاس بالقوّة؛ فاستولوا على السُّلطة والثروة حتَّى أصبح الوطن وكأنّه مزرعة خاصّة بالحاكم وأبنائه الذين من ورائه يعبثون في البلاد فساداً، ولذا فالتكميم عادة ما يكون بُعد المسافة في التفكير بين قاعدة الاعتبار (الشّعب) وبين القمّة الطاغية سبباً مباشراً للمواجهة، إذ أنّ قاعدة الاعتبار تروي فكرها من خضمٍّ ثقافي غني بتعدّد الموارد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والدينيّة، في حين أنّ قمّة السُّلطان الاستبدادية على الرّغم من معرفتها لتلك المناهل والموارد، إلّا أنّها تبقى مقتصرة على الأخذ بما يخدم مصلحتها في الحفاظ على التسلّط، ومن هنا تكون ارتجالية المواقف في فكرها وقراراتها وحلولها، ذلك أنّها تعمد إلى معالجة نتائج أخطائها، ولا تأتي إلى اجتثاث أسباب الأخطاء التي ظهرت عنها تلك النتائج.

قضية الارتجالية وعدم وجود التخطيط الدقيق، وعدم وجود الدراسات العلمية المصاحبة لأيّة خطوة، سواءٌ أكانت خطوة عسكرية أم خطوة سياسية أم اقتصادية، ثمّ المبالغة الإعلامية فيها، وعدم القدرة على التزام الموضوعية في الأخبار والتحليلات والتوقّعات بشكلٍ دقيق، وكذلك عدم القدرة على نقد الذات ومراجعة المواقف والتصرّفات بشكل صحيح منصف وشجاع، وعدم بناء مؤسّسات وإدارات ملاحقة للعاملين في أماكن العمل لتمدّهم بوافر الخدمات المحفّزة على العمل وزيادة الإنتاج، في مقابل الأخذ بأيدي المفسدين والعابثين والبلاطجة الذين لا أوساط اجتماعية ولا حرفية ولا مهنية لهم، إلى جانب تفضيل

الأقارب في تولّي إدارة شؤون البلاد على حساب حقّ المواطنة، وتغليب رأي الأبناء في أيِّ قضية وعلى أيِّ رأي، إلى جانب العمل على طمس كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى صحوة المواطن من جهله وغفلته؛ فكلّ هذا يؤدّي إلى اتِّساع الهوة وعمق الفجوة بين القمّة الطاغية وقاعدة الاعتبار (الشّعب) التي سرعان ما تأخذ بالتنامي.

هذه جوانب من السلبيات لا نقول إنّها موجودة في النظام وأجهزته فحسب، بل هي موجودة في عقل الطّاغي القائم على سلّم القمّة الذي يحكم النظام ويتحكّم به وفق مصلحته ومشيئته ورؤيته الخاصّة من القلم إلى رغيف الخبز.

وإذا حاول من حاول أن ينبّه القذافي لقضية اجتماعية أو وطنية أو إنسانية أو أيّ قضية ينتفض وذلك لشعوره بأنّ هذه التنبيهات نوع من الإملاءات التي تجرح كرامته بزعم أنّها تفرض نفسها عليه ويتمّ الرّفض، ومن هنا تبدأ عملية التكميم؛ فهو لا يريد أيّ نوع من علاقة التكافؤ بينه وبين أي موطن مهما أوتي هذا المواطن من علم أو معرفة أو خبرة أو حكمة؛ فهذا الأمر إن استجاب له يعدّه نوع من التخلّي عن القمّة والهبوط عن سلّمها ولو درجة.

وعليه: تكون ردّة فعله الاستبدادي في هذا الموقف الذي يستشعر به الخطر، مصادرته لفكر الآخر، فهكذا كان القذافي، ولذا فهو دائماً يعمل على بثِّ الإشاعات والسعي على إفشال الإصلاح أو حتَّى المطالبة به، فما يلبث أن يوعز إلى الزخم الإعلامي في ممارسة ما هو مكلّف به من تزوير الحقائق من أجل طمسها في عملية تكميم صارخة، وأقلّ ما يمكن أن نسمعه من وسائل إعلامه أنّها تعزو تلك المطالب إلى أفراد مندسّين أو جهات خارجية وأجنبية تستهدف الوطن والمواطن وأمنه، وهكذا تتولّى الأجهزة الأمنية في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قلب الحقائق وتزويرها من أجل بقاء القذافي على سدّة

الحكم بلا منافسين، ومن يحاول المنافسة سيفرّش ويغطى بالرذائل والنواقص وما يشين مكارم الأخلاق لتكون النهاية من أجل بقاء رأس النظام سالماً غانماً حتَّى ولو كان في غير طاعة الله، ومن بعدها تُرقَّى الرُّتب رُتباً ليصبح ضبّاط الصّف ضبّاطاً ويصبح الضبّاط رواداً وعمداء وألوية وفرق النياشين تغطي أكتافهم وما يزيد عنها يتدلّى على الصدور[٨٩].

"تحت هذه الذرائع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تتمّ عملية التكميم بأبشع صوره في قائمة لا تكاد تنتهي تحت زعم المحافظة على سلامة الوطن من الأيدي العابثة أو من العدوان الخارجي، علماً أنّ جميع هذه الأيدي والأفواه ما هي إلّا أيدي أبناء الأمّة وأفواهها.

ثمّ يتعدّى الأمر في فرض سياسة تكميم الأفواه أبعد من ذلك، إلى فرض حالة الطوارىء والأحكام العرفية وتعطيل القانون الذي هو أصلاً من الهشاشة في ظلِّ الأنظمة الاستبدادية لا يسمن ولا يغني من جوع، وبذلك يتمّ مصادرة الحقّ الإنساني في التعبير، ومن ثمّ ممارسة القتل والاعتقال والإقصاء بكلّ صوره، إمعاناً في التكميم.

والأدهى من ذلك أنّ الأنظمة الاستبدادية تتحدّث كثيراً عن الحرّية الفكريّة في الرأي والعملية في التنظيم التي تتعارض مع سياسة تكميم الأفواه ولا ترتضيها، غير أنّها لا تجد بأساً في تكميم أيِّ فوه لا يتحدّث بخطابها ولا يمجّد خطاها، لأنّ أيِّ خطاب ما عدا خطابها، هو خطاب منحرف مندسّ يستلزم تكميمه أو سحقه إن لزم الأمر، لدرجة أنّ هذه الأنظمة تبرّر عدم التّسامح مع غير أتباعها أنّهم أعداء التّسامح"[٩٠]!

ثمّ نجدها تنادي بالمنطق العقلاني في تناول الأمور وتشدّد على الواقعية في تصوّر الأشياء والحكم عليها، هذا بما يخدم مصالحها واستمرارها في

---

[٨٩] المصدر السابق، ص ٥٨ ـ ٥٩.

[٩٠] المصدر السابق ، ص ٥٩.

الجثوم على عرش القمّة، ولكن إن ظهر منطق عقلي يدعو إلى واقعية الحقائق في تناوب السُّلطان بين أفراد الأمّة، تجد هذه الأنظمة قد انتفضت وأخرجت مشاريع جاهزة لمعارضيها تقول فيها أكثر ممّا قاله مالك في الخمر، حتَّى أنّنا لا نجد في قواميسهم إلّا مفردات التشنيع بالآخرين ورميهم بكلِّ نقيصة.

ولذا كلّما طال زمن التكميم ولّد على أرض الواقع ما هو غير متوقّع، ممّا يجعل الحلول كامنة في المفاجأة التي تكون نتائجها مكمّمة لأفواه من كمّم أفواه الشَّعب؛ فبهذه المعطيات العظيمة كُمّم فم زين العابدين بن علي بثورة الشعب التونسي في ١٤ يناير ٢٠١١م، وكُمّم فُو حسني مبارك بثورة الشعب المصري في ٢٥ يناير ٢٠١١م، وكمّم فُو معمّر القذافي بثورة ١٧ فبراير ٢٠١١م، وكذلك فُو علي عبد الله صالح، والآن فُو بشار الأسد بين قبضة ثوار سوريا الأبطال، وهكذا ستكمّم من بعدهم أفواه من اعتلوا قمم السُّلطان بغير حقّ.

وعليه: فالتكميم باعتباره فعل قهري سيكون عبر الزمن كفيلاً بتوليد المفاجآت ذات النتائج السَّارة.

ولهذا فنار الغضب تزداد اشتعالاً في أنفس الأفراد والجماعات الثائرين الذين غُيِّبوا من قِبل الطاغية عن المشاركة في إيجاد الحلّ للقضية التي هم أحد عناصرها الرئيسة، وبالتالي فإنَّ الأمر لا يقف عند حدِّ الرّفض للحلّول كما يتوقّع البعض، بل يتعدّاه إلى بلوغ الثّورة الشاملة من أجل الحلّ الشامل سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً ونفسيّاً وثقافيّاً وذوقيّاً.

ولذا فإنَّ أفعال الرّفض والتمرّد لا تكون إلّا بانعدام الحلّ، وبأسباب التغييب تزداد حدّة التطرّف الذي ينتج عنه سلوكاً يدفع إلى استخدام القوّة القاهرة وسيلة لإنجاز المهمّة.

وعليه: فمن الموضوعية أن تتمّ مشاركة الآخر في مركز مشترك تلغى فيه المركزية الفردية (أنا فقط) وتظهر الأنا والآخر بمركز جديد منطقه (نحن

سوياً) و (نحن معاً) حضوراً وحواراً بالكلمة المرنة التي تحمل المعلومة الصائبة من جانب، وتصحّح المعلومة الخاطئة بمعلومة صحيحة من جانب آخر؛ فتُسهم في رسم المستقبل الأفضل وتحدث النُقلة إليه، ومن هذا المنطلق يصبح المجال فسيح لإظهار روح المودّة والمحبّة والتوافق والوحدة بين أبناء الشّعب الواحد أو الأمَّة الواحدة والوطن الواحد.

إنَّ رفض مشاركة المواطن وتغييبه بأفعال متطرّفة من قبل الطاغية لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يجعله على رأس هرم العنف بعد أن كان على مستوى من مستوياته الأقلّ تشدّداً، ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتكميم والتغييب والإقصاء والتحقير، ويبلغ الأمر به إلى ارتكاب أفعال التقتيل سيجد نفسه طرفاً معادياً للنّاس ومطارداً من قبلهم؛ فإن لم يرحل عنهم بإرادة سيجد نفسه مُرحَّلاً كرهاً بقرارات صادرة من ميادين الحرّية وميادين الشهداء[٩١].

وعليه: ينتهي زمن التكميم (زمن الخائف والمخيف) الذي هو في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع في حالة تبدّل؛ فالذي يعدّ اليوم مخيفاً يصبح غداً خائفاً؛ فما جرى في تونس هو أنَّ الرئيس السابق زين العابدين بن علي كان مخيفاً للشعب التونسي بما يمتلكه من قوّة أجهزة قمعيّة، وكذلك كان الرئيس السابق حسني مبارك مخيفاً للشّعب المصري بما يتحكّم فيه من قوّة أجهزة قمعيّة؛ فكلاهما ظنَّ كما ظنَّ فرعون من قبلهما في زمانه أنَّه لا غالب له بما أنَّه يتحكّم في أمر القوّات الدامية في صدور أبناء الشعب وظهورهم، ولكن عندما قرّر الشعبان (التونسي والمصري) قبول الموت ثمناً لنيل الحرّيّة انقلبت المعادلة؛ فأصبح الخائف مخيفاً والمخيف خائفاً؛ فكان دم الشهداء ثمناً غالياً من أجل نيل الحريّة بالقوّة؛ فرحِّلَ الرئيسان دون أن يجد أحد منهما من يتأسف عليه، كما انتهت الماركسية من سدّة المنافسة الحرّة دون أن تجد من يتأسّف عليها،

[٩١] المصدر السابق، ص ٦٣.

وهكذا دائماً للتاريخ صنّاع؛ فمن لم يتّعظ سيكون له المصير نفسه وحينها لن ينفع النّدم، ولذا فعلى الطغاة أن يعرفوا أنَّ سفك الدماء هو المسرّع بإدارة عجلة التغيير وتطهير الأوطان من دنس الطغاة[٩٢].

وهنا فمن يعتقد أنَّه قوّة؛ فعليه أن لا يغفل أنَّ الآخر قوّة، والذي يعتقده الأنا مخيفاً للآخر لا يمكن أن يكون كذلك إن قرّر الآخر قبول الموت الذي لا تُخيفه المخاوف، وعندما يصبح الموت المطلب المفضَّل عند الآخر فعلى ماذا سيعتمد الأنا ليخيف به الغير[٩٣]؟

مبررات تكميم الأفواه

من مبررات القذافي لتكميم أفواه الشّعب الليبي قوله للشّعب إنّكم لا تفهمون، ولكن ألا يكون هذا القول هو مبرّر للغضب والرّفض كونه دليلاً للاحتقار والتقليل من الشأن؛ فكيف يقال للمواطن إنَّك لا تفهم؟ وقد خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، وكيف يقال للشّعب الليبي أنا وأبنائي من بعدي أولى منك برعايتكم أنفسكم، ولا يقبل قائله بالثورة عليه؟

وكيف يقال للمخاطبين من أنتم، وهم الذين موجّه السؤال إليهم!

فلو لم يكونوا هم الرّافضين لوجود الطاغية، ما كان الطاغية موجّهاً السؤال إليهم.

إذن لو لم يعرف الطاغية أنّه المرفوض من قبلهم، ما كان ناطقاً بسؤاله الذي توجّه منه في غير وجهته؟

وفي اعتقادي: في تلك الساعات الثلاثة التي كان فيها القذافي بين أيدي الثوار قد عرف من همّ الذين قدّم لهم سؤاله (من أنتم)؟

وعليه لا استغراب مما يقوله الطغاة، فهم يقولون مما يقولون لشعوبهم:

---

[٩٢] المصدر السابق، ص ٦٨.

[٩٣] المصدر السابق، ص ٦٨.

الحكم ليس هيّناً ليعطى لكم، ولا داعي للمطالبة به؛ فالرّاعي نحن وأنت الرَّعية، نرعاكم أحسن ممّا تعتقدوا أن تكونوا قادرين على رعاية أنفسك.

كلّ هذه الاستفزازات كانت الكفيلة بقلب الأنظمة الطاغية كما قلبت عربة خضار محمَّد البو عزيزي النظام في تونس من على قمّة سلّم السلطان.

ومن مبررات التكميم أيضاً قول الطغاة: أنَّ أعمال التطرّف قد تفشّت في البلاد، ولهذا فقوانين الطواري وحدها هي المخلّص من الأزمة، والمحاكم العسكرية هي خير عادلٍ بين النَّاس، ولكن ألا يكون هذا الأمر أكبر إهانة تُقدّم للمواطنين؟

في مصر الشقيقة سقط هذا القرار الظالم وسقط معه التطرّف بضربة واحدة من الشّعب المصري؛ فالتطرّف دائماً هو عمل القلّة المتحدّية تجاه الحكومة الظالمة، ولكن بعد طوفان ثورة الشّعب فلم يجد الرئيسان التونسي والمصري مكاناً لهما، وهكذا وبدون شكّ سيكون الأمر لبقيّة الرّؤساء من بعدهم[٩٤]، وكذلك لم يجد المتطرّفون مكاناً لهم ولن يجدوه في أي مكان بما أنَّ الثّورة الشعبية أصبحت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع متيسّرة؛ فهي آتية على كلّ الطغاة دون استثناء لا محالة، ومن هنا استوت سفينة النّجاة على الحقّ كما استوت سفينة نوح عليه الصَّلاة والسّلام بعد الطوفان الذي كان رحمة على المؤمنين، {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ

[٩٤] المصدر السابق، ص ٦٩.

الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[٩٥].

ومن مبررات التكميم قول الطغاة وجود الأحزاب الاديولوجية من إخوان مسلمين وماركسيين وبعثيين وغيرهم من المسميات الأخرى يستوجب مصادرة كلّ رأي، وهذه الأحزاب وغيرها من منوعات الحراك السياسي في الأوطان المحرّرة من الطغاة بعد الثورات العربية في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن لم تعدّ مخيفة؛ فقد انصهروا في المكوّن الشعبي القادر بعد الله على إدارة شؤونه المحلية والوطنية وعلاقاته مع الآخرين، ومن لم يتّعظ بعد ذلك نقول له: الاستمرار في غضّ النّظر عن ذلك وحده سيكون كفيلاً بإدارة عجلة التغيير في الوقت غير المتوقّع.

وعليه: بعد ما جرى ما جرى في تونس ومصر وليبيا من تغيير ثوري غير متوقّع، لم يبق شيء يخيف الحاكم وحكومته إلّا المخيف ذاته (الشعب) الذي نزع من نفسه الخوف من الحاكم واستبدله بالخوف من الله وحده؛ فاليوم والإيمان يترسّخ لم تعدّ القاعدة مخيفة، ولا الأحزاب العقائدية مخيفة، ولا التطرّف مخيف، ولا الإسرائيليون مخيفون، ولا الأمريكان مخفون، ولا أحد يخيف إلّا الله، ثمّ الشعب على أرضه التي جُعل عليها ليكون خليفة يصلح الأرض ولا يُفسد فيها ولا يسفك دماً بغير حقّ[٩٦].

في زمن المظالم الحاكم بغير حقّ يسجن من يشاء من المواطنين ويطرد من يشاء منهم، وهكذا يقتل من يشاء، ويُقصي ويغيّب من يشاء متى ما شاء دون أن يتذكّر أو يتفكّر في مشيئة الله تعالى الذي هو بكلّ شيء عليم وهو على كلّ شيء قدير؛ فالرئيس زين العابدين بن على في أواخر أيّام طغيانه بعد أنْ بدأ يقدِّم التنازلات تِلْوَ التنازلات سُؤل

---

[٩٥] هود ٤١ . ٤٤.

[٩٦] المصدر السابق، ص ٧٠.

ذات مرّة من قِبل أحد الصحفيين عن مدى قبوله دخول المعارضة التونسية لتونس؛ فقال اليوم لا مانع من دخولهم، ولما سؤل عن حزب النهضة ورئيسه السيّد (راشد الغنوشي) قال: هذا لا يمكن له الدخول إلى تونس لأنَّه ممنوع قانوناً، ولكن لأنَّ المذل يذل من يشاء، وهو المعزّ لمن يشاء؛ ففي نفس الأسبوع رحل الرئيس زين العابدين بن علي ذليلاً بقوّة المذل جلّ جلاله، ولم يعد له الدخول إلى تونس، ودخلها السيد راشد الغنوشي عزيزاً بقوّة المعزّ جلّ جلاله؛ فالحكم لله تعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء كيفما يشاء متى ما يشاء مصداقاً لقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٩٧]. ولذا فمن يطع الله يعزّه ويجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يعصي الله إفساداً في الأرض وظلماً وفتنة وسفك دماً فيها بغير حقّ لابدّ له وأنْ يرحل أو يُرحّل كرهاً، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[٩٨].

ومن مبررات التكميم قول الطغاة: الشرعيّة، ولكن أيّة شرعيّة هذه؟ هل هي شرعية معمّر القذافي الذي استولى على السّلطة في ليبيا بالقوّة دون أن يعرض نفسه ولا مرّة واحدة للانتخابات خلال حكمه الذي استمر طغياناً مدّة ٤٢ عاماً، أم أنّها شرعية زين العابدين بن على ومن هم على شاكلته الذي غيّب الرئيس التونسي الحبيب أبو رقيبة بتقرير طبي استولى به انقلاباً على قمّة سلّم السُّلطان.

[٩٧] آل عمران ٢٦.

[٩٨] آل عمران ١٤٠.

الرّسالة السَّادسة

القذافي مقوّض القيم

تقويض القيم

(من التكميم إلى تفجُّر الثّورات)

ولأنّ الإنسان بطبعه يتغيّر من الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى المعرفة الواعية، ومن التّبعية إلى الاستقلال، ومن رفض الآخر وإقصائه إلى استيعابه وتقبّله هو كما هو، من أجل أن ينتقل معه إلى ما يجب وفقاً لدائرة المتوقّع وغير المتوقّع، لذا أصبح سقف التحدّي يرتفع بيني وبين القذافي، وأنا أكتب في زمنه عن كلّ ما جرى ويجري على يديه من مظالم، والتي من أكبرها ما قام به من أعمال هادفة لتغييب النّاس عن التمسّك بالقيم الحميدة، التي ورثوها من أعراف الأجداد واستمدوها من تلك الفضائل الخيّرة المستنبطة من القرآن الكريم؛ ممّا جعل القيم الحميدة والفضائل الخيرة تقوّض في زمنه، حتى أصبح البعض لا يميّز بين ما يجب ويقدم عليه، وبين ما لا يجب وينتهي عنه أو يتجنّبه.

انهيت كتابة هذا المؤلف تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات) بتاريخ ٢٠١١/٦/١٥م وتمّ نشره وتوزيعه خارج ليبيا صوت من الأصوات الكاشفة للحقائق والرافضة للطّغاة.

فالقيم التي ورثناها وبها كان يعتز أجدادنا هي المستمدّة من الدين والموروث الثقافي للأمّة، وهي نتاج عام تعارف النّاس عليه وارتضوها لتنظيم شؤونهم الاجتماعية والأخلاقية، ولذا لا أحد يقبل أن تمسّ القيم بغير حقّ، وحقّ المساس بها إن اقتضت الحاجة لا يكون إلّا عن إرادة الجميع، أمّا أن يأتي القذافي ويقوّضها بإجراءات قمعية فهذا ما لم يكن مرضيّاً عنه.

ولذلك فالقيم لا تؤخذ هكذا بضربة عشواء، بل تؤخذ بعد أن يتعرّف النّاس الآخذين بها على فوائدها ومنافعها روحيّاً ومادياً وأخلاقياً، ممّا يجعل الأخذ بها إرادياً، والتمسّك بها تمسكاً بما يجب، ولهذا فالتخلي

عنها لم يكن بالأمر السهل، ولذلك فشل المستعمرون في تقويضها مع كلّ محاولاتهم الظالمة.

وعليه فالقيم عبر التاريخ تصمد، والمتمسكون بها يتحدّون كلّ من يحاول طمسها أو تغييرها كرهاً، ولأنّ القذافي يعرف أنّه لكي يسود حكمه، لن يكون أمامه عائقاً صامداً وصعباً سوى تلك القيم التي يستمدّ الشّعب الليبي منها أخلاقياته الكريمة؛ فاستهدفها بإجراءات وقرارات وقوانين وأجهزة رادعة لكلّ من لم يستجب، وسجون لكلِّ من يرفض ويتحدّى، ومن هذه القيم التي عمِل القذافي ما في وسعه على تقويضها القيم الآتية.

القذافي

قوّض قيمة الأخلاق

تميّز الليبيون بقيمهم كغيرهم من إخوتهم العرب الذين استمدوا قيمهم من تلك الأعراف المشتركة، وذلك الدين القيّم؛ فكانت كلمة (السيّد) قبل استلاء القذافي على السّلطة قيمة ذات دلالة ومعنى، وذلك بما تعكسه على أصاحبها (المرسلة منهم، والمرسلة إليهم) من احترام ورقي أخلاقي، ولذا كان الليبيون لا يفتتحون خطاباً ولا مراسلة إلّا بها، وهي تنبئ عن فائق التقدير والاحترام بين النّاس، ولذلك كانت القيمة الأولى التي استهدفها القذافي بقطع رقبتها بضربة واحدة منذ الأيّام الأولى لاستلائه على السّلطة في ليبيا، واستبدلها بكلمة (الأخ)؛ التي هي في الأصل لا تطلق إلّا على من هم من أب واحد، أو أمٍّ واحدة، أو أشقاء من أبٍ وأمٍّ. ولذلك قدّمها القذافي في غير محلّها بهذه الدّلالة، ليقضي على تلك الدّلالة التي تحملها قيمة (السيّد) التي تعني ممّا تعني الاعتراف بالآخر مع تقديم فائق التقدير له، وهي كذلك تدلّ على حُسن أدب قائلها ورقي ذوقه.

ولأنَّ كلمة (السيّد) تحمل في أحشائها قيمة الاحترام المتبادل مع الآخرين، توجّها إليها القذافي بالإقصاء باعتبارها المفتاح الرئيس للمخاطبة الحسنة بين النّاس، كما توجّه من مدخلها الواسع إلى إقصاء بقية القيم الأخرى المحقّقة للاحترام المتبادل بين النّاس أقارب وأباعد.

وعليه: كان التوجّه من قبل القذافي إلى كلّ قيمة تحمل في مضمونها احتراماً يجعل الأفراد والجماعات مقدّرين لبعضهم بعضاً، سوأ أكان على مستوى الزوجين، أم على مستوى الجيران، أم على مستوى العاملين في إدارة من إدارات الدولة، أم مع تلك العلاقات التي تربط الليبيين بالعالم، ولهذا عمل القذافي على تشويه وتقويض القيم التي

تجعل من الليبيين متمسّكين بقيمة الاحترام، وقيمة التقدير، وقيمة الاعتبار، وقيمة الاعتراف بالآخر.

ولذلك استهدف القذافي بداية تقويض قيمة الاحترام باستهدافه إلغاء كلمة (السيّد) من قاموس المعاملات الرئيسة بين المتخاطبين، ولهذا لحق من لحق بسوء المعاملة حتى ولو كان ضيفاً؛ فذلك الضيف الذي كان في زمان العرب لا يسألون عن اسمه إلّا بعد إكرامه ثلاثة أيّام، واجهه القتل بأمرٍ من معمّر القذافي مع محاولته إخفاء أثر الجريمة ورميها على الابرياء ظلماً وبهتاناً كما هو حال السيّد الإمام موسى الصدر العلّامة الذي جاء زائراً لليبيا بعد موافقة من معمّر القذافي في ٢٥/٨/١٩٧٨م؛ فتربّص به القذافي وقتله بغير حقّ، ثمّ رمى به من رمى، دون أن يخشى أحداً، ودون أن يتقي الله الذي أنزل الحقّ مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[٩٩].

ولأنّ القذافي لا يريد للقيم الحميدة أن تسود بين الليبيين جاء في ١٥/٤/١٩٧٣م بخطاب ازواره (خطاب ردّة الفعل) أي بعد أن ساد الخلاف بينه وبين الذين شاركوه في الاستلاء على السلطة ١٩٦٩م، كونهم يرون أنفسهم شركاء، فكّر فيما فكّر فيه من أجل إقصائهم جميعاً؛ لينفرد بالسلطة، ولذلك التجأ إلى مدينة ازواره بعد تأمينها من قبل القوات الموالية له شخصيّاً، وترك في ذلك اليوم العاصمة طرابلس التي فيها من القوات ما هو موالٍ لغيره من الشركاء، ولهذا كان خائفاً من أن يتعرّض لمحاولة انقلابية من الرفقاء الذين اشتد معهم الخلاف إذا ما ألقى خطابه من العاصمة طرابلس.

وبذلك الخطاب المعروف بخطاب ازواره ١٩٧٣م الذي عطّل فيه كافّة القوانين المعمول بها، فتح الطريق أمامه للانفراد بالسلطة، وكشف اللثام

---

[٩٩] النساء ١١٢.

عن وجهه ليقدّمه على حقيقته التي لا يمكن التعرّف عليها إلّا بمعرفة الإجابة على الأسئلة الآتية:

السؤال الأوّل: كيف يقبل العقل السوي طرد القذافي المنحرف سياسياً من الدراسة بمدينة سبها، وفي ذات الوقت ومن ذات النظام يقبل القذافي طالباً سويّاً بمدينة مصراته؟

أقول: وفقاً لتحليل المضمون، الأمر لا يؤخذ بعفويّة؛ فذلك الطالب الذي تظاهر في شوارع مدينة سبها، كان تحت المراقبة المحلية والدولية، ممّا يجعل الحوار في هذا الموضوع بين طرفين:

الطرف الأوّل: لا يراه إلّا معادياً، ويجب التخلّص منه.

والطرف الآخر: لا يراه إلّا عنصراً يمكن الاستفادة منه وتسخيره (لصغر سنّه) حيث ما يشاؤون في الوقت المناسب.

ومن هنا نستنتج أن حواراً قد جرى بين الطّرفين؛ ليكون الحلّ وسطاً، به يُنقل معمّر القذافي من مدينة سبها تحت عنوان (الحرمان) ويمكّن دارساً في مدينة مصراته تحت عنوان (الرّحمة).

ولأنّ للقدر ولمشيئة الله شأن، كانت نهاية القذافي (الحرمان) على أيدي ثوّار مصراته (حرمان نهائياً) أنهى احتمالية تكرار ذلك التدخّل الذي كان به القذافي بين سبها ومصراته (بين الحرمان والرّحمة).

السؤال الثاني: هل ذلك الحديث الذي دار بين القذافي وهو طالب في مدرسة مصراته، وبين مفتش اللغة الانجليزية (البريطاني) هو حديث عفوي، أمّ أنّه حديث وفي الأمر علّة؟

تحليل المضمون يستدعي توفّر المعلومات، ولأنّ المعلومات غائبة المصادر، لذا لا استطيع أن أقول إلّا في الأمر علّة.

السؤال الثالث: ألا يكون قبول القذافي الخصم المشاكس للنظام في ذلك الوقت بالكلية العسكرية حتى تخرّجه منها ضابطاً، دليل إثبات

لتلك العلاقة التي دارت بين من كان وراء الحرمان من سبها والرّحمة في مصراته)؟

السؤال الرّابع: ألا يكون ترشيح القذافي بعد تخرُّجه ضابطاً لدورة عسكرية في بريطانياً لدليل آخر على وجود علّة بها يُقوّض الشعب الليبي ومن بعده تقوّض قيمه الحميدة؟

السؤال الخامس: ألا يكون (للكُّ) القذافي لِمَا كان يسميه بقصّة الثورة (قصّة استلائه على السلطة طوال ٤٢ عاماً)، هو دليل إثبات انعدام المصادق فيما كان يُروى؟ أي ألا يكون القذافي خائفاً من كشف اللثام عن الوجه؛ فينكشف الأمر الذي من أجله طرحنا هذه الأسئلة؟

ولذا فإنّ إجابات هذه الأسئلة تكمن في الأسئلة ذاتها؛ فهي كالمفاتيح في أقفالها.

وعليه فخطاب ازواره الذي أعلن القذافي فيه خمسة نقاط، كان الهدف من ورائها تقويض القيم التي ترسّخ قيمة الاحترام، وهذه النقاط هي:

- تعطيل كافة القوانين التي كان معمولاً بها .
- تطهير البلاد من جميع المرضى.
- الحرية كلّ الحرّية للشعب ولا حرّية لإعداء الشّعب.
- إعلان الثورة الإدارية.
- إعلان الثورة الثقافية.

ولذا فإنَّ الأمر الذي أصدره القذافي لتعطيل كافة القوانين المعمول بها في ذلك الوقت، هو لمعرفته أنّ القوانين وسيلة موضوعية لضبط النّاس، وجعل سلوكياتهم رفيعة بما تسنّه تلك القوانين المستمدّة من القيم الحميدة للشّعب الليبي من احترام للعمل، وللمرور في الطرقات، وما تقرّه من احترام للمرأة، واحترام للكبير والصغير، واحترام لمن يطالب بحقّه، واحترام لحمْل المسؤولية، واحترام لأداء الواجبات، واحترام للمال العام والملكية الخاصة والعامة، وغيرها ممّا يُعدّ ولا يحصى، ولذلك أخذ

مدخلاً يسمح بالدخول منه ولا يسمح بالخروج؛ فما ورد ظاهراً في خطابه هو: تعطيل القوانين وكأنّها القيد على حرّية الشّعب الليبي، وما هو باطن في خطابه هو: أن تعمّ الفوضى وتقوّض قيمة الاحترام بين أبناء الشعب الليبي الذي يعرف القذافي أنّه شعبٌ لا يقاد إلّا بالاحترام، وحتى لا يقاد به من قبل الذين يرونه رأس القيم كلّها، جاء بإجراءاته التعسّفية مقلّلاً للقيمة التي تحملها كلمة (السيّد) ومستهزئاً بالذين يرونها قيمة ويقفون دونها، ولذا فهو منذ البداية كان مستهدفاً القيم التي بها يقاد النّاس عن إرادة وطيب خاطر، وذلك لكي لا يقادوا بها مستقبلاً من قِبل أيّ أحداً محترم، وهذا الأمر إن حدث سيجد القذافي نفسه مرميّاً على الرّصيف من منصّة الحكم الذي استولى عليه في الظلام.

ولأنَّ القانون كان مرسّخاً لقيمة الاحترام، لذا جاء بذلك الخطاب ليكسر تلك الهيبة التي تضفي احتراماً على القانون الذي استهدفه القذافي بالتّعطيل، وذلك بهدف تعطيل قيمة الاحترام بين النّاس وبين النظم التي تصاغ في قوانين الدّولة المحترمة.

ثمّ جاء بنقطته الثانية التي تنصّ على: (تطهير البلاد من جميع المرضى) ويقصد ممّا يقصده بالمرضى كلّ أصحاب رأي، وفكر، وعلم، وثقافية، وسياسية، ودين. وبالتمعّن في صفات المرضى التي جاء بها وهي تعني (أصحاب الرّأي والفكر والعلم والثقافية والسياسية والدين) يلاحظ أنّه قد وجّه خطابه ضدّ القيم المرسّخة لقيمة الاحترام؛ فالليبيون بطبيعتهم يحترمون أهل العلم، وأهل الفكر، وأهل الثقافة، وأهل السياسة، وأهل الدين، وغيرهم من أهل التدبر والرّأي السديد، ولهذا أمر في ذلك الخطاب بعدم احترام من يكون صاحب فكر ورأي وعلم ومعرفة وثقافة وسياسة ودين رشيد.

أمّا النقطة الثّالثة التي أظهر فيها تأكيده على أنَّ الحرّية كلّ الحرية للشّعب، ولا حرّية لإعداء الشّعب؛ فهي نقطة متناقضة الدلالة والمعنى، ذلك لأنّ المقصود في الخطاب بكلّ الشّعب هو الشّعب الليبي، وفي ذات الوقت المقصود بكلّ أعداء الشّعب في الخطاب هو الشّعب الليبي، وفي تحليل مضمون الخطاب فالمعنى والدلالة ترشد إلى أنّه لا عدو للشّعب الليبي إلّا الشّعب الليبي نفسه، الذي سُنت القوانين من أجله، والذي منه جاء العلماء والحكماء والمثقفين ورجالات الدين والسياسة والفكر، ولذلك جاء الخطاب بصيغة الأمر الذي يتطلّب الطّاعة وإلّا سيوضع في السجون من يخالف ذلك ولو كان الشّعب الليبي بأسره. وهذا ما أكّده بقوله في ذات الخطاب: (وعليه سنبدأ ثورة ... والذي يريد أن يمضى معنا يمضى، والذي ليس معنا يبقى تحت الاقدام ... والذي يتخلّف ندوسه بالأقدام). خطاباً هذا مقطع منه ألا يكون دليلاً كافياً على ما قام به القذافي من تقويض لقيم الاحترام والتقدير والاعتبار؟ وهل ما ورد في هذه النقطة الثّالثة من خطابه يؤكّد بحقّ أنَّ الحرّية كلّ الحرية للشّعب، ولا حرّية لإعداء الشّعب!

أقول بحقّ لا علاقة لهذا بذاك، ولكن هناك علاقة صريحة في هذه النقطة الثّالثة من خطابه بأنّه لا حرّية لأحدٍ يخالفني، وهذه الصيغة لا احترام فيها، ولذا بُنيت هذه النقطة على التناقض في الدلالة والمعنى، وكذلك حتى في صياغتها، ذلك لأنّ الخطاب لم يكن موجّهاً لأعداء الشّعب من الخارج، بل كان المستهدف بالأعداء هم أبناء الشّعب الليبي (كائناً من كان من أبناء الشّعب).

ولذا في حقيقة الأمر لا يوجد شعب في أيّ دولة معادياً لنفسه، ولكن أسلوب الخطاب أخذ النّاس بحسن نواياهم كونهم تربوا على الاحترام الذي تشرّبوه من قيمهم الحميدة وفضائلهم الخيّرة، التي ترى في المتحدث صادقاً إلى أن يثبت غير ذلك.

ولأنّ القذافي غير ذلك؛ فبعد انتهائه من خطابه زجّ بالكثيرين من الليبيين في السجون، وهذا تأكيد على أنّه لا حرّية لكلّ الشّعب كما ورد في خابطه بمدينة ازواره، وإلّا الذين أخذوا وزجّ بهم في السجون لم يكونوا من الشّعب الليبي في شيء!

وهكذا جاء بنقطته الرّابعة التي أعلن فيها الثورة الإدارية، التي كان المستهدف من ورائها تكسير النظم واللوائح والخروج عن كلّ ما من شأنه أن يُسهِم في بناء الدّولة الليبية، وهذا دليل آخر على أنّ صاحب الخطاب لا قيمة للاحترام في قاموسه، ولهذا يوجّه خطابه لأولئك المحترمين كي لا يكونوا متمسّكين بهذه القيمة التي تصدّعه كثيراً كونها تشكّل خطراً عليه، ومن هنا نعرف أنّ فاقد الاحترام دائماً يأمل أن يكون غيره على غير احترام؛ ممّا يدعوه مسرعاً لإفساده بهدف اتساع دائرة المؤيدين إليه. ومع ذلك عندما تتسع دائرة المفسدين في البلاد تكون النتيجة يباع المفسد من قبل المفسدين بلا ثمن.

وعليه: بحكم القذافي لقد فسدت الإدارة في ليبيا؛ فهو تحت مظلّة ما أسماه بالإدارة الشعبية جعل الطلبة عمداء للجامعة وعمداء للكليات، وجعل الأساتذة يمشون بين الممرات لمقابلة الطلبة الذين يتولون عملية الإشراف العلمي عليهم، وبهذه الإجراءات التي قوّضت قيمة الاحترام للأستاذ الجامعي، أصبح الأمر وكأنّه معتاداً أن لا يكون لأساتذة الجامعات مكاتب في مقابل طردهم منها، وتسليمها لأولئك الطلبة الذين هم أصبحوا العمداء للجامعات والكليات والأقسام بها.

ولأنّ المستهدف بتلك الإجراءات التعسفية هو تقويض القيم التي منها تولّدت مكارم الأخلاق، أمر القذافي بأن تسيّر الجامعات بما سمّى بالإدارة الذاتية، وتكون الجامعات بلا دورات مياه، وكأن البشر غير البشر؛ فأين تقضى الحاجة للطلبة، والاستاذ، والعاملين، ولذلك قوّضت قيمة الاحترام بإجراءات تعسفيّة، وهكذا أمر بقفل المساجد

(سوى وقت الصلاة) حتى لا تكون مأوى للمتعبّدين خاصّة أن ظروف الحياة تجعل من النّاس بين راحلٍ ومستقر وعابر سبيل.

وأخيراً جاء إعلانه الثورة الثقافية عنواناً مباشراً لتقويض تلك القيم التي تنال التقدير والاحترام من كافّة الليبيين، وهذا يعني أنّ القذافي قد وجّه الإهانة المباشرة لجميع الليبي في خطابٍ نقل على الهواء مباشرة لمن لم يكن حاضراً، وذلك لكي تصل الإهانة للجميع الذين قال لهم (الحرية كلّ الحرية للشعب).

ومن منطلقات الثورة الثقافية التي جاء بها القذافي في خطابه بمدينة ازواره، قتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ مصداقاً لقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}[١٠٠]. فنصب المشانق في الميادين طغياناً لتكون درساً أمام من يعصي له أمراً، فشنق من شنق يوم العيد، وشنق من شنق في شهر رمضان، وشنق من شنق يوم الجمعة، وشنق من شنق يوم السبت، وهكذا بقية أيّام الأسبوع شنقاً ورمياً بالرّصاص في الميادين العامّة وفي المعسكرات وفي الجامعات وأمام المنازل، كما أنّه بلغ به الظلم إلى نبش من دفن في منطقته بعد أن دفن، وفي هذا الفعل رسالة إلى الليبيين المسلمين الذين يقدّرون الإنسان ويحترمونه حيّاً وميتاً أن لا تستوقفهم قيمة الاحترام حتى للأموات، ولهذا أمر القذافي جنده بنبش قبور الأبطال وإخراج رفاتهم منها، حتى لا يكون لدى الليبيين رموز تُحتذى.

وعليه: فالاحترام قيمة حميدة لا يمكن أن يُقبر ولو قوّضه من قوّضه، وهو كذلك لا يُفرض فرضاً، وإن فُرض فرضاً يكون السّلوك الظّاهر غير السّلوك الكامن، ممّا يجعل الإذعان هو السلوك السائد، ولهذا رضخت الشّعوب العربيّة قرون من الزّمن وهي تقاد استعماراً واحتلالاً، أو تُحكم

---

[١٠٠] المائدة ٣٢.

من فرعونٍ وطاغية ودكتاتور لا يعرف لغة لممارسة الديمقراطية إلّا الهراوات والسياط في حالة تنظيم المجتمع المدني، والرّصاص الحيّ في حالة التربّع على قمّة سُلّم السُّلطان بغير حقٍّ، ولكن بعد الصّحوة أصبحت الميادين العامّة والسّاحات العامّة ممتلئة بالرّافضين صراحة لا تلميحاً (إرحل)، ولذلك عندما يقرّر الشّعب إسقاط النّظام، النّظام يسقط؛ فالشّعب قمّة ولا قمّة تعلو عليه، ولا قمّة للسُّلطان إلّا منه؛ فليعتبر من يعتبر، وليتّعظ من يتّعظ، وقد اعذر من أنذر.

ولذا فالقيم كونها ذات منشأ عُرفي ديني فهي ثوابت عنيدة لا تتغيّر بسهولة، ولا يقدر فرد على تغييرها مهما عمل من عملٍ، ولكن في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقع إنْ امتلك أحدٌ معطيات القوّة فبإمكانه أن يعمل ما من شأنه أن يقوّضها، ومع ذلك سيكون الرّفض والمواجهة والصّدام بين من يريد تقويضها وبين النَّاس إلى أن يحسم الأمر بالقوّة.

ومع أنَّ تقويض القيم ممكن، إلّا أنَّه لا ينجح عندما تكون القيم مرضية للنَّاس، إلّا بإجراءات تعسّفية تترتّب عليها أفعال التكميم، والإقصاء، والتغييب، والتحقير، والتسفيه، والتقييد، والزجِّ في السّجون، وأحياناً إلى حدّ بلوغ القتل. ومع كلّ ذلك لن تتغيّر القيم ولا تتبدّل بسهولة كما يعتقد من يستهدف تغييرها أو تبديلها كرهاً، ولكن رفع السقف إلى هذا المستوى في مقابل المواجهة بالرّفض والتحدّي تنقبض القيم قليلاً بدلاً من أن تمتدّ كثيراً، ممّا جعلنا نصفها بالمقوّضة.

فالتكميم وإن رأيناه مرتبطاً بالأفواه إلّا أنَّنا غير غافلين عن كونه أكبر مقوّض للإرادة، وأكبر كابحٍ لحرّيّة الشّعوب، وفي ذات الوقت نحن واثقين بأنَّ نتائج التكميم لا تكون إلّا في غير المتوقّع بالنّسبة لمن قرّر ونفّذ أفعال التكميم كرهاً.

ولأنَّ القيم موروث اجتماعي وإنساني تُستمدّ من الأعراف والأديان المحتوية على الفضائل والمرشدة إلى القدوة الحسنة؛ فالقيم كلّما مادامت حظيت برضا النَّاس، ومع ذلك فدوامها غير مطلق؛ فتتغيّر استيعاباً لمتغيرات العصور التي لا تكون على حساب قيمة الإنسان التي جاءت القيم لتنظم علاقاته مع الآخرين أقارب وأباعد، كما تنظم شؤونه الاقتصادية والسياسيّة والأخلاقية والبيئية.

ولأنّها القيم المرضية للنَّاس عن إرادة؛ فالمساس بها ليس بالأمر الهيّن، ولكن مع ذلك ليس بالأمر المستحيل، ولهذا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع القيم قد تمُسّ تحسيناً أو تزويراً؛ فالصدق كونه قيمة مرضيّة للجميع؛ فهو قيمة مأمولة؛ فيربى النشء عليها، لتكون المعاملات بين النَّاس صادقة، وهكذا قيمة العدل والكرم والشورى والاحترام والتقدير والاعتبار والكرامة وكلّ القيم التي رسمت هويّات الشّعوب.

ولكن لسائل أن يسأل:

متى تزوّر القيم وتقوّض؟

نقول:

عندما يتولّى الأمر فاسدون كما هو حال زين العابدين بن على في تونس، وحسني مبارك في مصر، ومعمّر القذافي في ليبيا، وبشار الأسد في سوريا، وعلي عبد الله صالح في اليمن، وغيرهم كثير؛ فهؤلاء الطغاة لا يقدّرون المقدَّر من المجتمعات والأمم والشعوب والكّافّة؛ فيتّجهون أوَّل ما يتّجهون إلى تقويض القيم التي تجعل الإنسان على الإرادة حرّاً يقول ما يشاء، ويعمل ما يشاء، بقوّة القيم المقرّة له بهذا الحقّ الذي لم يرضِ المفسد والطاغية[١٠١].

فالأديان والأعراف التي تُرسّخ قيمة العدل تجعل المساس بالعدل مساس بأحوال الأفراد والجماعات في الوطن من الحدود إلى الحدود، ممّا يجعل

---

[١٠١] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م، ص١٣.

خُطب الحاكم مؤيّدة لهذه القيمة، ولكن أفعاله مقوّضة لها؛ فيعمل على تعيين حكومته من الذين سلوكهم تملؤه المظالم والمفاسد، ممّا يجعل قيمة العدل بين منافقين وفاسدين ورافضين، وعلى رأس المنافقين:

أوّلاً: الطاغية الفرعوني الذي لا يرى إلّا ما يرى من جهة، ومن جهة أخرى بعض المواطنين الذين يبادلونه نفاقاً بنفاقٍ، أي همّ الذين يظهرون له مالا يبطنون وذلك إلى حين أنْ تسنح لهم الفرصة بالانقضاض فيقتنصونها.

ثانياً: الفاسدون وهمّ حكومة الطغاة أفراداً ودستوراً وقرارات وإجراءات وأعواناً سواء من الداخل أو الخارج حيث المصالح تتبادل.

ثالثاً: الرّافضون وهمّ المواطنون (الشّعب) مالك الإرادة، الذي يرفض الظّلم والفساد والنّفاق، ويتحدّى مع قبول المواجهة حتَّى سقوط النّظام، كما هو الشّعار السائد في هذا العصر، الذي به نستبشر الإصلاح حتَّى بلوغ الحلّ الذي لا يكون فيه الطغاة وأعوانهم طرفاً مقدّراً[١٠٢].

إذن القيم مع قوّة بنائها وتماسكها إلّا أنَّها المعرّضة للتقويض من قِبل الطّغاة، ولذا فهي تستبدل بغير حقّ؛ فعندما تستبدل يصبح النفاق سائداً على حساب الصدق حتَّى تكاد أن لا تعرف الحقيقة مع قربها منك، وعندما يسود النفاق بين النَّاس بأسباب انعدام الثّقة حيث العملاء والبلطجيّة كما يعرف في مصر وليبيا، وكذلك الشبيّحة كما يقول أخوتنا في سوريا، يصبح الكذب إلى جانبه سائداً جنباً إلى جنب مع التزوير والخيانة والغش وإباحة ممتلكات الدّولة، ومن هنا يصبح كلّ شيء بثمن؛ فالتعليم يزوَّر بإجراءات السّلطة المنحرفة التي لا ترى للوفاء معنى إلّا الوفاء للحاكم وأسرته، وأقربائه وقبيلته، أو حزبه وطائفته، وهؤلاء جميعهم لا همَّ لهم إلّا النّهب وتشويه وتزوير التَّاريخ، وقلب

---

[١٠٢] المصدر السابق، ص ١٠ ـ ١١.

حقائقه واحدة بعد الأخرى، ولكن عندما يحسم الأمر بالثّورة الشعبيّة التّاريخيّة لصالح أصحاب القيم الحميد كما حُسم أمرها في تونس ومصر وليبيا، حينها تعاد كتابة التّاريخ الذي لن يجدوا لهم فيه مكاناً، بل لن يجدوا خانة واحدة للكتابة عنهم سوى خانات الفساد وسجلّاته الموثّقة[١٠٣].

ولأنَّ "الفساد خروجٌ عمّا ترشد إليه القيم الحميدة التي ارتضاها النَّاس عبر التَّاريخ خير منظّم لعلائقهم الأسريّة والبدويّة والرّيفية والمدنيّة تجاه ما يجب أن يُقال، وما يجب أن يُفعل، وما يجب أن يُعمل، وما يجب أن يُسلك، لذا فإنَّ المفسدين فيها همّ الذين يعملون على تسفيه ما تدلّ عليه القيم من معانٍ رفيعة وأخلاق حميدة، وذلك بتقويضها بالمفاسد من خلال المناهج والمقرّرات التعليمية المزوّرة، ومن خلال أساليب العمل وتشريعاته القانونية التي لا تصاغ ولا تعتمد إلّا بالكيفية التي يراها الطاغية، الذي يستهدف بكلّ قانون أو إجراء تقويض القيم من أجل أن تُمسخ شخصية المواطن ليكون بين يديه طائعاً خوفاً وطمعاً؛ فيقبل سياساته وينفّذ توجيهاته ويظهر له الإخلاص حتَّى يؤلِّهَهُ طاعة له ومعصية لله تعالى، وهنا عندما يصل حال المواطن إلى هذا الحال الذي يُعصى فيه أمر الله ويُطاع على حسابه أمر الحاكم بغير حقٍّ، إلا يكون ذلك أكبر دليل على تقويض القيم الحميدة ومن قبلها الفضائل الخيّرة التي أمر الله بها عباده.

الطّاغية بدون شكّ مغترّ بالحياة الدنيا وما يمتلئ به من شهوة؛ فيتظاهر بالإيمان الوافي والصدق الثّابت وطيب النّفس والسلوك القدوة، ولكن في حقيقة أمره يظهر ما لا يبطن؛ فهو لو كان كذلك لما كان طاغياً. يفسد في الأرض التي يحكمها، ويأمل أن يمتدَّ فساده ليلحق أوطان الآخرين، يسفك الدماء في وطنه بغير حقّ، ويتآمر على الآخرين من

[١٠٣] المصدر السابق، ص ١١.

أجل أن يسفك دمائهم، ولذا فهو كلّما عمل مفسدة في الوطن اتّهم الآخرون بالفساد، وهم لا علاقة لهم بذلك، ومع ذلك تُبرق له برقيّات التأييد والمناصرة من المنافقين والذين يظنّون أنَّه مصلح؛ ممّا يجعله يأمر أجهزته بدفع النَّاس إلى الخروج في مسيرات تأييد له؛ فيخرجون طوعاً وكرهاً"[١٠٤].

وعندما يحسّ الطّاغية الخطر يتربّص به الدوائر يختلق لمواطنيه حرباً مع أحد الدّول المجاورة كما فعل القذافي مع الشقيقة مصر والجارة اتشاد، وهكذا دائماً الطغاة يتحينون الفرص لارتكاب الجرائم مع الأقارب والأباعد وارتكاب كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى تكميم الأفواه المطالبة بالإصلاح وممارسة الحرّية.

وإذا تظاهروا ضدّ الطاغية رافضين لسياساته واجههم بالرّصاص الحي حيث لا معنى لقيمة الإنسان في قاموسه الأخلاقي، بل بعد أن يقضي عليهم جميعاً يعلن عن علاقات عمالة تربطهم مع الأجانب أعداء الدين والأمّة والقيم الحميدة، وذلك لكي تلاحقهم اللعنات من أقاربه وأجهزته وبقيّة السذّج، ثمّ من بعدها تُهدّ منازلهم ومنازل من له علاقة بهم، بعد أن يتمَّ سلب ما فيها من ممتلكات، ولا يحقّ أنْ يلتفت أحدٌ لمن تبقّى من أبناء ونساء؛ فليرحلوا إلى أيِّ مكان شريطة أن لا يقبلهم أحد من أقاربهم؛ فإنْ أخذوهم وقدّموا لهم الرّعاية لحقتهم هم الآخرون التّهم المستوجبة إلحاق العقاب بهم، وهكذا الطغاة يلاحقون القيم لتقوّض بإجراءات تعسّفيّة.

ولأنّ الحاكم طّاغية؛ فلا أحد يستطيع نصحه، كما أنّه لا يقبل بأن يكون له مستشارين؛ فهو يرى نفسه في غير حاجة لمستشارين، بل المستشارون العالميون هم الذين في حاجة إلى رؤاه، وأفكاره ليسترشدوا بها ويرشدون الآخرين، ولم يعد في حاجة للنّصيحة، بل النصيحة هي

[١٠٤] المصدر السابق ، ص ١٢.

التي في حاجة إليه، ويا ليتها تفهم، لتأخذ بما يرغب، ولكن الحمد لله أنَّها لا تفهم[١٠٥].

ولذا "فإنَّ أوَّل مهمّة تاريخية للطغاة هي إيقاد نيران الفتن، بين المرء وزوجه، وبين الأبناء وأمّهم، وبين الأبناء وبعضهم البعض، وبين الجار وجاره، وبين الشرطة والجيش، وبين الطلبة والعمال، وبين القضاة والعدل، وبين التجّار وزبائنهم، وبين رجال الأمن الداخلي والخارجي، وبين كتائب الجيش وأمرائها، وبين المدير ومن يدير شؤونهم، وبين التخطيط والتنفيذ، وبين الماضي والحاضر، وكذلك بين الحاضر والمستقبل، ممّا جعل الشكوك والظنُّون هي السائدة في الوطن من الحدود إلى الحدود، وبهذه الأعمال وما هو أكثر منها ينام الطاغية نهاره هانيء البال، أمَّا الليل فانعدام الثّقة في الكلّ لا يمنحه إلّا ساعة نوم واحدة.

ولأنَّ الأمر هكذا حاله؛ فكيف يمكن أن تُسيّر الأعمال نهاراً؟ وكيف يمكن أن تنجز المهام من قِبل الإدارة الموقّرة بالطّاعة المطلقة، خاصّة وأنَّه لا يجوز تنفيذ شيء ما لم يعرض نهاراً (والنّهار بالنسبة له سبات) إلّا إذا كانت مناسبة احتفالية؛ فيفضّل أن تكون الاحتفالية في المسافة الممتدة من صباح العصر (زمن استيقاظه) إلى منتصف الليل (الذي من بعده تبدأ السّهرة).

كلّ هذه الجهود عُمل بها على تقويض القيم الحميدة، ممّا جعل الثورات الشعبيّة التَّاريخيّة عازمة على تصحيح القيم معلومة بمعلومة، أي تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة (حجّة بحجّة).

وأوَّل الحُجج التصحيح أنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم، ولأنَّه كذلك إذن فلماذا التكميم"[١٠٦]؟

[١٠٥] المصدر السابق، ص ١٣.

[١٠٦] المصدر السابق، ص ١٤.

هذه جوانب من السلبيّات لا نقول إنّها موجودة في النّظام وأجهزته فحسب، بل هي موجودة في عقل القائم على سلّم القمّة الطاغية الذي يحكم النظام ويتحكّم به، وفق مصلحته ومشيئته ورؤيته الخاصّة من الألف إلى الياء؛ فلا رأى إلّا رأيه، ولا قرار إلّا قراره، ولا سيد يطاع أمره إلّا هو، ولا همّ له إلّا التكميم.

قوّض

قيمة الإرادة

لقد عمل القذافي ما في وسعه من أجل أنّ يقوّض إرادة الليبيين، وذلك لمعرفته للعلاقة المباشرة بين الإرادة والحرّية، خاصّة وأنّه يعرف أنّ الليبيين يعرفون أنّه قد استولى على السّلطة في ليبيا كرهاً وعنوة. كرهاً لأنّ السّلطة الملكية لم تسلّم له إرادة من قبل ذلك النّظام الذي اسقطه ليلاً عن حين غفلة، وعنوة حيث لم يتمّ اختياره رأساً للسّلطة من قبل صندوق الاقتراع الانتخابي الذي لا يكون إلّا عن إرادة من الشّعب الليبي.

ولأنّ الإرادة قيمة حميدة لإظهار قوّة القول والفعل والعمل والسلوك بما يمكّن المواطنين من ممارسة الحرّية، استهدفها القذافي بالتقويض، وذلك بسلبها من الجميع من خلال تسفيهه لأيّ جهد يبذل إذا لم يعرضه صاحبه عليه، حتى ولو كان متعلّقاً بأمنه الخاصّ، فما بالك أن يكون ذلك الجهد، وتلك المبادرة من أجل انجاز العمل وبناء ليبيا.

ولذلك يرفض أيّ اجتهاد من أيّ كان؛ فالاجتهاد لا يراه القذافي إلّا امتلاكاً للإرادة، وهذه بالنسبة له تجعل صاحبها في دائرة الاتهام، ممّا يدع القذافي إلى إبعاد صاحبها أو إقصائه من الاستمرار في ذلك الاتجاه الاجتهادي، وذلك بإملاءات إجرائية تحيده جملة وتفصيلاً عن نهج هذا السبيل، أو أن يعاقبه بوافر الشدّة كي لا يعود مرّة ثانية للاجتهاد.

وكثير من المجتهدين في ليبيا في بدايات حكم القذافي جاءوه باجتهاداتهم، ورؤاهم ومشاريعهم، من أجل نهضة وطنهم ليبيا؛ فأخذ منهم تلك الاجتهادات والرؤى، وكلّف بعض أصحابها بتنفيذ تلك المهام، لا لشيء إلّا ليثبت لهم أنّه قادر على إسقاطهم فيها، شريطة أن يكون سقوطهم فيها أمام أعين النّاس، ليثبت أمامهم أنّ الذين

يستعرضون باجتهاداتهم ورؤاهم هم لا يزيدون عن كونهم لا يفهمون شيئاً.

ولأنّ المستهدف من وراء ذلك هو تقويض القيم؛ فيجد المتتبع نفسه أمام مشهدٍ من المفارقات، إذ نرى المجتهد بداية تكون معنوياته مرتفعة، ونهاية يجد نفسه ومعها معنوياته في الحضيض، ويكون ذلك ثمناً لتقويض الإرادة من قبل الطاغية؛ فمن يقبل بذلك التقويض سَلِم من الطاغية ولم يسلم من النّاس، ومن لم يقبله؛ فله الحرّية الكاملة في اختيار بديلٍ بين سجينٍ أو قتيلٍ، وفي مقابل ذلك يسلم في أعين النّاس.

وعليه: فمن يمتلك القوّة بأساليب قهريّة ظالمة لن يكون أمامه عائقاً في سبيل وصوله إلى سدّة الحكم الطاغي إلّا أولئك الذين يمتلكون الإرادة الحرّة؛ فيتوجّه لهم فئة فئة، وجماعة جماعة، وحزبٍ حزبٍ، وقبيلة قبيلة، وفردٍ فردٍ، من أجل أن يفوضوه أمرهم دون شريك، وإلّا كلّ منهم سيدفع الثّمن غالياً. ولهذا أصبحت المبايعة من القبائل والطوائف والجماعات المدنية والحضرية تتوافد على الطاغية لتقول له (أنت أنت) ولا أحد سواك.

وبعد أن أتمّ هذه المهمّة رأى نفسه أنّ الأمر لا ينبغي أن يقف عند هذا الحد؛ فتوجّه بأموال الليبيين لشراء الذمم؛ ممّا جعله قادراً على شراء بعض النّاس، فجاءت الوفود طائرة بعد طائرة، لتبايعه كما يشاء ملك الملوك.

وحتّى المصلّون البسطاء الذين ينبغي أن يكونوا أكثر تمسّكاً بصلاتهم، جاءوه وفوداً ليصلي بهم القذافي في ذكرى مولد نبيّنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام بغير وضوء.

ولذا مع أنّ الإرادة قيمة حميدة، إلّا أنّ السلوك أو الفعل أو العمل المترتّب عليها قد يكون ذا أثرٍ موجب، وقد يكون ذا أثرٍ سالبٍ،

ولذلك فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبلاً، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدماء بغير حقّ سبيلاً، ومن هنا أصبح الصّراع والصّدام بين المصلحين والمفسدين دائماً يشتدّ، إلى أن يحسم الأمر الذي به تتخلّص الشعوب من أولئك الظلمة وهم كُثر في أوطان التكميم، ومع ذلك لا تخيفك كثرتهم؛ فهم جميعاً مؤهلون بمعطيات السّقوط.

فالذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النَّاس بإرادة الفرعون الذي لا يُري النَّاس إلّا ما يرى، {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[١٠٧]؛ فهؤلاء لا يرون شيئاً يعلو على رؤاهم، ومن يخالفهم في رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد، والمكر والدسائس، حتَّى إقصائه بعد أن يُلبّس بعددٍ من التهم التي تلفّق له تلفيقاً، ليدان بتلك القوانين التي سُنّت من أجل الطاعة للطاغية وعدم التولّي عن كلّ أمرٍ يراه، ولأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعية، رفضتها الإرادة الإنسانية بعد أنَّ كسّرت القيد الذي كبّلها عن الحركة سنين طويلة.

ولذا عندما بلغ الإنسان الصحوة، رفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، ورفض من أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق، كما أنّه رفض كلّ من قيّد النَّاس بها؛ وظهر عاري الصدر لقبول المواجهة وإن كانت رصاصاً؛ فطلب الشّعب (الموت) فكانت له الحياة، بعد أن استرجع أنفاسه بذلك البركان العظيم الذي ثار في تونس وتناثرت حممه إرادة في كلّ نفس في الوطن العزيز، حتَّى ثارت الشّعوب على أولئك الطّغاة وأسقطت من أسقطت، ورحّلت من رحّلت، وحاكمت من حاكمت، وقبرت من قبرت، وهكذا فإنّ الشعوب إذا ما

---

[١٠٧] غافر ٢٩.

امتلكت إرادتها امتلكت حرّيتها التي تسقط الطّغاة واحداً بعد آخر[108].

وعليه: لقد انتهى زمن الأوامر، زمن: ليس لك إلّا أن (تسمع وتطيع)، وجاء زمن فكّر، ثمّ عليك بالتفكير فيما أنت تفكّر فيه حتى تبلغ الحلّ، ولذا فمن حقّك أن تقبل، ومن حقّك أن ترفض، ومن حقّك أن تضيف جديداً مبدعاً.

[108] المصدر السابق، ص ١١٨.

قوّض

قيمة التقدير

الشّعب الليبي شعب متماسك العُرى؛ فيه الكبير يحترم الصّغير، والصّغير يحترم الكبير، والرّجل يحترم المرأة، والمرأة تحترم الرّجل، والجار يحترم جاره، والمسؤول يحترم المسؤولية المناطة به، ولذلك فكلّ الليبيين يحترمون الوطن، كما أنّهم يحترمون قبل كلّ ذلك الدين الذي ارتضوه مصدراً للتشريع، وكما أُنزل على النبي الخاتم سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

ومع أنَّ من أتّبع هذه القيم وتمسّك بها نال التقدير من الجميع، إلّا أنّ القذافي في زمنه كان لا يرى أحداً يستحقّ التقدير غيره، وبالتّالي استهدف القيم الحميدة بالتقويض كي لا تبلغ مداها، وتترك أثراً به ينال أُسر الشّعب الليبي وأفراده تمام التقدير.

وحتى الجيش والشّرطة اللذان يؤسّسان على الضبط وحسن التنظيم مع وافر التقدير استهدفهما القذافي بالتحقير، كي لا يُقدّر من ينتسب إليهما، فأصبح الضابط غير مقدّر من أفراد كتيبته، أو سريّته، أو حتّى شُعبته ووحدته أو إدارته، ولذا كانت رؤى القذافي لا تقدّر إلّا من يتطاول من الأفراد على مرؤوسيه؛ ومن يتطاول منهم على مرؤوسيه يكافئ بنقله إلى أجهزة الأمن المراقبة لأولئك القادة،_مع الاستمرار في تقديم الاستفزازات لهم من قِبل أولئك المتطاولين المنحرفين عن أصول القيم الحميدة والفضائل الخيّرة وما تهدي إليه من سبيل.

وهكذا في سبيل تقويضه للقيم، يتمّ اختيار الوزراء من قبله، لكي يُتفِّههم بذلك الاختيار في أشخاصهم، وذلك بما يمليه عليهم من إجراءات تحت مسمى التوجيهات التي لا تصدر لهم إلّا منه، ومن ثمّ تُتفّه الوزارات التي هم على رأسها. وبهذا يكون القذافي قد تفّه قيمة التقدير لمن يجب أن يقدّر ولما ينبغي أن يُقدر، مما يجعل بقية الرّعية لا

تنظر للوزير ولا لوزارته برؤية المقدّرين، وهذا من وجهة نظره لا يجعل المواطنين الليبيين يتحفّزون على تولي هذه المهام المحقّرة، وبالتالي يسلم وتسلم سلطته منهم، حيث لا أحد بعد ذلك يحلم بأن يكون على سدّة الحكم، التي يراها مقتصرة عليه وحده دون غيره، سوى ما كان يأمله لأبنائه من بعده.

ولأنّ القذافي قد استهدف قيمة التقدير بالتقويض؛ فكان على رأس ما قوّضه من قيم مقدّرة هي: قيمة مهنة التدريس والمدرس القائم عليها، وذلك بما وجّهه من إجراءات تجاه المهنة، وتجاه المربّين الذين يقومون بها؛ فهذا الأمر دعاه إلى دفع الطلبة لينقلبوا على الإدارات التعليمية بالمدارس والجامعات والمعاهد العليا، لا من أجل أن يمكّنهم من المشاركة في الإدارة كما يدّعي، ولكن لأجل أن يكسر بهم هيبة المهنة والمدرس المقدّر من قبلهم وقبل الآخرين.

فذات مرّة وأنا أمين للتعليم بمدينة طرابلس قلت للقذافي: أنّ مرتّبات المدرسين لا تفي بشراء بدلة يلبسونها؛ فلِمَ لا تُرفع مرتباتهم؛ فهم في أمسّ الحاجة لذلك، ثمّ قلت هناك من المدرسين بأسباب الحاجة بعد أن يقوم بأداء مهنة التدريس يلتجئ مطرّاً إلى بيع الفحم في أسواق الفحّامين.

فردّ على وهو منتفض بقوله: ومن قال لك أنّ بيع الفحم عيب.

قلت: لم يكن عيباً، ولكن مهنة التدريس تتطلّب أن يكون المدرس قدوة في فكره وسلوكه ومظهره، إلّا أنَّ الفحم سيجعل مظهره وكأنّه لا علاقة له بمن يؤدّي مهنة التدريس. ولكن من تلك الإجابة التي قالها منتفضاً عرفت أنّه لن يكون للتقدير مكانة ولا مستقبلاً في سياسته.

ولأنّ نيل التقدير لا يكون إلّا بما يبذل من جهد حميد تجاه الأنا والآخرين؛ فالآخرون عندما يلاحظون ما يبذله الإنسان من جهد في سبيل الرّقي الأخلاقي والرّقي العلمي والمعرفي، أو في سبيل زيادة الإنتاج

والإصلاح والإعمار والبناء بشكلٍ عام، يقدّرونه تقديراً عالياً، وفي مقابل ذلك لا يقدّرون الضالين والطّاغين والمتكبّرين الذين يفسدون في الأرض.

ولأنَّ الأمر بين إفساد وإصلاح؛ فلا شكّ أنَّ المفسدين يغتاظون من أولئك الجادّين والمتميّزين، ممّا يجعل المواجهة والصدام والصراع بينهم على أشدّه، وعندما يتولّى أمر قمّة سلّم السُّلطان من بين هؤلاء الطّغاة طاغٍ؛ فلا استغراب أن يحدث ما يحدث من إفساد وسفك دمٍ بغير حقّ، ولا استغراب أن يلحق أوليك المقدّرين من قبل الآخرين ما يلحقهم من إقصاء وإلغاء وتسفيه لما يقولون أو يفعلون ويعملون، بل وما يلحقهم من عقاب مادّي (ضرب سجن قتل) إلّا من هاجر في أرض الله الواسعة، شريطة أن لا يقع بين أيدي طاغية ذلك البلد أو الوطن المهاجر إليه؛ فيلاقيه ما يلاقيه ممّا هو غير متوقّع الذي من بينه أن يعاد كرهاً للبلد الذي هاجر منه اضطراراً، ويسلّم إلى ذلك الطاغية الذي لا يستريح له بال إلّا بعد أن يراه في أعماق الألم ينزف دماً أو يختنق بحبل المشنقة درساً أمام الجميع[١٠٩].

قمّة سُلطان هذا حاله وأفعاله وأعماله ومسلكه، كيف يمكن أن يقدّر! ومع ذلك بعض النَّاس قادرون على التبدّل فينافقونه بدرجة وكأنَّها حقيقة، ولكن في حقيقة الأمر من وراء ظهره هم جميعاً يتغامزون ويسخرون ويستهزؤون، وهم يتربّصون لاغتنام الفرصة متى ما سنحت، والبعض منهم يقبل بالتضحية؛ فتكتب له الشهادة.

ولذا فإنَّ الطّاغية الذي اعتلى قمّة السلّم السُّلطاني دائماً هو يختنق من أن ينال غيره تقديراً، سواء أكان المقدّر فرداً أم جماعة أم مجتمعاً أم أمّة بأسرها، حيث لا وجود للتقدير في قاموسه الأخلاقي إلّا له، ولأبنائه وزوجه من بعده، ثمّ لا عيب أن تنال قبيلته تقديراً يميّزها عن قبائل

---

[١٠٩] المصدر السابق، ص ١٣٤.

ومكونات المجتمع الذي لا تساوي إلّا نقطة في بحر مكوّنات الشّعب[110].

فالتقدير قيمة حميدة تُميِّز من يجب أن يُميَّز بما عليه من مكارم أخلاق وقدرات ومواهب تفيد الأنا والآخر، ممّا يجعل لكلّ خصوصيّة خاصيّة تستوجب التقدير والاحترام والاعتراف، ومع ذلك نجد لكلّ قاعدة شواذ، وأكبر الشاذّين الجّاحدون، وأكبر الجّاحدين الذين يعرفون الحقّ وينكرونه ويلبسونه باطلاً كما يفعل الذين يحتكرون مقاليد السّلطة، خوفاً من ظهور المتميّزين عليهم بما هم عليه من تميّز يستوجب التقدير لا يستوجب الإنكار، وفوق ذلك في كثيرٍ من الأحيان يتمّ التخلّص من المتميّزين خاصّة الذين تميّزوا فكراً وعلماً وتقوى وحُسن تقويم.

[110] المصدر السابق، ص ١٣٤.

قوّض

قيمة الاعتراف

مع أنّ الاعتراف بالجميل جميل، والاعتراف بالحقّ حقّ، والوضوح بين المتشاركين فيما يتشاركون فيه شفافية، إلّا أنَّ الطغاة لا يعترفون بذلك، ولهذا يسعون دائماً إلى إنكار حقّ الأخرين، من أجل أن يحرموهم منها ويأخذونها ظلماً وعدواناً.

ولأنّ الاعتراف بالآخر، وما له وما عليه، وما يبذله من جهد هو قيمة حميدة، لذا نجد الكثير من الأبناء يجتهدون من أجل أن يعترف لهم الآباء والمدرسون والزملاء بأنّهم متفوقون، وذلك بما يتميّزون به من ملكات وقدرات جعلتهم يتبوؤن المراتب الأولى على أقرانهم، ممّا يدعو المقدّرين لأهمية التميّز إلى الاعتراف لهم بذلك، والشدّ على أيديهم، ومساندتهم من أجل بلوغ المواقع الإدارية والمهنية والعلمية التي من خلالها يستطيعون إظهار مهاراتهم، وقدراتهم في أداء المهام التي تناط بهم بنجاح متميّز.

ولهذا فمن يبذل جهداً متميّزاً أمام الآخرين يتمكّن من نيل الاعتراف منهم مع وافر التقدير عندما تكون مقاييسهم موضوعية.

ومع أنَّ الأمر الطبيعي أن يعترف الإنسان بأهمية وجود الآخر، ويعترف بما يبذلوه من جهدٍ متميّزٍ، إلّا أنّ القذافي على سلوكٍ وأفعالٍ وأعمالٍ معاكسة بالتّمام لهذه القاعدة الأخلاقية؛ فهو لا يرى الأفراد ولا الجماعات ولا حتى الشّعب بأسره إلّا أداة بين يديه، يستخدمها كما يشاء، ولهذا لم ينطق فمه ولو مرّة واحدة بقول شكر لمن يقدّم عملاً ناجحاً من الليبيين، أو يحقّق فوزاً علمياً أو مهنياً على الساحة المحلية أو الدولية.

ولذا فهو لا يرى أن يُقدّم الشكر إلّا له، وللأسف أقول هذا وأنا أعرف أن الشّكر لله تعالى؛ فبالنسبة للقذافي لا يعترف بأحدٍ يعترف بأحدٍ

آخر غيره، ومن يعترف بغيره، يعدّه معادٍ له، وللحرّية، وللوطن، وللدين والعرف؛ لأنّه يرى هذه لا تجتمع إلّا في شخصه. ولهذا لم يعترف القذافي لغيره بشيء يمكن أن يكون لهم.

ولأنَّ الاعتراف قيمة إثباتية تستوجب وجود الآخر الذي له من الأهميّة ما يساوي أهميّة وجود الآخرين؛ فهي القيمة الانتشارية التي يرغب الكلُّ في نيلها من الكلِّ، وهي القيمة الحميدة التي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصية بالمكانة، ومع أنَّ العبودية مستهدفة بالتحرير، إلّا أنَّ الذي تجبره الحاجة قد يقبل بأن يكون عبداً لغيره من البشر، ومن يقبل بذلك ستكون أحد مستهدفاته عمل ما يرضي سيّده، وذلك لأجل أنَّ يعترف له سيّده بأنّه عبدُ مخلص وناجحُ في طاعته. ولذلك فإنَّ جميع النَّاس يريدون نيل الاعتراف من الجميع؛ فالوالدان على سبيل المثال يحاولان أن يخلصا في رعاية أبنائهم، وذلك لكي ينالا منهم الاعتراف بأنَّهم صالحون مصلحون، وهكذا يحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أوَّلاً من أبائهم، وثانياً من الآخرين، وهكذا المسؤول الديمقراطي يكدّ ويجد مع وافر الشفافيّة لكي ينال الاعتراف ممّن تربطه بهم علاقات المسؤولية الوطنيّة، وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنَّ لكلِّ قاعدة شذّ، حيث الحكّام الطّغاة لا يعترفون بما يجب الاعتراف به للآخرين[111].

إذن "فمن الضرورة أن يُشعِرَ المسؤول مواطنيه أفراداً وجماعات بأهميّته مسؤولاً مقدّراً، وذلك بإحقاقه الحقّ، وعدله، وسماحته وحلمه ولين جانبه، كي يعترف له مواطنوه الذين ارتضوه حَكماً بمقدرته على العمل والمشاركة والتّفاعل والعطاء بلا حدود إلى النّهاية، وفقاً لقواعد الدستور المشرّع من قبل الجميع، حيث لا تغييب ولا إقصاء ولا حرمان"[112].

---

[111] المصدر السابق، ص ١٣٩.

[112] المصدر السابق، ص ١٤٠.

هذا درس من دروس التَّاريخ في الزّمن (الآن) ولكن الطّغاة يبدو أنَّهم لن يتّعظوا، بل منهم من زاد ضلالاً وطغياناً في سفك دماء الشّعب بغير حقّ؛ وكأن الأمر لا يعنيه في شيء، فليمت من يمت، وليُهتك عرض من يُهتك، ويعاق من يعاق، وتُهدم مساكن أو تدمّر على رؤوس ساكنيها؛ فالأمر لا يهم، وكذلك بالنسبة إليه حتى ولو قُسّمت البلاد فلا شيء يهمّه؛ ذلك لأنّ المهم عنده أن يكون رئيساً طاغياً فيها ولو على خيمة أو حتى على ركنٍ من اركانها.

ولأنَّ هؤلاء الطّغاة لا يقبلون الاعتراف بالآخر، فهم يبدّلون ويزوّرون ويمسخون كلّ ما من شأنه أن يجعل للبعض اعترافاً، من أجل أن يبقى الاعتراف مقصوراً عليهم، ممّا جعل القذافي يدّعي لنفسه أنّه سيّد سائد، وقائد ملهم، وملك الملوك، وزعيم لا مثيل لزعامته، تخضع له الرّقاب ولا تخضع رقبته لأحد، هذا ما كان يجري من قِبله بتخطيط مقصود، ولكن ما جرى في دائرة غير المتوقّع الذي لم يخطط له، أنّ رقبته خضعت كرهاً لإرادة ثوار ١٧ فبراير ٢٠١١م؛ فكان لمن خلفه آية، ويا ليت الذي من خلفه كان يعتبر ويتّعظ، ولكن يبدو أنّ نهاية الطغاة في هذا العصر لا تكون آية إلّا بنهاية كلّ منهم؛ فنهاية زين العابدين بن علي في تونس، كانت آية برحيله دون قيدٍ أو شرطٍ مع وافر الشتائم التي رافقته من تونس الثورة البركان، إلى السعودية حيت حطّت طائرته اضطراراً ولأسباب إنسانية. ومع ذلك لم يعترف ويتّعظ من جاء الدور عليه من بعده، وهو حسني مبارك، الذي كانت نهايته هي الأخرى آية لمن بعده؛ فأصبح سجيناً وعلى سرير الضعفاء يُنقل من محاكمة إلى محاكمة؛ فذلك الطاغية الذي لا يستمع إلّا لكلمة حاضر (أفندم)، هذه الكلمة التي في زمانه كانت لا تقال إلّا له، أصبحت في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م لا تقال تكراراً في جلسات المحاكمة إلّا منه، ومع ذلك لم يتّعظ القذافي الذي جاء الدور

عليه من بعده؛ فكانت نهايته آية مختلفة عمّا سبقها آيات، وهكذا كانت نهاية على عبد الله صالح آية مشوّهاً بأثر القذائف التي لحقته مباشرة، ومذلاً باشتراطات جعلته يتلمّس شعر رأسه أثناء التوقيع وكأن الأرض غير الأرض والسماء غير السماء.

وهكذا آيات الاتعاظ تتعدّد، ولكن الطغاة لا يتّعظون، ولذا فنحن في انتظار الآية التي ستكون درساً لطاغية سوريا بشّار الأسد، وهي لا محالة إنّها ستكون درساً.

قوّض

قيمة الاعتبار

لا شكّ أنّ قيمة الاعتبار تعدُّ مرتكزاً من المرتكزات الأخلاقية الرئيسة التي بها يتمّ الاسترشاد بمن يكون قدوة حسنة لغيره، ولهذا تؤخذ العبرة من تلك المواقف والشواهد التي يحملها التّاريخ في صفحاته. ولأنّ خير من يعتبر بهم هم صنّاع التاريخ، لذا فالطغاة لا يرون خصماً ولا عدوًّا إلّا أولئك الصنّاع حتى ولو كانوا شهداء في القبور، ولهذا يبذلون ما في وسعهم من أجل طمس ما يتركه الأبطال من تاريخ، وهذا ما فعله القذافي الذي لم ينم نوماً نفسه تقبله إلّا بعد أن أزاح ضريح شيخ الشهداء عمر المختار من مكانه الذي اتخذه الليبيون رمز جهادهم التاريخي ضدّ الطغيان.

ولأنَّ القذافي يعرف أنّ الليبيين يتّخذون عبرهم من تاريخ الشهداء والمجاهدين وعلى رأس التّاريخ ما خلّفه لهم الشهيد البطل عمر المختار، فقد حاول ما استطاع إليه سبيل أن يقوّض تاريخ الشيخ الشهيد عمر المختار، بالتشكيك فيما سطّره من تاريخ، في مقابل عرضه لأبيه وأعمامه مجاهدون ولا مجاهد يساويهم، ولأنّه أصبح بقراره ابن مجاهد فقد أصبح هو ملك الملوك، ومهندس النهر الصناعي العظيم، والقائد الإسلامي، والقائد الأممي، وغيرها من الألقاب التي يتسوّلها من أفواه النّاس؛ فتقال له منهم سخرية وليس اعتباراً.

القذافي لا يوجد في قاموسه مفردة لغويّة بها يمكن أن يعطي الاعتبار لمن يستحقونه؛ فالاعتبار قيمة تُظهر المكانة وتُعطها لمن يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات، ولكن هذا ما لم يقبله الطغاة، أمّا الشعوب بقيمها الحميدة لا تغفل ولا تغضّ النّظر عمّن هو ذو مكانة اجتماعية، أو علمية، أو فكرية وأخلاقية؛ فالمكانة يُلتفت إليها وهي لا

تُخفى، والقاعدة تقول: (اعتبرني أعتبرك، وإذا تجاهلت وجودي أتجاهل وجودك).

وعليه: الاعتبار يؤصّل القيم والفضائل حقائق ثابتة في الأقوال والحِكم والأفعال والأعمال والسلوكيّات البشرية، وبها يتمّ نيل الاحترام والتقدير من الذين ساهموا في غرسها أو أنَّهم في حالة تماثل قيمي مع من تُكوّن كبريائهم[١١٣].

ولأنَّ الاعتبار قيمة؛ فبه يتمّ الاتّعاظ وأخذ العبر من التَّاريخ وما تُقدّمه الحِكم من مواعظ حسنة، ولهذا أصحاب البصائر هم الذين يعتبرون، وهم الذين يجب أن يعتبروا لأنّهم قادرون على بلوغ المعرفة الواعية التي بها يتمّ التمييز الحقّ، ولهذا كان الخطاب من الله تعالى موجّه لأولي الأبصار، {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[١١٤].

وهنا فنيل الاعتبار قيمة تربط الإنسان بالحقائق الاجتماعية التي تجعل الفرد وكأنّه أمّة، أو وطن بحاله، أو دين بكامله. ولهذا يصبح الشّرف والوطن والأمّة والدّين من المكوّنات الرئيسة لذات الفرد الذي يقبل أن ينتهج خيراً من أجل أمّته، وأنْ يُضحّي في سبيلها؛ فالاعتبار يرسّخ الهويّة التي تشكّل كبرياء الأفراد والجماعات والشّعوب والأمم، التي تأخذ بالفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وتعتبر من قصّص وعبره التَّاريخ من أجل أن تبني حضارة مستمدّةً من الثوابت المستوعبة للزّمان والمكان.

ولذا فلن يكون للإنسان اعتبار وكرامة إذا حُرِمَ من ممارسة حقوقه وتأدية واجباته وحمْل مسؤولياته بإرادة، ممّا يستوجب تفطين الأفراد إلى أهميّة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي تجعلهم مستخلفين في الأرض مصلحين لا مفسدين فيها، ولا سافكي دماء بغير حقّ[١١٥].

---

[١١٣] المصدر السابق، ص ١٥١.

[١١٤] الحشر ٢.

[١١٥] المصدر السابق، ص ١٥٢.

وعليه: فالاعتبار لا يكون إلّا بحُسن الخُلق، والقدوة الحسنة، في القول والفعل والعمل والسلوك، وفي مقابل ذلك إن لم يعتبر الأنا الآخر؛ فإنَّ الأمر سيفسح مجالات متعدّدة وواسعة للرّفض والتمرّد والثورة التي تمكّن الرّافضين للظلم والظالمين والطّغاة من بلوغ الحلّ، الذي به يتمكّنون من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسؤوليّاتهم عن إرادة؛ فيتخلّصون من ذلك المؤلم سياسياً ونفسيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وكذلك ذوقيّاً[١١٦].

[١١٦] المصدر السابق، ص ١٥٤.

قوّض

قيمة المشاركة

القذافي في معظم سياساته إذا شعر بأنّ النّاس سيأخذون بما يحرّضهم عليه حقيقة، ينقلب على نفسه ويصبح أوّل منقلباً على ذلك المحرّض عليه، وإليكم خير مثال فيما كان يدعو إليه من وحدة عربية؛ فهو المحرّض على وحدة العرب ولو بالقوّة، وهذا ما كان يدّعيه، ممّا جعل الناصرين والقوميين والبعثيين والمواليد الجدد الذين لا يميّزون بين هذا وذاك، يهتفون ويسعون جادّين من أجل تحقيق هذه المطمح العربي، فيفاجئهم بحربٍ مع مصر العروبة، وما أن تنتهي الحرب مع مصر يفاجئهم ببشائر حربٍ مع تونس الشقيقة، وما أن تنتهي يفاجئهم باختلافات على الحدود مع الجزائر الشقيقة، إلى جانب تلك المؤامرات التي استهدف بها إخوتنا في السودان، وكذلك إخوتنا في دول الخليج، وإخوتنا في المملكة المغربية.

ولسائل أن يسأل:

لماذا هذا التناقض؟

أقول:

لأنّ حقيقة ما يطرحه القذافي من شعارات للوحدة العربية كان الهدفُ من ورائه هو: تقويض البعد الوطني عند الليبيين، المتمسّكين بوحدتهم الوطنية والاجتماعية والحضارية، التي بها يتميّزون كما غيرهم يتميّز عنهم في أوطانه، فخلع الزي الليبي من على ظهره، ورمى به بعيداً، وبدأ يرتدي البرنوس المغاربي، وأحياناً العمامة السودانية، وأحيان أخرى العباءة الخليجية، وذلك بهدف إضعاف الانتماء الوطني عند الليبيين؛ فحذف من المناهج والمقررات الدراسية كلّ ما من شأنه أن يقوّي وحدة الليبيين الوطنية، ونشر بدلها كلّ ما يشدّهم تجاه الوحدة العربية التي هي حقيقة مأمولة عند العرب جميعاً، ولكن عندما شعر بأنّ الليبيين قد

أصبحت اتجاهاتهم وحدوية، أسرع وبدون مقدّمات بطرحه مشروع الوحدة الأفريقية، وحشّد لها كلّ الإمكانات، بعد أن خلع ذلك البرنوس المغاربي الجميل، وتلك العمامة السودانية الرائعة، وتلك العباءة الخليجية الرفيعة، ووضعها كوماً واحداً فوق ذلك الزي الليبي الأصيل الذي سبق له خلعه. وارتدى تلك الملابس المزخرفة بالألوان الفاقعة التي لم يعرفها الليبيون هل هي ملابس للرّجال أم أنّها ملابس للنساء؟

ولسائل أن يسأل:

لماذا يعرض القذافي مشروع الوحدة الأفريقية على حساب الوحدة العربية؟

أقول:

بطبيعة القذافي التي قلنا عنها أنّه إذا عرض مشروعاً ووجد النّاس قابلون عليه أو متجهون إليه، يصبح هو أوّل المعارضين له، وحتى لا يكون الليبيون وحدويين، جاء بمشروعه للوحدة الأفريقية التي يراها خير وسيلة لمحو ما علق في عقول الليبيين من شعارات وهتافات ومبادئ للوحدة العربية، ذلك المشروع لم يكن لغاية الوحدة مع الأفريقيين، ولكن بهدف محو ما علق في أذهان الليبيين من مفردات للوحدة العربية. ولهذا عمل القذافي ما في وسعه من أجل أن لا يكون لليبيين قضيّة، ولكن في دائرة غير المتوقّع كان الليبيون وكأنّهم أبناء أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة؛ فكانت على القذافي هي القاضية.

وبناء على هذه القاعدة، جاءت مقدّمات مشاريع القذافي دون استثناء، مخالفة بالتمام إلى نتائجها.

ولهذا كلّما طرح القذافي مشروعاً يحشّد له ويحرّض عليه لا ليشيء إلّا ليجهد الليبيين كي لا يكونوا مشاركين فاعلين، ولكي يلهيهم في أنفسهم أو في الآخرين، ولهذا حكم الليبيين بلونٍ واحد، بعد أن حرّم الأخذ بأيّ لونٍ من الألوان الأخرى.

عرض مشروعه الاشتراكي فاستبشر الليبيون الرّحمة، فتح الجمعيات التشاركية؛ فعلّم الليبيين الوقوف في الطوابير تحت الشّمس إلى أن يصل كلّ منهم حسب دوره المصطف من أجله إلى أخذ نصيبه الذي لا يسدّ رمق أسرته، ولهذا فتح الأسواق الاشتراكية ليجعل الليبيين يلبسون لوناً واحداً، ونوعاً واحداً، ويأكلون أكلاً واحداً، وفي المقابل يُحرمون ممّا يرغبون ويشتهون وهو المحرّم استيراده من قِبله، ومع ذلك استبشروا الانعتاق، فاستعصموا، وشدوا على بطونهم؛ فكانوا ناراً تحت الرّماد، في أوّل هبة نسيم اشتعلت؛ فأكلت الأخضر واليابس، بها ترسّخت هويّة الشعب الليبي التاريخ، وقبر القذافي بلا هويّة.

لقد سار القذافي بمشروعه الاشتراكي مع شركائه المعلن عنهم وغير المعلنين، ولأنّه اشتراكي فأوّل خطوة خطاها التخلّص من شركائه أوّلا بأوّل، إلى أن خلت له الساحة، فبدأ بتقديم أبنائه لوراثة حكمه الاشتراكي.

ولأنّه اشتراكي فهو لا يثق في أحد، وهذا المبرر كان العائق الوحيد أمامه لقيام دولته الاشتراكية؛ فبقيت الاشتراكية معلّقة إلى أن كبر أبناؤه؛ فاختار كبير الإخوة الأشقاء ليكون على رأس الاشتراكية من بعده.

وعندما بدأ الوريث باستلام مهامه الاشتراكية، رفع ثلاثة شعارات اشتراكية تضاف إلى تلك التي رفعها أبوه من قبله بقوله: إن لم تُطيعوني فلا تحلموا أيّها الليبيون بثلاثة:

. النفط والغاز: سيحرق.

. التعليم والصحة: يتم إلغاؤها.

. الوحدة الوطنية: تقسّم ليبيا.

ولأنَّ من التاريخ تؤخذ العبر؛ فأذكّر الإخوة القراء بنصيحة وردّة فعل؛ فالنصيحة قُدّمت للقذافي من قِبل إخوتنا المصريين المحنّكين في السياسة، بأن يكون لديه مجموعة من المستشارين الليبيين المتميّزين؛ وردّة الفعل

هي تلك الإجابة التي قالها القذافي وهي: (أنا الذي يستشيروه النّاس، وليس أنا من يستشير النّاس).

ومع أنَّ المشاركة قيمة حميدة بين النّاس، بها تقوى الروابط وتتّسع دوائر معارفهم، ولكن هذا ما لا يرتضيه الطغاة، ممّا جعلهم يتكلّمون عن أهميّة المشاركة وكأنّهم رُسلها، وفي المقابل هم الذين يعملون ما في وسعهم من أجل القضاء عليها، أو على الأقل تقويضها.

وعليه: فالمشاركة وفقاً للاستطاعة قيمة حميدة بين النَّاس في سِلمهم وحربهم، ولهذا جاء أمر المشاورة بين النَّاس مشاركةً في قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[١١٧]. أي شاركهم يا رسول الله في الأمر الذي يتعلّق بهم، ذلك لأنَّه حقّ لهم؛ فإن شاورتهم تمكّنوا من اتخاذ القرارات الصائبة والصادقة، وإن لم تتمّ مشاركتهم؛ فلن تعرف حقيقة مواقفهم من الأمر الذي ينبغي أن يكون بينهم شورى {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[١١٨].

وعليه: فالنّاس مجعولون على المشاركة جعلاً؛ فبدونها لن يبلغ النَّاس إلى ما ينبغي بلوغه، ولهذا فالمشاركة حقّ كفله الدّين للنَّاس كلّما اشتركوا في أمرٍ سواء أكان أمراً سياسيّاً، أم اجتماعيّاً، أم اقتصاديّاً، أو أيِّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي أن تكون وتسود إلّا بذوي العلاقة، ومع أنَّ المشاركة حقّ وفقاً للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، إلّا أنَّ البعض يحرم البعض الآخر تغييباً وإقصاءً وحتّى قتلاً لكي ينفرد بالأمر، ولكن إن قَبِل من قَبل أن يكون خاضعاً له فعليه بإظهار الطّاعة التَّامّة لذلك الظالم الطّاغي، الذي قرّر الانفراد بالأمر كرهاً، وإلّا فمصيره كمصير غيره من الذين سبقوه[١١٩].

---

[١١٧] آل عمران ١٥٩.

[١١٨] الشورى ٣٨.

[١١٩] المصدر السابق، ص ١٦٢.

ولكن النَّاس كلّ النَّاس لا يمكن أن يجمعوا على قبول الرّضوخ تحت أقدام الطّاغية الظَّالم؛ فهم بين رافضٍ ومتمرّدٍ وثائرٍ، وبين قابلٍ متكيّفٍ مع الأمر الواقع ظلماً، وبين منافقٍ بين خوفٍ وجبنٍ.

ولأنَّ النَّاس يتفرّقون وهم أيضاً قابلون لأنْ يُفرّقوا عنوة؛ فإنَّ الطغاة يعرفون جيّداً أنَّه كلّما ازداد تفرّق النَّاس ضعفوا ووهنوا واستكانوا، ولذا فهم يعملون ليلاً نهاراً على مزيدٍ من الفرقة، حتَّى بين المرء وزوجه[120].

ولأنَّ الطغاة يعرفون أهمية المشاركة في تقوية وحدة النَّاس وجمع شملهم وزيادة مودّتهم لبعضهم بعضاً؛ فهم لا يستشعرون أمناً على سُلطانهم، ذلك لمعرفتهم أنَّ توادد الشّعب يدفعهم إلى صناعة مستقبلهم المشترك الأفضل، ولأنَّه المستقبل الأفضل؛ فهو بالنّسبة للطاغية هو المستقبل المقلق، ذلك لأنَّ النَّاس إنْ اجتمعوا فلا يمكن أن تكون لهم أولوّية غير التخلّص من الطّاغية ونظامه الذي تملؤه المظالم، ولهذا كلّما أحسّ قمّة سّلم السُّلطان الطّاغي بتقارب ومشاركة بين البعض من النَّاس، تدخلّ لفكّها بإشعال نيران الفتنة بين من كانوا مشتركين، وعندما تشتدّ يأملها أن تزداد شدّة؛ فيسجن من يسجن ويقتل من يقتل بدعوة فكّ المواجهة والاقتتال، ويحاكم من يحاكم بقضاة منحازين لسياساته[121].

---

[120] المصدر السابق، ص ١٦٢.

[121] المصدر السابق، ص ١٦٣.

قوّض

قيمة المشاورة

انطلاقاً من ذلك الرّد الذي قاله القذافي إلى من نصحه من إخوتنا المصريين باختيار مجموعة من الليبيين المتميّزين ليكونوا مستشارين له في تناول القضايا المحلية والدولية بقوله: (أنا الذي يستشيروه النّاس، وليس أنا من يستشير النّاس) من هذا الرّد عرف الواعون من أبناء الشّعب الليبي أنّ دكتاتورية جديدة ستلد في بلادهم، ولهذا بدأت محاولات الانقلاب على تلك الأفكار الطاغية منذ العام الأوّل الذي استولى فيه معمّر القذافي على السّلطة في ليبيا.

ويقال: أنّه ذات مرّة استشار أحد أقاربه الذي لم يدخل المدرسة يوماً واحداً من عمره، بقوله له: بماذا تنصحني أن أحكم ليبيا؛ فكّر صاحبه قليلاً، ثمّ قال: عليك بالخيمة.

قال القذافي: (لقد انقذتني ... لقد انقذتني، إنّها الفكرة العظيمة)

ومنذ ذلك اليوم لم يستقرّ شعارٌ للدّولة الليبية في زمن القذافي إلّا الخيمة، التي تعني ممّا تعنيه بالنسبة له:

* لا للاستقرار.
* لا للبناء.
* لا للإعمار.
* لا للحضارة والثقافة.
* لا للتعليم الناجح.
* لا للاعتراف بالآخرين.
* لا لاعتبارهم.
* لا للتخطيط الاستراتيجي.
* لا للتقدّم.
* لا للتغيير.

* نعم لسياسة المرعى.

ومع أنّ القذافي يرى نفسه يستشار ولا يستشير، إلّا أنّه قد وثق في تلك الاستشارة، من ذلك العلّامة الذي لم يدخل المدرسة ولا ليومٍ واحدٍ من أيّام عمره؛ فقرّر أن يجعله بقربه ليقوم بمهمّتين أساسيتين هما:

* أن يعدّ له الشاي على الحطب كما هو حال دار أجدادنا.

* أن يكون مستشاره في القضايا الاستراتيجية وعلاقاته مع الأفراد والقبائل والوزراء وكذلك القضايا الدولية والعالمية.

وذات مرّة والقذافي يتذوّق الشاي من أيدي ذلك المستشار المقرّب قال لمستشاره: أنا استشيرك، وأنت من تستشير؟

قال المستشار: استشير المقرّبين فقط من القبيلة.

ولماذا لم تكن كلّ القبيلة؟

قال المستشار: أنت تعرف (عائلة فلان.... وبيت فلان، وأولاد فلان....، وكذلك علّان؛ فكيف بي أن أنصحك بهم) فهؤلاء لا ثقة فيهم، وسيشكّلون خطراً عليك.

قال القذافي معك الحق. ولكن عليك بتوسيع دائرة المستشارين منهم، وعلي بتسخيرهم ووضعهم تحت المراقبة.

فرح المستشار بهذه الموافقة؛ فاستدعى مجموعة من المستشارين الذين لهم (كيف في شرب الشاي المعجون)؛ فكان منهم (المغني، والدّرباك، والمفتن، والمفسد، وحلّاب الأبل، والقرداش، والغزال، والنسّاج، أمّا عند الحاجة في القضايا العسكرية يتمّ استدعاء أمراء كتائب الأنياب للاستماع وليس للاستشارة).

وعليه: في هذا المجلس يُشوى ويُطبخ كلّ من يُراد شويه أو طبخه، ولهذا كانت سياسات القذافي ناجحة على كلّ المستويات القبلية والمحلية والدولية والعالمية.

ويقال: أنّ من بين ما نصحه به مستشاره الخاصّ، لمناقشة زيارته للأمم المتحدة أن يحذف ما يشاء أن يحذفه في وسط قاعة الاجتماعات بالأمم المتحدة؛ فأخذ القذافي بهذه الاستشارة وعمل بها؛ فمزّق ميثاق الأمم المتّحدة وحذف الكتاب الأبيض الذي يعرض فيه القذافي دولة جديدة تجمع العرب مع الإسرائيليين تحت مسمى (دولة إسراطيل)

ولسائل أن يسأل عن هذا الاسم الجديد: (لدولة إسراطيل).

أقول: هذا الاسم استمدّه القذافي من فم مستشاره الذي يقال ذات مرّة، يريد أن يقول دولة إسرائيل؛ فقال خطأ دولة إسراطيل؛ فأخذ القذافي هذا المسمى من فم مستشاره، وجعل له كتاباً أبيضاً، لتكون تلك الدّولة هي الحلّ من وجهة نظره.

ونظراً لفصاحة ألسنة مستشاريه؛ فعندما يريد القذافي أنْ (يسّفتر) أي يستهزئ بأحدٍ من رؤساء أجهزته الأمنية، أو أحد وزرائه، أو حتى ضيف من ضيوف ليبيا، يستدعي مجلسه الاستشاري في جلسة طارئة لأداء هذه المهمّة عملياً، حول مائدة الشاي المعجون؛ فيتلقّى من يتلقّى تلك الاستفزازات المستمدّة من تلك الصّفات التي على أساسها تمّ اختيار المستشارين.

ولأنَّ المشاورة قيمة استيعابيّة تتّسع دوائرها باتّساع الأمر؛ فهي حقّ لكلّ من يتعلّق الأمر به على أيّ مستوى من مستويات الأمر الجماعية والمجتمعية، وفي أيِّ مكان وزمان، والمشاور هو الموصوف بالمشاورة التي هي أخذ الرأي بعد تبيان الأمر واستيضاحه {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[١٢٢]، وهذا يدلّ على أنَّ مفهوم الشورى يتعاظم كونه قيمة حميدة لا يقتصر على فئة أو جماعة دون أخرى، بل الشورى حقّ لكلّ النَّاس، وأيِّ عددٍ يمكن أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذلك فممارسة

[١٢٢] آل عمران ١٥٩.

الشورى حقٌّ للجميع الذكور والإناث، ولهذا لا أمر (أي أمر) إلّا ويُعظَّم بالشّورى.

ولكن أيّة شورى؟ هل هي شورى (أرحم من قرّ وورّ) - لا يقرأ ولا يكتب - كما هو حال ذلك المستشار ومجلسه الموقّر، أم أنّها المبنية على التخصّص والمعرفة والخبرة والتجربة الواسعة، التي بدونها يسود حكم الفرد المطلق، والأسرة المطلقة، والجماعة المطلقة، والقبيلة المطلقة، والحزب المطلق؛ فجميع هذه المكوّنات كانت نهايات حكمها اختراق لحقوق الإنسان وكرامته استعباداً وإذلالاً وقهراً، ولهذا تزداد التأزُّمات تأزُّماً والشدّة أكثر ألماً. ولذا فلا مكان لمحتكر للسّلطة والثروة، أي لا مكان للطّغاة والمتجبّرين والمتكبّرين والظّالمين والمفسدين في الأرض والفاسدين[١٢٣].

وعليه: فإنّ الشورى بين من يتعلّق الأمر بهم تُعد خير ممكّنٍ للنّاس من ممارسة الحكم على قاعدتين رئيستين هما:

١ . إحقاق الحقّ.

٢ . إقامة العدل.

وفقاً لهاتين القاعدتين لا مكان لمحتكر للسّلطة والثروة والقوّة، أي لا مكان للطّغاة والمتجبّرين والمتكبّرين والظّالمين والمفسدين في الأرض والفاسدين، ولذا لا طاعة لأحدٍ على أحد إلّا في حالتين هما:

* طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى، {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .

---

[١٢٣] المصدر السابق، ص ١٧٤.

* طاعة أولي الأمر منكم، وهؤلاء ليس هم أولي أمركم؛ فالفرق كبير بين أولي الأمر منكم، وبين أولي أمركم؛ فأولي أمركم همّ الوالدين أو من يحلّ محلّهم من الأخوة والأقارب الذين يتعلّق الأمر بهم، أمّا أولي الأمر منكم مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} ؛ فهم الذين أوليتموهم أمركم وفقاً لدستور، أو عرف، أو قانون، أو عقد اجتماعي وإنساني، ممّا يجعل طاعتهم طاعة للأمر الذي هو منكم، وفقاً للصّلاحيات والاختصاصات والحقوق والواجبات والمسؤوليات الموثّقة والمشرّع بها.

ولأنَّ الدّين الحقّ من عند الله؛ فالله تعالى أوجب طاعة الرّسول ثمّ تلاها بطاعة أولي الأمر من النَّاس طاعة في غير معصية لله، ولذا فإنَّ قوله (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا تعني أولي أمركم، فأولي أمركم تعني من يتولاكم بالرّعاية والعناية كالوالدين والأخوة الكبار، أمّا أولي الأمر منكم؛ فهي تعني الذين اخترتموهم طواعية لأنَّ يتولّوا رعاية الأمر الذي هو منكم، وهذا الأمر هو: أيّ أمر منكم سواء أكان سياسة داخلية، أم خارجية، أم سلماً، أم حرباً؛ فالذي اخترتموه لذلك عليكم بطاعته في الأمر الذي اخترتموه من أجله، وهذا يعني لا طاعة له في غير الأمر الذي تمَّ اختياره ليكون عليه وليّاً راعياً. ولكن هناك من يولّى على الأمر فينقلب على من أولوه رعاية الأمر الذي أولوه عليه، ممّا يجعله يخطو بأوّل خطوة لتغيير الدّستور أو العمل بقانون الطواري؛ فيقمع الشّعب بكلّ الوسائل المكمّمة للأفواه المطالبة بالحرّية، ويغيّر عناوين الإدارات والمؤسّسات، كما يغيّر المسؤولين من مسؤولين لهم من القدرات والمهارات والخبرات ما يكفي لإدارتها بآخرين أزلام ليس إلّا؛ فيولّي على النفط من لا علاقة له بعلم النفط وسياساته، ويولّي على التعليم من لم يتأهل حتَّى

بالشهادة الإعدادية، ويولي على الصّحة من تخصّصه جغرافيا، وهكذا كلّ شيء يتغيّر بغير حقّ لتصبح المظالم هي السائدة وآلام الشّعب وأوجاعه تتضاعف، والرّفض جنباً إلى جنبٍ معها يتضاعف إلى أن يبلغ السيل الزبا؛ فيهب الشّعب بأسره غضباً من أجل كرامة جرحت، وهويّة طمست ودين شُوّه، وقيم قوّضت[١٢٤].

وعليه لقد انقلب القذافي على السّلطة في ليبيا ١/٩/١٩٩٦م وفكّها من ملكها، ومجلس شيوخها ونوابها، فكانت بين يديه وحده، دون أية مشاركة، وأيّة مشاورة، سوى تلك التي اختار لها مستشاره الخّاص، وبذلك أصبحت ليبيا حبيسة حكم الفرد المطلق ٤٢ عاماً، وأصبحت الشورى فيها مقوّضة إلى أن تفجّر ذلك البركان العظيم فهزّه، واقتلعه من جذوره، ورمى به في قاع البحر، وأعلن أنّه لا حكم بين النّاس إلّا الشّورى.

[١٢٤] المصدر السابق، ص ١٧٦.

قوّض

قيمة المساواة

المساواة تعني مما تعنية لا تمييز بين حقّ وحقّ، وذلك لأنّ الحقّ واحد لا يتعدّد، ولكن المساوة بين حقّ وحقّ تتطلّب وجود محقٍّ للحقّ، وهذه على المستوى البشري هي المعضلة؛ فالأفراد والجماعات الذين لا يتّقون الحقّ ينحازون لغيره، أي ينحازون بباطلٍ، ومن هنا تتّسع دائرة الصدامات والصراعات بين الأفراد والجماعات والقبائل والشعوب والأمم، كما أنّها تتسع أكثر بين الحاكم والمحكوم.

ولأنَّ المساواة تضع الجميع على خطّ العدل دون استثناء، لذا فهي تُرفض من قِبل الذين لا يرون الآخرين متساوين معهم حتى يتمّ الوقوف بجانبهم على خط العدل المستقيم، ومن هنا جاء القذافي مستولياً على السلطة في ١٩٦٩/٩/١م، وهو رافع لشعارات المساواة بين الرّجل الذي لا يحيض، والمرأة التي تحيض، والرّجل الذي لا يلد، والمرأة التي تلد؛ ولأنّه كما يدّعي جاء من أجل المساواة؛ فهو يريد أن يحقّق المساواة حتى ما بين الدّجاجة التي تبيض والدّيك الذي لا يبيض. وبعد استماع الجميع إلى خطابه هذا صفّق له من صفّق، والتفت عنه من التفت، وحاول الانقضاض عليه من حاول.

ولأنّ البعض حاول الانقضاض عليه في أيّام حكمه الأولى؛ فكان منذ أيّامه الأولى متمسّكاً بالقوّة من أجل المساواة التي لا يرى أحداً يساويه فيها، ولأنّه لا يقبل بأحدٍ مساوياً له، عمل على توسيع الهوة بين الليبيين كي لا يتساووا؛ وممّا عمله من أجل تحقيق المساواة التي يدّعيها بين الليبيين: قبول المجندين ضباطاً للكليات العسكرية من الأقارب قبلياً، وبعض من أقارب الشركاء المحدودين، في مقابل حرمان الليبيين الآخرين الذين لا علاقة لهم بهذا وذاك.

ثمّ من أجل المساواة جعل الاتحاد الاشتراكي هو اللون الوحيد لليبيين، في مقابل الزجّ في السجون بكلِّ من يتخذ لوناً غير ذلك اللون.

وبعدها في عام ١٩٧٣م أعلن الثورة الشعبية من أجل المساواة؛ فأوقد بها نار الفتنة بين الليبيين، وذلك من أجل ترسيخ اللون الواحد؛ مما دعاه إلى الزج بالمخالفين للرأي الواحد في زنزانات السجون.

ومن أجل المساواة شرّع القوانين التي تجيز أخذ المنازل من ملّاكها، ليكون من وجهة نظره في الكتاب الأخضر البيت لساكنه؛ فكانت المساواة بين الليبيين نار فتنة، وهكذا نار الفتنة ازدادت اشتعالاً بأخذه تلك المصانع الخاصة من المالكين لها من الليبيين.

ومن أجل المساواة أعلن قيام الشّعب المسلّح الذي تخرج بأسبابه المرأة المحترمة والمقدّرة من منزلها عن المكانة التي وضعت فيها احتراماً وتقديراً عاليين؛ فحوّل بها المدارس والجامعات من منابر للعلم والبحث العلمي، إلى ثكنات عسكرية تخضع للأمر والنّهي ليس إلّا.

ومن حرصه على اتساع دائرة المساواة جعل ابنته عائشة متساوية مع بقيّة أبنائه دون أن يجعلها متساوة مع بقية الليبيات والليبيين الكرام.

ولأنّ المساواة بين النّاس قيمة؛ فهي دائماً المأمولة مع تغيّر أطوار الحياة، وتنوّع الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ فهي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمواطنة وحقوق النّاس وواجباتهم. ولذلك فالمساواة قيمة حميدة يجب أن تسود بين المواطنين، ولكن التدخلّ التعسّفي من القذافي جعل من الليبيين من يحكم بلا حدود، ومنهم من يحرم من المشاركة في الحكم، ومنهم من يزج به داخل الجدران سجيناً، ومنهم من يطغى فيحكم بما لم ينزل به الله من سُلطان.

ومع أنّ الخلق كلّ الخلق غير متساوين من حيث تنوّع الجنسيات واللغات والألوان والديانات والمذاهب والتنظيمات، وكذلك القدرات والاستعدادات، إلّا أنهم متساوون خلقاً كونهم خُلقوا على حُسن

التقويم، وبما أنّهم متساوون خلقاً، فلِمَ لا يتساوون في أوطانهم لتكون لهم الحقوق ميسّرة وتمارس من قبل الجميع، في مقابل واجبات تؤدّى من قبلهم، ومسؤوليّات تُحمل دون أن يحرم أحد من حملها؟

أقول:

أمر المساواة ليس بسيطاً، بل أنّه أمر معقّد بتعقّد السياسات والمذاهب والآراء الخاصّة التي يودّ أصحابها أن تسود على حساب خصوصيات الآخرين، ولذا فالذين يحكمون شعوبهم دون أن ينظروا إليهم بعين المساواة، حيث الأقارب والبطانة الضّالة، والمصالح المشتركة مع الآخر الذي بمشاركته يصبح مفضّلاً على المواطن، بهذه النظرة يوجّه المواطن أنظاره للحاكم الظّالم الذي تربّع قمّة السّلم السّلطاني طاغياً كما هو حال القذافي وهو يقول في نفسه لو كان حقّاً حاكماً، لكان ناظراً لجميع المواطنين بمنظور كفّتي المساواة، ولأنَّ الحاكم الظالم لا يرى للمساواة قيمة؛ فأوّل ما يقدم عليه من أفعال إفسادية أن يتبنّى سياسة (فرّق تسد) أي أنَّه يتوجّه إلى إيقاد نار الفتنة بين الأقارب والأقارب، وكذلك بينهم وبين الأباعد؛ ممّا يجعله كلّما انطفأت نارٌ أوقد من بعدها نيراناً، ومع ذلك فإنَّ الشّعب ليس غبيّا كما يظن الطّغاة، بل الشّعب متسامح مع أيِّ فتنة يعرف أنَّ الطّاغية هو من أوقد نارها، ومن هنا تبدأ القطيعة مع الطّاغية خطوة بخطوة[١٢٥].

ولسائلٍ أن يسأل:

هل القطيعة دائمة ولن تنتهي بين الحاكم والمحكوم؛ ممّا يجعل المساواة أمراً لا يتحقّق، أم أنّ لكلّ بداية نهاية؟

نقول:

[١٢٥] المصدر السابق، ص ١٧٨.

المساواة هي أساس الخلق البشري؛ فالخالق واحد، ولأنّه واحد، ينبغي أن يَعبُدَ واحداً أحداً، وإن لم يَعْبُدْ واحداً أحداً؛ فسيظل الخلاف، ولن تكون المساواة.

وعليه: فالمساواة الحقّ قيمة حميدة كونها تُعطي الفرصة للجميع في التعليم والعمل وحقّ التملّك دون حرمان لأحدٍ من أبناء الوطن، وتترك لهم حرّية التميّز دون تمييز لأحدٍ على أحدٍ، حيث لا استغلال ولا إقصاء ولا تغييب ولا تحقير، بل الكلّ وفق القدرة والتهيّؤ والاستعداد والإمكانات والظروف والنوع (ذكر أو أنثى) في الفرص متساوون، هذا إذا لم يكن مثل القذافي على رأس السلطة الطاغية في ليبيا، وإذا لم يكن مثل زين العابدين على رأس السّلطة الطاغية في تونس، وإذا لم يكن مثل مبارك على رأس السّلطة الطاغية في مصر.

ومع أنّ المساواة قيمة تستوجب الانتشار بين المواطنين، إلّا أن انتشار المقوّضين لها كان على حِساب انتشارها، ممّا جعلها سجينة كغيرها من المساجين، ، ولكن إن تدخّل من تدخّل تحت أيّ عنوان من عناوين الفساد؛ فلن تكون المساواة قيمة حميدة بين النَّاس، ممّا يؤدّي إلى الخلاف والصدام والاقتتال بحقّ في مقابل من همّ على غير حقّ.

ولأنّ الأمر كذلك فلا مساواة، بل ستكون السيادة لمن يمتلك القوّة بحقّ أو بغير حقّ، ولكن لكلٍّ نهاية غير متساوية؛ فمن يكون على غير حقّ ستكون نهايته لا خير فيها، ومن تكون نهايته على حقّ فسيكون في مرضاة الله[١٢٦].

[١٢٦] المصدر السابق، ص ١٧٩.

قوّض

قيمة الحكم العدل

الحُكم وفقاً لِما يجب هو قضاء لا يُمكّن منه إلّا عادل، ووفقاً لِما لا يجب فقد بلغه القذافي وزين العابدين ومبارك وعلى صالح وبشّار وغيرهم ممن هم في طغيانهم يعمهون؛ فالحكم به تنتظم وتصلح الأحوال والعلاقات السكّانية أو تفسد؛ فإن صلحت كان العمار والبناء والرّخاء علامات دالّة على وجوه النَّاس وأنفسهم التي تملؤها السكينة والطمأنينة، وإن فسدت كان الشقاء والضلال والألم علامات دالة على وجوه النَّاس الذين يملؤهم القلق والشقاء، وفي كلتا الحالتين كلّ حُكمٍ زائل سواء أكان في مرضاة الله، أم أنَّه كان في غير مرضاته، ولكن لكلٍّ حِسابه ثواباً طيّباً، أم عقاباً شديداً.

ولذا فإنَّ للحكم وظيفة تؤدّى بمسؤولية عندما تكون المسؤولية مناطة من قبل الذين يتعلّق أمر الحكم بهم، ولا يؤدّى بها إن كان الحاكم منصَّباً بالقوّة.

والحكم المرضي هو الذي يسود بالحُجَّة التي تعيد الحقّ لأصحابه كلَّما ظُلموا، ولذا فالحكم إنْ فقد حُجَّته فقد شرعيّته، وإنْ فقد شرعيَّته وجب التغيير.

ويكون الحكم مُرضياً عندما يكون بمعطيات شرعيّة ودستوريّة وقانونيّة، ولا يكون مُرضياً عندما يكون بغيرها[١٢٧].

فالحكم قيمة حميدة عندما يؤسّس إرادة وإدارة واعية بأمور النَّاس وفقاً لما يجب والإقدام عليه، وما لا يجب والتوقّف دونه والانتهاء عنه، ولذا فهو يستوجب معرفة واعية وإتقاناً ومهارة مع مقدرة عالية على تحمَّل المسؤوليّة، ويتطلّب أسلوباً به يتمّ الإقدام على الفعل مع تمييز عالٍ بين

---

[١٢٧] المصدر السابق، ص ١٨٤.

ما يناسب المتوقّع وما يناسب غير المتوقّع، ولذا فالإتقان في إدارة الحكم يُظهر الجودة ذات المعايير القابلة للقياس والتقييم والتقويم.

ولأنَّ الحكم يستوجب إرادة وإتقاناً للإدارة بمسؤولية؛ فهو يتطلّب علماً ومعرفة ودراية وخوفاً من الانزلاق في ارتكاب المظالم. ذلك لأنَّ الحكم في أساسه هو المنع من الظلم، ولذا فالحكم ضبط وفقاً للمخافة حتَّى لا تسود المفاسد والمظالم والأوجاع والآلام بين النّاس.

وعليه: الحكم قيمة حميدة كونه مطلباً من النَّاس ورغبة من أجل تسيير أحوالهم، وتنظيم علاقاتهم بالتربية والتعليم والعمل والإنتاج، وكلّ الخدمات التي تنمّي معارفهم وتُحسّن علاقاتهم مع الآخرين، وتقوّيها مع الدين والعرف اللذين تستمدّ منهما الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة. وهنا عندما يكون الحكم مطلباً من النَّاس لا خوف منه، ولكن عندما يكون مطلباً من الذي يريد أن يحكم النَّاس؛ فالخوف والحذر يجب أن يكونا مع وافر الفطنة والانتباه وإلّا سيحدث النّدم ويصبح الثّمن المدفوع غالياً.

ولذا فالحكم كونه قيمة حميدة فهو المرتبط بالعدل، أي أنَّ الحكم من غير عدل لا يكون إلّا مفسدة، والحكم مع العدل يكون الموصوف بالإصلاح والإعمار والبناءً والتوفيق.

وعليه: فإنَّ الذين يقولون طاعة أولي الأمر واجبة، نقول لهم نعم، ولكن في مرضاة الله تعالى، أي لا طاعة لهم في غير ذلك، فإن كان الحاكم ظالماً فهل الله تعالى يؤيّد ظالماً أو يناصره ليكون عبيده المؤمنين مؤيّدين له ومناصرين؟

وإذا كان الحاكم مفسداً في الأرض، فهل يكون هذا الحاكم في مرضاة الله تعالى؟

بدون شكٍّ للفساد أنواع متعدّدة ومتنوّعة، منها:

. تزوير الانتخابات.

. شراء الذمم.

. اختلاس أموال الشعب.

. العبث بثروة الشّعب وتبذيرها.

. تجهيل الشّعب.

. بثُّ الفتن بين أبناء الشّعب ومكوّناته الاجتماعية.

. نشر الوساطة والمحسوبية.

. اصطناع التأزُّمات الوطنية.

. توريث البلد للأبناء كما كان يأمل القذافي وحسني مبارك وعلى صالح.

. الحرمان من ممارسة الحقوق.

. الحرمان من أداء الواجبات.

. الحرمان من حمْل المسؤوليات.

. سفك الدماء بغير حقّ.

وعليه: كيف يمكن للوطن أن يتقدّم؟ وكيف يمكن للمواطن أن يطيع ولي الأمر وهو على هذه المفاسد؟

نقول:

طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية ما أمر الله به، ولكن إنْ أصبح ولي الأمر على مجموعة من المفاسد؛ فلا طاعة له فيما يرتكبه من مفاسد[١٢٨].

ولأنَّ من بين الإفساد في الأرض قتل النّفس التي حرّم الله؛ فالحاكم الطّاغي الذي يعرف أنّ ذّنب قتل النفس الواحدة هو بالتّمام كذنب قتل النّاس جميعاً، فلن يكون متأخراً عن قتل أيّ نفس وإن كثرت الأنفس المستهدفة بالقتل من قبله، بما أنّه قد أقدم من قبل على قتل نفسٍ ولو كانت نفس واحدة؛ فالأمر بالنسبة لديه أصبح ميسّراً حيث لا فرق في الذّنب الذي سيقترفه، أي أنّ ذنب قتل النفس الواحدة

[١٢٨] المصدر السابق، ص ١٨٧.

يساوي ذنب قتل أنفس، ولهذا فالطّغاة هم في طغيانهم يعمهون. ولكن عندما يقرّر الشّعب الثورة بدون شكّ سيعلم الجميع وإن كابر منهم من كابر أو غفل منهم من غفل، أنَّ من يُفسد في الوطن ولا يرحل بإرادة عندما تقال له سلماً؛ فلا بدّ وأن ترحّله إرادة الشّعب بالقوّة، أو أنّه سيقبر دون أن يكون قبره شاهداً عليه أمام النّاس.

ولأنَّ الحكم العدل مطلباً شرعيّاً؛ فَلِمَ لا يكون سائداً بين النَّاس؟

نقول:

في البلدان المتقدّمة علماً ومعرفة وسياسة واقتصاداً وتنظيماً حكوميّا وأهليّاً واجتماعيّاً وشعبيّاً لا تعرف إلّا الحكم العدل؛ فلا احتكار للسّلطة ولا للثروة ولا للإدارة، التداول على السّلطة يكفله الدستور، وتوزيع الثروة وكيفية التصرّف فيها يحميها القانون، وتولّي المناصب الإداريّة لا تقتصر على الأقارب وبطانة الظلّ، أمَّا في بلدان التخلّف فالأمر غير ذلك، الدستور فيها يمكّن من الحكم، ثمّ يتمّ التخلّي عنه بالتعديل والتغيير والتحكُّم فيه بقوانين الطواري، والثروة في البلد اغتنام فرصة وتهرّب من الضرائب، ومن هنا فما يمكن أن يمتلكه الحاكم لا يمكن أن يطمع غيره على امتلاكه، بل ولا حقّ له أن يسأل ولا يُسئل، وإن حاول أحد أن يسأل أو يتساءل عن حسن نيّة سيسأل: من أنت؟ هل أنت زوجة الحاكم؟ أم أنت أحد أبنائه؟ أم أنت أحد أفراد عشيرته أو قبيلته؟ ولذا فأنت من تكون حتى تسأل؟

ومن هنا جاء سؤال القذافي لشعبه بقوله: من أنتم؟

ولأنَّ العدل في الحكم فضيلة، لذا فإن ساد على الأرض انتهت المظالم بسيادته؛ فهو حكم لا ميل فيه ولا تحيُّز، به يُحقّ الحقّ حيث يجب، وبه يُزهق الباطل كلّما وجب. ولذا فبه يتمّ الحكم بين النَّاس فيما هم فيه مختلفون[١٢٩].

---

[١٢٩] المصدر السابق، ص ١٩١.

أمّا الحكم في زمن الطغاة فلا عدل فيه؛ فهو حكم ذلك الشيخ الذي تسيّره عقول الأموات، الذين كانت رؤاهم لا تتجاوز حدود المرعى الذي ترعى فيه الماشية. فالقذافي على سبيل المثال: كان يحكم برؤية مستشاره الذي لم يجلس ولا مرّة واحدة في الفصول الدراسية ليتعلّم، فهو لا يفرّق بين الحروف (أ ، ب ، ت)، ومع ذلك فإنّ المستشار كان موفّقاً في استشاراته، ولكن في المقابل كان القذافي فاشلاً كونه قد أخذ بها.

قوّض

قيمة الحقوق

الحقوق طبيعيّا قيمة واجبة الممارسة بكلّ حرّيّة، ولكن مع أنَّها حقوق قابلة للممارسة عن إرادة، إلّا أنَّها في أوطان التكميم تتعرّض للتقويض بمبررات لا أخلاقيّة، منها:

* أنَّ المواطن لم يكن في مستوى الإدراك السياسي الذي به يتمكّن من ممارسة حريّته سياسيّاً.

* أنّه لم يخبر بعد إدارة الشؤون الاقتصادية، وبالتَّالي فإنَّ الحكومة هي المسؤولة عن ذلك، ممّا يستدعي سنّ القوانين التي تخوّل الحكومة لأن تحلَّ محلّه، وهذه الحكومة لا تستطيع أنَّ تحلّ محلّه كاملاً، إلّا بعد أن تعرض كلّ شيء على قمّة السُّلطان الذي بيده أمر كلّ شيء، ولذا فالحقوق التي ينبغي أن تمارس عن إرادة حرّة، سُدّت السُّبل المؤديّة إليها من قِبل أولئك المشايخ الطاغين الذين لا تتجاوز رؤاهم حدود مراعى مواشيهم. فالسلطة التي هي حقّ لكلّ مواطن دُسترت لها النُّظم، وسُنت لها القوانين حتى أصبحت منزوعة من أيدي أصحابها، وأعطيت للحاكم ليتصرّف فيها كما يشأ.

وهكذا كان حقّ التملّك، وحقّ التنقّل، وحتى حقّ اختيار شريك الحياة مقوّض برواء شيخ القبيلة المحتكر للسلطة، ولهذا فإنَّ شيخ القبيلة الكبير (القذافي) زوّج من زوّج، وطلّق ممّن طلق، وصادر ممتلكات من يمتلك بقوانين ما أنزل الله بها من سُلطان، وأقفل المساجد في وجوه المصلّين، وسجن من يصلّي فيها الفجر وهو ملتحياً، وداهم محلات ومقرّات من داهم من الباعة والملّاك، وكذلك لقد غيّر وثائق السجلّ العقاري، ثمّ تلاه بالحرق بغرض تزوير الحقائق التي بها تقوّض حقوق المواطنة من حقّ التملّك إلى حقّ الانتماء إلى الوطن. ونتيجة لهذا العسف الشديد استسلم من استسلم سنيناً، ورفض من رفض سنيناً، وتجنّب من تجنّب،

واستشهد في سبيل ذلك من أستشهد، وثار من ثار حتى تحرّر وحرّر، ولذلك كان الثّمن في سبيل تحرير الوطن والحاجات المشبعة للحقوق مرتفعاً.

ولأنّها حقوق قد أُحتكرت من أصحابها الشرعيين؛ فالمطالبة بها لم تنقطع؛ ممّا جعل العلاقات بين القذافي المتصرّف في حقوق المواطنين بغير حقّ وبين المواطنين علاقة تواجه وعِداء؛ فالمواطن وفقاً لحاجاته المتطوّرة يطالب بحقوقه المشبعة لها، وفي المقابل الحاكم الطاغي يرفضها جملة وتفصيلاً، ولأنَّ المواطن يعرف حقيقة الأمر أنَّ ذلك لا يعدو عن كونه سلب لإرادته؛ فيرفض بداية، ويقبل وسطاً عن غير إرادة حرّة، ويثور نهاية بكلّ إرادة حتَّى يسقط قمّة السُّلطان (الطاغية) ويستردّ حقوقه على التّمام[١٣٠].

وعليه: فإنَّ الحقّ يمارس، ومن يُحرم من ممارسته بقوّة الهيمنة سيكون رافضاً لتلك القوّة التي هيمنة عليه أو التي تحاول، ممّا يجعله متربّص الدوائر بمن حرمه من ممارستها إلى أن يطيح به كرهاً، ولذا فحرمان المواطن من ممارسة حقوقه يدفعه بالقوّة إلى الرّفض وقبول التحدّي، ممّا يجعل المحرومون من ممارسة حقوقهم يشكّلون كتلة عظيمة لا تغلبها قوّة؛ ومن هنا كان حال الشعوب العربية كتلة عظيمة حرّرت الحقّ، وأقدمت على ممارسته بالقوّة؛ فهي اليوم قد أقصت طغاة؛ فرحّلت من رحّلت وسترحّل آخرين، وحاكمت من حاكمت وستحاكم آخرين، وأقبرت من أقبرت وستقبر آخرين؛ فليتّعظ من يتّعظ وإلّا لن تتوقّف المواجهة الشعبيّة شبر شبر، بيت بيت، دار دار، زنقة زنقة، رأساً رأساً[١٣١].

---

[١٣٠] المصدر السابق، ص ٤٥.

[١٣١] المصدر السابق، ص ٤٩.

قوَّض

قيمة الواجبات

أمر الحقوق والواجبات والمسؤوليّات أمر يتعلّق بالمواطنة، ولذا فالحقوق واجبة الممارسة من كلّ مواطن، والواجبات واجبة الأداء من كلّ مواطن، وكذلك المسؤوليّات واجبة الحمْل من كلّ مواطن، ومن يُحرم من ذلك تحت أيّ مبرّر، وبأيّ وسيلة، ليس له بدّ إلّا المواجهة، وقبول دفع الثّمن المترتّب عليها إيجابيّاً، أو الرضوخ قبولاً بدفع الثّمن المترتّب عليها سلبيّاً، ولذا فلكلٍّ ثمنه، ممّا يجعل أصحاب المواجهة الحق شهداء مع أولئك الشهداء الأبرار، ويجعل البعض الاخر مع أولئك المنتحرون.

ولأنّ أداء الواجب عن قناعة يجعل العلاقة قويّة بين المواطن ووطنه، لذا تدخّل الطغاة بإجراءات تعسفيّة حالت بين المواطن وبين ما يجب أن يقدم عليه ويؤدّيه تجاه وطنه؛ فعملوا على ترسيخ قيم جديدة على حساب تلك القيم العريضة بعرض الوطن وطوله؛ حتى أصبح المرتّب عند بعض النّاس هو القيمة المقدّر للعلاقة بين المواطن ووطنه، وليس ذلك الدفء المملوء بعاطفة الأبوّة والأمومة، وعاطفة الأجداد والتّاريخ والدين. ولهذا أصبح غضب معظم المواطنين يتولّد في أنفسهم، ولكنّه لا ينفجر في أوجه أولئك الحكّام المنصّبين عليهم بالقوّة، بل ينفجر فقط عندما يجدون أنَّ مرتّباتهم الشهرية لا تفئ بإشباع حاجاتهم الضرورية، ممّا يجعلهم يطالبون ويتظاهرون من أجل زيادتها نسبياً، وفي مقابل ذلك لا يتظاهرون من أجل حرّيتهم وسيادتهم الوطنية. ومن هنا تعدّ قيمة أداء الواجب تجاه الوطن مقوّضة بقيود منها: الحرمان، والتجريم، والإقصاء، والتغييب، والتسفيه، والتقييد مع وافر الرّعب.

وفي هذا الخصوص استيقظ القذافي مبّكراً؛ فسفّه كلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في ليبيا متميّزاً، سواء أكان متعلّماً أم معلّماً، أم موظّفاً أم أيٍّ كان، وذلك لمعرفته أنّ المتمسّك بأناته هو المتمسّك بهويّته؛ أي

المتمسّك بوطنه (والأناة ليست الأنانية) فالأناة هويّة لا تلد إلّا من وطن تملؤه قيم (الكرامة، والاعتبار، والاحترام، والتقدير) ممّا يجعل لغة (النّحن) هي السائدة، أمّا الأنانية؛ فهي عين الشخصانية (أنا فقط)، وهذه القيمة هي التي تبناها القذافي إلى أن أصبحت الأنانية السيدة المقدّرة منه على حساب من يجب أن يُقدّر من أجل الوطن.

ومع أنَّ طبيعة المواطن تستوجب حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات تُحمل، إلّا أنّ القذافي حرم الليبيين من جميع هذه المعطيات الوطنية، ولذا فقد نسي بحرمانه هذا حقيقة وهي: أنَّ من يعترض أصحاب هذه المعطيات الطبيعية بالمنع والإقصاء والتغييب فلابدّ له من الرّفض والتحدّي والمواجهة، وعليه فعندما يتحدّى الحكّام شعوبهم بحرمانهم من ممارسة حقوقهم وأدائهم لواجباته وحمْلهم لمسؤوليّاته، بدون شكّ ستكون المواجهة ثورة كما كانت في ميادين وساحات وطن الربيع العربي.

إذن بما انّه من واجب الحكومة ومن يتربّع على قمّة سُلّم سُّلطانها أن يجعلوا مصلحة الوطن فوق الجميع، وأمنه من أجل الجميع، وتقدّمه بالجميع ومن أجلهم جميعاً ولم لا يفعلوا ذلك، أو أنّهم على رأس من يخترقوا هذا الأمر بما يفعلونه من إجراءات تعسّفيه تقوّض حريّة المواطن وأمنه ومستقبله، فلا يمكن أن تكون لهم علاقة ودّية مع المواطنين؛ ولهذا كلّما تضاعفت أفعال الإكراه تفجّرت الثّورة المنقذ[١٣٢].

[١٣٢] المصدر السابق، ص ٥٣.

قوّض

قيمة الإبداع والتطلّع

الإبداع هو القيمة الممكّنة من بلوغ الحلّ للتأزُّمات التي تواجه من تواجه؛ ولذا فهو المؤدّي إلى تجاوز تلك المعضلات والتأزُّمات والعوائق، وهو بدون شكّ يؤدّي إلى صناعة المستقبل، ومع أنّ الإبداع يُمكّن من صناعة المستقبل، إلّا أنّه في أوطان التكميم يعدّ من مسببات الخروج عن الطّاعة؛ فحكّام تلك الأوطان لا يرون في الإبداع إلّا خروجاً عن مألوف، والخروج عن المألوف بالنسبة لهم خروج عن الطّاعة؛ فهذا الخروج إن تمّ القبول به تمّ القبول بتجاوز أوامر ونواهي الشيخ الطّاغي، ولذا تعدّ محاولات الإبداع محاولات خروج عن حكم الشيخ ومساس بمرعى ماشيته.

بناءً على هذه الأسباب هاجرت العقول من أوطان التكميم إلى أوطان ممارسة الحرّية؛ فدرسوا هناك، وعملوا هناك لا لرغبة؛ بل للضّرورة؛ ولذلك نجد من أفضل الأطباء الليبيين، والاساتذة الليبيين، والمهندسين الليبيين، والأيدي الماهرة الليبية، مهاجرين إلى امريكا وكندا وأوروبا وأسيا؛ فكانوا من المتميّزين هناك بإبداعاتهم حتى ناولوا الاحترام والتقدير والاعتبار ببراءات علمية جعلتهم في الصدارة مع المتفوّقين، ومع ذلك لم يفارقهم الحنين للوطن، وهم في كلّ وقت يأملون العودة الآمنة وبكلّ حرّية، ولهذا كانوا الداعمين لثورة ١٧ فبراير بأرواحهم وبما يمتلكونه من أموال وعلاقات، حتى تحقّق النصر لليبيين جميعاً.

ولأنّ الإبداع يمكّن من التعرّف على الآخرين علماً ومعرفة وسياسة واقتصاداً، لذا كان القذافي لم ير مارقاً عنه أكثر من أولئك المتطلّعين إلى الآخرين المتميّزين في ميادين المعرفة واخبرة، ولهذا نجده دائماً يشجّع الليبيين وبإصرار على الهجرة إلى الخارج، ولكن إلى أين؟

إلى افريقيا التي لم تنهض بعد، ممّا يجعل من يهاجر إليها غير ناهضٍ، ولهذا في حسابات القذافي الهجرة إلى إفريقيا لن تخيف، وله غرض من وراء ذلك وهو: التخلّص من البعض ومهما كان هذا البعض، المهم بالنسبة إليه أن يقلّ عدد السكّان الليبيين عن تراب الوطن، حتى يتمكّن من السيطرة على من يتبقى منهم بكلّ يُسرٍ. ثمّ يستغل عناون الهجرة والمهاجرين مشجباً لتحويل الأموال لبعض الأفراد الموالين إليه ليمتلكوا ويستثمروا؛ فيكونوا له عوناً إذا ما اقتضت الحاجة؛ فهو يرى دائماً أنّ المال كفيل بإعادة السلطة إليه إذا تعرّضت سلطته إلى خطر من منقلب أو متأمر كما يقول؛ فهو لم ينس ذلك الدّرس الذي تعرّضت له دولة الكويت أيّام الغزو العراقي لسيادتها الوطنية؛ فهو يرى أنّ المال الكويتي هو الذي كان سبباً في إعادة النظام الكويتي إلى سدّة الحكم، ولم ينظر إلى ذلك القرار الدّولي الذي كان له الفعل المؤثّر في إعادة الكويت دولة ذات سيادة.

ولأنّ الليبيين لم يكونوا كما كان يراهم القذافي في دائرة المتوقّع؛ فاستعصوا عليه هجرة إلى إفريقيا، وقبلوا البقاء على تراب الوطن وإن كانت حاجاتهم المتطوّرة غير مشبعة بالتمام، ولذلك فالليبيون بحقّ إنّهم سادة.

ومع أنّ لكلّ قاعدة إستثناء إلّا أنّ الاستثناء كان خاصّاً لبعض من (أهل البيت) الذين أصبح بعضهم من الملّاك بأموالٍ الدّولة الليبية في الخارج بشكلٍ عام وفي مصر وإفريقيا بشكلٍ خاص، أمّا الأبناء فلا يليق بهم إلّا فعل ذلك المجرّم من قِبل القذافي على الليبيين وهو الاستثمار في أوروبا، ولذا لقد جعل القذافي بعض من (أهل بيته، وكلّ آله) ملّاك بالأموال الليبية في الداخل والخارج، وللتوضيح: (فأهل بيته هم من تربطه بهم علاقات اجتماعية، أمّا الذين من صلبه فهم من آله)

فهؤلاء أصبحوا ملّاكاً بأسمائهم أو اسماء زوجاتهم أو أقاربهم الموثوق فيهم.

وفي مقابل ما سبق ذكره ظلّ القذافي معاقباً لكلّ من يتطلّع للآخرين من أجل المزيد المعرفي وخاصة المعرفة السياسية، ومن هنا فالإبداع والتطلّع للآخرين لا تقبله جميع أنظمة التكميم؛ فتقابله إقصاءً من ممارسة حقوق، ومن وأداء واجبات، ومن حمْل مسؤوليّات، أو بما هو أكبر وهو: السجن مدى الحياة، أو بما هو أعظم وهو: قتل النفس بغير نفسٍ، لا لشيء إلّا لخوفٍ من أن تنتقل تلك الأفكار والثقافات الحرّة (المتطلّع إليها) إلى الوطن المستعبد من الطّاغية، الذي كمّم أفواه الشعب دون رأفة ولا رحمة.

ولهذا فإنَّ القذافي عمل كلّ ما في وسعه من أجل أن لا يتطلّع المواطن الليبي إلى الآخرين (خاصّة في دول الغرب) الذين يمتلكون زمام أمرهم وسيادة وطنهم؛ فكان يبذل ما يستطيع من جهد ويدفع ما كان متوقّعاً وغير متوقّع من المال، في سبيل تقويض حرّية الليبيين، والتشكيك في الآخرين ولحقهم باللعنات والتشويهات الباطلة حتى لا يتعلّق أحد من لليبيين بهم، أو أن يتعلّقون بما هم به يتميّزون في أوطانهم سياسة واقتصاداً وعلماً ومعرفة وثقافة واسعة.

ومع أنّ العالم أصبح قرية صغيرة، بل نعتقد أنّه أصبح أصغر من ذلك؛ فهو لا يزيد عن كونه صفحة فيس بوك (Facebook) إلّا انَّ الشيخ الكبير لم يستطع أن يمدّ نظرته خارج حدود المرعى؛ فبقي منغلقاً على تلك الأفكار التي أصبحت عظام أصحابها رميماً مع التراب، وفي المقابل بلغت عقول الشعوب وعياً لم تبلغه من قبل، به استطاعت أن تميّز سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً بين الدقيق وما هو الأدّق منه؛ فعرفت الشّعوب أنَّ الصمت طويلاً لن يفيد؛ فرّفضت أنظمة الطّغاة وأعلنت المواجهة وقبلت التحدّي؛ فتظاهرت في مسيرات شعبيّة عارمة هزّت

العروش تمّ هدّها من جميع أركانها وأطاحت بمن أطاحت، وهي الآن تهزّ وتدكّ أركان عروش الآخرين إلى أن تطيح بهم في الزّمن غير المتوقّع[١٣٣].

ولذا فالشّعوب لم تكن كما كان يظنُّ الطغاة، بل هي مجبولة على التطلّع للمستقبل واستقراء أحداثه وتحوّلاته واستجلاء غوامضه وخوافيه استجلاباً للخير ودفعاً للشرّ، وهنا فالشعوب المجبولة على التطلّع هي وحدها قادرة على إحداث النُقلة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً وحضارياً وهي تعلم أنَّ التطلّع للمستقبل ليس هروباً من الحاضر، ولا قفزاً على السُنن الكونية، ولكنّه الأمل الذي يدفع إلى العمل والإنتاج والإبداع ويُمكّن الإنسان من ممارسة الحرّية.

وعليه: فمن يعمل في الزّمن الآن برؤية المستقبل، يجد نفسه قد أمّن لنفسه مستقبلاً خالياً من التأزُّمات، ومن يغفل عن ذلك في زمنه الآن، يجد نفسه في القاع مع الذين هم في أسفل السّافلين.

ولكن مع ذلك فإنَّ للحقّ أعداء وهم الذين يخافون أن ينكشف أمرهم وما يفعلون من مظالم وما يسلكون من ضلال، ولهذا فهم الذين يعملون على تحريف الكلم عن مواضعه ليقوّضوا تلك القيم الكريمة التي تتطلّع بالإنسان إلى الأفضل والأجود سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإنسانياً وأخلاقياً وثقافياً وحضارياً، أي هم الذين يعرفون أنّ الإنسان إذا عرف الحقيقة لن يقبل بغيرها، وهذه بالنسبة للضالين والظالمين والطاغين مشكلة كبيرة؛ فالحقيقة تثبت أنَّ وجودهم بغير حقّ، وما يقدمون على فعله باطل، ولهذا ستكون الثورة، وحتّى لا تكون الثّورة هم يبالغون في قمعهم للذين يأملون ويتطلّعون إلى ما هو أفضل، ولكن دائماً غير المتوقّع كفيل بإظهار الحقّ؛ فبعد ذلك البركان العظيم الذي ثار من أرض تونس الخضراء وقذف بحممه إلى علوٍّ حتَّى عمّت أركان

---

[١٣٣] المصدر السابق، ص ٩٧.

الوطن العربي من الحدود إلى الحدود، من بعده لن تقبل الشعوب بتلك الإصلاحات التلفيقية التي كانت في ذلك الزمن مرضية للبعض؛ فالشعوب بعد ثورة ذلك البركان العظيم لن تأبى إلّا بالحلّ لكلّ معضلاتها وتأزُّماتها ومشاكلها التي كتبت عليها بغير حقّ[١٣٤].

[١٣٤] المصدر السابق، ص ١٠٥.

الرِّسالة الثّامنة

ربيع النّاس

ربيعُ النَّاس

من الإصلاح إلى الحلّ

صدر هذا المؤلف بالقاهرة يوم ٢٠١١/٨/٢٤م أي أنّ هذا التّاريخ هو بعد يوم من سقوط معسكر باب العزيزية في أيدي ثوّار ١٧ فبراير، وهذا يعني أنّ كتائب القذافي لازالت تقاتل في مدينة طرابلس، وأنا أقول مما قلته في هذا المؤلّف: "هكذا سترون الطّاغية معمّر القذافي في ليبيا عارياً (كم هتك من عر ض، وكم اختلس من أموال، وكم قتل من قتيل، وكم سجن من سجناء، وكم ، وكم، وكم)"[١٣٥]؟

وعليه: ألم ترونه حقيقة بأمّهات أعينكم عارياً في مدينة مصراته صانعة التّاريخ حيث لا ملابس تستره، ولم يجد من يتأسف عليه؟

ومع ذلك لقد اتصل البعض بي وهو يقول: الحمد لله تمّ القبض على القذافي، ويا ليت الثوار قتلوه على الفور ولم تُعط له فرصة الثلاثة ساعات حيّا من بعد لحظة القاء القبض عليه.

قلت:

على الإنسان المسلم أن يميِّز بين شيئين: عاطفته التي تقوده في بعض الأحيان إلى المجاملة على حساب الحقّ وإحقاقه، وبين إيمانه الذي يقوده إلى التسليم بالحقّ، والعمل به، والعمل عليه، ولأنّ حكم الله على القذافي سابق في علمه تعالى، لذلك قُبض عليه حيّاً، وبقي تلك السّاعات الثلاثة بين أيدي الثوّار ليكون لمن خلفه آية؛ فكان الأمر كذلك، ولذا فمن يحتجّ على ما حصل في تلك السّاعات الثلاثة، قد يجد نفسه من الغافلين عن أخذ العبر من قول الله تعالى في العصاة والمفسدين الذين من بينهم فرعون مصداقاً لقوله تعالى: {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ

---

[١٣٥] عقيل حسين ربيع الناس من الاصلاح إلى الحل، المجموعة الدولية، القاهرة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٢.

خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[١٣٦]، وبتطبيق مفهوم هاتين الآيتين الكريمتين على ما جرى على القذافي وفقاً لمشيئة الله، نقول: إن كانت مشيئة الله الفعّال لِما يريد شاءت أن يكون لمن خلفه آية؛ فلا اعتراض على مشيئة الله، ويا ليت لمن بعده قلب به يتّعظ، ولكن يبدو أنَّ الطغاة دائماً قلوبهم تعمى، ولذا ستظل مصائرهم آيات لمن خلفهم، وإلّا لماذا لم يتّعظ بشار الأسد ويعتق الشّعب السوري من قبضته؟

ومن هنا أقول للشعب السوري البطل، لقد أُبتليتم بحكم الطّغاة، ولكن عليكم أن تعرفوا أنّ نهاية كلّ ابتلاء رحمة وفوزاً، فلا تغفلوا عن قصص الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فجميعهم ابتلوا، والابتلاء امتحان من عند الله لعباده الصالحين، ولذلك فجميع الأنبياء بعد ابتلاءاتهم فازوا في الدارين، فها أنتم اليوم إقدامكم على العتبة الأخيرة على طريق الخلاص من تلك الابتلاءات؛ فاصمدوا واصبروا، النصر بين أيديكم؛ فلن يفلت ولا يضيع.

وفي ختام مقدمة هذا المؤلف قلت: مع أنَّ هذا المؤلف في مضمونه (ربيع النَّاس) مترتّباً على نجاح الثورات العربية إلّا أنَّه في حقيقة أمره أُلِّف في زمن ولادة بعضها (تونس ومصر) وحمل بعضها الآخر (ليبيا واليمن وسوريا) في ميادين الحرّية، وميادين الشهداء، وساحات المواجهة التي كُتب الفوز فيها لا محالة للثوّار نصراً واستشهاداً.

ثمّ قلت: ومع أنَّ قبول المواجهة مع الثّور الهائج أمر حياة أو موت، إلَّا أنّني قبلتُ أن أكون مع الثوّار الليبيين (ثوار ١٧ فبراير) في المواجهة، ولكنّ كلّ في مكانه؛ فكان التواجد في أيِّ مكان هو أخطر من التواجد في الأمكنة الأخرى؛ فألّفت كتابنا ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) من داخل الحلبة التي يصول وجول فيها الثّور الهائج الذي

[١٣٦] يونس، ٩١، ٩٢.

بُلّغتُ بغضبه من مؤلفّي خريف السّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع)؛ فكان ردّي على من جاء بغضبه (من يقرّر أن يركب ظهر البعير لا يمكن له أن يطأطئ رأسه)، ولهذا ألفتُ مؤلّفاً بعنوان الرّفض (استشعار حرّية) ثمّ مؤلفاً آخر بعنوان تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، وها أنا أقدّم للقراء الكرام كتابي ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) وأنا كلّي أمل أن استمع إلى أراء النقّاد مع وافر التقدير[١٣٧].

رسمت في هذا المؤلف صورة لدول الرّبيع، التي في ربيعها تخضر الصحارى، وتزينّ المدن والقرى والأودية في لوحات جميلة، فَجْرُها إحقاق حقّ، وصباحها الوطن للجميع، وشمسها الشّعب قمّة، وضحاها حقوق تمارس، وعصرها واجبات تؤدّى، وليلها مسؤولية تحمْل.

---

[١٣٧] عقيل حسين عقيل، ربيع النّاس (من الاصلاح إلى الحلّ)، المجموعة الدولية، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٦.

النّاس

يستنشقون الحرّية

بدون شكّ بعد أن يُحسم الصِّراع وتفكّ القيود وتكسّر الأطواق يستنشق الإنسان الحرّيّة؛ فتمتلئ رئتاه أملاً بعد يأسٍ؛ فيلتفت هنا وهناك فلا يجد ظلمة ذلك اللّيل الحالك، ولا زمهرير تلك الأيّام وتأزُّماتها القارصة، ولا حرارة ذلك الصّيف الأجدب، بل يجد البسمات تملأ نفسه تلألأً مع تلألؤ نجوم الرّبيع في قلب السّماء الصّافية، وهكذا نفسه تتفتّح وتتفتّق أنفاسها مع تفتق أزهار الرّبيع الباسمة.

إنَّه الرّبيع على طول الأرض الخضراء وعرضها مع ألوان الطّيف التي بها الأرض تزيّنت، وأقواس قُزح التي نُصبت أقواسُ نصر احتفالاً بالرّبيع.

النَّاس كلَّ النَّاس تحرث؛ فتزرع، وكلّ النَّاس تحصد؛ فتأكلّ من عرق جبينها ويديها، وأولياء الأمور آباء وإخوة وأقارب يرعون غير القادرين منهم على الحرث والزّرع والحصاد، أمَّا وليُّ الأمر الذي تمّ اختياره إرادة من قِبل النَّاس جميعاً فقد حلّ محلّ ذلك الليل الحالك (الطّاغية الظالم)، ليتولّى الأمر الذي به كلّف رعاية وعناية دون أن يغفل عن رعاية المعاقين والذين لا راعي لهم وفقاً لِما كلّف به دستوراً واضحاً[١٣٨].

النّاس أصبحوا يتغنّون بالرّبيع والبهجة أوسع من سعة صدورهم بعد أن كانت أفواههم مكّممة عن الغناء إلّا لذلك الليل الحالك، ولعلَّ البعض من شعوب العالم المنعتق من العبوديّة عقولهم لا تصدّق أن يُغنَّى لليل الكالح، نقول لهم معذرةً، هكذا هي الأحوال، ونحن أيضاً لا نصدّق أنَّ الآخرين لا يرون إذاعاتنا التي فيها المغنّون لا يتغنّون إلّا للّيل الحالك!

[١٣٨] المصدر السابق، ص ٧.

لقد أزيح اللثام بعد أن أزيحت الغمّة؛ فكانت الوجوه مستبشرة بعد أن تخلّصت ممّن جثم على الصدور كوابيس، والنَّاس تتساءل:

كيف كنّا نأكل ونشرب؟

وكيف كنّا نصلّي لله تعالى؟

وكيف كنّا نذهب للمدارس والجامعات؟

وكيف كنّا نعمل؟

وكيف كانت علاقاتنا مع الآخرين أقارب وآباعد؟

وكيف كنّا نتدبُّر أمورنا وأمور من لهم حقّ علينا؟

كلّ الإجابات: (كنّا سارحين غافلين)، ولذا ليس لنا بدٌّ إلّا الاستغفار والتّوبة التي لا عودة من بعدها لتلك الأيّام؛ فعلينا أن نتذكّر تلك المفاسد لأولئك الطّغاة، ونختار منهجاً نرسم به طريقاً، ونصوغ به رؤية تحرِّم وتجرِّم وتدين تلك المظالم والمفاسد كما تدين وتجرّم من يعود إليها، وفي مقابل ذلك علينا أنْ نفكّر في المستقبل الأفضل وأنْ نعمل على صناعته دون أيِّ تأخير، ولذا ينبغي أن تكون المناهج قادرة على أنْ تعلِّمنا كيف نتعلّم؟ وكيف نفكّر فيما نفكّر فيه؟ وما هو الذي يجب أن نفكّر فيه ولا نغفل عنه؟ ومن همّ القادرون على ذلك؟ حتَّى لا نقع في جرائم ذلك الّليل الحالك الذي جعل كلّ شيء بيده لا بيد النَّاس[١٣٩].

ولمتسائلٍ أن يتساءل، وهو يقول: وكأنَّ للربيع منهجاً ورؤية تختلف بالتمام عمَّا كانت عليه تلك الّليالي الحالكة؟

نقول: نعم.

[١٣٩] المصدر السابق، ص ٨.

مناهج الرّبيع

تقضي

على منهج الطاغية

إنَّ المناهج التي جبرت النَّاس على السير في الطّريق المكشوف، والممهّد فقط، هذه مناهج لم تُعلّم النَّاس الاستقراء والاستنباط والاستنتاج، ولم تمكّنهم من حُسن التفكُّر والتدبُّر، ولا حتَّى من التذكّر الذي به يستمدّون العبر من التَّاريخ وتجارب الحياة، ممّا جعل حياتهم منقوصة لعدم معرفتهم:

كيف يتعلّمون ويتعاملون مع الآخرين؟

كيف يتساءلون؟

متى يقبلون؟

متى يرفضون؟

ولماذا يقبلون ولا يرفضون؟

ولذا فإنَّ للرّبيع المزدهر مناهج متنوّعة تتجدّد وتتطوّر باستمرار؛ فهي كما تُمكِّن من استيعاب الممكن المتوقّع، تُمكِّن أيضاً من استيعاب الممكن غير المتوقّع؛ فهي ليست تلك المناهج التي تزوّد النَّاس بالمعارف والمعلومات المحذِّرة من الانحرافات السّالبة دون أنْ تزوّدهم بالكيفية التي تمكّنهم من النجاة إذا ما حصل الانحراف[١٤٠].

فمناهج ربيع النَّاس كما تُقرّ ممارسة الحرّية بأسلوبٍ ديمقراطي للجميع، تقرُّ أنَّ قيمة الإنسان والعلم هما المكوّنان لرأس المال الاجتماعي؛ فالذي يمتلك قدراً رفيعاً من العلم هو من يمتلك رأس مال قد يحقّق

---

[١٤٠] المصدر السابق، ص ٩.

المفاجآت في السّوق؛ فالفكر العلمي هو الذي يمكّن المواطن من وضع أصابعه في عيني من يكون ظالماً ويضمن له عودتها إليه بسلام[١٤١].

أمَّا في ذلك الزّمن الحالك في أوطان التكميم فإنَّ الفكر لم يمكّن الجميع من وضع الأصابع في أعين الظالمين، وإن تمكّن من تمكّن من ذلك في دائرة غير المتوقّع؛ فلا يضمن عودة أصابعه إليه بسلام، هذا في حالة إن عادت أصابعه إليه.

ولذا فإنَّ مناهج البحث العلمي في هذا الرّبيع المزدهر هي مناهج حِوارية تساؤلية، تتحاور مع المتوقّع وتعمل على استخدامه لما يُفيد، وتتساءل عمّا يمكن أن يكون من بعده، والعمل على اكتشافه حتَّى يتاح للاستخدام المفيد النّافع.

فتلك المناهج التي كانت تخضع إلى التوجيه وفقاً لسياسة الطاغية، كانت مناهج موجّهة بما يحقّق الفتنة والصّدام والصّراع بين مكوّنات المجتمع المدني حتَّى أصبح المجتمع بكامله بدون مكوّنات مدنيّة.

أمَّا اليوم فعلى رأس مستهدفات المنهج غرس روح المودّة والمحبّة بين النَّاس؛ فلا صراع، ولا فتنة، ولا دسائس، ولا مكائد من أولئك الذين استغفلوا النَّاس وظلموهم؛ فالوطن للجميع والنَّاس فيه إخوة والفرص في خدمته متساوية وفقاً للقدرة والمهارة والمهنة والحرفة والرّغبة؛ فمنهج الرَّبيع يستهدف الإبداع بممارسة الحرّية؛ فيطلق العنان لعقول النَّاس بعد أن كسّر القيد والطوق اللذان كانا يكبّلان حرّية الوطن والمواطنين بأوامر من الطاغية.

ولأنَّه الرّبيع؛ ففيه العقول تتفتّح مع تفتّح كلّ زهرة، وتنضج مع نضج كلّ ثمرة من ثماره اليانعة، وهي تتأمّل في العلاقة بين ما ترى وتنظر، وبين الأسرار التي تكمن من ورائها، حتَّى تتمكّن من المعرفة آية بآية،

[١٤١] المصدر السابق، ص ٩.

وحُجّة بحجّة، وفكرة بفكرة من أجل الوصول إلى المزيد من المعرفة النَّافعة، التي ترتقي بالذّوق إلى مزيدٍ من الرّفعة.

ولذا فالعلم لا ينبغي أن يدخله الغشّ، وإذا دخل الغشّ ميادين العلم والمعرفة فإنَّ ذلك يعني امتداد الجهل على حساب المناطق التي يجب أن يمتدَّ العلم فيها، وهذا يستوجب ثورة إنصاف لتقوية الإرادة البشرية، وعليه عندما يعمّ الغشّ في الامتحانات حينها لا يهمّك أين يمتحن أبناؤك، ولكن عليك أن تعرف إن نجحوا فإنَّ نجاحهم هذا سيؤدّي بهم إلى الرّسوب في ميادين المنافسة الحرّة، وأمام مشبعات حاجة السّوق المتنوّعة والمتطوّرة.

في المستقبل لا يعدُّ للجامعات أي أهمية ما لم تكن علومها عابرة للحدود، وكذلك لن يعدّ للحدود أهمّيّة عندما تكون المعلومات مخترقة لها، الأهمية للمعلومة بغض النّظر عن من يكون مصدرها؛ فالدّين والعرف واللّون والجنس لن تعدّ عوائق أمام المعلومات التي ترتبط بمشبعات حاجات سوق العمل، ولهذا فمنهاج الرّبيع هو منهاج توليد المعلومات، معلومة من معلومة، وفكرة من فكرة، تفكّراً، وتذكّراً، وتدبُّراً، وتأمُّلاً.

وعليه: المناهج العلمية التي تقود إلى الإبداع والاختراع، هي مناهج فكّ القيد من أجل تحرير عقول النَّاس من التبعية المميتة، ولذا فالفرق كبير بين المعلومة التي تحرّر العقل وتنيره بما يحفِّزه على الإبداع، وبين المعلومة التي تجثم بثقل أوزانها على العقل؛ فتحرمه من ممارسة الحرّية؛ فالأولى: هي التي تهدف إلى تمكين المتعلّمين من الإطلاع على الكتب وتحرّضهم على الخروج منها إلى العمل وميادين الحياة العامّة.

والثانية: هي التي تلزم المتعلّمين التقيّد بما جاء في الكتب، وتقمعهم إن فكّروا في الخروج منها، إنَّها مناهج تعليم الأميّة وفقاً لمنظور النَّظام الطّاغي الذي جثم على البلاد والعباد، ذلك النَّظام الذي يخشى أن

يشكِّل التعليم التنويري خطراً على وجوده، ولهذا أصبحت المقررات استسلامية تعلّم الطّلبة كيف يمكنهم أن يستسلموا ليسلموا، ممّا جعل النَّظام يسرع بفتح الجامعات والمعاهد من أجل أن يشغل أوقات المتعلّمين عن التفكير بحرّية لكي لا يعرفوا دسائسه وخفاياه في تزوير الحقائق وإخفائها عنهم؛ فالنّظام الطّاغي يعرف إنْ تعلّم المواطنون العلوم النّافعة التي تبيّن لهم الحقائق وتحفّزهم على التغيير، يتمرّدون ويثورون على النَّظام الذي كان سبباً في جهلهم وأميّتهم وتخلّفهم، ولذا عندما يتخرّج الطلبة ويحصلون على شهادات اعتراف بأميّتهم، لا تجد لهم الحكومة فرصة عمل، لأنّهم لم يؤهّلوا وفقاً لاحتياجات المجتمع وتطلّعاته وحاجة سّوق العمل؛ فمثل هؤلاء هم في حقيقة الأمر لا زالوا في حاجة لمحو أميّتهم التي تعلّموها في مدارس وجامعات المستهلكين، وذلك لأنَّ مقرّراتها تسليمية تعترف بالواقع ولا تحرّض على تغييره، تعتمد على التبعيّة ولا تعمل على كشف الزّيف وتحرير الحاجات، ولا تحرّض على كسر القيد أو فكّه بإرادة، ولهذا فقد تخلّفت المناهج والمقرّرات وخلّفت من ورائها كمّاً هائلاً من الأميين[١٤٢].

وعليه: فإنَّ مناهج ذلك الزّمان الأجدب هي مناهج إعلاميّة تلقينيّة، تُعلِّم المواطن بما يجب أن يكون عليه، وتلقّنه بما يُرضي رأس النَّظام الطّاغي حتَّى لا يرتكب خطيئة عن جهل، ولذا فالفرق كبير بين المناهج التعليمية، والمناهج الإعلامية؛ فالأولى تُعَلِّم النَّاس كيف يتعلّمون؟ وكيف يفكّرون بحريّة؟ وكيف يحكمون؟ وكيف يتمكّنون من إظهار إبداعاتهم الخلّاقة؟

أمَّا الثانية؛ فتَعْلّمهم كيف يكونون طائعين لأوامر ونواهي قمّة السُّلطان الطاغي، وكيف يمتصّون غضبه إن غضب عليهم بغير حقّ؟ وكيف

[١٤٢] المصدر السابق، ص ١٢.

يغضّون أبصارهم عنه إن رأوه عارياً؟ وكيف يبلّغون الآخرين الذين لم يتمكّنوا من رؤيته عارياً عن ذلك الملبس الحريري الفضفاض[١٤٣].

إذن مناهج الرّبيع مناهج متطلّعة إلى الأجود والأرفع والأنفع للكلّ دون أنْ تستثني أحداً من النَّاس؛ فهي ترتبط بالتَّاريخ لتأخذ العبر والمواعظ وتستفيد من قصص الآخرين، وتشخّص الحاضر وتُدبِّرَ أمره ليكون على الجّودة والرّفعة الممكّنة من المنافسة، وتفكّر في المستقبل الذي ينبغي أن يكون أفضل ممّا عليه من ربيع؛ فالربيع يتطوّر مع تطوّر ما يشبع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة؛ فأمطار الرّبيع وأنهاره وبحاره ومحيطاته تتجدّد، ممّا جعل وديانه وجباله وسهوله وشواطئه وسواحله تتجدّد.

ولذا فالمناهج عندما تؤسّس على قاعدتي (الأوامر والنواهي) تُعدّ قيوداً تستوجب الفكَّ أو أنْ تكسّر بالقوّة، وذلك لأنَّ التلقين لا يخلق إلّا التُّبع، ممّا يجعل أبواب الإبداع مغلقة، ومن هنا جاءت مناهج الرّبيع تساؤلية حوارية تطلّعيّة لأجل أن تستكشف ما هو ممكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع[١٤٤].

---

[١٤٣] المصدر السابق، ص ١٢.

[١٤٤] المصدر السابق، ص ١٣.

الرّفض يعيد الشّعب

إلى

ميادين المواجهة

ربيع الحلّ هو الازدهار المأمول الذي تمّ بلوغه بعد نُقلة بها عَبَرَ الشّعب حدود التوقّف عند الإصلاح الذي كان مقبولاً لفك التأزُّمات؛ فالمواطن الذي كان أمله تغيير الحكومة، أو جزءاً منها من خلال نضال نقابي، أو حزبي، أو انقلاب عسكري من أجل تحسين الأحوال نسبيّاً، ثار على نفسه وهو متجاوز لتلك التنظيمات والزّعامات والقيادات والمرشدين، كما أنَّه تجاوز ذلك الزّمن الذي كان فيه ينتظر مفاجأة انقلابية من العسكر ليخرج مؤيّداً لها في الشوارع والميادين العامّة، تجاوز كلّ ذلك برفعه سقف المطالب، وقبوله التحدّي للطّغاة في الميادين والسّاحات العامَّة جهاراً نهاراً؛ فانتصر بعد أن دفع الثّمن شهداء في سبيل الإنعتاق ونيل الحرّيّة. من بعدها أصبح لا قيود على الإرادة، الشّعب وحده قادر على تسيير أمره، وقادر على أن يختار قمّة لإدارة سُلطانه وفقاً لدستور لا يُقرّ ولا يعتمد إلّا منه، ولذا لا خوف على السيادة والإرادة، بعد أن تجاوز النّاس حدود الإصلاح وبلغوا ميادين الحلّ[١٤٥].

ومن هنا يعدّ ربيع الحلّ هو التقدّم المحقّق للجديد غير المتوقّع، ولذا فالفرق كبير بين أن يقتصر نضال الشّعوب على قيادات وزعامات، تأمل أن تحلّ محلّ من تناضل من أجل إسقاطه أو تغييره، برفعها شعارات للإصلاح وفقاً لِما هو متوقّع، وبين أن يكون النّضال بالجميع من أجلهم جميعاً وفقاً لِما هو غير متوقّع، ممّا جعل المفاجأة هي الحلّ ربيع يتحقّق.

---

[١٤٥] المصدر السابق، ص ١٠٢.

ولذا فبعد أن تجاوز تفكير النّاس قبول التوقّف عند حدّ الإصلاح، بلغوا حقيقة ما كان مخفيّاً عنهم، فعرفوا ممّا عرفوا أنَّ التغييب فعل علّة مترتّب على أفعال الإقصاء العمدي، ولأنّ الطغاة هم العلّة؛ فلا حلّ إلّا بالقضاء عليهم، ومن هنا ظهر الحلّ من الميادين والسّاحات العامَّة ربيع نزهة بين النَّاس[١٤٦].

وعليه: فإنَّ نيران الغضب تزداد اشتعالاً عند الذين يغيَّبون عن المشاركة في إيجاد الحلّ للقضية التي هم أحد عناصرها الرئيسة، وبالتّالي فإنَّ الأمر لا يقف عند حدِّ الرَّفض للحلّول كما يتوقّع البعض، بل الأمر سيؤدّي إلى المواجهة مع تنوّع أساليبها.

ولذا فإن لم تلغ المركزيّة الفردية (أنا فقط) ويحلّ محلّها مركز جديد (نحن سوياً) و (نحن معاً) ستكون المواجهة أكثر شدّة من قبل الذين سبق لهم وإن دفعوا الثمن غالياً.

ومن الأُمور التي تجعل المواجهة تشتدُّ وتتنوّع، أن يُرفض الآخر ويغيَّب، ولهذا يجد المغيّب نفسه مدفوع إلى الثّورة الممكّنة من بلوغ الحلّ، ومن هنا فمهما اشتدَّ تطرّف الطّاغية لن يكون قادراً على مواجهة تطرّف النَّاس عنه إذا قرّروا الثورة، ولذا فلا بدّ له إلّا أن يرحل تيسيراً أو أن يُرحّل تعسيراً[١٤٧].

ولذا في ربيع الحلّ لا يؤسّس مركز عام إلّا والشعب فيه قمّة، والذي من بعده إن فكّر من فكّر في أن يقصي أحداً، أو يلغيه، أو يغيّبه، أو حتّى يتجاهله سيجد نفسه طعماً في فيه الأسماك، ومن هنا يجب الانتباه حتَّى لا تحدث الانتكاسة للنَّاس بعد أن بلغوا الحلّ كي لا تكون المواجهة من بعد الانتكاسة حلّاً.

---

[١٤٦] المصدر السابق، ص ١٠٤.

[١٤٧] المصدر السابق، ص ، ١٠٥ ، ١٠٦.

وعليه: فبعد بلوغ الحلّ، واستقرار الأمن، وصياغة الدستور، وإجراء الانتخابات بشفافية، إن فكّر أحدٌ أن يمنع مواطناً من ممارسة حقوقه أو أداء واجباته وحمل مسؤوليّاته فلا بدّ أن يواجهه الرّفض، ويعاقب دستوريّاً دون تظاهر، ولا عرقلة لحركة النَّاس اليومية في التعليم والعمل، وأماكن البناء والإعمار والفلاح، وكذلك أماكن السياحة والترفيه.

وبعد بلوغ ربيع الحلّ فمن يفكّر أن يعتدي على حقوق الآخرين، أو يعتدي على واجباتهم ومسؤوليّاتهم فعليه أن يعرف أنّهم أصبحوا قادرين على قمعه إرادة ودستوراً؛ فالقوانين ستكون كفيلة بتنظيم شؤون النَّاس أفراداً وجماعات ودولة ورأس دولة.

ولذلك إذا لم يُؤدَّ الواجب يُفرض فرضاً (شريعةً وعرفاً ودستوراً وقانوناً مُسنّاً من قبل الذين يتعلّق أمر أداء الواجبات بهم). ومن هنا لا يحقّ لمواطنٍ أن يرفض أداء واجباته طالما أنّه يمارس حقوقه، وعليه بحمْل مسؤوليّاته وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء.

ربيع الحلّ

لا

تأزّم من بعده

بدون شكّ للشعوب مطالب متعدّدة، وحاجات متنوّعة تتطلّب تنوّعاً لمشبعاتها، وإلّا فالانتكاسة ستعود من أوسع أبوابها التي سُدّت بدون إحكام، والحلّ كونه غاية فهو لا يكون حلّاً إلّا لقضيّة مشتركة، أي أنَّه لا يكون حلّاً إلّا عن تراضٍ، ولأنَّ الأمر هكذا من منظور قيمة الإنسان، وأهميّة المواطنة، والبعد الديمقراطي، وأساليب الشفافية، لذا ينبغي أن يكون هذا الأمر بأيدي النّاس وإلّا ستعود التأزُّمات، ومن هذه الأمور:

* المشاورة

المشاورة تعني مما تعنية المشاركة في اتخاذ القرار والمشاركة في تنفيذه وتحمّل ما يترتّب على حمله من أعباء ولو كانت جِسام.

ولذلك بعد أن بلغ النّاس ربيعهم لن يكون لأحدٍ من كان الانفراد برسم السياسات الوطنية، ولن يكون لأحدٍ مكانة بها يطغى على أفراد المجتمع، ولن تكون هناك قمّة إلّا قمّة الشّعب، ولن تكون هناك مرجعية لتنظيم شؤون الدّولة إلّا الدستور المستمد من تلك الأعراف ذات القيم الحميدة، وذلك الدّين الذي يحتوي على الفضائل الخيّرة.

ومن هنا أصبح مصير البلد في ربيع النّاس بيد الشّعب كلّه، ولذلك النّاس في ربيعهم لا سلطان عليهم، إلّا القانون المستمد من الدستور، المصدّق عليه من كلّ المواطنين، ولذلك قُبرت أفعال وأعمال الإقصاء والتغييب والتعذيب مع من قُبر بلا هويّة قبر، وكذلك قُبر أمر توريث

الطغاة لأبنائهم، ولهذا قُبر أمر احتكار السلطة والثّروة، وفَتّحت الحرّية أبوابها لجميع المواطنين البالغين ليمارسونها بكلّ أساليب الحرّية التي تسمح بالتفوّق ولا تسمح بالفوقية.

وبناء على ذلك تساقط أكابر الطغاة الواحد بعد الآخر، ممّا جعل الثوّرة هي الحلّ بعد أن كان الإصلاح حلّا ومطلباً في زمن تقديم التنازلات، وذلك في مقابل تفادي المهالك، ولم يعدّ للثوّار مطلباً إلّا الحلّ الذي رفضه الطغاة؛ ممّا جعل المواجهة معهم ساخنة في الميادين والسّاحات والشوارع والأزقّة العامّة، وفي كلّ مكان إلى أن تهاوت عروشٌ، وعروشٌ تتهاوى[١٤٨].

ولأنَّ الرّفض للباطل حقّ، جاءت الثّورات الشعبية في الوطن العربي محقّة للحقّ وزاهقة للباطل، ولأجل سلامة الثّورات من التأزُّمات المفاجئة، ينبغي أخذ الحيطة والحذر، ذلك لأنَّ الأعداء كثرة؛ فلا ينبغي التأخير في إعادة تنظيم شؤون الدّولة وبناء مؤسّساتها دون رفضٍ لمن يفيد في البناء والإعمار والإصلاح.

ولذا عندما تتفجّر الثّورات الشعبية في أيّ مكان من العالم ينبغي أن يكون الرّفض للظلم كاملاً لا متجزئاً، حتّى لا تضيع الفرصة بعد أن تمّ اقتناصها؛ فلا مساومة على الحرّية، ولا قبول بتجزئتها أو التنقيص منها مع الطُّغاة الذين سيقبلون بإعطاء التنازلات تلو التنازلات عندما يشعرون أنَّ الدوائر بدأت تضيق بهم؛ فهم يقبلون النزول من على قمّة سلم السّلطان الطّاغي من أجل البقاء على أيّ مستوى من مستويات السلّم السّلطاني، ولكن هيهات، ولعلم الجميع أنّه كلّما نزل الطّاغية درجة عن السلّم السلطاني صعد الشّعب درجتين على ذات السلّم، وهكذا كلّما نزل الطّاغية درجتين صعد الشّعب أربعة درجات تجاه قمّة السلّم السّلطاني، أي أنَّ الشّعب الثّائر صعوده يتضاعف كلّما قبل

[١٤٨] المصدر السابق، ص ٢٢٩.

الطّاغية كرهاً بالتّنازل درجة؛ فالصّعوبة فقط في البداية، بداية الصمود الرّافض مع القبول بالمواجهة الحقّة للطاغية؛ فإذا عرف الطّاغية أنَّ الشّعب قد قرّر رحيله، سيقولها بصوت عالٍ (فهمت، الآن فهمت، فهمت، فهمت....الخ فهمت)، لذا فمن فهم رحل كما هو حال (زين العابدين بن علي)، ومن لم يفهم بعد سيستسلم للأمر الواقع كما استسلم الرّئيس السابق حسنى مبارك الذي أصبح بين فكّي الشّعب ومطاردة القانون له، ولمن تربطه بهم علاقات ارتكاب المظالم والمفاسد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهكذا سيكون الأمر وفقاً لقاعدة (إرحل خير من أن ترحّل[١٤٩]).

ولأنّ هذا المؤلف طُبع ونُشر في زمن معمّر القذافي لذا كان القصد موجّه إليه بقولي: (ومن لم يفهم بعد سيستسلم للأمر الواقع كما استسلم الرّئيس السابق حسنى مبارك، وهكذا سيكون الأمر وفقاً لقاعدة (إرحل خير من أن ترحّل)[١٥٠].

*** الأمن**

في عصر ما قبل الثّورات العربية الرائدة كان الأمن في أساسه عسكري، وفي هذا العصر لن يكون هو المفردة الوحيدة، ولن تكون له الصدارة، بل أنّه البعد الأخير الذي يترتّب على تحقيق الأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ فالجيوش والاستخبارات التي قلنا عنها في كتابنا (كسر القيد بالقيد) الذي أصدرناه في العام ٢٠٠١م (أنّها لا تعرف إلّا المتوقّع؛ فستكون من غير شكّ هي المعرّضة لغير المتوقّع الذي سيفاجئها بنزيفٍ قد ينذر بعصر النّهاية في الوقت والمكان غير المتوقّعين)؛ فهذا ما حصل بالتّمام؛ فبعد أنْ كانت كلّ الأجهزة القامعة

[١٤٩] المصدر السابق، ص٢٣٠.

[١٥٠] المصدر السابق، ص ٢٣٠.

لحرّيّة المواطنين تعتقد بأنَّها الأقوى والأقدر على المواجهة، أثبتت أنَّها الأضعف بعد أنْ قرّرت الشّعوب العربية بلوغ الحلّ وقبلوا المواجهة ودفع الثّمن في سبيله، حتّى بلغت المأمول بإسقاطها كلّ الأجهزة القامعة للحرّية؛ فكان من ورأي ذلك مصير الطُّغاة بين أيديها تُرحّل من تشاء، وتحاكم من تشاء، وتعفوا عمّن تشاء، وتسقط من تشاء، وتقبر من تشاء كيفما تشاء[١٥١].

وعليه: أصبح أمن المواطن من أمن الوطن بعد أن كان أمن الوطن من أمن قمّة السّلم السّلطاني الطّاغي؛ فالنَّاس الذين عانوا ويلات العذاب من تلك الأجهزة القامعة والمكمّمة لأفواه المواطنين، لا يرون أمناً يتحقّق للوطن والمواطن بدون أن يتحقّق لهما الأمن السياسي والأمن الاقتصادي والأمن الاجتماعي، ومن ثمّ يأتي الأمن المنظّم لعلاقات الأفراد والجماعات وعلاقات الشّعب بأسره بمؤسّسات الدّولة وعلاقاته مع الآخرين في بقاع المعمورة.

* الأمن السّياسي

يُعدُّ الأمن السياسي من أهمّ المرتكزات الرئيسة لممارسة الديمقراطية، ولكن كيف يتحقّق هذا الأمن؟ عندما يَتسلّم كلّ فرد في الدّولة حقوقه كاملة ليمارسها إرادة حرّة، ويؤدّي واجباته دون تأخّر أو سلبيّة، ويحمل مسؤولياته ويتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء، عندها يستقرّ الأمن الذي يُمكِّن الشّعب بمختلف فئاته من الإنتاج والإبداع، ومن هنا فالمشاركة في الأمر الذي يتعلّق بمصير الشّعب تُعدّ اللّبنة الأولى في بناء الثِّقة بينهم؛ فالسياسة الداخلية أو الخارجية تُعدُّ أمراً يتعلّق بمصير الأفراد والجماعات داخل الدّولة؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يحلَّ محلّ الآخر إلّا إذا

---

[١٥١] المصدر السابق، ص ١٣٦.

كان عاجزاً أو مريضاً أو قاصراً بأيّة أسباب؛ فالتغييب والإقصاء زمنه قد ولّى، وجاء زمن المشاركة في الأمر كُلٌّ وفق جهده وإمكانياته وحقوقه وواجباته ومسؤوليّاته.

ولذا فبالأمن السياسي يتمّ بناء الثِّقة واستمرارها بين النَّاس، وعندما تُبنى الثّقة على هذا الأساس، ينتهي زمن التآمر، وتنتهي الخيانة، ويسود الاستقرار نفس المواطن؛ فلم يعد في الوطن طاغية، بل الوطن كلّ الوطن محرّر وتحت إرادة النَّاس، لا أحد مغيّب، ولا أحد مقصى، ولا أحد مزجّ به في السجون بغير حقّ، ولا أحد محتكر للسّلطة؛ فالسّلطة بين النَّاس شورى، ولا قمّة تعلو قمّة الشّعب؛ فمن يتمّ اختياره قمّة لفترة زمنيّة قابلة للتجديد من حقّه أن يكون قمّة، فهذا الأمر يتطابق مع الإرادة وفقاً للنصّ الدستوري، ليكون قمّة في الوطن لا أن يكون قمّة على رأس الوطن؛ فرأس الوطن قمّته الشّعب ولا أحد غير الشّعب[١٥٢].

إذن عندما تسقط نظرية الأمن العسكري، ويتمكّن النَّاس من المشاركة في إقرار كلّ أمر يتعلّق بالسياسة الداخلية والسياسة الخارجية تصبح الثِّقة هي المتغيّر الرّئيس في التعامل وتكوين العلاقات بين النَّاس، وتصبح كذلك الرّقابة على حسن الأداء وحسن الأمن مسؤولية يتحمّلها الجميع، حيث أصبح كلّ شيء مكشوفاً على البلاطة؛ فلا يحقُّ لأحدٍ أن يخفي شيئاً عن قمّة الوطن حتّى ولو كان قمّة فيه، لقد انتهى زمن الاختلاسات، وتزوير الحقائق، وتزوير القرارات، وتزوير الانتخابات، كما انتهى زمن التخويف والتطاول على كرامة الأفراد والجماعات، وحلّ محلّه الاعتراف والتقدير والاحترام قيماً سائدة بين المواطنين ذكور وإناث، وسادة قيم تقبّل الآخر واستيعابه دون أحكام

[١٥٢] المصدر السابق، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

مسبقة، بتقارير مزيّفة وملفّقة من قبل أجهزة الأمن، التي كانت لا تشكّ في أحدٍ غير المواطنين أوّلاً والأجانب ثانياً.

إذن لقد انتهت كلّ أسباب الفتنة التي كانت توقد نيرانها من قِبل الطّغاة، بقصد أن إلهاء النَّاس في قضاياهم العدائية لبعضهم البعض، ولقد انتهت تلك الظروف التي كانت تظهر عندما يلتجئ طرف إلى قمّة السّلطان الطاغي وهو قابل لأن يقدّم له التّنازلات التي يعرف أنَّها مرغوبة من قِبله؛ فحينها تسنده أجهزة الأمن المنظورة وغير المنظورة في مغالبة الطّرف الآخر، الذي لم يقبل بتقديم التّنازلات، أو أنَّه قبل بتنازلات أقل من تلك التي قبل بتقديمها غيره[١٥٣].

وعليه: عندما يتحقّق الأمن السّياسي تنتهي المخاوف كما تنتهي الأحقاد والكراهيّات والدّسائس بين النَّاس، ويحلّ محلّها المحبّة والمودّة والتّعاون والتّوافق والانسجام والإخلاص مع وافر الصدق في القول والفعل والعمل والسلوك؛ فتتهذب الأخلاق التي تدفع بالنَّاس إلى بعضهم البعض في لُحمة الوطن من الحدود إلى الحدود.

ولذا لا يعقل أن يكون المواطن آمناً في وطنه وهو محروم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمل مسؤوليّاته، وفي مقابل ذلك عندما يكون مشاركاً بدون شكّ سيكون مواطناً آمناً حيث لا مخاوف تهدّد وجوده وإرادته، ولذا فلم يعد لديه ما يدعو إلى التآمر والانطواء والسلبية والانحرافات التي تؤدّي إلى خلل أمن الوطن والمواطنين.

فربيع النَّاس السياسي تملؤه السّكينة والطمأنينة والأمن، حيث سيادة الشّعب تسود الوطن قراراً وتخطيطاً وتنفيذاً ورقابة وتقويماً وبناءً وتطلّعاً، دون أنْ يحتكر أحد فيه السّلطة؛ فلا توريث، ولا ديمومة لقمّة سلطانية، بل الانتخابات وحدها قادرة على الفرز الديمقراطي لمدّة دستورية

[١٥٣] المصدر السابق، ص ٢٣٨.

محدّدة، ومن هنا فلا إملاءات فوقية، ولا حصانة إلّا حصانة الدّستور، الذي به تصبح مؤسّسات الدّولة معتبرة قويّة، وقوانينها شفّافة، ومستهدفاتها العمل من أجل الوفرة الإنتاجيّة وتقديم الخدمات مع وافر الجّودة.

في ربيع النَّاس المكوّنات السياسية على المستوى الوطني صفاتها شعبية، لقد انتهى زمن العصابات والتخويف، وتمكين الأبناء والجهلاء من الأقارب في ترأس مؤسّسات الدّولة؛ فالقانون المنظّم للعلاقات بين مكوّنات المجتمع المدني والمكونات الحكومية لمؤسّسات الدّولة هو السائد بسيادة الدستور[١٥٤].

القضاء في ربيع النّاس سُلطان مستقل لا سُلطان عليه إلّا الدّستور الذي صاغه الشّعب عن إرادة؛ فأصبح المواطن يحترم القانون حيث لا مخاوف من ظالمٍ ولا مظالم، وقوانين المحاماة كفيلة بتبرئة من هو بريء وإدانة من هو مداناً.

أمَّا السّجون السياسية فأصبحت في خبر كان، كونها ذات علاقة مباشرة مع تلك الأنظمة القمعية الطّاغية الظّالمة، ولذا كلّما ساد الظلم والتكميم والطّغيان قابله الرّفض والاعتراض والتمرّد والمواجهة، ولهذا كان كلّ من يقدم على شيء من هذه المعطيات النضالية يزج به في السّجن، لا لشيء إلّا لأنَّه يأمل الحرّية كما غيره من المواطنين يأمل.

في ربيع النَّاس أصبح للسلطة دلالة ومعنى، فللوزير صلاحيات واختصاصات قانونية تمكّنه من اعتبار الوطن والمواطن، كما تمكّنه من استمداد الثّقة في نفسه، كونه لم يكن كما هو حال أولئك الوزراء الذين كانوا كتبة تقارير لرأس الدولة الطاغي ليس إلّا، وبحمله أعباء

[١٥٤] المصدر السابق، ص ٢٣٩.

المسؤولية المناطة به يتمكّن أيضاً من نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار من الشّعب[١٥٥].

ولذا فالمسؤول في ربيع النَّاس هو القادر على تفهُّم قضايا الشّعب وفقاً للأولويّات (الحاجة المتعدّدة ومشبعاتها المتنوّعة)، وهو الذي يتألم إن انحرف مواطن ووُضِعَ في السجن، ذلك لأنَّه يعتقد أنّ مسؤوليّته هي القضاء على كلّ ما من شأنه أن يدفع المواطن إلى الانحراف المؤدّي به إلى السجن، ومن هنا فمن مهامّه إخراج النَّاس من السّجن، ببرامج وخطط مدروسة تدريباً وتأهيلاً وتعليماً، وليس مهمّته الزَّجُّ بالنَّاس في السّجون، ومن هنا جاء ربيع النَّاس عصر انعتاق من كلّ قيد.

فرئيس الدّولة المؤسّساتية الذي يتمّ اختياره من قبل الشّعب، كما هو مسؤول دستوراً؛ فهو مسائل أمام المؤسّسة المعتمدة من قِبل الشّعب؛ ولذا فرئيس الدّولة قمّة في الوطن، وليس قمّة على رأس الوطن، ذلك لأنَّ رأس القمّة في الوطن هو الشّعب ولا أحد سواه.

مكوّنات المجتمع المدني إرادية كلّ قوانينها وتشريعاتها مواليد دستورية؛ فلا يصاغ شيء مخالف للنّصوص الدّستورية، ولهذا فلا مخاوف، لقد انتهى زمن التبعيّة العقائدية تغفيلاً وتخويفاً وتجهيلاً وإكرهاً، وجاء ربيع النَّاس الحرّية تمارس مع مراعاة مصلحة الوطن فوق الجميع[١٥٦].

* الأمن الاقتصادي

الأمن الاقتصادي علم لا يتمّ التمكّن من الإلمام به وبلوغه إلّا عن طريق سياسات وخطط مرسومة في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالنَّاس دائماً لهم من الحاجات والمطالب ما يستوجب إشباعاً غير ثابت، ذلك

---

[١٥٥] المصدر السابق، ص ٢٤٠.

[١٥٦] المصدر السابق، ص ٢٤١.

لأنَّ الحاجات في حالة تطوّر؛ فإن لم يواكبها الإشباع الموازي لتطوّرها فستظلُّ مولّدة للقلق والإطراب والخوف، وعندما يبلغ الحال بنقص مشبعات الحاجات المتطوّرة، تنتشر المفاسد بين النَّاس، رشوة وتزويراً وشراء ذمم، وانعدام ثقة؛ فيكثر المنحرفون والمتسوّلون ويهتز الأمن وتفقد السيطرة عليه، ممّا يجعل القلق منتشراً بين النَّاس في مساكنهم وأعمالهم وفي الطُّرقات والأماكن العامّة، ممّا يحفّز الجميع على الالتفات إلى المصدر الذي يكمن وراء تلك العلل، ولذا فعندما يلتفتون لا يجدون غير النَّظام بقمّة سلطانه الطاغي مسبّباً في ذلك؛ فيندفعون مطالبين إرادة بالإصلاح، ولكن بتكرار المطالبة إن لم تحدث الاستجابة ستتغيّر الاتجاهات من المطالبة بالإصلاح إلى البحث عن الحلّ، وبأيِّ ثمن، حتّى يبلغوه بما يتوّج لهم أمنهم الاقتصادي، انطلاقاً من حقّهم في التملّك، وحقّهم في البيع والشراء، وحقّهم في ثروة الوطن دون ميل أو انحياز؛ حينها يصبح بحقّ متوسط الدّخل العام يساوي مجموع الدّخل على عدد المواطنين أمام الفرص المتساوية، مع وضع حدّ أدنى للمعاشات والضمان الاجتماعي، دون أيِّ غفلة عن أهميّة تحوّل النَّاس إلى الإنتاج وفقاً للقدرة والمهارة والتخصّص والخبرة والتأهيل[١٥٧].

ولأنَّ الملكية حقّ للجميع فلا يحقّ لأحدٍ أن يُحرم منها، ولا يحقّ لأحدٍ أن يحتكرها ويُسوِّقُها كما يتراءى له، وإذا ما حدث مثل هذا الأمر فلا بدّ أن يؤدّي إلى انعدام الثِّقة بين المحروم منها والمحتكر لها، وعندما تنعدم الثِّقة بين النَّاس، هل يمكن أن يكتُبَ النجاح لنظرية الأمن العسكري؟

ومن هنا إن حاولنا استنباط الإجابة من عامّة الشّعب عندما يخاطبهم الحاكم بقوله: إنّني جئت من أجلكم، ولذلك أوليت اهتماماً كبيراً بتحقيق الأمن في البلاد، فماذا ستكون الإجابة؟

---

[١٥٧] المصدر السابق، ص ٢٤٢.

في اعتقادنا ستكون الإجابة مبنيّة على سؤال آخر وهو، إذا كان تحقيق الأمن نتيجة لما يُخيف؛ فمن هو مصدر الخوف أيّها الحاكم؟ إذا كان الخوف من الشّعب؛ فلمن سيكون الأمن في هذه الحالة؟ وإذا كان الأمن من أجل القضاء على الخوف؛ فمن يا ترى المخيف في أوطان التكميم والحرمان من إشباع الحاجات؟ ألا يكون ذلك الطّاغية الذي قال لمواطنيه لقد جئت من أجلكم، أي جئت من أجل حرّيتكم وأمنكم ونعيمكم؟ ألا يكون بحقّ هو العلّة وراء كلّ علّة؟ لهذا تفجّرت الثّورات العربية التّاريخية لتجيب على كلّ هذه التساؤلات بموضوعية دون أن يُظلم أحد؛ فكانت الإجابة (إرحل) كافية وشافية لغلّ المواطنين الكرام؛ فمن أخذ بها رحل، ومن لم يأخذ بها قُبر[١٥٨].

ولذا فإنَّ زيادة عدد أفراد الشرطة وأفراد الجيش من أجل تحقيق الأمن هو في حقيقة الأمر زيادة لعدد المستهلكين الذين همّ عالة على جهود الآخرين، كما هو حال الأطفال، وحال العجزة والمعاقين غير القادرين على الإنتاج.

إذن ثقافة الأمن العسكري هي ثقافة صراع مع الداخل أو مع الخارج، وهذه السياسة زمنها قد ولىّ، فالأهمّ لعصر اليوم هو تحقيق الأمن الاقتصادي للمواطن بضمان حقوقه وأدائه واجباته وتحمّله لمسؤولياته؛ فالمواطن في دول المجتمعات النّامية في حاجة لرأس مال يُمكِّنه من ممارسة مهنةٍ أو حرفةٍ تُمكّنه هي الأخرى من الحياة المنتجة لا الحياة المستهلكة؛ فينبغي على المصارف أن تَقرُض المواطنين قروضاً استثمارية بضمانات قانونية حتَّى لا يضيع الاقتصاد الوطني هباءً منثور.

ولذا يجب أن يتحوّل مئات الآلاف من رجال (البوليس) ورجال الجيش المجنّدين للأمن العسكري، أن يتحوّلوا من المعسكرات والثّكنات إلى مواقع الإنتاج بعد أن يتمّ تأهيلهم بعلوم التقنية الحديثة، وذلك

---

[١٥٨] المصدر السابق، ص ٢٤٢.

لأجل الإنعتاق من القيود العسكرية الرّهيبة، ولأجل التّنمية وزيادة الإنتاج الذي يؤدّي إلى ارتفاع مستوى الدّخل العام لكلّ مواطن؛ فالأمن الدّاخلي والخارج في عصر الانعتاق أمنٌ تقني وليس أمن كتابة التقارير في المواطنين، وتسويد ملفّاتهم بغير حقّ؛ فكتابة التّقارير لم تعدّ في هذا القرن مهنة أمنية ولا حتّى إنسانية، بل هي عمل من لا عمل له، ولأنّها كذلك؛ فينبغي أن يؤهّل أولئك الذين تعوّدوا كتابة التقارير في أفراد الشّعب إلى السهر من أجل أمن الوطن سياسيّاً واقتصادياً واجتماعياً.

إذن عندما تتوفّر مشبعات حاجات المواطنين الغذائية والمائية والإعمارية والفلاحية والبنائية، يتوفّر الأمن العام في المنازل والمصانع ومراكز البحوث المتقدّمة، وأماكن الخدمات العامّة وفي الأسواق وأماكن السياحة وإنتاج الغذاء والدواء. ومع ذلك لكلِّ قاعدة شواذ، ممّا يستوجب مراعاة النوعية في من يتمَ اختيارهم رجال أمن (ذكوراً وإناث).

وعليه: في زمن الرّبيع الاقتصادي تقنية تحلية المياه من البحار والمحيطات عالية الجودة، ولم تعدّ غالية التكلفة إذا ما قورنت بذلك الزّمن الغابر؛ ولهذا فالأرض ليس لها بدٌّ إلّا أن تزداد اخضراراً، وحدائق القرى والمدن تزداد اتّساعاً، وعدد الذين يتعرّضون لغسل الكلى يتناقص ويكاد أن ينعدم، وفرص العمل تتيسّر بدرجة لم يعدّ هناك من بعدها مكاناً للمتسوّلين على الأرصفة وقارعات الطّرق وأمام المساجد، إنّه ربيع إنتاج التقنية المتنوّعة والمنافس بها من أجل الرّقي بالإنسان أينما تحرّك وسكن؛ فهكذا الحاجات تُشبع، وكذلك سجون السّرقة تقفل، ممّا يجعل الأمن سكينة في أنفس المواطنين سائداً في المنازل والأسواق والمقاهي والمتاجر والأماكن العامّة، وكذلك في الشواطئ والمدن والقرى السياحيّة؛

فالسيّاح سيتخذون أوطان الثورات العظيمة قبلة لهم بما تزدهر به من تاريخ[١٥٩].

الطّاقة الجديدة والمتجدّدة في الوطن متسع الأركان تتجدّد، إنّها الطّاقة النقيّة شمس ورياح، دون غفلة عن أهميّة التوسّع في التنقيب عن الذّهب الأسود والغاز، وكلّ كنز من كنوز الوطن المخفيّة في مكونات تربته، وبحاره، ومحيطاته، وسهوله، ووديانه، وجباله، ممّا جعل استيعاب الأيدي العاملة الفنية ضرورة بعد تمكين المواطنين من فرص العمل المتنوّعة، وهكذا سيظل سوق العمل يتّسع وهو يطالب بالمزيد.

وما أجمل المصارف وهى تقرض المواطنين قروضاً لإنشاء المشاريع الصغرى، وهي أكثر جمال عندما تستثمر رأس مالها الوطني من أجل المواطنين، ومن هنا يصبح الأمن الاقتصادي بين أيدي النّاس محبّة ومودّة واعتبار وتقدير[١٦٠].

* الأمن الاجتماعي

المجتمع تكوين طبيعي يعتمد على العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ولا يمكن أن تكون هذه العلاقات والتفاعلات صادقة إلّا إذا كانت الثّقة متبادلة بينهم؛ فعندما يتربّى النشء على قيم حميدة تُرسِّخ حبّ الأسرة وأهميّتها، وحبّ الوطن وأهميّته، وحبّ العلم والعمل وأهميّتهما الحياتية، وحبّ الآخر وأهميّة تقديره، واعتباره واحترامه وتقبُّله واستيعابه من أجل القضايا الوطنية والإنسانية، حينها تصبح المسؤولية حملاً بين النّاس وليست ثقلاً على كواهلهم.

---

[١٥٩] المصدر السابق، ص ٢٤٤.

[١٦٠] المصدر السابق، ص ٢٤٥.

فمسؤولية الدّفاع عن الوطن التي كانت واجباً وطنيّاً، أصبحت قابلة لأنْ تكون واجباً إنسانياً ومصلحيّاً تشترك فيه أكثر من هويّة؛ فمن خلال المنظّمات الإنسانية إنْ علم أعضاؤها بأنَّ في أوطان التكميم تسود المظالم على شعبٍ من الشّعوب من قبل القمّة الطّاغية فيه، سيتدافعون إليه وفقاً لما هو ممكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع لإنقاذ أولئك المظاليم الذين يرمون بالرّصاص الحي جهاراً نهاراً[١٦١].

وعليه: لا يمكن أن يستقرّ الأمن الوطني إلّا إذا تمكّن النّاس من التعليم بحريّة، وتمكّنوا من العمل بيسر، وتمكّنوا من إشباع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة وفقاً للجهد والقدرة والرّغبة، وتمكّنوا من إلغاء قانون الطوارئ الذي يفرضه قمّة السّلطان الطاغي كلّما تظاهر الشّعب من أجل الإصلاح.

ولأنَّ هذا العصر هو عصر تقنية المعلومات؛ فإنَّ الثّورة الإدارية للمعلومات ستكون هي الوسيلة المثلى لتحقيق النجاح في جميع المجالات المختلفة؛ فقد انتهى الزّمن الذي كان فيه البشر يقفون في طوابير لا لأجل النّظام واتّباع أساليبه، ولكن لتوّغُل البيروقراطية الإدارية في أماكن تقديم الخدمات، إنّها المضيعة للوقت والجهد والمال، بعد أن عرفنا أنَّ الإدارة المثلى هي الملاحقة للمنتجين والمبدعين والمخططين والمبرمجين، لِتُقدّم وتُيسّر لهم الخدمات على الوجه الأفضل والأسرع؛ فبإمكانك أن تتحصّل على جميع المعلومات والخدمات من الجهاز النقّال الذي تمتلكه بأقل الأسعار.

إنَّ زمن تقنية المعلومات سيطوي الهوة بين المتقدّمين والمتأخرين، وسيطوي الزّمن كذلك عندما يتمكّن المتأخر من استخدام آخر ما توصّلت إليه التّقنية بكلّ سرعة وانضباط واستمرار.

[١٦١] المصدر السابق، ص ٢٤٥.

ومع أنَّ التقدُّم التّقني وصل إلى مراحل متقدّمة من الاختراع الصناعي المتنوّع، إلّا أنَّ هذا التقدّم الآلي لن يكون على حِساب فرص العمل عندما تكون مهام الإنسان تجويد نوعيّة ما تقدّمه الآلة من خدمات للإنسان، ممّا يجعل الآلة دائماً خاضعة لسيطرة الإنسان وفي حاجة إلى علمه المطوّر لها تجويداً ولا عكس في ذلك، وعليه ينبغي أن يتوجّه العقل العلمي إلى توليد الوظائف والأعمال المنتجة التي تمتصّ الطاقات البشرية وتجعلها ذات فعالية عالية.

وعليه: فالدّولة التي لا تخطط للمستقبل ولا تعمل على صناعة تجدّده علماً وتقنية بما يمكّن الجميع من المشاركة في أخذ الحقوق، وأداء الواجبات، وتحمّل المسؤوليات ستكون بالضرورة على هامش الحياة، وقد يستدعي الأمر تدخّلا أو منقذاً، وعليه ينبغي أن تتغيّر وظيفة الشرطي من التقليد إلى التجديد، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن الخوف إلى الاطمئنان، ومن المطاردة على الأقدام إلي المتابعة بالليزر والإنترنت، وهكذا مهمّة الجيوش التي تؤدّيها الأعداد الكبيرة وهي في عمر الإنتاج والإبداع والبناء، طاقات معطلة تتحرّك بالأمر والنّهي، وتعيش على حساب المنتجين؛ فلا خوف على أمن الوطن إذا تمكّن شعبه من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤوليّته، الخوف على أمن الوطن عندما يحرم المواطن من امتلاك هذه الحقوق والواجبات والمسؤوليّات.

ولهذا ينبغي أن يؤهّل الموظفون في الإدارات الخدمية بالمعلومات الجديدة التي تواكب حركة التغيّر التّقني، والتغيّر السياسي والاقتصادي والاجتماعي وإلّا بالضرورة سيتم الاستغناء عنهم، أطنان السجلات وآلاف الحافظين لها ومئات الأماكن التي تُحفظ فيها لم تعدّ الوظيفة في حاجة لها، وذلك بتيسّر البديل الأسرع والأفضل.

وعليه: التعليم الذي كانت أهدافه تعليم القراءة والكتابة والتخرّج من الجامعات، لم يعد هو التعليم المطلوب الذي يلبّي رغبة البلد؛ فالتعليم الحديث يهدف إلى أن يتعلّم المتعلّم من خلاله كيف يتعلّم؟ وكيف يفكّر؟ وفيما يفكّر؟ وكيف يحفّز على التغيير؟ وكيف يتصرّف عندما يكون بين مفترق الطرق؟ إنَّه تعليم إشباع الحاجة، وليس الحاجة للعمل فقط، بل الحاجة إلى النجاح والتفوّق في ميادين العمل وبالسّرعة اللازمة للمنافسة مع وافر الجودة.

وهكذا حال الخبرة لم تعد ذات جدوى إذا لم تكن متجدّدة ومتنوّعة، فالخبرة أصبحت غير ثابتة، والعمل الذي يتطلّب مهارة عالية هو الآخر تغيّر، حتَّى أصبح النّوع الواحد من المهارة لا يفيد لأداء الوظائف المتنوّعة، خاصّة عندما تحدث الأزمات، ولذلك لا ينبغي الاقتصار على العلوم التي تحملها الكتب؛ فالعلوم الواسعة اليوم هي التي تنشرها وتبثّها الشّاشات، من خلال شبكة المعلومات المتنوّعة والمتجدّدة، ومن هنا فالطبيب الذي لن يفتح يوميّاً شاشة المعلومات التي يبث من خلالها أحدث ما وصلت العلوم الطبيّة إليه، لن يعود طبيباً ناجحاً.

ولذا ينبغي أن تكون أساليب الاتصالات مع الآخرين مرنة وشفّافة، وأن تكون المواصلات هي الأخرى متطوّرة وميسّرة للتّواصل والاتّصال لمعرفة الجديد، وفتح الأجواء أمام الملاحة الجوية العائدة بالمنفعة أمر ضروري، والسّرعة في تسهيل الإجراءات أكثر أهمية، وفتح البحار والمحيطات، والعمل على فتح قنوات جديدة لمرور السّفن المسالمة، بزمن وكلفة أقل يجب أن لا يبعد من التفكير، والضرائب والجمارك كلّها في حاجة لإعادة النّظر، لأنّ كلّ ذلك يتطلّب توليد وظائف جديدة ومفيدة؛ فالسياحة في بلدان السلام والأمن والطمأنينة والخدمات الممتازة، تفتحُ فرصاً متعدّدة ومتنوّعة للدخل الممكّن من الحصول على ما يشبع الحاجات المتطوّرة.

وعليه: فإنَّ ربيع النَّاس مزدهر بالمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع تنوُّع كبير في الفروق الفردية بين النَّاس، تنوّع يقدّر خصوصية الذُّكور وخصوصية الإناث، وظروف الطفولة، وظروف المعاقين وكبار السنّ، والعجزة الذين لهم حقّ الضمان الاجتماعي، ولهذا تعتبر السيادة على رأس المعطيات الرئيسة لازدهار ربيع النَّاس[١٦٢].

[١٦٢] المصدر السابق، ص ٢٥٠.

الأخلاق وطن

إنّ العمل مع الإنسان قبول ورفض وإبداء رأي وإطلاق حريات بمنطق يدفعه بلا شكّ إلى الإبداع، ويشعره بوجوده مواطناً له وطن، ولذا فمن خلال هذه القيم الأخلاقية يصبح الوطن قيمة في نفوس مواطنيه؛ ممّا يجعل المساس بالوطن هو مساس بالمواطن نفسه، وهذا ما لم ترتضِه تلك الأنظمة التي سادت، وهي الآن أوّل بأوّل في طريقها إلى الأفول، حيث كان المساس بالسلطان المستبدّ وفق نظريته هو مساس بالوطن، ولا عكس[١٦٣].

وعليه أخلاقيّاً لقد انتهى زمن الوشايات وكتابة التقارير في المواطنين كيداً ومكراً، وجاء عصر المراقبة الوطنية، حيث لا انتظار لأحدٍ أن يقع في المصيدة، بل الانتظار للتنفيذ ثم المتابعة المسؤولة لِما ينفّذ وفقاً لِما يقرّره الشّعب، وإن حدثت مخالفات؛ فالقانون كفيل بالمعاقبة دون أيِّ كيد ولا مكر، وانتهى زمن تجنيد النساء الأميّات ليتجسّسنَّ على أزواجهنَّ وجيرانهنَّ، كما انتهى زمن تجنيد الأطفال غير المدركين للتجسّس على آبائهم وأمهاتهم وأعمامهم وإخوتهم وجيرانهم وزملائهم في المدارس.

وهكذا انتهت تلك المظاهر التي كانت تستفزّ المواطنين، من الاستعراض بالسيارات الإستخباراتية المجهّزة بعددٍ من الهوائيات الميسّرة لنقل الوشايات بوجه السّرعة عن المواطنين مع إشهار السلاح في وجوههم، أو على الأقل إظهار جزءٍ منه لتعريفهم بقيمهم التي لا تساوي من وجهة نظر النِّظام طلقة رصاصة؛ ممّا يجعل الأمن بعد التخلّص من الطغاة قيمة سائدة في دولة التوافق مع وافر التقدير والاحترام[١٦٤].

---

[١٦٣] المصدر السابق، ص ٢٦١.

[١٦٤] المصدر السابق، ص ٢٦٢.

وفي ربيع الأخلاق أصبح الشعراء الذين كانوا مغيّبين عن معرفة الحقيقة واعين بها، ومن هنا أصبحت قصائدهم تمجّد الوطن وتتغنى بتاريخه وهويّته بعد أن كانت قصائدهم على حساب قيمة الوطن، تمجّد من اعتلى قمّة سلطانه بغير حقّ، وهكذا أصبح سلاح الرّواة والرّماة معاً مسخّراً من أجل الوطن وصون تراثه وترابه.

وهكذا في ربيع الأخلاق أصبحت البعثات التعليمية للمتميّزين، ووفقاً لحاجة سوق العمل، وما يمكّن من إحداث التغيير للأفضل والأجود والأنفع للجميع، بعد أن كانت مقتصرة على أزلام النظام وجواسيسه، ومن لهم وساطة ومحسوبية؛ فالبحث العلمي في ربيع الأخلاق في العلوم الطبيعية طبيعة معتادة، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية فضائل خيّرة وقيم حميدة؛ فالتاريخ الذي كُتب عنوة وسُجِّل في طيات صفحاته تزويراً لمن لم يجاهد بطلاً على رؤوس المجاهدين الأبرار، ستشُكّل له لجان من الاختصاصيين الوطنيين لإصلاح عطبه، وتنقيته ممّا علق به من تشويه للحقائق التّاريخية، والمقابر التي دُفن فيها أناس لا علاقة لهم بالجهاد وصناعة التّاريخ، هي الأخرى ستصحّح حتّى لا يكون الأموات في المقابر جنباً إلى جنب مع الأحياء فيها.

أمّا الصّحة في ربيع الأخلاق ستكون فيها المشافي التي كانت لا توصف أكثر من كونها مشافٍ إسعافية، ستصبح ذات مراكز بحثية متقدّمة تمدّها بكلّ علمٍ جديد وتقنية متطوّرة، حتّى يصبح المواطنون لا يفكّرون في العلاج بالخارج إلّا ما ندر؛ فمن لا إمكانية مادية لديه أو واسطة تحسبه متميّزاً عن غيره من المواطنين في ذلك الزّمان، ليس له بدّ إلّا الموت، دون أن يجد نظاماً أو حكومة تتأسف عليه، سوى تلقّيه التأسف من الذين حالهم كما هو حاله؛ ففي ذلك الزّمان الجديب كانت تقارير الحكومات تعرض في وسائل إعلامها عدد الذين تمّ علاجهم في الخارج، كونه من وجهة نظرهم إنجازاً من إنجازات النّظام،

في الوقت الذي لا يعلمون فيه أنَّ هذا الأمر لا يزيد عن إثبات إدانة للنظام وحكومته، باعتبار أنّ ذلك يثبت أن المشافي في البلاد لا تزيد عن كونها مشافٍ إسعافية ليس إلّا[١٦٥].

أمَّا الزّراعة في زمن الطّاغية فالآفات كُثر، ومن أراد من المزارعين أن يكافح تلك الآفات فبإمكانه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومن لم يستطع فالأرض الجدباء لا عيب فيها في الزّمن الأجدب، ولهذا كثرت السموم في المستزرع بأسباب الرّش المبيد المباشر على الثّمار والخضراوات؛ فلو كانت هناك رعاية وطنية أخلاقية لكان العلاج للبيئة بكاملها حتّى لا تجد الآفات مكاناً لتحلّ فيه، ولذا كلّما رشّ المزارع مبيداً على ثمار ما استزرعه جاءت الآفات الضارة تتداعى من المحيط المملوء بها، ممّا جعل المزارعين طوال العام همّ في حاجة لشراء المزيد من المبيدات المتنوّعة والمتعدّدة والمختلفة، وبهذه الأسباب التي أصبحت الخضراوات والفواكه مملوءة بالسّموم أنتجت أمراضاً سرطانية لم تعرفها البلاد من قبل، وهكذا كان حال المواطنين إلى أن جاءت الثورة الحلّ رحمة على البلاد والعباد؛ التي من بعدها ستصبح البيئة نقيّة خالية من تلك الآفات الضّارة؛ فاخضرّت الأرض ربيعاً مزهراً، وثماراً لا سموم فيها؛ لذتها وكأنَّها من ثمار الجنّة؛ فانتهت تلك الأمراض السرطانية والسّلامة الصحية في وجوه النَّاس تُقرأ.

الشفافية التي لم يعتادها النَّاس ستكون هي السائدة جنباً إلى جنبٍ مع العدل الذي كان مفقوداً بوجود الطاغية؛ فالشورى في الأمر بين النَّاس ربيع، ثمارها قرارات قابلة للتنفيذ، والمتابعة والمراقبة والمحاسبة والمسائلة والتقويم، من أجل حياة ديمقراطية فيها الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمْل، مع تحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام، وذلك لأنّها حلّاً أخلاقيّاً فيه تمارس الحرّية بكلّ إرادة.

---

[١٦٥] المصدر السابق، ص ٢٦٤.

قمّة السلطان وفقاً للدستور قمّة؛ فلا مجال لأن يطغى، ولا مجال لأن يورّث أبناءه من بعده؛ فالحكم في دولة التوافق مورّث للشّعب بكامله، ولذا فلم يعد هناك مجال لأن يورَّث لغيره[١٦٦].

وهكذا البنوك والجيوش في دولة الأخلاق، سيكون أمرها بيد الشّعب قيادة وقراراً مع وافر المنافسة الحرّة، ولكلٍ مهامه تجاه ما يجب سلماً وحرباً، ومن هنا لا إمكانية للاختلاسات، ولا السوق السوداء وتبييض الأموال، وتحويلها للبنوك في الخارج، ولا إمكانية لانقلابات العسكر، ولا للرّصاص الحي في صدور المواطنين؛ فالبوليس جهاز مدني يحافظ على أمن المواطنين وسلامتهم، وما يمتلكون، وأينما يتحرّكون أو يسكنون.

السلطات التي كانت لا سلطة إلّا وأن تكون بيد الطّاغية، ستكون سلطات مستقلة دستوراً، مصيرها بيد الشّعب؛ فالقضاء سلطان لا سلطان عليه، والتشريع بيد المشرّعين سلطة، والتنفيذ بيد المنفِّذين سلطة، والبحث العلمي هو الآخر سلطان لا سلطان عليه إلّا العلم، وهكذا فالدستور هو السّلطان على كلّ سلطان كونه بإرادة الشعب مستمدّ من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وكذلك فإنَّ الإعلام خاصٍّ وعام هو صوت النَّاس دستوراً، الصوت الذي يعلو ولا صوت يعلو عليه[١٦٧].

الدّولة في ربيع النَّاس دولة مؤسّسات، والمجتمع المدني والتنوّع الثقافي أصوات تعلو بأصوات النَّاس، والرّجل والمرأة جنباً إلى جنبٍ إخوة متحابون في ميادين التعليم والعمل، مع وافر التقدير للقدرة والتخصّص والمهارة والتأهيل والطبيعة الخَلقيّة.

---

[١٦٦] المصدر السابق، ص ٢٦٤.

[١٦٧] المصدر السابق، ص ٢٦٥.

القيم التي قوّضت في زمن الطّغاة، أصبحت بعد الثورات العربية حرّة طليقة، مع حريّة الفضائل المطلقة، والقيم التي تُقرّها الأعراف والأخلاق الحميدة المستمدّة من الدين مصدر كل تشريع.

في ربيع النّاس أصبح المواطنون متوافقين أحراراً؛ فلم يعد هناك مكاناً للتطرّف، ولا مكاناً للإكراه، ولا التغييب، ولا الإقصاء، ومن ثمَّ لا مكاناً للطغاة[١٦٨].

في ربيع النَّاس لا مجال لتأمر السياسيين؛ فالسياسيون والقادة الذين يتمّ اختيارهم ديمقراطياً وبكل شفافية لإدارة شؤون الدولة، تتم إقالتهم بالمعطيات نفسها (ديمقراطية وشفافية)، ممّا يجعلهم بعد انتهائهم من أداء المهام المختارين لها في سلام آمنين بين النّاس، ومعهم يفكّرون في إدارة حياتهم الطبيعية، أو الوظيفية التي جاؤوا منها، ولهذا لا مجال للانقلابات والتأمر كون الوطن ملك عام لجميع المواطنين، ولذا في ربيع النَّاس أصبح الولاء للوطن بعد إن كان الولاء للطاغية[١٦٩].

في ربيع النَّاس أصبح قمّة السّلطان لا يسمع إلّا ما يجب أن يسمعه، بدلاً ممّا كان سائداً أيّام الطَّاغية الذي لا يسمع إلّا ما يُحبّ أن يسمعه.

في ربيع النَّاس التأريخ يُكتب ولا يُكتب عنه؛ فالكتابة عن التَّاريخ دائماً يلحقها قلب الحقائق تشويهاً وتزويراً، ولذا فمن السهل أن يُكتب عن التَّاريخ، ولكن أن يُكتب التَّاريخ هو كما هو فالأمر صعب جدّاً، إلّا الشهداء فهم وحدهم خير من يكتب التَّاريخ، وهكذا الثوّار الذين على رأسهم ثوّار ليبيا وتونس ومصر وسوريا واليمن يسطّرون ويكتبون التاريخ دماً من أجل الحرّية.

---

[١٦٨] المصدر السابق، ص ٢٦٦.

[١٦٩] المصدر السابق، ص ٢٦٦.

زمن التنظير لقولبة عقول النَّاس هو الآخر قد ولّى، وحلّ محلّه زمن الانعتاق الذي يدفع الجميع بقوّة الجميع إلى كلّ ما من شأنه من أجلهم جميعاً، ومن هنا في ربيع النَّاس أصبحت النسوة لا تزغرد إلّا للأفراح بعد أن كان بعضهنَّ يزغردن للطّاغية[١٧٠].

[١٧٠] المصدر السابق، ص ٢٦٧.

ربيع الحلّ

(دولة توافق)

ربيع الحلّ هو الازدهار المأمول الذي تمّ بلوغه بعد نُقلة بها عَبَرَ الشّعب حدود التوقّف عند الإصلاح الذي كان مقبولاً لفك التأزُّمات؛ فالمواطن الذي كان أمله تغيير الحكومة أو جزءاً منها من خلال نضال نقابي أو حزبي أو انقلاب عسكري من أجل تحسين الأحوال نسبيّاً، ثار على نفسه وهو متجاوز لتلك التنظيمات والزّعامات والقيادات والمرشدين، كما أنَّه تجاوز ذلك الزّمن الذي كان فيه ينتظر مفاجأة انقلابية من العسكر ليخرج مؤيّدٍ لها في الشوارع والميادين العامّة، تجاوز كلّ ذلك برفعه سقف المطالب وقبوله التحدّي للطّغاة في الميادين والسّاحات العامَّة جهاراً نهاراً؛ فانتصر بعد أن دفع الثّمن شهداء في سبيل الإنعتاق ونيل الحرّيّة. من بعدها أصبح لا قيود على الإرادة، الشّعب وحده قادر على تسيير أمره، وقادر على أن يختار قمّة لإدارة سًلطانه وفقاً لدستور لا يُقرُّ ولا يعتمد إلّا منه.

ومن هنا يعدّ ربيع الحلّ نُقلة إلى الأمام المتقدّم المحقّق للجديد غير المتوقّع، ولذا فالفرق كبير بين أن يقتصر نضال الشّعوب على قيادات وزعامات تأمل أن تحلّ محلّ من تناضل من أجل إسقاطه، أو تغييره برفعها شعارات للإصلاح وفقاً لِما هو متوقّع، وبين أن يكون النّضال بالجميع من أجل الجميع وفقاً لِما هو غير متوقّع، ممّا جعل المفاجأة هي الحلّ ربيع بين النّاس يتحقّق.

وعليه: فالفرق كبير بين القبول بالأمر الواقع والتعامل معه كما هو في مراحل الإصلاح، وبين رفض الواقع الفاسد برمّته وإيجاد الجديد برغبة

الجميع وإرادتهم، ولهذا جاء الحلّ تجاوزاً لتلك الحدود التي رسمت خطوط حمراء من قبل قمم الفساد[١٧١].

ولأنّ الأمر أمر سيادة؛ فالسيادة قد تكون عن حقٍّ، وقد تكون عن باطل، فإن كانت بدافع الحقّ، كانت سيادة خيِّرة، حيث الفضائل والقيم الحميدة التي لا تُقرّ الظلم ولا تُقرّ التطرّف، وإن كانت بدافع ظلمٍ وتطرّفٍ؛ فالطغاة هم الذين سيسيطرون بالإدارة الظالمة المتطرّفة، ولكن في النهاية دائماً الطغاة يُهزمون، والزمن دائماً كفيل بترويضهم، ومع أنّهم الطغاة بالقوّة إلّا أنَّ الخوف دائما يملؤ أنفسهم مع أنّهم يجحدون، ولكن إلى متى سيجحدون وغطاء الوجه لابدَّ له من أن ينكشف! كما انكشف يوم القبض على القذافي وهو يتساءل: (أيش فيه)؟ وكأنّ الأمر غريب ولا دراية له به.

ما قبل الثّورة البركان (ثورة الشّعب التونسي) كانت الشّعوب تناضل من أجل الإصلاح، من خلال تلك التنظيمات المعترف بها، أو غير المعترف بها، أو تلك الانقلابات العسكرية التي بها تطيح بالأنظمة من أجل أن تحلّ محلّها؛ ولذا فأوّل ما يُغيَّر بعد الإطاحة بالنّظام المنقلب عليه يُغيَّر رأس النَّظام برأس الحزب أو رأس الانقلاب مهما تعدّدت ألوان طيفه، ومعه تُغيّر الحكومة المحكومة برأس النَّظام الذي حلَّ محلّه رأس المنقلبين؛ فيدفع بالشّركاء مرحلة أولى للإصلاح، ثمّ يتمّ تغيير الشّركاء بالأقارب مرحلة ثانية للإصلاح، ثمّ يتمّ تغيير الأقارب بالأبناء والزّوجة مرحلة ثالثة للإصلاح، ثمّ يتمّ تغيير الزّوجة بتوريث الحكم للأبناء مرحلة نهائية للإصلاح، وهكذا كان التَّاريخ السياسي يُصنع[١٧٢].

وبين هذا وذاك عندما يستشعر قمّة السُّلطان في نفسه القوّة لا يتردّد في قمع الشّعب المطالب بالإصلاح؛ فهو يظنُّ أنَّ الاستجابة لمطالب الشّعب تُقرأ من قِبله بأنَّها رضوخ لرأيهم، وهذه القيمة الحميدة أخلاقيّاً

---

[١٧١] المصدر السابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

[١٧٢] المصدر السابق، ص ١٦.

بالنسبة لقمّة السّلطان قيمة لا تحمد، ولهذا يشتدّ في رفضه ويتطرّف فيزيد من حدّة قبضته على رقاب من يقع بين يديه من أفراد الشّعب.

أمَّا إذا فاجأه ما يفاجئ، أو إن استشعر الضّعف في نفسه مع وافر الجبن، يقبل بالتّنازل ويقدّم التعهّدات لا من أجل الإصلاح الذي يأمله النَّاس، بل من أجل أن يضيّع الفرصة من بين أيديهم حتَّى لا يتمّ اقتناصه بانقلابٍ أو ثورة.

أمَّا ما بعد (الثّورة البركان) فلم يعدّ الأمر كما كان عليه؛ فلم يعدّ الإصلاح مطلباً، بل أنَّه على رأس المطالب مرفوضٌ، كونه أصبح نفاية ضارة للشّعب ومُفسدة للبيئة؛ فأصبح رّفضه حقّ من أجل سلامة الشّعب من أضرار نفاياته؛ فكان البديل هو (الحلّ) على رأس المطالب.

ولذا فتلك الانقلابات والثّورات ما قبل البركان العظيم لم تعدّ قصداً ناجحاً، ولا مقبولاً؛ فبعد تفجّر البركان العظيم الذي رمى بحممه على أرجاء الوطن العربي؛ ففجّرت كلّ ذرّة من حممه ثورة في نفس كلّ مواطن؛ فثار الشّعب على الأنظمة الطّاغية التي منها نظام معمّر القذافي، ورمى ما رمى منها في قمامة التَّاريخ، وهو الآن يعمل على رمي ما تبقّى؛ ومن هنا لم تعدّ غاياته استبدال رأس النّظام السابق برأس النّظام اللاحق عليه تآمراً وانقلاباً، بل غاياته بلوغ الحلّ الذي ببلوغه لن يجد الفساد له مكاناً ليحلّ فيه، ولهذا ثار الشّعب كونه القمّة التي لا تعلوه قمّة؛ فنجحت الثّورات الشعبية دون أن يكون لها برنامجاً إصلاحيّاً، وذلك لأنَّها الحلّ[١٧٣] .

ولذا في مقابل الإصلاح الذي لا يكون إصلاحاً إلّا بتقديم التنازلات جاء الحلُّ حلّاً لا مكان فيه للقبول بتقديم التنازلات، وذلك ببلوغ مرحلة (نحن معاً) (نحن سويّاً) التي تحقّقت عندما تداعى النَّاس إرادة إلى التظاهر في ميادين الوطن، مقرّين بأنَّ زمن تقديم التنازلات بغير

[١٧٣] المصدر السابق ١٧.

حقّ قد ولّى، ثمَّ أنَّهم قبلوا التحدّي بحملهم المسؤولية الوطنيّة، وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام، ممّا جعل مجموع المطالب التي هي مجموع المواطنين مطلباً واحداً؛ فكان المواطن وكأنَّه الوطن بأكمله؛ فهو الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وهو العطاء المتساوي في معظم الأحيان مع الأخذ، وأحياناً يفوق العطاء عطاءً[١٧٤].

الحلّ ربيع توافق يقضي على المشاكل والتأزُّمات التي تواجه المواطنين تخطيطاً وبناءً وإعماراً وفلاحاً، ومع ذلك فإنَّ زمن ربيع الحلّ لا يلغي الإصلاح المساند، بل أنَّه ألغى من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية أن يكون الإصلاح غاية في ذاته، ذلك الإصلاح الذي كانت من أجله تحدث بين الحين والحين انقلابات العسكر، ونضالات المثقّفين والمفكّرين سواء أكانوا منظّمين في أحزابٍ أم أنَّهم أحراراً مستقلّين.

ولذا فإنَّ الإصلاح الذي كان أملاً، وكانت الدّول الحرّة تحرّض على بلوغه، وتطلب من الأنظمة المتخلّفة الأخذ به؛ فلم يعد بعد الثورات العربية أملاً، بل الثورات العربية تجاوزت ذلك وبلغت إلى ما هو أعظم ببلوغها (الحلّ) ربيع توافق بين النّاس.

ومن هنا يصبح الإصلاح المساند هو ظهير الحلّ؛ فمشكلة المواصلات على سبيل المثال هي في زمن ربيع النَّاس بين حلٍّ وظهير حلٍّ؛ فالإصلاح المساند يستوجب إصلاحاً وسائل النقل كلّما تعطّلت، وليس إهمالها لتصبح عبء على كاهل الميزانية العامّة للوطن، أمَّا الحلّ فهو المستهدف، حلّ مشكلة المواصلات من حيث فكّ التأزمات في الطرق والنقل والحركة وتيسير السير والتنقّل كسباً للوقت مع تقليل التكاليف المديرة لذلك، ومن هنا تصبح أمور المواصلات حركة ميسّرة وليست حركة معسّرة.

---

[١٧٤] المصدر السابق، ص ١١٠.

إذن الإصلاح لم يعد هو القاعدة كما كان مأمولاً، بل أصبح هو الاستثناء وفقاً للضرورة؛ فالقاعدة بعد عصر تفجّر الثورات العربية هي بلوغ الحلّ، ولأنَّ لكلِّ قاعدة استثناء، إذن لكلّ حلٍّ ظهيرٌ يسنده عند كلِّ ضرورة وهو الإصلاح، أي أنَّ الإصلاح هو المعين للحلّ، ولأنَّه المعين فهو لم يكن الأساس (القاعدة)، بل هو المتوقّع لما هو متوقّع من فساد وهلاك بأسباب الاستخدام، أمَّا الحلّ فهو المنتج الجديد المتطوّر المضاف لما سبق، الذي كلّما فسد وأمكن إصلاحه وجب الإصلاح المساند للحلِّ، ومن هنا فالنَّاس دائماً يتكيّفون مع الإصلاحات، ولكنّهم لا يتوافقون إلّا مع الحلول[١٧٥].

ولمتسائل أن يتساءل:

متى تسود دولة التوافق؟

نقول:

. عندما يسود الحلّ بين النَّاس قيمة سياسة واقتصاداً واجتماعاً وإنسانية وأخلاقية.

. عندما يملأ نفس المواطن الاعتراف بأنَّه مواطن متساوٍ مع غيره من المواطنين.

. عندما يتساوى النَّاس في ممارسة الحقوق.

. عندما يتساوون في أداء الواجبات مع مراعاة الفروق الفردية قدرة واستطاعة ومعرفة وتخصّصاً وتأهيلاً وتدريباً.

. عندما يتساوون في حمْل المسؤوليّة مع مراعاة الصلاحيّات والاختصاصات الدستورية والقانونية.

. بعد أن يكونوا طائعين لأولي الأمر منهم إرادةً، وذلك (طاعة للأمر الذي هو منهم).

. بعد أنْ يعترف كلٌّ منهم بالآخر.

---

[١٧٥] المصدر السابق، ص ١١٤.

. بعد أن تقدّر الخصوصيّة ولا يمتدّ أحد على حساب مكانة الآخر وهويّته، وما يُثبت وجوده مواطناً حرّاً.

. بعد أن تُمنح الفرصة للتفهّم والتفاهم.

. بعد أن ينتهوا عن ارتكاب أفعال الرّذيلة.

. بعد أن ينتهوا عن النفاق.

. بعد أن ينتهوا عن الفسق.

. بعد أن ينتهوا عن المنكر.

. بعد أن ينتهوا عن الكيد لبعضهم بعضاً.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال التطفيف للكيل والميزان.

. بعد أن ينتهوا عن أفعال المظالم.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال الخيانة.

. بعد أن ينتهوا عن السّرقة.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال التزييف.

. بعد أن يعدلوا وينتهوا عن أعمال الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها بغير حقّ.

. بعد أن يستغفروا عن كلّ ظلم أو خطأ أو ذنب اقترفوه.

. بعد ان يعفوا وهم يمتلكون القوّة.

. بعد أن ينتهوا عن أفعال الإسراف.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التّسامح.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التآخي.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم التّعاون.

. بعد أنْ تسود قيمة التقدير للجهد والتميّز.

. بعد أنْ يتحوّلوا من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين.

. بعد أن تسود قيمة الاعتبار للأفراد والجماعات والشّعوب والأمم.

. بعد أن يتمسّكوا بالفضائل الخيّرة التي لا تكون مرضية للنَّاس إلَّا في مرضاة الله تعالى.

. بعد أنْ يصبح التذكُّر لِما كان درساً موعظاً.

. بعد أنْ يصبح التفكُّر فيما يجب أن يكون مرضياً.

. بعد أنْ يصبح التدبُّر لِما ينبغي أن يكون نافعاً.

. بعد أنْ يصبح التأمُّل فيما هو كائن ممكّناً من إحداث النُقلة إلى ما هو أعظم.

. عندما لا يتمسّكون بوجوبيّة تماثل القيمة مع الواقع، وكأنَّ القيم تمتلك مطلقيّة الثّبات؛ ففي بعض الأحيان الواقع يتقدَّم على القيم ممّا يستوجب العمل على تقييم القيم وتقويمها لكي تواكب حركة التغيّر والتقدّم إلى الأفضل والأجود والأنفع، وفي البعض الآخر الواقع يتخلّف كثيراً عن معطيات القيم، ممّا يستوجب عدم الرّكون إلى الواقع المتخلّف والتمسّك بالقيم المستمدّة من الفضائل الخالدة والأعراف الكريمة[١٧٦].

. قبول التحدّي من أجل السيادة وممارسة الحرّية عن إرادة.

. تجاوز مطالب الإصلاح إلى بلوغ الحلّ المتجدّد.

. التمسّك بالهويّة ووحدة تراب الوطن.

. التمسّك بالفضائل الخيّرة والقيم الحميدة مع العمل على تنقيتها ممّا يعلق بها أو يشوبها.

. الاعتراف بأنّ الحاجات متطوّرة ممّا يستوجب تطوّر الحلول مع تطوّرها بمشبعات هي الأخرى متطوّرة.

. حرّية الرأي من أجل جودة القرار وسلامة التنفيذ.

. التعبير حقّ، ولكنّه ليس بغاية؛ فالغاية المشاركة في تحمّل أعباء الوطن على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

---

[١٧٦] المصدر السابق، ص ١١٥ ـ ١١٧.

. التعلُّم والتأهُّل والتدرُّب ضرورة لكسب المهارات والخبرات والمعارف المتنوّعة الممكّنة من المنافسة والفوز بفرص العمل المتاحة.

. التطلّع للآخر من أجل صناعة مستقبل يتجدّد.

. الأمر بما يجب والنهي عمّا لا يجب.

. حرّية التعليم وفقاً لمعايير الجّودة وحاجة سوق العمل والحاجة إلى التغيير.

. حريّة التنقل والتملّك دون استغلال.

. استيعاب الآخرين وتقبّلهم بمعطيات حق المواطنة التي لا يعلو شيء على علوّها.

. حقّ المواطنة مساواة بين المواطنين ذكوراً وإناث دون أيِّ تفرقة ولا انحياز لغير وحدة الوطن وحرّية مواطنيه وحُسن معيشتهم.

. تأسيس كلّ ما هو مشترك في الوطن بين النَّاس على قاعدة (نحن معاً) (نحن سويّاً).

. احترام الكبير والصغير مع تقدير واعتبار المعاقين دون أيِّ تكبّر وتجبّر بغير حقّ.

. التطلُّع إلى الآخرين بما يفيد من أجل ما هو أكثر فائدة مع وافر التقدير والاعتبار، حتَّى تصبح السيادة للتوافق والانسجام بين النَّاس حلاًّ.

. الإيمان بأنَّه مهما بلغنا إلى الأفضل سياسة واقتصاداً وعلماً وتقنية وثقافة وأخلاقاً فإنِّ هناك ما هو أفضل منه؛ فنسعى حتَّى بلوغه، وإن بلغناه نستطيع أن نرى من بعده أشياء أخرى هي أكثر أهمية، وهكذا نعمل وتستمر مواكبة التطوّر رغبة دون ملل.

. الإيمان التّام بأنَّه لا مُطلق إلّا من عند الله تعالى، وما دونه لا يخرج عن كونه نسبياً في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

. تقييم كلّ الشؤون المقرّة دستوراً وقانوناً، وتقويم من يحيد عنها بغير حقّ[١٧٧].

ومن هنا فالنَّاس في دولة التوافق قيمهم الحميدة أصبحت محرّرة كما هم متحرّرون؛ فقيمة التّسامح التي لم يكن لها مكانٌ في زمن الطّغاة أصبحت سائدة مقدّرة معتبرة بين الأنا والآخر أقارب وآباعد، بها يُغفر الذّنب وتتآلف القلوب بعد فراق أو قطيعة أو جفاء؛ فكان التسامح بينهم رحمة بعد شدَّة ألمت بمن ألمت به من النَّاس؛ فساد القبول، وتمَّ التّجاوز عمّا أثّر سلبيّاً على العلاقات بين النَّاس في زمن الطّغاة؛ ممّا جعل التّسامح محفّزاً على تحقيق الأهداف والأغراض والغايات المشتركة، ولذلك فقيمة التّسامح تؤدّي إلى إصلاح ذات البين بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، وبين الحكومات وقمم السُّلطان إن استجابوا إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ، ولذا فالمسؤول الديمقراطي في ربيع النَّاس في دولة التوافق، يكدّ ويجد مع وافر الشفافيّة، لكي ينال الاعتراف ممّن تربطه بهم علاقات المسؤولية الوطنيّة، ممّا يجعله مقدّراً من قِبلهم بإقدامه على ما يحقّ الحقّ ويرسي العدل بكلّ سماحة ولين جانب[١٧٨].

في ربيع النَّاس في دولة التوافق كلّ النَّاس تخلّصوا من الوشايات والمكائد والأحقاد التي زُرعت بذورها ونمت أيّام الطّاغية، كما أنَّهم تخلّصوا من الأحكام المسبقة التي كانت تُنقل لهم من المصدر ذاته، الذي كان يرسم سياساته للأجيال الآتية بمعطيات لغة الأموات الذين كانوا يئدون البنات ويتقاتلون على عقال ناقة، ولذا فبعد الثّورة الحلّ جاء صوت النَّاس مدويّاً بقوله: من العيب أن تسيّرنا عقول الأموات الذين كانوا يثأرون من بعضهم البعض على أتفه الأسباب، لقد انتهى زمن بني عبس وبني كليب بنور الله على الأرض؛ فلا داعٍ لأن نقصر عقولنا على التفكير بعقول الأموات في عصر الجاهلية ونحن في القرن الواحد

[١٧٧] المصدر السابق، ص ١٣٢ ـ ١٣٤.

[١٧٨] المصدر السابق، ص ١٤٠.

والعشرين ونور الله يملأ الوجود، ولا داعٍ للنّظر إلى الشعب وكأنَّه فئران في كيس من الخيش إن لم يُهزّ الكيس باستمرار ستمزّقه الفئران من أجل الحرّية؟ لقد صحا الشّعب من غفلته حتَّى عمّت الفرحة والانسجام بيوت النَّاس جميعاً، ولقد تمَّ التخلّص من شِعر الفتن الذي كانت تغذّيه عقول الطّغاة وتتناقله عقول الجهلاء، ولقد تمكّن الشّعب من التمييز بين أعداء الأمس وأعداء اليوم؛ فلا مظالم ولا تعميم للأحكام، بل أصبح التبيّن من سُنن الحياة سُنّة توافق وانسجام في ربيع النَّاس حلّاً.

وعليه: فإنَّ ربيع التّوافق هو الذي ببلوغه تمّ تجاوز زمن الانتكاسات، وزمن القبول بالإصلاح، وزمن القمع، وزمن الإقصاء والتغييب، وزمن الدّسائس والمفاسد، وزمن احتكار السّلطة والعبث بالثروة العامّة للشعب، وزمن تزوير الحقائق وتقويض القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة، وزمن العبث بالتعليم والصّحة، وزمن التكبيل بالقيود والأطواق؛ فأصبحت جميع معطيات الحرّية مشاعة بين أيدي النَّاس؛ فبعد القلق والاضطراب أصبحت الطمأنينة والسّكينة هي الفسحة مفتّحة الأبواب بفعل ثورة الشّعب التي تخلّقت في ميادين الشهداء وساحات الحرّية.

والحلّ في ربيع التّوافق كونه المنقذ من التأزُّمات والمظالم والطّغاة، لم يكن وصفة جاهزة هكذا تستخدم، بل له من المعطيات ما يكفي لممارسة الحرّية ومعايشتها فعلاً متحقّقاً[١٧٩].

فالتّوافق لا يكون بين النَّاس قيمة سائدة إلّا عن إرادة، ومتى ما بلغ النَّاس التوافق، بلغوا الحلّ الذي يجد الإنسان نفسه به مقدّراً ومعتبراً؛ فقمّة السُّلطان عندما يكون صوته صوت النَّاس يكون هذا الصّوت دليل التّوافق التَّام بين الشّعب وقمّة السُّلطان، وعندما تختلف الأصوات بين الشّعب وقمّة سلّم السُّلطان، لن يعلو صوت على صوت الرّفض

---

[١٧٩] المصدر السابق، ص ١٣٠.

والمواجهة والثورة، التي بها يُنقل النَّاس من التسليم بغير حقّ إلى العمل المحقّ للحقّ[١٨٠].

وعليه: فإنَّ ربيع النَّاس في دولة التوافق أمر واقع وليس خيالاً لا حيّز له سوى الذاكرة؛ فالذي يظلّ على حاله ساكناً في الذاكرة حيث لا إمكانية لظهوره شاهداً على أرض الواقع، سيظلّ فكرة طوباوية فاقدة لمعطيات التجسيد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولهذا فإنَّ ربيع النَّاس هو ذلك المرغوب المتحقّق، وليس ذلك المأمول غير القابل للتحقُّق.

لقد انتهى زمن التنظير للمدن الفاضلة التي معطياتها لا تتجاوز الخيالات الفكرية، وجاء الرّبيع سلطة وثروة بيد النَّاس، حيث لا محروم ولا مقصى ولا مغيّب ولا محتكر ولا لطاغية تفسد وتبارك المفاسد، ولا وجود لقمّة تعتقد أنَّها تعلو قمّة الوطن والمواطنين، ولذا فمع انتهاء زمن التنظير للمدن الفاضلة، انتهى زمن المطالبة بحكم الفلاسفة، وحكم المشايخ والدراويش وحكم الأئمة، وجاء الزّمن (الآن) الوطن ملك للجميع؛ فلا أنا ولا آخر فيه، بل الكلُّ معاً والكلُّ سويّاً، وطنٌ فيه التعليم حقّ للجميع، والعمل حقّ للجميع، والمسكن حقّ للجميع، والعلاج حقّ للجميع، والتقدّم الحضاري بأنواعه حقّ للجميع، ومن هنا يصبح النَّاس في ربيعهم متوافقون؛ فلا تنازل عن شيء هو حقّ لأيِّ مواطن، ولا احتكار لشيء هو من ثروة الوطن، ومن أجل استثمار ذلك فليتنافس المتنافسون[١٨١].

صدر للمؤلّف

١٨٠ المصدر السابق، ص ١٢٢.

١٨١ المصدر السابق، ص ١٢١.

صدر للمؤلف ٤٢ بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها. وصدر له ٧٥ مؤلفاً منها خمس موسوعات، ومجالات اهتمام المؤلف البحثية هي:

١ . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

٢ . الفكر والسياسة.

٣ . الأدب.

٤ . الاسلاميات.

٥ . طرق البحث الاجتماعي.

تُرجمت مجموعة من كتبه إلى اللغة الانجليزية واللغة التركية.

عناوين

المؤلفات ومواضعها

١ . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، ١٩٨٩م.

٢ . الاصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، ١٩٩٢م.

٣. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجا، ١٩٩٥م.

٤ . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجا، مالطا، ١٩٩٦م.

٥ . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجا، مالطا، ١٩٩٧م.

٦ . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

٧ . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٩م.

٨ . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجا، مالطا، ٢٠٠١م.

٩ . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجا، مالطا،

٢٠٠١م.
١٠ . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
١١ . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٢ . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٣ . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، ٢٠٠٦م.
١٤ . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، ٢٠٠٦م.
١٥ . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٦ . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٧ . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٨. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٩ . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٠ . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢١ . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، ٢٠٠٩م.
٢٢ . موسوعة اسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابين كثير، دمشق . بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣ . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.

٢٤ . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٢٥ . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٢٦ . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٢٧ . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٢٨ . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٢٩ . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٠ . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣١ . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٢ . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٣ . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٤ . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٥ . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٦ . أيوب واليسع وذو الكفل والياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.
٣٧ . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.

٣٨ . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.

٣٩ . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، ٢٠١٠م.

٤٠ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤١ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٢ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٣ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٤ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٥ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٦ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٧ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٨ . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٩ . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٥٠ . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

٥١ . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، ٢٠١١م.

٥٢ . ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ٢٠١١م.

٥٣ . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ٢٠١١م.

٥٤ . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، ٢٠١١م.

٥٥ . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م.

٥٦ . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: ٢٠١١م.

٥٧ . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٥٨ . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٥٩ . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

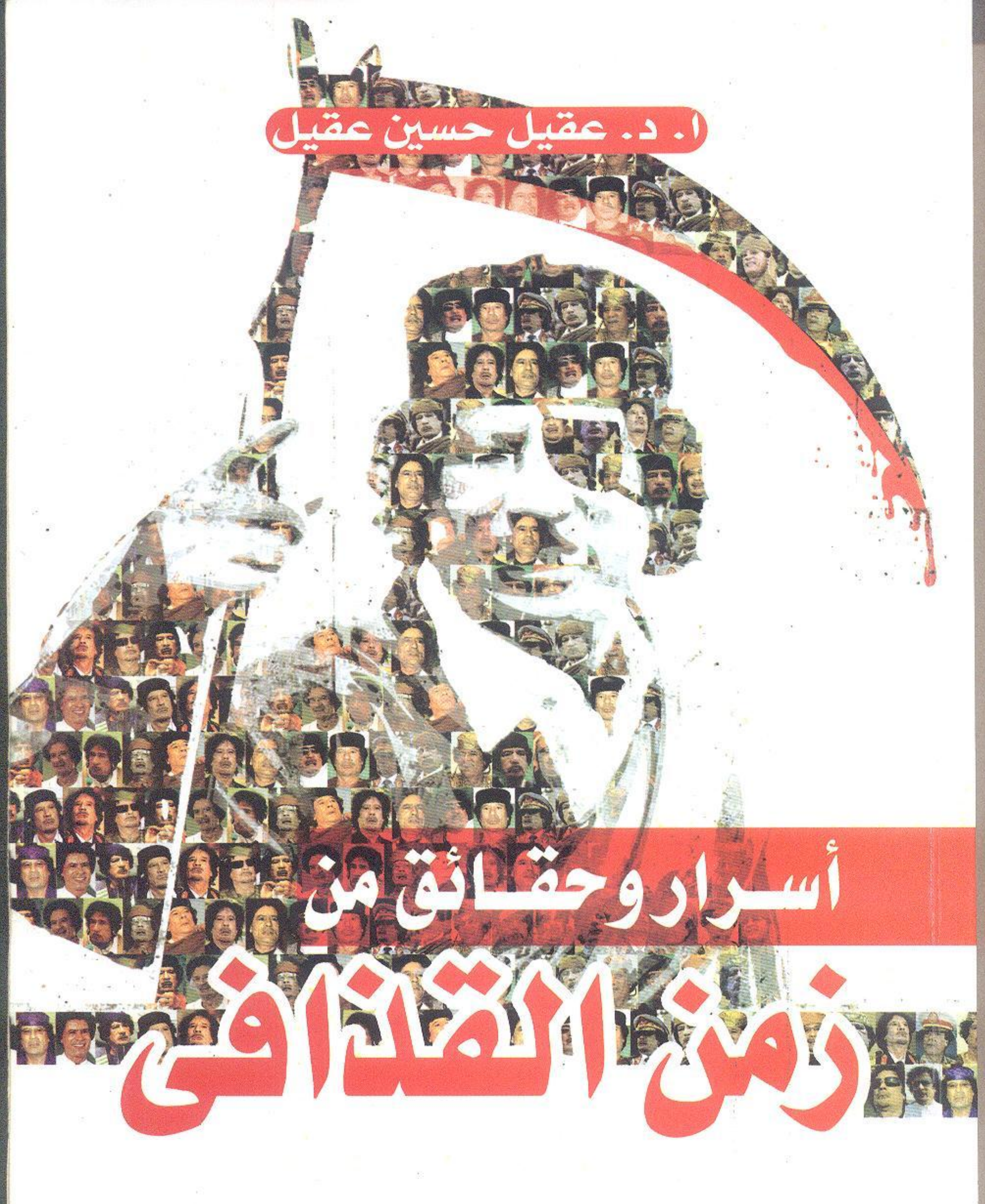
٦٠ . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٦١ . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٦٢ . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٦٣ . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.

٦٤ . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.
٦٥ . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.
٦٦ . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.
٦٧ . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، ٢٠١١م.
٦٨ . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
٦٩ . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
٧٠ . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
٧١ . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٢م
٧٢ . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، ٢٠١١م.
٧٣ . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، ٢٠١١م.
٧٤ . ربيع النّاس (من الاصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.
٧٥ . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، ٢٠١٢م.



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع